

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



طرف ابن العبد

حياته وشجره

الجامعة الإسلامية بفزرة
المكتبة

بحث مقدم من الطالب / محمد الشيخ محمود صيام

لنيل درجة الماجستير في الآداب

ص ي 1/ 928.1



* 1 2 4 0 0 3 0 *

مجموعات خاصة

غير قابل للإعارة

المكتبة
قسم الرسائل العلمية

إشراف الأستاذ الدكتور

حسن محمد باهيو

م رئيس قسم الدراسات العليا العربية

مكتبة الجامعة الإسلامية بفزرة

الرقم السام

(ب)

والحقيقة أن صلتى بطرفة بن العبد قديمة ، قدم تخرجى من جامعة القاهرة قبل عقدين من الزمان . فقد وجهنا - هناك - أساتذتنا الأجلاء ، جزاهم الله عنا خير الجزاء - منذ دراستنا المنهجية ، الى تراثنا العنى الخصب . لننهل من منهلهم الفرات ، ونسيح فى ميدانه الرحيب . فكان أن قمت أنا بتحقيق شعر طرفة بن العبد كله .

نعم ، لقد عشت سنوات طوال مع ذلك الشعر ، سواء فى مخطوطاته المحفوظة بدار الكتب المصرية ، أو فى مصوراته المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة . ولازلت أحتفظ - إلى الآن - بصور عن تلك المخطوطات والمصورات التى كنت أرجع اليها عند الحاجة .

ولذلك فقد اجتمع لرسالتى هذه من الأسس القوية ما اجتمع . فشغف بالدراسة لايدانيه شغف ، وتحقيق قديم لشعر الشاعر الذى أنا بصدد دراسته ، وتوجيه شديد ، وحرص شديد من أستاذى المشرف كانا الشعاع الذى - إِنْ غُمَّ عَلَىَّ أَمْرٌ - بِهِ أَسْتُضِيءُ ، وكانا الظل الذى - إِنْ أَجْهَنَنِى الْبَحْثُ - إِلَيْهِ أَفْنَى .

هذا ، ولقد قسمت رسالتى هذه الى بابين ، جعلت الأول منهما لحياة طرفة ، وجعلت الثانى لشعره . ثم قسمت الباب الأول إلى أطُرٍ ثلاثة ، متداخل بعضها فى بعض . فالإطار الأكبر هو بيئة الشاعر وعصره . والإطار الأوسط هو قبيلته ، والإطار الأصغر هو حياته . وقد جعلت لكل إطار فصلا من الفصول . وقسمت كل فصل إلى عدد من المباحث .

ففى الفصل الأول الذى هو بيئة الشاعر وعصره ، درست شرق الجزيرة العربية فى ذلك الزمان ، جغرافيةً وحضارةً ومجتمعاً . كما درست فيه مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية فى شرق الجزيرة .

ومهدت للفصل الثانى الذى هو قبيلة طرفة ، بدراسة موجزة عن العرب فى الجاهلية ، مساكنهم ونسبهم ، ثم درست نسب ربيعة قبيلة الشاعر ، ومساكنها ، وديانتها وشعرائها وأيامها .

وفى الفصل الثالث من هذا الباب ، درست حياة الشاعر نفسها ، اسمه وكنيته ونسبه ، ومولده ونشأته ونبوغه ، وعلاقته ببلاط الحيرة ، وأخيراً نهايته .

أما الباب الثانى وهو شعر طرفة ، فقد قسمته هو الآخر إلى ثلاثة فصول . قصرت أحدها على دراسة مصادر شعر طرفة ، ورواة ديوانه ، والانتحال فيه ، وختمت ذلك الفصل بمبحث عن طرفة فى رأى القسما .

٢٨٢ وفى الفصل الثانى درست موضوعات الشعر التى عرض لها طرفة من وقوف بالأطلال ، وغزل ووصف وفخر وهجاء وحكم وأمثال . وختمت ذلك الفصل بمبحث عرضت فيه لدراسة آراء طرفة الخاص فى الحياة .

أما الفصل الثالث فقد قصرت على دراسة خصائص شعر طرفة ومميزاته ، فمبحث لدراسة أسلوبه ، ومبحث لدراسة تطور أشعاره ، ومبحث لدراسة معلقته ، ثم ختمت ذلك الفصل بمبحث درست فيه آثار

طرفة فيمن جاء بعده من الشعراء .

وأخيرا ذيلت البحث كله ، بغاتمة عرضت فيها أهم أركانه ، وأبرز النقاط فيه ، بما استطعت من الإيجاز والاختصار ، وذلك هربا من الملل الذى يولده التكرار .

هذا ولم يفتنى أن أستغل الهوامش - كذلك ما استطعت - حيث لم أقصرها على إحالة للمصادر والمراجع ، ولكننى استفدت منها فى شرح الشواهد باختصار ، كما استفدت منها كذلك فى الترجمة لمن عرض لهم البحث من الأعلام .

وبودى أن أذكر أننى نهجت فى دراستى لشعر طرفة ، نهجا كانت نفسى تتوق إليه ، ووجدت من أستاذى المشرف - كل تشجيع عليه . ألا وهو صبغ النقد بالصبغة الأخلاقية ، ودراسة ذلك الشعر من وجهة النظر الإسلامية . وذلك حتى لا تكون تلك الدراسة عقيمة جافة ، ندور فيها مع شاعرنا ، كما يدور كثير من الباحثين مع شعرائهم حيث يدورون ، ونسير فيها - بلا هدف - كما يسيرون .

لا والله لم نفعل كذلك . فقد كنا نقف مع شاعرنا ، بعد أن نستوفى الدراسة الأدبية لأى من موضوعاته ، فنوافقه على آرائه إن أصاب ، ونضائه إن جانب الصواب . ولذلك فقد كنا عدا عليه ، فى غزله وأحاديث لهوه وشرابه ، التى اتسمت بمجافة الخلق الكريم . كما كنا حربا عليه فى آرائه المنحرفة التى كان يعلنها بصراحة .

فتتجاسها الأجيال التي نلق الآمال عليها . فان الشر - كما
لا يخفى - إذا بان خطله ، هان خارته .

وبودى أخيرا ، قبل أن أختتم مقدمتي هذه ، أن أتقدم بالشكر
الجزيل ، والتحية الصادقة لأولئك النفر الكريم من المسؤولين
في هذه الكلية ، والمسؤولين في قسم الدراسات العليا ، وأساتذة
القسم ، فقد اختصوني بعطفهم ، وغمروني بفضلهم . وإن من الفضل
شكر ذى الفضل ، وذكر فضله ، وإن من الجميل عرفان الجميل
وشكر أهله .

✓ فأما المسؤولون في هذه الكلية الموقرة ، فقد استقبلوني
بالترحيب الكامل ، وتولوني بالتشجيع المتواصل . وعلى غرارهم
سار المسؤولون في قسم الدراسات العليا العربية والشرعية -
الفنيون منهم والإداريون . اذ منحوني كل عناية ، وأحاطوني
بكل رعاية .

وأما أساتذة الدراسات العليا العربية ، فقد شملوني
بعطفهم ، واختصوني بنصحهم ، ولم يبخلوا على بشي من وقتهم
أو يضمنوا على بشي من جهدهم .

وأما رئيس هذا القسم ، والمشرف على هذه الرسالة ، فلست
أدرى بأى أعماله الخيرة أذكره ، وعلى أى من أفضاله أشكره .

أأذكره بحرصه الشديد علىَّ ، أم بنصحه السديد الذى كان
يسديه إليَّ .. وهى أشكره على متابعاته لما أبعث ، وملاحقاته لما
أكتب ، بالتصويب والتصحيح والتقويم ، إن بالشمال أو باليمين ،

(و)

أم أشكره على الساعات الإضافية التي كان يقطعها لي من وقته
التمين ..

لقد تضافرت لبحثي كل تلك الجهود الميمونة ، من كل
أولئك الأجلاء الميامين ، فكانت عمدة وأطنابة وأوتاده .

فاللهم ارض عن أولئك الكرام ، رضاك عن المخلصين ، واجزهم
عني جزاء الصادقين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*

الباب الأول

حياة طرفة

- الفصل الأول : بيئة طرفة وعصره
- الفصل الثاني : قبيلة طرفة
- الفصل الثالث : حياة طرفة

الفصل الأول

بيئة طرفة وعصره

تمهيد :

لقد كثرت التأليف حول العصر الجاهلى ، كثرة توهم الباحث لأول وهلة ، أن مجاهيله قد كشفت ، وأن خباياه قد عرفت . . . ولكن الذى يدقق النظر ، يظهر له غير ذلك . ان يعترف الباحثون بأن العصر الجاهلى ، لا يزال بحاجة الى بحث وتنقيب وامعان نظر . ويرجع ذلك كما يرى الدكتور شوقى ضيف فى كتابه — العصر الجاهلى الى أن " كثيرا من الآثار الأدبية القيمة — لذلك العصر — لا يزال محطوطا لما ينشر ، وكثيرا مما نشر فى حاجة الى أن يعاد نشره نشرًا علميًا " .^(١)

* * *

وطرفة بن العبد الشاعر ، ظاهرة من ظواهر ذلك العصر التى تحتاج الى الدراسة ، سواء أكان ذلك من ناحيته هو كإنسان له مكان فى تاريخ أدبنا القديم ، أو من ناحية شعره كنتاج أدبى قيم ، اجتاز أثره عصره الماضى ، وانبرى يعمل بوضوح فيما أعقبه من عصور .

وسأحاول بعون الله تعالى وحوله ، أن أدرس تلك الظاهرة من ناحيتين السابقتين . . طرفة الانسان ، وطرفة الشاعر . على أن البحث فى ذلك لا يستقيم أمره ، الا اذا تعرضنا بالدراسة لبيئة الشاعر وعصره . فان ذلك — بلا ريب — سيلقى أضواء ضرورية

المبحث الأول : شرق الجزيرة العربية :

كان شرق الجزيرة العربية موطناً لطرفة بن العبد ، وموطناً لقبيلته ربيعة ، فكانت أوديته المتعددة ، وتلاله المترامية وواحاته المتناثرة هنا وهناك ، ملاعب لصباه ، ومصدراً لأفكاره وملهماً لأشعاره . ولذلك فإن دراسة شرق الجزيرة من بعض جوانبه اللازمة لبحثنا ، هي هدفنا في هذا الجزء من هذا الفصل .

جغرافية شرق الجزيرة العربية :

بقيت أغلب بقاع الجزيرة العربية ، شبه مجهولة عن الجغرافيين القدماء ، فكانوا إذا تحدثوا عن الجزيرة أوردوا كلاماً عاماً لا يفي غليل الباحث وهو يريد أن يعرف كل شيء ، ولا يبيل صداه وهو متشوق لكشف الغموض عن جزء من أجزاء الجزيرة يتعلق بدراسته عن ظاهرة من ظواهر ذلك الزمان .

ثم اننا لانستطيع أن نعتمد على ما كتب الجغرافيون المحدثون فقد تكون جغرافية الجزيرة قد تغيرت عن ذي قبل ، والأغلب أن تكون قد تغيرت ، فان قديماً في تضاريس الأرض لا يبقى على قدمه وكيف يبقى على قدمه ووراءه كثر الجديدين ، وعوامل التعرية ..

ولما كان شاعرنا طرفة بن العبد ، قد عاش في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية - كما ذكرنا - فاننا سنقصّر الحديث هنا على تلك المنطقة ، وسنعود للجزيرة برمتها عندما يتطلب البحث ذلك .

كانت الرحلة الى شرق الجزيرة العربية فى الماضى صعبة شاقة ، اذ أنها كانت تستلزم أن يقطع الرحالة وسط الجزيرة الصحراوى ، اما على قدميه أو بواسطة وسائل النقل القديمة وليس يعلم الا الله مغبة هذا الأمر ، ولذلك فقد بقى هذا الجزء كغيره من أجزاء الجزيرة العربية مجهولا عند القدماء . ولعله قد بقى كذلك مجهولا عند المحدثين لذات السبب .

فهذا أحد الباحثين المحدثين يقول : " وليست بلاد الاحساء الممتدة من عمان الى مصب الفرات ، على طول الخليج الفارسى معروفة جيدا ويظن أنها قليلة السكان " (١) فهو يظن ظنا ليس الا ويعترف بأن المنطقة كانت لازالت مجهولة ، ويرجع ذلك بلا شك ، الى صعوبة الرحلة ، وضعف امكانيات الاستكشاف ، قبل عصر النهضة الذى نعيش فيه .

وقد وصف الهمدانى جزيرة العرب فى كتابه المعروف بصفة الجزيرة ، فجعلها خمسة أقسام ، نزل بها العرب وتوالدوا فيها وهى فى أشعارهم . وهى تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن (٢)

(١) انظر حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ص : ٥٧

(٢) انظر صفة الجزيرة ص : ٤٧ - ٤٨

فأما بلاد اليمامة والبحرين^(١) وما والاها فهي العروض .

وهذا هو القسم الذى تهمنا دراسته هنا . وقد استقصى
الهمدانى وصفه لتلك البلاد - كما يقول - من أخبار تلتقاها
من العرب الذين تيسر لهم أن يزوروا تلك البقاع^(٢)

ففى تلك المنطقة نجاد وأغوار ، لقربها من البحار
وفيهما مسایل أودية ، وانخفاض مواقع ، والعروض يجمع ذلك
كله .^(٣)

حصارة شرق الجزيرة فى القديم :

ويبدو أن هذه المنطقة كانت ذات حضارة فى غابر الأزمنة
فقد كانت حلقة الاتصال بين بلاد الشرق (الأقصى) وبين دول الشرق
وشرق أوروبا التى كانت قائمة فى ذلك الزمان ، كالإغريق والفرس
والروم وغيرهم .

ففى إحدى الجزر الموجودة بأحد خلجان تلك المنطقة ، وهى
جزيرة (فيلكا) التابعة لدولة الكويت ، عثر مؤخرًا على^(٤)

(١) البحرين - قديما - كانت تضم جزءا كبيرا من شرق الجزيرة
العربية وأطراف العراق ، قال ياقوت الحموى فى معجم
البلدان " وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة
وعمان " . وكانت عاصمتها هجر (وهى الأحساء اليوم) ، وقد
سمى البحرين بهجر . وعاصمتها الأحساء (المعروفة اليوم فى
المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية) . وكانت
البحرين قديما من أعمال الفرس ، وكان يقيم فى بواديها

مجموعة ضخمة من الآثار ^(١) ، الأفريقية ، كالحجارة والأعمدة والمعابد والقلاع والقصور الملكية ، والنقود والتماثيل والأختام والجرار الفخارية ، والتي يرجع تاريخها إلى القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد ^(٢) ، والتي تدل على أن الإغريق في ذلك الزمان قد عرفوا معرفة وثيقة ، بل عاشوا عيشة استقرار واطمئنان في تلك البلاد ^(٣).

أما في العصر الجاهلي الذي يعيننا ، والذي عاش فيه شاعرنا طرفة ابن العبد ، فلم يكن الساحل الشرقي من جزيرة العرب ، كما يذكر الهمداني في صفة الجزيرة ، سوى منطقة رعوية تصلح لبعض الزراعة ، ويسكنها عدد من القبائل العربية ، التي كانت حياتها تعتمد على الرعي وبعض نتاج الزراعة من حبوب ونخيل وغير ذلك . فقد كانت ساحلية كثيرة النخل والزروع ، وفيها عيون تنبع بالماء ^(٤) . مع أن غربها كان هضابا وصحراوات ^(٥).

ولانزال التربة في الشمال تصلح لزراعة النخيل والحبوب وغيرها ، وان كانت في الجنوب ربما لاخلية من الزراعة . وبها تلال وأودية وبعض الواحات ، نتيجة لوجود الينابيع غير الجارية ^(٦).

(١) كان أول حجر أثري منها قد عثر عليه السكان سنة ١٩٣٧ م . أما بقية الآثار فقد عثرت عليها البعثة الدنمركية التي استدعتها الحكومة الكويتية لهذا الغرض ، والتي ظهرت أولى نتائج تنقيبها عام ١٩٥٨ م (انظر المصدر السابق ص ٢٢ أيضا)

(٢) انظر تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا ص ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ . انظر كذلك «نقد بمناخية من جزيرة فيلكا

رياح شرق الجزيرة وأمطار :

(١) وتهب على المنطقة رياح الصَّبا التي تأتي من المشرق ، ورياح
الدُّبُور التي تأتي من المغرب ، ورياح الجَنُوب التي تأتي من اليمين^(٣)
ورياح الشَّمال التي تأتي من الشام^(٤) . وكذلك رياح الحَرْجَف التي
تهب بين الشمال والصبأ ، كما يذكر صاحب صفة الجزيرة^(٥) . قال الأعلم
الشتنمرى في شرحه لديوان طرفة : الحرجف الشمال اذا عصفت ،
وقيل هي الشديدة من كل ريح^(٦) .

ويذكر طرفة في شعره كثيرا من تلك الرياح ، فهو يقول في
الحرجف :^(٨)

صادفته حَرْجَفٌ فِي تَلْمَعَةٍ فسجاً وسطاً بلا سبيل

-
- (١) الصبا ريح معروفة تقابل الدبور . ومهبها مطلع الشمس اذا
استوى الليل والنهار . وتكون اسما وصفة . وتثنيتها صَبَّـوان
وصبيان ، والجمع صبوات وأصباء . وقد صبت الريح تصبوا
صبوا وصبأ (انظر اللسان صبا) .
- (٢) الدبور الريح التي تقابل الصبا . وقد دبرت الريح تدبر دبورا .
وتكون صفة دائما (اللسان دبر) .
- (٣) الجنوب ريح تخالف الشمال فتأتي عزمين القبلة " قال الأعمى :
مجيء الجنوب ما بين مطلع سهيل الى مطلع الشمس في الشتاء . واذا
جاءت جاء معها خير وتلقيح . واذا جاءت الشمال نشفت . وجنبت
الريح اذا تحولت جنوبا (اللسان جنب)
- (٤) الشمال الريح التي تهب من ناحية القطب . من قبل الشام عن
يسار القبلة ، وتكون اسما وصفة . وفيها خمس لفات : شمل
(بالسكين) ، وشمل (بالتحريك) ، وشمالوشمال (مهموز) وشأمل
(مقلوب) والجمع شمالات وشمائل (اللسان شمل)

(٥) الحرجف الريح الباردة . وريح حرجف باردة . وليلة حرجف : باردة

ويقول في ذكر الشمال والصبا : (١)
 أ - فأنت على الأدنى شمال عريضة
 ب - وأنت على الأقصى صبا غير قرّة
 شامية تزوى الوجوه بليسل (٢)
 تذاب منها مرزغ ومسيل (٣)

(٤) ويقول في ذكر الجنوب :
 مرثه الجنوب ثم هبت له الصبا
 إذا مس منها مصكنا عموماً نزل

هذا وبعض مناطق شرق الجزيرة لارياح فيه " غير تنسم سموم
 انصاف النهار . (٥)

(٦) وأما أمطار تلك المنطقة فأولها الوسمى ، وهو مطر أول الربيع
 وله أنواع كثيرة . ثم يتلوّه الربيع ، وهو المطر الذى يكون

= الياء الى الوادى ، وقوله " فسجا " أى سكن واستقر . والبلاط
 الأرض المستوية . والمسيطر السهل الممتد .
 يصف ما فيقول : انه قد استقر فى بلاط فصفا وهبت عليه
 ريح باردة فبرد .

(١) (الديوان ص ٨٣)
 (٢) الأدنى الأقارب ، شمال عريضة اذا كانت فى غير شمس ، وبليل
 باردة . ونسبها الى الشام لأنها تأت من قبله . وتزوى الوجوه
 أى تقبضها لشدة بردها .

وقد ضرب طرفه هذا مثلاً لابن عمه عبد عمرو فى شدته على الأقارب
 وسوء معاملته اياهم .

(٣) الأقصى البعيد النسب والصبا الريح اللينة المحبوبة عند
 العرب ، غير قرّة أى غير باردة ، وتذاب : أى تأتى من هنا
 مرة ومن هناك مرة . كالذئب اذا حذر من وجه جأ من وجهه
 آخر . ثم استأنف فقال : منها مرزغ ومسيل . فالمسيل من
 المطر الذى يسيل الأرض منه ، والمرزغ دونه .
 والمعنى : تقطع الأقارب وتسى اليهم ، وتصل الأباعد وتحسن
 معاملتهم .

(٤) (الديوان ص ٩٠) ومرثه الجنوب أى مسمته واستدريته . وذكر

(١) في فصل الربيع هـ ثم الصيف وهو المطر الذي يجيء في الصيف (٢)
 ثم الخريف (٣) وهو أول ما يبدأ من المطر في أقبال الشتاء . وقد ذكر
 طرفة بعض هذه الأمطار كذلك في شعره فقال : (٤)
 فلا زال غيثٌ من ربيعٍ وصيفٍ على دارها حيث استقرت له زجلُ

وأعشاب المنطقة وأشجارها الصحراوية كثيرة جدا . منها الشَّيْحُ
 وهو نبات سهل له رائحة طيبة وطعم مر . وهو مرعى للخيل ،
 والنعم (٥) . ومنها الحَاذُ وهو شجراً ألفه بقر الوحش (٦) ، ومنها
 الغُضَا وهو شجرة له تنسب أخبث الذئاب وأخطرها (٧) . ومنها
 الطَّحْمَةُ والطَّحْمَاءُ وهما من الحمض (٨) .

-
- (١) انظر اللسان (م ربيع)
 (٢) الصيف (بتشديد اليا) ، والمفرد صَيْفٌ ، يقال أصابتنا صيفه
 غزيرة (انظر اللسان م صيف)
 (٣) قال الأصمعي : أول ماء المطر في أقبال الشتاء اسمه الخريف وهو
 الذي يأتي عند صرام النخل ، ثم يليه الوسمي ، وهو أول الربيع
 ثم يليه الربيع ، ثم الصيف ، ثم الحميم وخرفت الأرض صابها
 مطر الخريف ، وكذلك خرفت القوم (انظر اللسان م خرفت)
 (٤) (الديوان ص ١٠) ، يدعو طرفة لصاحبه بالسقيا حيث كانت ،
 وأراد بالربيع مطر الربيع ، وبالصيف مطر الصيف ، وقوله : له
 زجل أي له رعد وصوت ، وأغزر ما يكون المطر مع الرعد .
 (٥) قيل ويتخمن بعضه المكاسر ، ومنا بته القيمان والرياض ، وجمعه
 شيعان . (انظر اللسان م شينح)
 (٦) انظر اللسان (م حوذ) وواحدته حاذة .
 (٧) واحدته غضة (انظر اللسان م غضا)
 (٨) واحدته حمض (انظر اللسان م حمض)

ومنها السَّحْمَةُ والسَّحْمَاءُ ، وهما كلاء أبيض ليس بعشب ولا شجر (١)
ومنها العُشْرُ وهو شجر أملس لين العود (٢) ، عريض الورق ينبت
صُعْدًا في السماء (٣) . ومنها الخُرُوعُ ، وهو الشجر المعروف ، ومنها (٤)
الشَّقِيرُ وهو شجر له ثمر أحمر (٥) . ومنها الأقحوان وهو من نبات
الربيع ، مفرض الورق طيب الريح دقيق العيدان له نُورٌ أبيض (٦)
ومنها السَّمُرُ وهو شجر صغير الورق قصير الشوك جيد الخشب (٧)

-
- (١) السحمة (بفتح السين والحاء والميم) . انظر اللسان سحر
(٢) انظر شرح الأعلام الشنتمرى للبیت ٦٠ من معلقة طرفة في
الديوان ص ٣٥ .
(٣) والعشر (بضم العين وفتح الشين) ، واحدته عشرة وله صمغ حلو
(اللسان عشر)
(٤) الخروج (بكسر فسكون ففتح) : شجر له حب كأنه بيض العصافير
(اللسان خرع)
(٥) الشقر (بفتح فكسر) : نبت أحمر يقال له شقائق النعمان
واحدته شقرة (اللسان شقر)
وانظر كذلك ما نقله الأعلام عن الأصمعي في شرح البیت ٤٠ من
القصيدة الثانية (الديوان ص ٦٤)
(٦) " كأنه ثغر جارية حَدَّة السن ، واحدته أقحوانه ، ويجمع على
أقاح " (انظر اللسان قحا)
(٧) السمر (بضم الميم) واحدته سمرة (انظر اللسان سمر) .

ومنها الأَرطَى والأَمْطَى والبَّضَالُ ، وهو السدر البرى ^(١) ، ومنها الرُّغْلُ
وهو أطيب الحمض ^(٢) . وأطيب ألبان الابل اذا رعته وأمر لبنها
اذا رعت المرار ^(٣)

هذا وقد تردد في شعر طرفه كثير من تلك الأعشاب والأشجار
نذكر بعضها على سبيل المثال
فالحاذ في قوله : ^(٤)
حيثما قاطنوا بنجدٍ وشتوا
حول ذات الحاذ من ثنيى وقر

(١) الأَرطَى (كالأعشى) شجر من شجر الرمل وأديم مأروط ومَرطَى مدبوع
بالأرطى (اللسان رطاً) . والأَمْطَى (كالجندى) : شجر ينبت
فى الرمل أيضا ، وله صمغ يمضغه هبيبان العرب (انظر اللسان
حوز ، ومطاً) . وانظر كذلك شرح البيت ١٠ من القصيدة الثانية
لطرفه فى ديوانه ص ٥٤ .

(٢) الرُّغْلُ (كالجند) : من شجر الحمض ، وورقه مفتول . والابل تحض
به ، وأرغلت الارض أنبتت الرُّغْلَ . (انظر اللسان م رغل) .
والحمض (كالبرق) : كل نبت مالح أو حامض ، والجمع حموض
والخلة (كالخلة والجبة) من النبات ما كان حلوا والعرب تقول
الخلة خبز الابل ، والحمض فاكهتها . (انظر اللسان م حمض) .

(٣) انظر فى هذه النباتات والأشجار صفة الجزيرة للهمدانى ص ١٥٥
وما بعدها . والمرار شجر مر . واحدته مرارة . (وضبطه كالحكام)
(انظر اللسان م مرر) .

(٤) قاطنوا من القيط وهو شدة الحر ، وذات الحاذ مكان ينبت فيه
الحاذ ، وثنيا وقر موضع . (انظر الديوان ص ٥٥) .

والغضا في قوله : (١)

وَكُرِّي إِذَا نَادَى الْمُتَافُ مُحَنَّبًا كَسِيدَ الْغُضَا نَبِيَّهُتَهُ الْمُتَوَرَّدِ

والعشر والخروج في قوله : (٢)

كَأَنَّ الْبُرَيْنَ وَالْدَّمَالِيَّجَ عُلِقَتْ عَلَى عَشْرِ أَوْخُرُوعٍ لَمْ يُخْضَدِ

(١) الكر العطف ، والمضاف المكروب الذي أحاط به العدو
والمحنب الفرس الذي في يديه انحناء وهو مما يمدح به .
والسيد الذئب وخص ذئب الغضا لكونه أخبث الذئاب وأنكرها
ونبيته هيجهته والمتورد الذي يطلب الورد ، ٠٠ يقول : ومما
أعيف له أيضا نجدة الملهوف - على فرس سريع جدا - حتى
أدركه قبل أن يفتك العدو به - وشبه فرسه في سرعته بذئب
الغضا وقد هاج - وذلك أسرع له .

(وانظر شرح البيت ٥٨ في الديوان ص ٣٣)

(٢) (انظر الديوان ص ٣٤ ، ٣٥) والبرين الخلاخيل ، والدماليج
والدمالج المعاضد واحدها دملوج ودملج . ولم يخضد لم
يثن ليكسر ٠٠ شبه ساقيهما وعضديهما به في نعمته
وليئنه .

- (١) والشقر في قوله :
وتساقى القوم كأساً مرةً
وعلا الخيل دماً كالشقر
(٢) والأقحوان في قوله :
بأذن تجلو إذا ما ابتسمت
عن غيتيت كفاف الرمل غر
والطحماء والسحمة في قوله : (٣)
خير ما ترعون من شجير
يا بس الطحماء أو سحمة
والأرطى في قوله : (٤)
طللت بذى لأرطى فويق مثقب
وبئنة سوء هالكاً وكها لك
والسمر والضال في قوله : (٥)
جأبة المدرى لها ذو جد
تنفض الضال وأفنان السمر

- (١) (الديوان ص ٦٤) وتساقى القوم مثله أى سقى بعضهم بعضاً كأس
الحتوف
وتساقى الدماء على جسم الخيل (من الفرسان بسبب الطعان)
وهى دماء حمراء قانية شبيهها بهذا الشجر .
- (٢) (الديوان ص ٥٦) وبأذن أى ضخمة كاملة البدن . وتجلو تكشف
وتبدى والشيت للثغر المتفرق النبات شبيهه بالأفاحي فى البياض
والرقة والصفاء . وإنما أراد نورا لأقحوان . وغر أى بيض .
وهو يقصد أسنان المتغزل بها . ولما أوقع الثغر على الأسنان
جميعه .
- (٣) (انظر الديوان ص ٧٧ ، ٧٨) - يقول فيمن يهجوهم : لقد ضيقنا
عليكم ، فأفضلها ترعون فيه ابلکم يا بس هذا النبات أورطبه
وقيل بلهما نوعان من النبات ليسا بطيبين .
- (٤) (انظر الديوان ص ٨٧ ، ٨٨) يقول لقد مكثت فى هذا الموضع
الذى فيه أرطى ، بمكان سى . فوق ذلك الموضع الذى اسمه
مثقب .
- (٥) جأبة المدرى أى غليظة القرن ملساً وه (يريد حدثها وصغرها)
«لأنه حجة» أى لاند فطامه حجة من الطائفة التى فمتنه

حيوانات شرق الجزيرة العربية :

تختلف الحيوانات في تحملها للظواهر الجوية من برد وحر واستساغتها للبيئات المختلفة مخصبة ومجدبة ، تماما كما يختلف بنو الانسان . فكما أن الانسان الذي يعيش في أواسط أوروبا حيث الجو المعتدل ، والأرض المخصبة ، والماء الوفير .. لا يطيق العيش الا بصعوبة في البلاد الصحراوية ، ذات الحرارة المرتفعة والأرض المجدبة ، وسبل العيش الصعبة ، فان الحيوانات أيضا تكاد لا تختلف عن ذلك

فبعض الحيوانات يتحمل شتلف العيش وصعوبة الجو ، ووعورة الأرض وما الى ذلك ، وبعضها الآخر لا يستطيع أن يحيا الا حيث يعتدل المناخ ، وتخصب الأرض وما الى ذلك كذلك .

وقد خص الله - سبحانه - الجزيرة العربية بأنواع من الحيوانات ، كانت كأنما أعدت اعدادا خاصا لتعيش في تلك البيئة . بما يحوطها من جو قارى تشتد حرارته في بعض أشهر السنة شدة لا تكاد تطاق ، ويمتد برده في بعضها الآخر شدة أيضا لا تكاد تطاق .

هذه الحيوانات رافقت انسان الجزيرة منذ وجد في اقاصم العصور ، وتحملت معه ما تحمل على مر الأيام والدهور . بل لعل وجوبها كان مساعدا له على اجتياز مشقات الحياة ، معينا له على ما كان يلقاه من الصعاب والعقبات . فكان الانسان بتلك الحيوانات يصبر عليها يطاق من أمور معيشته وما لا يطاق .

فتألف الانسان ، وعاش فى كنفه عبر تلك الأزمان . وهذا نفر من الانسان
فطارده وحاول أن يصطاده حيث كان .

فأما القسم الأول منها فان أهم حيواناته الابل والخيول والاعنام
والابل بطبيعتها مهياة تهيئة ربانية لجو الصحراء بمختلف نواحيه (١)
فهى صابرة على الجوع والعطش ، صبرا يعجز عنه أى حيوان آخر . وهى
جلدة قوية ، تحمل الاثقال والمتاع ، وتتنقل بسهولة فى الرمال
لاتعرف الكلل أو الملل حتى سميت بحق " سفينة الصحراء " .

هذا فضلا عما تدره من وبر ولبن فى حياتها ، ومن لحم وشحم عند
ذبحها . ولذلك تعشقها البدوى من قديم ، يمتطى ظهورها متنقلا
وغازيا ، ويحمل أمتعته عليها ، ويشرب لبنها ، ويأكل لحمها
ويلبس جلونها ، ويسكن فيما ينسجه من أوبارها . يقول الدكتور
فيليب حتى فى تاريخه الموجز عن العرب :

" وقد يصعب على العقل أن يتصور الصحراء صالحة للعيش بدون الابل
فهى قوام أهل البداوة ، ومطية تنقلهم ، ووسيلة معاملاتهم . فمهر
المرأة ، ودية القتيل ، وربح الميسر ، وثروة الشيخ . كل أولئك
ت حسب بعدد الابل " . (٢)

وقد أصابت ابنة الخس^(٣) حين سئلت عن الابل فقالت : " هى اركاب
الرجال ، وارقاء الدماء ، ومهور النساء " (٤)

(١) يذهب ابن خلدون الى " أن الابل هى التى أعانت العرب على التوحش فى القفر
والاغراق فى البدو " انظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٤

(٢) انظر تاريخ العرب الموجز ص ١٧
(٣) هى " ديبنت الخس " بن حابس بن قريظ - الأيادية ، وكانت ذات فصاحة

حكمتها ، وكانت تقاتل سمكة عكاظ .

" والابل هي رفيقة البدوى التى لاتفارقه ، وخذنــه
ومعيلــه . يشرب لبنها بدلما من الماء الذى يحره نفسه ويوفره
لماشيته ، ويتلذذ بأطايب لحمها ، ويلبس جلودها ، ويصطنع
خيامه من وبرها " (١)

" ويدُّلُّك على مكانة الابل فى حياة البدو ومعاملتهم
ان فى اللغة العربية على ما يقال ، ما يقارب ألف اسم للابل
بأنواعها المختلفة ، وأنسابها وحالاتها وأطوار نموها . وهو
عدد لا يوازيه سوى عدد أسماء السيف " (٢) وأين هذا من ذاك
الذى قد جمع من الألفاظ التى كانت لشئون الجمل عند العرب
أربعة وأربعين وستمئة وخمسة آلاف لفظ . كما يقول الدكتور
صبحى الصالح فى كتابه : دراسات فى فقه اللغة . (٣)

ويقول الدكتور شوقي ضيف فى كتابه العصر الجاهلى " وكان أهم
حيوان أعانهم على احتمال هذه الحياة المجهدة ، البعير
الذى يتحمل مثلهم مشاق الصحراء ، ولا يرهقه عطش ولا جوع ، ولا
ما يحمله من أثقال . فهو رفيقهم المفضل الذى يوافقهم ، ولذلك
طالما أشادوا به فى شعرهم . (٤)

ويقول المستشرق الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه حضارة
العرب : " وهو - أى الجمل - لقناعته وقوته ، واحتماله
المشاق ، وصبره على العاش أياما ، لايقوم مقامه حيوان فى
الركوب وحمل الأثقال . (٥)

(١) انظر تاريخ العرب للموجز لفيليب حتى ١٧٢

(٢) ١١٠٠ - ١١١٠ - ١١٢٠ - ١١٣٠ - ١١٤٠ - ١١٥٠ - ١١٦٠ - ١١٧٠ - ١١٨٠ - ١١٩٠ - ١٢٠٠

و خلاصة الأمر هي ما قال الدكتور صبحي الصالح ، بأن الجمل هو
 " رفيق الأعرابي في الصحراء " ، ومؤنس في وحشته " ٠٠٠ " وهو الكائن
 الحي الذي لا يستغنى عنه العربي لحظة في حياته " (١) .

وقد عقد ابن سيده في المخصص كتابا خاصا بالابل ، ذكر فيه
 من شئونها عند العرب حملها ونجاحها ، وصفاتها وأولادها
 وأعمارها وحياتها وموتها وفطامها ورضاعها وحلبها وألبانها
 وطوائفها وحسنها وتماها وسننها وضعفها ولحومها وأوبارها
 وأصواتها وعلفها ورعيها واجترارها وبروكها واناختها وعطشها
 وصبرها وسيرها . وغير ذلك مما تضيق هذه الصفحات بتفصيله . (٢)

ولم يختلف شرق الجزيرة عن بقية أجزائها في اهتمام أهلها
 بالابل ، ذلك الاهتمام الذي قد نستنبطه من طغيان وصف الناقة
 والحديث عنها ، على أي موضوع آخر في معلقة طرفة بن العبد . كما
 قد نستنبطه من أن شعراءهم قد سلك كل واحد منهم إلى الحديث عن
 الابل ، سبيلا أي سبيل . سواء أكان ذلك عند بعضهم بايجاز ، أو
 كان عند بعضهم الآخر بالتفصيل .

وأما الخيل فقد كانت عمادا آخر من أعمدة المواصلات في
 الجزيرة العربية ، كما كانت عدة ثانية من عدد الحرب عند العرب
 وإن كانت الابل قد حظيت بالمكانة الأولى ، وانتشرت الانتشار
 الأوسع ، واعتمد عليها الاعتماد الأوفر ، فإن الخيل قد حظيت هي
 الأخرى بمكانة مرموقة ، وجعلها أهل الجزيرة عمادا لحياتهم
 وأي عماد ، واهتموا بها اهتماما نافسا اهتمامهم بالابل أو كاد .

لقد كان الغزو غير ذي خاتورة اذا خلا الغازون من الفرسان
الخيالة ، الذين ينقضون على عدوهم انقضاض الصواعق ، فيسلبون
وينهبون ثم يفرون على صهوات خيولهم لا يستطيع أن يلحق بهم
لاحق . وفي ذلك يقول الدكتور غوستاف لوبون " وسرعة عدو الفرس
هي التي تنقذ في الغالب حياة المقاتل في الصحراء " (١)

وشاعرنا طرفة - كما وصف الناقة - لم يفته وصف الخيل
في القتال ، والحديث عن أهميتها وعملها وسرعة حركتها ، مما سنبين
في حينه باذن الله .

وقد فاق اهتمام العرب بالخيال اهتمامهم بأبنائهم ، ففضلوها
عنهم لضرورتها لهم ، وأهميتها عندهم ، وفي ذلك يقول الدكتور
فيليب حتى : " وأهم ما يعجب العربي من الخيل سرعتها ، ان بدونها
لا يصلح غزو . وهي تستخدم أيضا في السباق والقنص . (٢) " واذا عز
الماء في مخيم احدى القبائل ، وضع الأطفال وعلا عويلهم من العطش
لم يكثر ثرب البيت بهم ، بل أصر على تقديم الماء للخيال أولا ،
فانما بقى منه شيء دفعه الى الصبية . . . (٣)

ولقد كان للعرب في استعمالهم للخيال في الحروب ، عادات
تدل على حنكة ودراية لم تكونا لغيرهم من الشعوب لقد كانوا اذا
خرجوا الى الغزو يمتطون الابل أثناء الطريق ، ويجنبون الخيل
أى يقودونها دون أن يركبوها - حتى تظل بكامل قوتها وراحته
فتبلى في المعركة ما يطلب منها من بلاء ، وتؤدي أقصى درجات الأداء .

ولعل حديث غزوة أحد المشهور ، من خير الأدلة على ذلك . قال ابن هشام : " ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فقال : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون . فان كانوا قد جنبوا الخيل (١) وامتطوا الابل ، فانهم يريدون مكة . وان ركبوا الخيل وساقوا الابل ، فانهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فجنبوا الخيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة . (٢) .

يضاف الى كل ذلك ما للخييل من منظر خلاب ، وشكل - سبحانه خالقها - لطيف جذاب . ولذا انتشرت بين الموسرين من العرب وكان يتزين بها الى جانب استعمالها المعروفة . فان لها حين تسرح وتعد ، منظرا يسر العين ويروق الفؤاد .

ومما يستدل به على ذلك ، أن القرآن الكريم قد تعرض لذكر الخيل في ذينك الموضعين . . فقال يذكرها في موضع الحرب " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (٣)

(١) جنبوا الخيل أي قادوها ولم يركبوها ، فالمجنب المقود . .

أو ساقوها الى جنوبهم (انظر اللسان م جنب) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام . - بتحقيق مصطفى السقا وآخرين

ص ٩٤ من القسم الثاني . (٩٤/٣) .

(٣) سورة الانفال آية ٦٠

وقال سبحانه وتعالى أيضا: " وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا ، كُلُّوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ... " (١) .

هذه الفن هي الحيوانات الأليفة التي خص الله بها الصحراء
العربية . فاعتمد عليها أهلها في حياتهم الطويلة الشاقة ،
وسطرت أشعارهم فوائدها عندهم ، كما خلدت ذكرها بعدهم .

لقد كان لتلك الحيوانات في شعرهم نصيب كبير ، بل إن بعضهم
قد أوقف أجزاء من شعره على وصفها والحديث عنها ، وعن رحلاتها
وغزواتها وكرها وفرها ، وسيرها وعدوها . وكل حركة وسكنة من حركاتها
وسكناتها . والذي يقرأ شعر طرفة أو الأعشى في الناقة ، وشعر
عنتر أو امرئ القيس في الحصان ، سيجد مثل هذا الذي نقول ، بل
وأكثر مما نقول .

(٢)

واليك بعض هذه الأشعار كأثلة على هذا . قال طرفة في ناقته :

وَأَنْتِ لَأَمْضِيَّ لَهُمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجًا مِمَّنْ قَالَ لِتَرْوَحُ وَتَفْتَدِي (٣)
أُمُومٍ كَأَلْوَابِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا عَلَى لَحَبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُورٍ (٤)
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبِعْتَ وَلِيْفًا وَلِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدٍ (٥)

(١) سورة الأنعام (آية ١٤٢) . والحمولة (بالفتح) الابل التي تحمّل
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحمولة الكبار من الابل والفرش
الصغار منها . وعنه أيضا أن الحمولة الابل والخيول والبغال والحمير
وكلشي يحمل عليه . والفرش الغنم . وقيل الحمولة كالركوبة
كلها يحمل عليه . والفرش الصغار من الابل والبقر والغنم وهو مالا
يصلح اللذبح . انظر فتح القدير في شرح هذه الآية ، وانظر
اللسان (م حمل وفرش) .

(٢) الأنبا ١١ ، ١٢ ، ١٣ من المعلقة (انظر الديوان ص ١٢ ، ١٣)

(١) وقال الأعشى في ناقته كذلك :

وعَسِيرٌ أَدْمَاءٌ حَادِرَةُ الْعَيْنِ خَنُوفٌ عَيْرَانَةٌ شِمْلَالٍ (٢)
مِنْ سَرَاةٍ الْهَجَانِ صَلْبَهَا الْعَضُّ وَرَعَى الْجَمْعَ طَوُّوا الْحِيَالَ (٣)
لَمْ تَعْلَفْ عَلَى جَوَارٍ وَلَمْ يَقْطَعْ عَبِيدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالٍ (٤)

= تلك النوق أى تفعل فى مشيها فعلهن . وأتبعته وتليفا وتليفا
أى وضعت وتليفا رجلها موضع وتليفا يدها . . . وهو (المناقلة)
فى سير الأبل ، والتوليف فى اليد من الرسغ الى الركبة
وفى الرجل من الرسغ الى العرقوب . والمور الطريق . والمعبد
المذلل من كثرة المشى فيه .

(١) هو ميمون بن قيس وسيأتى ذكره عند الحديث عن شعراء ربيعة
فى الفصل الثانى .

الأبيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ من مطولته التى مطلعها :

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأُطْلَالِ وَسَوَالِى وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِى
وهى القصيدة الأولى فى ديوانه . وقد اعتبرها القرشى معلقة
الأعشى - فرواها فى الجمهرة - رابعة المعلقات - انظر
الجمهرة بتحقيق البجاوى ص ٢٤٢

(٢) ناقة عسير ترفع ذنبها فى عدوها ، وأدما غالصة البيضاء
وحادرة العين صلبة العين ، والخنوف النشيطة ، تخنّف
برأسها وعنقها من النشاط ، وعيرانه تشبه العير وهو حمار
الوحش ، وشملال سريعة .

(٣) سراة كلشى أعلاه . . . والهجان من الأبل البين الكرام .
والعض (بضم العين) العلف . والخيال من حالت الناقة فهى
حائل غير حامل .

(٤) الحوار ولد الناقة ، فهى لم تلد (وهو أشد لها وأصلب) . والجمال

- وقال عنتره بن عمرو شداد في حصانه : (١)
 ما زلت أرميهم بثغرة نحره
 ولبانه حتى تسربل بالدم (٢)
 فازور من وقع القنا بلبانه
 وشكا إلى بعبرة وتححم (٣)
 لو كان يدري ما المأورة اشتكى
 ولكان لو علم الكلام مكلعي (٤)

(١) الأبيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ من معلقة عنتره - وهي الأولى في ديوانه ومطلعها :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم
 وقد جعلها القرشي أولى المجمرات وانظر جمهرة الأشعار
 بتحقيق الجاوي ص ٤٣٠ وهي الرابعة عند ابن الأثير والخامسة
 عند كل من أبي جعفر النحاس والتبريزي والسادسة عند
 الزوزني.

(٢) الثغرة الوقبة في أعلى النحر والجمع الثغر. واللبان الصدر
 والسربال القميص. يقول :
 لم أزل أرمي الأعداء بنحر فرسي وصدري حتى جرح وتلطح بالدم
 وصار الدم له بفضلة السربال أي عم جسده.

(٣) الأزوار الميل والتحمم من صهيل الفرس : وهو ما كان فيه
 شبه الحنين ليرق صاحبه له .

يقول : فمال فرسي مما أصاب صدره من رماح الأعداء ، ونظر
 إلى كأنه يشكو بصوته ذلك

(٤) يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا إلى ما أصابه من الجراح .

(١) وقال امرؤ القيس كذلك في حصانه :

(٢) بُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوْبَدِ هَيْكَلِ (٣) كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَاهُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ (٤) وَارْخَاءُ سُرْحَانٍ وَتَثْرِيْبُ تَنْفُلٍ	وقد أغتدى والدايرُ في وُكْنَاتِهَا مَكْرَ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا له أَيْطَلَا نَبِيٍّ وَسَاقَا نَعَامَةٍ

* *

(١) من قصيدته المشهورة - الأولى في ديوانه - وهي أولى المعلقات عند الجميع ومطلعها :

قفا نَبَكْ من ذكرى حبيب ومنزل بسِقَا اللّوى بين الدخول فحومِلْ

(٢) الوكنات (كالجرات) مواقع الطير واحدها وكنة (كحجرة) .
والمنجرد الماضي في سير ، القليل الشعر . والأوابد
الوحوش . والهيكل السرس العظيم .
يقول : " وربما باكرت الصيد قبل نهوض الدائر من أوكارها على
فرس مانى في السير قليل الشعر عظيم الجرم يقيد الوحوش بسرعة
لحاقه أياها " .

(انظر شرح البيت ٤٧ من معلقته في الغزوني)

(٣) الكر والكرور العطف والرجوع (من كر يكر بالضم) . ومكر كأنه
أداة للكر . والمفرضه (من فر يفر بالكسر فرارا) . والجلمود
والجلمد الحجر العظيم الصلب . وجمه جلامد وجلاميد . يقول :
هذا الفرس مكر اذا أريد منه الكر . ومفر اذا أريد منه الفر
ومقبل اذا أريد منه اقباله . ومدبر اذا أريد منه ادباره . ثم

وأما القسم الثانى من حيوانات الجزيرة العربية ، وهو القسم المتوحش الذى لم يتمكن الانسان من تأليفه ، " كالأوعال والطباء والنعام والغزال والزراف ، وحمارة الوحش ، وأتنه ، وثـمـور الوحش وبقره " (١) ، وغير ذلك .. فقد كان لها هى الأخرى أثر واضح فى شعر الشعراء العرب ، اذ خصصوا جزءاً من حياتهم لمطاردتها ومحاولة صيدها . هذا الى جانب ما انتشر فى شعرهم من حديث عن الحيوانات المفترسة سواء الخرافية منها - كما فعل تأبط شرامع الغول (٢) - أو الحقيقية منها كالأسد والضبع والذئب والفهد والنمر وغيرها .

واذا كانت قصة الشاعر تأبط شرامع الغول قد ابتدعتها خياله ، فان أحاديث غيره من الشعراء عن الحيوانات الحقيقية كالأسود والذئب والثيران الوحشية وغيرها ، ليست مما ابتدعتها أخيلتهم . انها أحاديث قريبة من الواقع ان لم تكن هى الواقع بعينه .

= شبه خاصرتى فرسه بخاصرتى الطبى فى الضمر . وشبه ساقيه بساقى النعامة فى الانتماب والطول . وشبه عدوه بارخاء الذئب وتقريبه بتقريب ولد الثطب .

- انظر الزوزنى معلقة امرؤ القيس بيت ٥٤ .

(١) انظر المصرا الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص : ٢١

(٢) تأبط شرامع : هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميث بن عدي

بن كعب بن حزن - وقيل حرب - بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن

قيس بن عيلان بن مضر بن نزار - الأثناى - دار الثقافة ١٤٤/٢١

وهو أحد صا ليك العرب المشهورين وأحد شعرائهم المقلين

والباحث لا يعجزه أن يكتشف أن خيال تأبط شرا هو الذى
ابتدع قصته مع الفول حين قال : (١)

فأصبحتُ والفولُ لى جارةً فيا جارتنا أنتِ ما أهْـوَلَا (٢)
فطار بِقُحْفٍ ابنة الجِنِّ ذُو سَفاسِقٍ قَدْ أَخْلَقَ المِثْمَلَا (٣)
فمنْ قالَ أينَ ثوتُ جارتى فان لها باللَّوى مَنْزِلَا (٤)

ولكن الآخرين كانوا يتحدثون - كما ذكرنا - عن تجاربهم
الواقعية مع الفزلان وثيران الوحش وحمرة وأتنه وبقره و... وغيرها
من الحيوانات المشهورة التى تناسر ذكرها فى أشعارهم ١٠٠ وكانوا
يتحدثون عن تجاربهم الواقعية أيضا مع الحيوانات المفترسة
وهذا وذاك يصوران جولات الشعراء العرب فى العصر الجاهلى مع
حيوانات الصحراء المتوحشة ، التى كانوا يحاولون صيدها أو كانت
تحاول صيدهم .

(١) انظرا الشعراء لابن قتيبة - دار صادر بيروت - ص ٣١

وانظر كذلك الاغانى - دار الثقافة ١٤٥/٢١

(٢) رواية الاغانى لهذا البيت فأصبحت لفول لى جارة ١٠٠ الخ .
دار الثقافة ١٤٥/١

(٣) القحف بكسر القاف وسكون الحاء - العظم الذى فوق الدماغ من
الجمجمة . والقحف بالفتح قَطْعُ القحف أو كسره (انظر اللسان
قحف) .

وسفاسق السيف طرائقه التى يقال لها الفرند (بكسر الفاء
والراء وسكون النون) .

- وهو فارسى معرب - وواحدته سفقة (بكسر السين وسكون
الفاء وفتح القاف) . انظر اللسان سفق .

واليعمل (كالمرجل) هو علاقة السيف وهى السير الذى يقلده

المتقاعد . (انظر اللسان حما)

أما طرفة بن العبد، فانه لا يتعرض لهذه الحيوانات في شعره
ذلك التعرض الواضح . اللهم الا تلك اللمسات التي كان يحتاجها
وهو يصفنا قته أو يتغزل بمعشوقته ، فهناك كان يظهر في شعره
ذكر للفزلان والطباء ، وبقرا الوحش وغيرها . ولكنه ذكر لا يرقى
الى الاستدلال به على أنه كانت لطرفة مع تلك الحيوانات غير
الأيفة ، جولات صيد أو مطاردة .

ولكنه مع ذلك ذكر فيه من الدقة وصدق الوصف ما يستدل
به على أن طرفة كان على علم بصفات تلك الحيوانات ، وكان على
معرفة بطباعها ، شأنه في ذلك شأن أقرانه من شعراء ذلك
الزمان .

وقبل أن ننهي الحديث عن حيوانات شرق الجزيرة ، نود أن
نذكر أن الشعراء العرب في ذلك العصر قد تعرضوا في أشعارهم
لذكر كثير مما كان في بلادهم من الطيور والزواحف . فمن الطيور
الحِدَاةُ (١) والصَّقْرُ ، والنَّسْرُ والغُرَابُ ، والقَطَا والحَجَلُ
والجرادُ والنَّحْلُ والكُرَّان وغيرها . ومن الزواحف الثعابين
والحيات بأنواعها والعقرب والورلُ والضبُّ والحرباء وغير ذلك .

ولو أننا نهينا نستعرض أشعارهم في ذلك لنال بنا الحديث

ولكننا نجتزئ مما قال طرفة أمثلة على بعض ذلك وحسب . قال

يذكر الحجل : (٢)

تَرْبَعُهُ مَرْبَاعُهَا وَمَصِيفُهَا مِيَاهُ مِنَ الْأَشْرَافِ يَرْمِي بِهَا الْحَجْلُ

(١) الحداة الطائر المعروف والجمع حداً كعنبه وعنبل اللسان حداً

(٢) انظر الديوان ص ٩٠ ، وقوله تربعه : أى تقيم فيه (خولة) زمن

وقال يذكر الكروان : (١)

لنا يومٌ وللكروانِ يومٌ تبايرُ البائساتُ ولا تظيئُ سرُّ
وغير ذلك كثير ..

مجتمع شرق الجزيرة العربية :

ذكر الهمداني في صفة الجزيرة ، عددا من القبائل والبطون
التي استوطنت شرق الجزيرة العربية وكونت ذلك المجتمع الذي
قام فيه ، منها من ربيعة بنو حنيقة ، وبنو عبد القيس ، وبنو
تغلب وبنو بكر بن وائل وغيرهم . ومنها من غير ربيعة من بنى
تميم ومن بنى كلاب ومن قضاة ومن جرهم وغيرهم أيضا (٢)

وقد عرفنا أن شرق الجزيرة كانت فيه أراض كثيرة تصلح
للرعى ، ويصلح بعضها للزراعة ، مما جعل تلك القبائل والبطون
تستقر فيه ، وترتبط به وتقيم فيه القرى والمدن والحصون
ويتغنى شعراؤها بأماكنها المختلفة . حتى أن ذكرها بفضل
أشعارهم قد جرى على كل لسان ، ولولا ذلك لاندثرت وطاهاها النسيان .

(١) (البيت رقم ٦ / من القصيدة رقم ٩ / في الديوان ص : ١٠٢) والكروان
بكسر الكاف وسكون الراء جمع كروان (بفتحهما) وهو الطائر
المعروف ويقال له الكرا أيضا .

(١) وبرقة تَهْمِدُ هذه قيل هي موضع ، وقيل بل هي عين ما .

(٢)

وقال طرفة :
لِهَيْدٍ بِحِزَانِ الشَّرِيفِ طُلُوعُ تَلُوحُ وَأَدْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلُ

(٣) وقال :

أَرْقُ الْعَيْنَ خِيَالًا لَمْ يَقْرِشْ طَافَ وَالرَّكْبُ بِصَحْرَاءَ يُسْرِ

هذا وقد قام المجتمع العربي على أساس قبلي . وهو تجمع ذوى القربى في معسكر مستقل يكفل لأفراده الحماية التى - يستطيعها ضد كل طارئ . والرابطة الأساسية التى كانت تربط ذلك المعسكر هي رابطة الدم ، وآصرة القربى .

وكانت الأمة العربية - كما ذكر القلقشندي فى نهاية الأرب تتكون من الشعوب والشعوب تنقسم الى قبائل ، والقبائل الى عمادات ، والعمادات الى بطون ، والبطون الى أفخاذ ، والأفخاذ الى فضاءل . وربما عبر عن واحد من تلك الطبقات الست بالحي .^(٤)

(١) انظر صفة الجزيرة للهمدانى ص ١٧٤ ، وانظر معجم البلدان

م برقة وم تهمد .

(٢) (معالج القصيدة رقم ٤ الديوان ص ٨١) يقول : ان هذا لها آثار ديار بتلك الأمكنة ، تبدولى ولكنها قديمة ، وأقرب ما عهدت منها ما مضى عليه حول .

(٣) (البيت ٤ من القصيدة الثانية - انار الديوان ص ٥٥) يقول :

أقرب ما مضى عليه حول .

وكان يتزعم القبيلة رئيس منها يسمى الشيخ . يؤهله لذلك كبر سنه ورجحان عقله ، وشجاعته وسخاؤه . وتجربته فى الحياة وكان " يمثل قبيلته فى جميع شئونها ويثبت زعامته بأصالة رأيه فى المجلس القبلى ، ويكرمه وشجاعته " . (١)

قال بروكلمان " وانما ترتضى القبائل أو العشائر لزعامتها رجالا استطاعوا بجايدهم وكفاءتهم أن يندزعوا اعتراف الناس بتقدمهم - عن رضا وطيب نفس " . (٢)

وقد استقلت كل قبيلة بنفسها ، وافتخر أفرادها بانتسابهم لها وحدها رغم أن أصل الجميع واحد . فقد قال تعالى - وهو أصدق القائلين : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " . إِنَّا كَرَّمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (٣)

ووقفت القبائل فى شتى أنحاء الجزيرة العربية أمام بعضها فى الغزو والمفاخرات فى تعصب قبلى ، أكاد أقول ان مجتمعا آخر لم يشهد مثل ذلك التعصب ، ولم تقم بينه مثل تلك المفاخرات

وفى ذلك يقول الدكتور مصطفى الرافعى : " وهؤلاء البدو يقسمون الى قبائل ، والقبيلة هى الوحدة التى قام عليها كل نظامهم الاجتماعى . وكانت هذه القبائل فى نزاع

(١) انظر تاريخ العرب الموجز لفيليب - تى ص ٢١

(٢) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان - ص ٢٨

(٣) سورة الاحقاف آية ١٣

(١)

مستمر وغزو دائم .»

ولم يكن رئيس القبيلة أو شيخها في المجتمع العربي، يستقل برأيه كما قد يبدو من تزعمه الذي ذكرنا ، ولكنه كان يستشير زعماء بطون القبيلة ، في الأمور التي تهتمها . وعلى الأخص في الشئون الحربية والقنايسة .^(٢)

وقد كان لتلك القبائل في ذلك المجتمع - كما هو الحال في أي مجتمع - وسائل تنقل ومواصلات ، وركائب تستخدم في الأسفار والغزو والحروب . وقد تعرض البحث لها . كما كان لها وسائل عيش ووسائل لهو وعادات وطباع . وأيام بين بعضها وحروب ، طبق الأفاق ذكرها ، وملائت صفحات من كتب التاريخ أخبارها .

فأما وسائل اللهو والتسلية في الحياة الاجتماعية العربية فان طرفة بن العبد شاعرنا ، يصور بعضها فيما يقول :^(٣)

فلولا ثلاثٌ هنَّ من حاجة الفتى	وجَدَّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي ^(٤)
فمنهنَّ سَبَقِي لَعَا ذِلَاتِ بَشْرٍ بَسِيَّةٍ	كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلِّبُا لِمَاءَ تَزِيدِ ^(٥)
وَكَرِيٍّ ذَا نَادِي لَمُضَافٍ مَحْنَبَا	كسِير الغضا نَهْبَتَهُ المَتَوَدِّ ^(٦)
وتَقْصِيرُ يَوْمِ اللَّجْنِ واللَّجْنُ مَعْجِبٌ	بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ السَّرَافِ المُمَدِّدِ ^(٧)

(١) انظر حضارة العرب للرافعي ص ١٧

(٢) انظر تاريخ العرب للموجز ص ٢١ و ٢٢ والمطاول ٣٦/١

(٣) الأبيات ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ من معلقته . انظر ديوانه ص ٤٣ ٤٣٣ و

(٤) يقول: لولا ثلاث خلال لم أبال متى أموت . ومعنى أحفل أبا لي والعود من يموده في موضعه .

(٥) بقما : فأما ثلاث خلال : من المفاصل . والفتنة له قبال : تلهيه

تلك هي اذن بعض وسائل اللهو التي كانت ثلثة من فتيان العرب في الجاهلية تقضى فيها أوقاتهما . وكان يترفع عن مثلها الكثيرون .

وكان الصيد ومطاردة الحيوانات الوحشية وسيلة أخرى ممن وسائل اللهو . فان ذلك وان كان من أسباب العيش عند البعض منهم — كما سنرى — الا أنه كان من وسائل اللهو عند الموسرين بالذات . فقد اتخذوه للتسلية وتمضية الأوقات

المرأة في مجتمع شرق الجزيرة العربية :

أما المرأة في ذلك المجتمع فقد كانت محترمة عزيزة يدافع عنها زوجها وأبنائها وذووها دفاعاً أشد من دفاعهم عن أرواحهم . فقد كان العربي يستمرئ الموت لنفسه على أن يرى زوجه أو أمه أو أخته أو ابنته أو قريبته ، وقد سلبها الآخرون . قال **عمر بن الخطاب** **وفاؤا بكمث عنف** ، **تهون علينا أن تصاب جُسومنا** وتسلم أعراضنا وعقول

وكم من معركة قامت ، وكم من حرب هاجت ، وكم من غزو سجله التاريخ . وكان سببه فتاة اعتدى عليها أو سلبت ، فيهب أهلها للدفاع عنها أو استنقاذها بكل ما يملكون من عدة وعتاد ، حتى وان كان في ذلك هلاكهم أو تشريدهم في البلاد .

ذلك أن العربي كان يعتبر المرأة ذروة شرفه ، يجب الدفاع

من الدنس ، بعيدا من أن يمسه . وفى ذلك يقول الدكتور ثوقى
 ضيف : " ولم يكن شيء يثيرهم كسبى نساءهم ، وهم بعيد عن
 الحمى ، فكانوا يركبون وراءهم كلوعر ، حتى يلحقوا بهم
 وينقذونهم ويفسلوا عار سبيهن عنهم . وهو عار عندهم ليس فوقه
 عار " . (١)

هذا وقد كانت لكثير من نساء العرب فى ذلك المجتمع حريتها
 الشخصية ، مثل حق التملك واختيار الزوج ومفارقة ، والمشاركة
 فى الحياة العامة كخوض الحروب والاشتراك فى الأسواق الأدبية
 وغير ذلك . (٢)

والخنساء - تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد - فى
 الجاهلية ، والخرنق بنت بدر بن هفان ، (٤) وهند بنت الخس
 بن حابس بن قريظ الأيادية (٥) ، وغيرهن كثير ، دليل على ما نقول
 بل ان الدليل الأسمى على ذلك هى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد
 رضى الله عنها وأرضاها .

(١) انظر العصر الجاهلى ص ٧٢ ، ٧٣
 (٢) انظر فى ذلك تاريخ العرب الموجد ص ٢٢ والمطول ٣٧/١ وحضارة

العرب للرافعى ص ٢٩ ، ٣٠

(٣) هى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رباح بن يقطنة
 بن عصى بن خفاف ابن امرئ القيس . من قيس عيلان واسمها
 تماضر . اغاني دار الكتب ٧٦/١٥ . وهى الشاعرة المشهورة فى
 الجاهلية ، وقد أدركت الاسلام وحسن اسلامها .

(٤) هى الخرنق بنت بدر بن هفان بن تيم بن قيس بن ثعلبة وزوجها
 بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة
 وهى أخت طرفة بن العبد لأمة . وسيأتى عنها الحديث فى الفصل

وقد كانت المرأة في ذلك المجتمع عزيزة متمنعة ، وليست سهلة المنال على أي حال . ولذلك أضاع كثير من الشعراء العرب - أعمارهم في التودد لها ومحاولة استرضائها والوصول اليها وطرفة نفسه يقول : (١)

أَبِينِي أَفِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأُفْرِحَ أَمْ مَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ
ولو كانت المرأة عندهم متاعا مهملأ أو حقيرا ، لما خصها الشعراء بهذا القدر من أشعارهم . وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف :
"ومن المؤكد أن المرأة الحرة ، لم تكن محتمة عندهم ، بل كانت في المكان المصون . وكان الشاعر يستلهمها شعره ، ولذلك كان يضعها في صدر قصيده . ونحو عند كثيرين منهم وخاصة غرسانهم مثل عنتره ، أنهم يقومون مقامراتهم في الكرم وفي الحرب لها لينالوا حبها . وكان أكثر ما يشجيههم ويبعب الموجدة في قلوبهم أن تؤسر وتسبي . فكان لا يقر لهم قرار إلا أن يهودوا بها مكربة السبي ديارهم" (٢)

وليس ينفي ذلك أن المرأة في المجتمع الجاهلي قد ملكت كل حرية . أو أنها قد ساءت الرجل أو علت عليه ، فان الفتاة عندهم كانت دون منزلة الفتى . وكان الفرع بانجاب البنين لا ينازعه فرح بل ان بعض قساة القلوب غلاظ النفوس منهم قد ذهب الى أبعد من ذلك بكثير حين كان يبتسر بميلاد الأنثى أشد ابتئاس ، ويغشم لانجابها بأشدهما تكون الغمة حتى وصم هؤلاء بالعادة المشنومة وهي عادة وأد البنات . وقد نعى القرآن الكريم على هؤلاء تلك العادة المشنومة في قول الله تعالى : " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ "

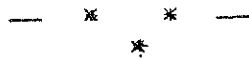
(١) الديوان ص ١٨٥

(٢) انظر العصر الجاهلي ص ٢١٤

ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ • يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ
 أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَكُسِّهُ فِي التُّرَابِ أَلْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ. «(١) وقوله
 تعالى : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ، ظَلَّ وَجْهُهُ
 مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ » (٢) ثم توعد رب العزة جل شأنه أمثال
 أولئك بقوله : « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ • بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » (٣)

ولعل الذى دفع تلك القلة الى تلك العادة ، هو كون المرأة
 مغمزا ينال به بعضهم من بعض عند المفاخرات ، وكونها
 سهلة الأسر والسبي عند الحروب والغزوات . أو غير ذلك من
 الأسباب

أما أكثرية ذلك المجتمع فقد كانت نساء وهم ذوات عز بينهم
 وإن كن دون منزلة الرجال . وكانت بناتهم ذوات مكانة عندهم
 وإن تفوق عليهن الفتيان .



(١) سورة النمل الآيات ٥٨ ، ٥٩

(٢) سورة الزخرف آية ١٧

سبل العيش في شرق الجزيرة العربية :

لقد سبق أن علمنا بوجود أماكن تصلح للزراعة في شرق الجزيرة ، ولكنها ليست زراعة بالمعنى الذي نعرفه اليوم . فلم تكن تلك الزراعة تكفي الناس مئونة عيشهم ، ولا حتى كانت تكفيهم جزءاً من مئونة عيشهم . ولذلك فإنهم اعتمدوا كـبير الاعتماد على رعى الابل والأغنام ، واتخاذ ألبانها ولحومها وأصوافها وأوبارها أساساً لمعيشتهم . مشرباً ومأكلاً ومسكناً وملبساً .

وإذا كانت بعض مناطق شرق الجزيرة قد صلحت للزراعة والرعى ، فإن بقيتها كانت مناطق رملية مترامية الأطراف ، لا ترى فيها العيون إلا الكثبان والسواقي ، تتخللها بعض الواحات وتنتشر فيها بعض النباتات والأعشاب والأشجار الصحراوية وما إليها

وإذا كان النخيل وبعض الحبوب قد وجدت في بعض الواحات في أرض الجزيرة العربية عامة ، وفي شرقها على وجه الخصوص ، فإن مناخها القاسي ، وهوائها الجاف ، وتربتها الملحة لم تساعد كما ذكر المؤرخون والجغرافيون - على انبات شيء يغتنى الناس به عما سواه . (١)

وبدون القليل من المطر الذي حظى به شرق الجزيرة ، فنبتت بفضل المراعى التي عاشت عليها حيوانات القوم ، وبدون الاعتدال النسبي في المناخ نتيجة امتداد المناقاة على سواحل الخليج ،

وبدون بعض عيون الماء التى وجدت فى الواحات التى كانت تتناثر فى أنحاء تلك المنطقة ، والتى تهيات بسببها زراعة النخيل وبعض الحبوب ، أقول انه بدون هذا وذاك ، كانت الحياة ستصبح مستحيلة على ظهر تلك المنطقة فى ذلك الزمان . حتى المناطق والواحات التى تيسرت فيها أسباب الزراعة ، من صلاح التربة وتوفر الماء - لم يكن العرب يستغلونها استغلالا كاملا . وذلك لما عهد عنهم من حبال تنقل والتجوال . والزراعة محتاجة - كما نعرف الى الإقامة والاستقرار .

(١) وهكذا لم يكن للانسان فى شرق الجزيرة العربية من وسائل التعيش وسبل الحياة غير ما تدره أغنامه ونوقه من اللبن واللحم أو تفتجة نخلاته - ان كانت له نخلات - على رأس كل سنة - من بعض التمور ، أضف الى ذلك ما كان يحصل عليه من كان يكسرس حياته لصيد الحيوانات يقول بذلك الصيد أسرته ، فان هذا الصيد كان الشغل الشاغل لكثير منهم . (٢)

نعم .. لقد كان هذا الصيد هم فقرائهم ومعوزيهم ، كما كان هم شجعانهم وفرسانهم . بل انه كان أيضا هم كثير من الموسرين منهم . فأما الموسرون فقد كانوا يتخذون الصيد كما سبق أن ذكرنا وسيلة من وسائل لهوهم وتسليتهم . وأما الفرسان والشجعان فقد اتخذوه وسيلة لظهار الشجاعة وضربا من ضروب الفروسية واتخذوه الفقراء والمعوزون ، موردا من موارد رزقهم ، وبابا من أبواب تعيشهم .

الخليج ، واتصالهم بأطراف العراق . وسنرى دليل ذلك عند تعرضنا
 لدراسة شعر طرفة . ولكن يبدو أن مهابة البحر وخوفهم منه ،
 كانا يمنعان الناس - الا قليلا منهم - من ركوبه وخوض غماره
 ولذلك قل ذكره فى أشعارهم ولم تتطرق اليه الأحاديث كثيرا فى
 أخبارهم .

(١)
 ولكنك عندما تنظر الى أخلاقهم اليوم من سكان تلك المناطق
 تجد أن صيد البحر من وسائل معيشتهم . فليس انى ما يمنع من أن
 يكون هذا الصيد فى الماضى وسيلة من وسائل معيشة أسلافهم .
 (٢)

ولكن ذلك كله ، من رعى للحيوان ، وتربية له ، وزراعة
 لبعض النخيل والحبوب ، وصيد بأنواعه . لم يكن يكفى لاعاشة
 أولئك الناس فى ذلك الزمان ، ولم يكفى لدفع أذى الجوع عنهم
 وعن ذرائعهم .

ذلك هو ما حدا بعرب تلك المنطقة لأن يفتشوا عن وسائل
 أخرى ، تساعد على الحياة ، وتدفع عن عوائلهم وذرائعهم غائلة
 الجوع . فانتشروا فى أنحاء المنطقة فرسانا غازين ، ينتجعون
 الى جانب مواطن العشب والماء لاعاشة ابلهم وخيلهم ومواشيهم
 مواطن الخير واليسار والغفلة عند أهلها ، لينقضوا عليها
 بقاراتهم ينهبون ويسلبون ما تيسر لهم النهب والسلب ، ثم ينطلقون
 بذلك الى مضاربهم فرحين بما غنموا ، فارين من ملاحقة أصحابه
 وجماتهم .

وطالت حياة العرب فى تلك المنطقة على تلك الشاكلة ، حتى

وينهبون ويسلبون ، ثم تدور الدائرة عليهم بعد ذلك فينهمزمنون
 ويفرون ويرحلون عن مضاربهم الى أماكن أكثر أمنا أو أكثر وسائل
 عيش .. وهكذا دواليك .

وكذلك انتشر الشعراء بمدائحهم وأشعارهم يفتشون عن
 ذوى اليسار والكرم فيمدحونهم ويتعرضون لعطاياهم . ولعل هذه
 أيضا كانت وسيلة أخرى من وسائل تعيش العرب . وخاصة طبقة
 الشعراء منهم .

واذا استثنينا القبائل العربية التى سكنت حواضر
 الجزيرة العربية ، نستطيع القول بأن تلك الحياة التى وصفنا
 كانت هى أسلوب بقية الناس فى الجزيرة ، حتى جعلها العلماء
 والباحثون السمة البارزة لهم . قال الدكتور شوقى ضيف :

” وتلك كانت معيشتهم ، بين صيد للوحش وصيد للانسان ، ورعى
 للأغنام والأنعام .. ” (١) أضف الى ذلك السلب والنهب وغنائم
 الفزو ، وما كان يناله المتكسبون من مدح الكرم والكرما ..
 وكل ذلك نتيجة للحياة القاسية فى صحراء يحف بها المحل والجذب
 من كل جانب (٢)

أما أهل الحواضر ، فى السهل الساحلى الخصب فى الجنوب
 أوفى أراضى الحجاز الساحلية ، فقد وجدت لهم اضافة الى الوسائل
 التى ذكرنا ، وسائل معيشة أخرى بسبب وقوعهم على طرق التجارة
 بين الشرق والغرب فى ذلك الزمان . (٣)

عادات العرب وطباعهم :

لقد مرت بنا عادات كثيرة وطباع كانت تسود المجتمع العربى فى الجاهلية ، سواء مع رئيس القبيلة شيخهم ، أو مع بعضهم أو مع نسائهم ، أو مع أعدائهم ، أو حتى مع حيوانهم . وهى عادات وطباع أفرزتها الحياة فى مجتمع قبلى كما صورنا . ونحن نواصل الحديث هنا عن بعض تلك العادات والطباع التى لم نذكر ، وذلك حتى تكتمل الصورة التى نريد أن نرسمها لذلك المجتمع .

هذا ولأنريد أن ينصرف الذهن إلى أن المجتمع الجاهلى قد خلا من الأخلاق على الإطلاق . كلا . فقد كان لأولئك الناس - إلى جانب ولعهم باللهو والشراب والاغارة والحروب - أخلاق عالية وعادات سامية فى اكرام الضيفان ونجدة الملهوفين . وكان عندهم كذلك تدبير حسن لحياتهم ، وعلاج سليم لمشكلاتها بالقاس إلى أقرانهم من الشعوب الذين عاشوا على أرض كأرضهم .

وهكذا لم يكن العربى " زطيا أو نوريا يهيم على وجهه - لا غاية له ولا قصد ، بل البدوى أفضل من كيف الحياة البرية ، طبقا لأحوال الصحراء الطبيعية . فحيث تيسر المرعى نزل ، وحيث ندر قوص خيامه وارتحل " (١)

ولقد اكتسب العرب من صحرائهم - إلى جانب هذا التدبير وحسن التصرف فى الأمور الحياتية أبدانا قوية ، وأشأالا تامة حسنة ، وأنھانا ثاقبة فى الادراك ، وأخلاقا - وان كان عند بعضهم فيها انحراف - الا أنها كانت عند الكثيرين منهم بعدة عن

غير أن العرب بالرغم من ذلك لم يخضعوا لقانون معين ،
والسلطة عليا تدير أمرهم بشئ مكتوب ولكنهم استندوا فسى
معاملاتهم الى عرف عام ، قوامه التقاليد والعادات والطباع
التي كانت تسود مجتمعهم . أما الولاء فكان من الأفراد لقبائهم
ليس الا ، ولشيخ القبيلة ومن يعاونه من زعماء البطون على وجه
الخصوص .

وكانت تلك التقاليد التي تكون منها عرفهم العام ، تشمل
جميع مناحى الحياة . بدءا بتربية الأطفال ، ومرورا بكل
المعاملات التي يحتاج اليها المجتمع ، من زواج وطلاق وحكومة
وضيافة وحروب ومعاملات وحل وترحال وغير ذلك

وكانت كل قبيلة تهتم بزيادة عدد أبنائها الذكور ، وذلك
حتى يكونوا في المستقبل كثرة ذات غلبة . يقوى بعضهم بعضا
في الحروب ، ويرفع بعضهم الضيم عن بعضهم عند الكوارث والخطوب .
ولم يكن العرب يهتمون بزيادة عدد الاناث ، وذلك حتى يظل
عددهم قليلا تسهل حمايته ، والدفاع عنه أمام الغزاة والمغيرين

تلك النظرة بشئريها ، هي التي ولدت عندهم الفرع الكبير
بالمولود الصبي ، والاستياء البالغ بالمولودة الأنثى ، حتى
ظهرت عند بعض قساة القلوب منهم - كما رأينا - عادة وأد البنات (١)

وقد اهتم العرب كذلك بتربية جسام أبنائهم الذكور ، ليثبوا
فرسانا أقوياء ، يؤدون المقصود من انجابهم وحسن تربيتهم
ولعل اصحاب أعمارنا شاعرنا طرفة بن العبد له - وهو صغير - فسى

وكذلك اهتمت القبائل العربية بتقويم السنة أبنائها
وتنشئتهم على الفصاحة والبلاغة ، وذلك حتى يذبوا عن قبائلهم
بسيوفهم ورماحهم كفرسان ، وبأسننتهم وقوة حجتهم كشعراء أو
خطباء ..

وكذلك كانت لهم فى تسمية أبنائهم وأبناء مواليتهم ،
عادات خاصة . فقد كانوا يسمون أبناءهم بمكره الأسماء ومخيفها
كأسد و **كلبي** ، وصخر وحرب ، ونمرة و **ثعلبي** وغير ذلك . وكانوا
يسمون عبيدهم - على عكس ذلك - بالأسماء الندية الحلوة . فهذا
فلاح وهذا نجاح ، وهذا بلال وهذا رباح .. الى غير ذلك مما
لطف من الأسماء ..

وتفسير ذلك على زعم أحدهم ، كما ذكر القلقشندي فى نهاية
الأرب ، أنهم كانوا يسمون عبيدهم لهم ، وكانوا يسمون أبناءهم
لأعدائهم . (١)

وقد رد الجاحظ فى حيوانه بعض تلك التسميات الى سبب
آخر قال : " والعرب انما كانت تسمى بكلب وحمار وجحر وجعل
وحنظلة وقرد على لتفأول بذلك " (٢) ثم وضع تفأؤهلهم بذلك .
فالجر لصلابته وبقائه وقوته وطحنه كلما يلاقيه ، والذئب للفتنة
والخب والمكر والكسب ، والحمار لطول البقاء والقوة والجلد ،
والكلب للحراسة واليقظة والكسب أيضا ، وهكذا . (٣)

وكذلك كانت لهم عادة عند توافق الأسماء . وهى أن يسموا
السابق بالأكبر ، ويسموا اللاحق بالأصغر . كما سمي بذلك المرقشان
فالمرقش الأكبر منهما هو عم الأصغر . والأصغر هو عم شاعرنا طرفة
نفسه . (١)

وكانت للعرب فى الزواج والطلاق والمعاملات والحكومية
عادات كثيرة - لا يعنينا كثيرا الخوض فيها . وقد أفرزها كما ذكرنا
وجوبهم فى مجتمع قبلى ، وتكون منها عرفهم الذى عاشوا
يحترمونه ويعملون به . ولعل من أهم الطبائع العربية التى
يجدر بنا أن نتعرض لها - خلة الكرم . وهى خلة^(٢) لم تعرف
عند غيرهم بمثل ما عرفت عندهم .

وخلة الكرم تبرز فى مجتمع يغلب على أفرادها شطف العيش
فان الذى يبذل من ماله فى ذلك المجتمع ، يعملوا بالتأكيد شأنه
وترفع بين القوم قيمته ، ويعرف بينهم فضله . وتلك كانت حالة
المجتمع الجاهلى . فقد سادت فيه الفاقة والمظف ، سيادة
جعلت بذل القليل من المال ، يعد من أكرم الخصال .

ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقرى ، مفتخرين
أوما حين . ولطالما أثنوا على أولئك الذين كانوا اذا نزلت
بقومهم سنوات جذب أطمعهم ، واذا نزل بساحتهم ضيفاء
أكرمهم .

وهذا شاعرنا طرفة بن العبد - كمثال على ذلك - يفتخر بأن
 قومه للجزر كالآفه لأنهم يكثرون من ذبحها وإطعامها الناس قال: (١)
 وَلَقَدْ تَعْلَمُ بِكَرٍّ أَنْنَا آفَةُ الْجُزْ مَسَامِيحُ يُسُورُ
 ثم انه يفتخر بأنهم لا يخصون بدعوتهم إلى الطعام واحدا دون واحد
 ولكنهم يعمون بها الجميع. وذلك في وقت الشتاء ونزول البرد ،
 وهو أشد الزمان في الصحراء قال: (٢)

نَحْنُ فِي الْمَشَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَأَثَرِ الْأَدَبِ فِينَا يَنْتَقِرُ
 وفي ديوانه قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة (٣) ، وقد أصابت
 قوم طرفة سنة فأثوا قتادة هذا ، فأكرم وفادتهم ونحر لهم
 وفيها يقول : (٤)

أُبْلِغُ قَتَادَةَ غَيْرَ سَائِلِهِ مِنْهُ الثَّوَابَ وَعَاجِلَ الشُّكْرِ (٥)
 أَتَى حِمْدُكَ لِلْعَشِيرَةِ إِذْ جَاءَتْ إِلَيْكَ مُرَقَّةُ الْعَظَمِ (٦)
 ففتحت بابك للمكارم حين تواصت الأبواب بسا الأزم (٧)
 فسقى بلادك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمة (٨)

(١) انظر الديوان ص ٦٧ والجزر (بضم الـ) الثاني جمع جزور وهي
 الناقة المجزورة (اللسان جزر) يقول: انهم من كثرة نحرهم
 لها يكونون لها كالآفه. والمساميح الكرام الجياد قال ابن
 فارس "ورجل مسح أى جواد وقوم سُحَاءَ ومساميح (معجم
 المقاييس ٩٧٣ - سمح)

(٢) الديوان ص ٤٦ والجفلى زعيم بدعوته إلى الطعام ولا يخص
 واحدا دون الآخر. والأدب الذى يدعو إلى المأدبة. والنقري ضد
 الجفلى والانتقاران يخص بالدعوة ولا يعم. مدح قومه بأنهم
 يعمون بالدعوة ، وخص الشتاء لنزول البرد وشدة الزمان وحاجة
 الناس إلى الطعام.

(٣) هو قتادة بن مسلمة الحنفى، الشاعر الذى سياتى ذكره فى شعراء
 ربيعة فى الفصل الثانى من بحثنا هذا.

(٤) الديوان ص ٩٧.

وهكذا " لم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقديمتها
فيهم حياة الصحراء القاسية ، وما فيها من اجذاب واحمال . فكان
الغنى فيهم يفضل على الفقر ، وكثيرا ما كان يذبح ابله فسى
سنين القحط ، يطعمها عشيرته ، كما يذبحها قرير العين لضيفانه
الذين ينزلون به ، أو تدفعهم الصحراء اليه . " (١)

على أن تلك الخلقة الكريمة لم تكن صفة الموسرين منهم وحسب
فقد كان يطيب لكل عربي مهما كان فقيرا أن يذكر مقرونا بالكرم .
ويتبارى في ذلك الذين يجفون والذين لا يجدون . فهذا يذبح
ركوبته لضيفه ، لأنه لم يجد غيرها ، وهذا يتحمل ديات القتلى
في الحروب من الجانبين المتحاربين اصلاحا لذات البين . وهذا
يأمر غلمان به بايقاد النيران في الصحراء ليهتدى بها الضالون
أو المسافرون أو الضيوف ويأتوا اليه مضاربه ليكرمهم . وذاك -
يفآخر بتعميم الدعوة الى الطعام خاصة في أيام الشتاء وحين ينزل
البرد ويشد الجوع ويحتاج الناس الى الطعام - كما رأينا عند
طريقة بن العبد .

وآخرون يفتخرون بأن بيوتهم على طريق المسافرين وأبناء
السبيل ، والضيفان . وان كلابهم جبانة تعودت مرآهم ، وأنهم
ابلهم ضعاف مهازيل فقد ذبحت أمهاتها أو حلبت للقرى وغير ذلك
مما طبق الاتفاق وملاء صحائف التاريخ .

واذا كانت هذه العادات والطباع التي رأينا عند العرب ،
مرتبطة بالأسباب ، موائمة للمنطق ، فالاهتمام بالابناء الذكور
كانت تفرضه حالة الغزو المستمر ، وحالة الحرب الدائمة
والعصب على النساء ، والتشاؤم من مولد الفتيات ، كانت تفرضهما

تفرضهما حساسية البدوى فى الصحراء من ناحية عرضه ، وحرصه على حريمه ،
وخوفه من أن يعير بهن اذا انتهكت أعراضهن أو استبيحت حرما تهن .

والاهتمام بالضيفان وسريانا لتفاخر بالكرم ، كانت تفرضهما
حياة الصحراء القاسية ، وقلة زانها ومائها ، وبُعد المسافات
بين مضارب القوم ، مما يجعل اكرام الضيف مفخرة المفاخر .

أما الشجاعة والتجدة وما أشبههما فقد كان يفرضهما واجب
الدفاع عن القبيلة ، وحماية ثمارها والذود عن محارمها . وما
الى ذلك .

أقول اذا كان لهذه العادات والطباع ما يبررها لارتباطها
بالأسباب وقربها من المنطق ، فقد كانت للعرب فى ذلك الزمان
عادات وطباع لا ارتباط بينها وبين ما يرد بها ، فضلا عن أن يقرها
عقل سليم أو يرضاها منطق حكيم .

فمن ذلك العرافة والكهانة^(١) ، وهما ادعاء علم الغيب
ومعرفة ما وقع من الأمور وما سيقع . وقد انتشرت بينهما حتى اشتهر
بهما كثير منهم ، وحتى ذكرهما أكثر المتحدثين عنهم^(٢) .

ومن ذلك العيافة أيضا^(٣) وهى " زجر الطير والتفاؤل بأسمائها
وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب^(٤) " وذلك أنهم كانوا اذا
أرادوا أن يمضوا أمرا من أمور حياتهم أو يتركوه جاءوا الى الطير

(١) العرافة كالكتابة : ادعاء علم الغيب (اللسان عرف) ومنها العراف .
والكهانة معروفة وهى ادعاء علم الغيب ومنها الكاهن (اللسان -

فزجروه . فان اتجه فى طيرانه يمينا فتفألوا به ، فأمضوا ما نورا
من الأمور . وان اتجه شمالا تشاءموا فأجلوا المضى فيه . بل انهم
اختلفوا فى ذلك فكان أهل نجد يتفألون بما يتشاءم به غيرهم ، وكانوا
يتشاءمون بما كان يتفأل به العرب الآخرون . (١)

بل ان تفأولهم وتشاءمهم لم يقتصر على زجر الطير هذا ،
ولكنهما تعدياه الى طرق الحصى وضرب الرمل ، وهما نوعان آخران
من التكهن بالغيب كان يفعلهما الكهان والعرافون . ثم انهم كذلك
قد تفألوا وتشاءموا بأنواع الطيور وأشكال الحيوانات . كأن
يتشاءموا من رؤية الغراب مثلاً ، ويتطيروا من رؤية الحيوانات
المصابة . بل ان تطيرهم قد تجاوزا الحيوان والطير الى بنى الانسان
فتطيروا بالمصاب من الناس كالأعور وغيره . قال الجاحظ " وللطيرة
سَمَت العرب المنهوش بالسليم والبرية بالمفازة وكنوا الأعمى
أباً بصير والأسود أباً البيضاء " . (٢)

ولقد اعترض كثير من شعرائهم على ذلك ، وكأنهم قد عرفوا
بأنها منهم الصافية أن أمور الغيب لا يعلمها أحد من الناس ، حتى
ولا الكهان والعرافون . وأن حوادث الزمان لا تستطيع أن تغيرها
أنواع الطيور وأشكال الحيوانات

قال لبيد بن ربيعة : (٣)

(١) انظر جمهرة اللغة (ب ج هـ) واللسان سنج

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٤٣٨/٣

(٣) انظر المصدر السابق ٤٣٩/٣

(٤) البيتان ١٩ ، ٢٠ من القصيدة رقم ٢٤ فى ديوانه .

لعمرك ما تدرى الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع (١)
 سلوهن ان كذبتن منى متع الفتى يذوق المنايا أومتى الفيتواقع (٢)
 وما أنا ممن يزجر الطير هـ أصاح غراب أم تعرض ثعلب
 ولا السانحات البارحات عشيّة أمر سليم القرن أم مر أعضب (٣)

وكان من طباع العرب أيضا الاستقسام بالأزلام (٤) والميسر وحمل
 التمام والتعاويذ ، وتعليق الحلى والجلجل على اللديغ ليشفى
 وغير ذلك من العادات والطباع التى سرت فى مجتمعاتهم ولا أصل لها
 من معرفة أو علم ، ولا ارتباط بينها وبين المنطق والعقل . ولكنها
 سنن فشت فيهم ونقلها الأخلاف عن الأسلاف ، من غير اعمال فكر
 أو امعان نظر ، وان كان قد اعترض عليها من عقلائهم وشعرائهم الكثيرون ؛
 فلقد سار عليها وعمل بها الباقون الأكثرون .

حتى اذا جاء الاسلام الحنيف ، تناول عادات العرب وطباعهم
 قنالا متنوعا ، فأما تلك الخلال الكريمة ، والخصال الحميدة
 كالكرم والشجاعة والفيرة وغيرها . فقد أبقاها وحشم عليها ، بعد
 أن هذبها وشذبها وصاغها فى قالب جديد .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ضرب الحصى ووجر الطير . . الأول ادعاء الغيب والثانى للتطير .

(٢) يهزأ بتلك الافعال

(٣) السانح مامر بين يديك من جهة يسارك الى يمينك ، والعرب
 تتيمن به (لأنه أمكن للرمى والصيد) . والبارح ضد السانح ، وهو
 مامر من الطير والوحش عن يمينك الى يسارك والعرب يتطير بسبه
 لصعوبة صيده ورميه) . (انظر فيهما للسان برح) والأعضب المعكور

قال " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ " (١) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 " إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلِّ الشَّوْفِ " (٢) . وعن عبد الله بن مسعود
 رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " وَلَا أَحَدٌ
 أَغْنِيَنَّ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ " (٣) .

وأما العادات السيئة والطباع الهابطة كاستباحة الأموال
 والأعراض والدماء ، وغير ذلك ، أولئك العادات الجاهلية التي -
 لا ارتباط بينها وبين العقل والمنطق كالكهانة والعرافة والعيافة
 وغيرها ، فقد أبطلها الإسلام كلها وحرّمها جميعها . ونقل الناس
 إلى الأخذ بالأسباب فيما يعنيههم ، وترك الأمور الغيبية التي لاتعنيهم .
 روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن
 الله تعالى أنه قال : " يَا عِبَادِيَ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ،
 وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ ، فَلَا تَظَالَمُوا " (٤) . وعن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ
 حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ " (٥) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عُرَافًا
 فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (٦)

وهكذا وجدنا الإسلام العرب - كما رأينا - ذوى طباع متنوعة ، فنقى
 المشوبة من شوائبها ، وألقى الذميمة وحرّمها ، وأبقى الكريمة وزاها
 تكريما .

أيام العرب في شرق الجزيرة :

لقد امتلأ ديوان شعرا العرب في الجاهلية ، بذكر أيامهم والحديث عن حروبهم . وتصوير ما كان يدور فيها من الكر والفر ، والمفاخرة والتباهى بالتغلب والنصر . ولقد كانت الحرب في مجتمعهم تتشكل بشكلين أو تقوم بسببين . فهي تارة تقوم لرد عدوان وقع من قبيلة على أخرى ، أو لرفع ظلم نازل بفرع من الفروع . وتارات أخرى تقوم للنهب والغزو والسلب وتنازع الحروب لرد المغيرين أو للثأر ممن كان قد أصاب من القوم غيرة ، ونال منهم مأربه . ودام الصراع على تلك الحال ، سواء بهذا السبب أو ذاك ، حتى طفت أحاديث الحروب وذكر الغزوات والأيام ، على تاريخ الجاهليين كله .

ولم يكن للقبيلة من عمل أسمن من اعداد الفرسان المقاتلين ولم يكن لطلائعها من شغل أعظم من انتجاع الغفلة وأماكن الضعف عند الآخرين . وذلك لمهاجمتهم وسلب ما يستطاع سلبه من أمتعتهم . ولم تكن لقبيلة الموتورة لتنام قبل أن تتأثر لقتلاها ، وترد ما سلب منها ان استطاعت ذلك . والأعاشت زمنا تستعد له . ولم يكن احدها الموتورين يقبل في قتله دية ولا لمسلوباته بدلا وثمنا . اللهم إلا في حالات الضعف أو تدخل المصلحين .

ولقد استعصى قياد العرب بمجموعهم على أي قائد ، بل انه كما يستعصى - لولا طبيعة المجتمع - على رؤساء القبائل أنفسهم وذلك بسبب ما فطر عليه البدو من حب الحرية المطلقة ، وما اعتادوه من الشظف وخشونة العيش ، فاستغنوا بذلك عن غيرهم . فصعب

فلقد بُنى المجتمع حينئذ من جديد ، على أسس من الدين الجديد ،
 ووجهت القبائل في نشاطها الحربى وفي معاركها وغزواتها وجهة
 جديدة ، كانت هذه الوجهة كما نعرف جميعا - غير تلك الوجهة
 التى كانت القبائل العربية تعيش عليها وكانت تتشوق اليها .

هذا وقد تشعبت أيام العرب فى ذلك الزمان شعبا ليس هنا
 مجال التفصيل فيه . فكانت لهم أيام مع الفرس ، وكانت -
 للقطانين أيام فيما بينهم . وكانت هناك أيام للقطانيين
 والعدنانيين . وكثرت أيام العدنانيين فيما بينهم . فكانت
 للقبائل مع بعضها أيام كثيرة كأيام ربيعة وتميم^(١) ، وأيام
 قيس^(٢) وكنانة^(٣) وأيام ضبة^(٤) مع غيرها . ثم كانت للقبيلة ذاتها
 فيما بينها أيام أخرى كأيام ربيعة وأيام قيس وغير ذلك .

(١) تميم هى القبيلة المشهورة ، التى منها جرير والفرزدق وتميم
 بطن من مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعلى ذلك فهم يلتقون مع
 قبيلة ربيعة فى نزار . وكانت تميم تنزل الساحل الشرقى
 لجزيرة العرب ، ولا تذبذباً سرها تقريبا ، وتمتد من زلها شمالا
 الى هفافة لفرات ، ولذلك كانت اقرب للناس من ازل لربيعة -
 بل لقد اختلطت من ازل تميم بمنازل كثير من بطون ربيعة . وكان
 بينها وبين بكر بن وائل^(١) أهم بطون ربيعة تنافس وائيام .
 (انظر دائرة المعارف الاسلامية - تميم - وانظر نسب تميم فى
 جمهرة ابن حزم ص ٢٠٦ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٧٦ وما بعدها) .

(٢) قيس هو اسم لبطون عتي بن سبيرة الى قيس عيلان بن مضر بن نزار . فمنهم
 مثلا عدوان وثقيف وعطفان وغيرهم . ومن ازلهم كثيرة منها -

اللطائف التى كانت تنزلها ثقيف ويقال انهم ينسبون الى قيس
 بن مضر وأن لقبه عيلان . وقيل ليلان عيلان عبد حضنه فنسب اليه
 انظر جمهرة الانساب ص ١٠ - ص ٢٤٣ ، والمعارف ص ٧٩ وما بعدها .
 (٣) كنانة هو ابن مدركة بن لياس بن مضر بن نزار ، ومن ابناء
 النضر بن كنانة . ومن ابناء النضر بن كنانة : قريش وقريش فى غنى
 التعريف . (انظر جمهرة الانساب ص ١١ ، ١٢ ، وانظر معارف ابن

ولصلة ربيعة ببحثنا ، بصفتها قبيلة شاعرنا طرفة بن العبد
فاننا سنعرض لأيامها عند الحديث عنها ذاتها - ان شاء الله تعالى
ولكننا نعرض هنا بايجاز لحرب البسوس كمثال على تلك الأيام
وذلك حتى نلقى ضوءاً على المسرح السياسي الذى ولد فيه شاعرنا
طرفة .

كانت حرب البسوس من أهم أيام شرق الجزيرة العربية ، بل
ان بعض المؤرخين يجعلها أعظم حروب العرب فى العصر الجاهلى على
الاطلاق . قال صاحب نهاية الأرب : (وهو أعظم حروب العرب ، كان
بين بكر من وائل وتغلب بن وائل وكان للبسوس خالة جساس ناقة
فرأها كليب (وائل) قد كسرت بيض حمام فى حمى كان قد أجاره
فرمى ضرعها بهم ، فوثب جساس على كليب فقتله ، فهاجت الحروب
بسبب ذلك ، ودامت بين الفريقين أربعين سنة (١) .

والمؤرخون يفيضون فى ذكر تلك الحرب (٢) التى قامت كما رأينا
بسبب ذلك الأمر التافه . لأن العربى كما عرفنا كان مغرماً بحماية
جاره . يعتبر الاعتداء عليه أو على ما يملك مغمراً يتحاشى قدر
استطاعته أن يغمز به . فنراه يركب فى حمايته المخاطر ، دون
أن يعبأ بالنتائج . حتى شاعرهم مفتخراً بذلك : (٣)

تُحْمَرُّنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلتُ لها إِنَّا كَرَامٌ قَلِيلٌ
وما قَلَمُنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلُنَا شَبَابُ بَشَا مِى لِلْعُلَا وَكُهُولُ (٤)
وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْكَثَرِ ذَلِيلُ
وَأَيَامُنَا مَشْهُورَةٌ فِى عَدُونَا لَهَا غُرُرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُبُولُ (٥)

(١) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٥٧ . وانظر كذلك جمهوية اشعار العرب

للقرشي ٦٤/١

(٢) انظر المجلد ١٠٤/٢ ص ١٠٥

ومن أجل حماية الجار ، وحماية ما يملك هذا الجار ، قتل جساس
 من مرة من تغلب ، ابن عمه كليب - وائل من بكر ، في ناقصة
 لخالته البسوس ، وكانت جارة له . وقيل بل البسوس عجوز كانت
 بجوار جساس . فقامت تلك الحرب التي عرفت بحرب البسوس ، ودامت
 تلك السنوات التي رأينا .

ولم يحضر طرفه بن العبد تلك الحروب ، غير أن أخبارها قد وصلت
 إليه بعد جيلين . فقد حضرها جده الأول سعد بن مالك . وهو الذي
 يقول في أحد أيامها - معرضا بالحارث بن عباد أحد زعماء بكر حين
 قعد عن القتال : (٢)

يَا بُسُوسَ لِلْحَرْبِ السَّيِّئَةِ وَنَعْتِ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حُوا

وقد سُمي ذلك اليوم بيوم قضة ، أو يوم تحلاق اللحم . وقد ذكر
 الأعلام الشنمري في شرحه لديوان طرفه ، أسباب تسمية ذلك
 اليوم بيوم قضة ، أو يوم تحلاق اللحم .

فأما سبب تسميته بيوم قضة فلأنهم اقتتلوا قريبا من جبل
 بهذا الاسم (٣) . وأما سبب تسميته بيوم تحلاق اللحم ، فهو أن أحد
 قادة بني بكر ، وهو الحارث بن عباد نفسه ، كان قد أمرهم بحلق
 رؤسهم . ليكون ذلك علما يعرف به بعضهم بعضا . وقد كان هذا
 اليوم لبكر على تغلب . (٤)

وفي ذلك ينشد طرفه بن العبد مفتخرا فيقول : (٥)
 سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقُوَانَا يَوْمَ تَحْلَاقُ اللَّحْمُ
 وهو مطلع لقصيدة يفخر فيها طرفه ببكر خاصة ، وبالقبيلة كلها
 على وجه العموم .

(١) هكذا اسمه (عباد) كرقاد وسياً تى ذكره في الفصل القادم بين

وكانت أكثر أيام حرب البسوس ، كما سنرى فى الفصل القادم - لتغلب على يذر ، حتى كان يوم قضة ، فكان أشهرها وآخرها وفيه تغلبت بكر على تغلب . وقد ذاعت أخبار تلك الأيام وأفاض فى ذكرها الباحثون . وكاد الحيان يهلك بعضهما بعضا من طول تلك الحروب ومن كثرة ما قتل فيهما من الناس

وكان شرق الجزيرة العربية كذلك مسرحا لأيام كثيرة أخرى بعضها معروف مشهور وبعضها الآخر ليس عند المؤرخين عنه إلا إشارات التى وردت فى أشعار الشعراء . كما سنرى عند طرفة وهو يفتخر بأبيه فى حروب خاضها أيام الشباب ولكن أحدا من المؤرخين لم يكشف عنها النقاب .

هذه اذن المامة سريعة بما كان عليه شرق الجزيرة العربية من النواحي الاجتماعية والجغرافية والحضارية ، أردنا بتبيانها أن نوضح الحالة الاجتماعية لأهل العصر الذى عاش فيه شاعرنا طرفه ..

وفى السطور القادمة سنتحدث عن ناحية أخرى ، وهى صلة ذلك المجتمع بمملكة الحيرة . وذلك لأن شاعرنا كانت له بها صلة وثيقة ، وارتبطت ببعض **فلول** الحيرة قصة حياته وموته .

المبحث الثاني : مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية في شرق الجزيرة :

لقد نقل التاريخ لنا ، أن جفاف الجزيرة العربية وشطاف العيش فيها ، كانا يدفعان بقبائلها الى الاغارة على أطراف كل من العراق والشام ، فتنهب من قراها ومزارعها ما تقع عليه أيدي فرسانها ، ثم تفرعائدة الى الصحراء ، غير عابثة بأهل تلك القرى ، ولا بجيوش الدول التي تتبع لها . ولذلك فقد فكرت تلك الدول المعنية بالأمر ، أن تجعل بينها وبين تلك القبائل سدا واقيا من العرب أنفسهم . (١)

فاتخذ الرومان من الفساسة في أطراف الشام امانة لهذا الغرض (٢) وكان الشام يومئذ من أعمال دولة الروم (٣) . كما اتخذ الفرس من المناذرة أو اللخمين في الحيرة بالعراق ، امانة لنفس الغرض . وكان العراق يومئذ من أعمال الفرس (٤)

(١) انظر تاريخ العرب لمطول ١٠٣/١ وما بعدها ، وانظر كذلك حضارة العرب لغوستاف لويون ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) هاجر بنو غسان من اليمن عندما اجتاحتها سيل العرم ونزلوا مشارف الشام ، وأسسوا لهم هناك دولة تحت حماية الروم ، واتخذوا لهم عاصمة في بصرى بحوران . وكان آخر ملوكهم جبلة بن الايهم الذي أسلم ثم ارتد وهرب الى قيصر على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكانت بين الفساسة وبين القبائل التي كانت تغير على أطراف الشام أو بينهم وبين المناذرة الموالين للفرس حروب وأيام (انظر دائرة . معارف القرن العشرين - عرب)

(٣) انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٤١ وتاريخ العرب لمطول ١١٤/١

(٤) انظر تاريخ اليعقوبي ٣٣٨/١ .

” وكما كانا لفساسنة عمالا للبيزنطيين (الروم) ، والخميون
(المناذرة) عمالا للفرس ، كذلك كان ملوك كندة في أواسط
الجزيرة عمالا لتبابعة اليمن المتأخرين “ (١)

وكانت كل أمانة من تلك الامارات ، تشكل درعا يحمي الدولة
المعنية من غارات القبائل ، فيردها على عقابها عبر الصحراء .
كما كانت كل أمانة يناط بها حماية قوافل التجارة التي تخص
الدولة المعنية ، والتي تتنقل بين الشرق والغرب ، مروراً
بالصحراء صيفاً .

ثم ان كل أمانة أيضاً كانت تقف في صف الدولة التي اصطفتها
فتحارب معها من قديحاربيها من الأعداء . وما كان أحوج دول ذلك
الزمان إلى أولئك الصنائع . ، اذا المعروف أن الفرس والروم -
كانت بينهم مشاحنات وعداء وتطاحن سار المثل بها كل مسـار ،
وكانت بينهم حروب لا يسكت لها أوار .

هذا وقد ساعد الفرس في اتخاذ أمانة الحيرة درعاً لهم ، ان قبائل
من عرب اليمن كانت قد استوطنت تلك البقاع . وأنشأت عام خمسة
وتسعين ومائة للميلاد ، في جنوب العراق ، وعلى ضفتي الفرات ،
وبالقرب من المكان الذي أقيمت عليه مدينة الكوفة فيما بعد -
مدينة الحيرة الشهيرة . التي انقلب ملوكها العرب ينافسون أكاسرة

(١) انظر تاريخ العرب لمطول ١١٤/١ وكندة "من قبائل اللخمية -
سكنوا بلدة بهذا الاسم في حضرموت وكانوا موالين للملوك
اليمن . ثم ملكوا قبائل معد ، منا بتأييد الحميريين ملوك

(١) الفرس وقياصرة الروم فى الترف والعظمة .

والذى يعنينا هنا ، هو الحديث عن ملوك الحيرة الذين
اتصل بهم شاعرنا طرفة بن العبد ، وكانت قبيلته تقيم فى الأرض
التي كانت تعتبر من أعمالهم فى جزيرة العرب ، وهى طرفها
الشمالى الشرقى .

وليس لدينا فى الواقع تاريخ واضح نثبت به أصلا المائدة
ملوك الحيرة فى ذلك العصر ٠٠ الا الأقاويل التى جاءت على السنة
الرواة ، والتى قد يكون لها نصيب كبير من الصحة . وهى أن أولئك
المائدة هم من قبيلة لخم اليمنية . وقد نزلوا العراق ، وأقاموا
فيما بينه وبين الجزيرة العربية من منافذ وثغور ، وذلك لما
تفرق أهل اليمن تفرقهم التاريخ المشهور .^(٢)

هذا ولقد كان لتلك المنطقة أثر كبير على حياة العرب
الاجتماعية ، اذ أن تلك القبائل كانت قد سكنت فى الخيام أول
عهدا . ومع مضي السنين تحول المخيم الى قاعدة راهنة مستديمة^(٣)
عرفت بالحيرة (٤) . أصبحت فيما بعد عاصمة لبلاد العرب الخاضعة
لحكم الفرس

(١) انظر حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون ص ١١٦

(٢) انظر تاريخ يعقوبى ٣٣٦/١

(٣) الراهن الدائم ، وكل شئ ثبت ودام فقد رهن (انظر اللسان -

- رهن)

وقد حارر الباحثون في ذكر أسباب تسميتها بذلك ، وحسبنا بعض ما قال يا قوت في معجم البلدان من أن السبب في تسميتها بالحيرة ربما عاد إلى أن أحدملوك اليمن - وهو في طريقه إلى خراسان - خلف في ذلك الموضع ضعفة جنده ، وقال لهم : **حَيَّرُوا** به أى أقيموا به . أو أن ذلك الملك كان عندما وصل إلى ذلك الموضع ضل دليله وتغير فسمى الموضع بالحيرة . (١)

هذا ويذكر بعض الباحثين أنه كان لملوك الحيرة أثر على القبائل العربية من الناحية الدينية . فان أولئك الملوك كانوا في العصر الذي نتحدث عنه يعتنقون النصرانية . ولعل بعض القبائل التي استوطنت شرق الجزيرة واتصلت بملوك الحيرة قد تأثرت بمعتقداتهم في النصرانية ، كما سئرى عند بعض بطون ربيعة حينما نتعرض لذلك

ثم يذكر اليعقوبى في تاريخه سلسلة لملوك الحيرة يختتمها بقوله : " وكان هؤلاء الملوك من قبل الأكاسرة ، يؤدون اليهم الطاعة ويحملون الخراج ، وكانت قبائل معد مجتمعة عليهم " . (٢)

وكان ملوك الحيرة قد درجوا على ترضى زعماء القبائل ، حتى يضمنوا لأنفسهم الطاعة والولاء ، ويضمنوا لعمالكم الاستمرار والبقاء . فكان من وسائلهم - إلى جانب إكرام وفادة زعماء القبائل والاحسان إليهم - اتخاذ ما عرف بالردافة . وكانت بمنزلة الوزارة . وهي اختيار رديف من زعماء القبائل يكون للملك بمنزلة الوزير وتكون له المشورة في تصرف كثير من الأمور .

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف " وكانت الردافة أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه ، فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك جلس الردف موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف . واذا غارت كتيبة الملك أخذ الردف المربع (١)

(٢) الى جانب ربيع الغنائم من غزوات الملوك ، كانت تفرض للرديف اتاوة على كل من هم في طاعة الملك . (٣) وفي ذلك يقول عبد الله بن عنمة الضبي : (٤)

لَكَ الْمَرْبَاعُ فِينَا وَالصَّافِيَا وَحَكْمُكَوَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ (٥)

(٦) والذي يهمنا من ملوك الحيرة أخيرا ، هو عمرو بن هند وذلك لأن الروايات اتفق معظمها على أن طرفه قد عاش في بلاطه زمننا ، ثم هجاه فأمر بقتله (٧) . وذلك في القصة التي عرفت بصحيفة المتلمس

-
- (١) انظر المعارف لابن قتيبة ص ٦٥١
 (٢) الردف (كالجسم) والرديف (كالوزير) بمعنى واحد انظر معجم مقاييس اللغة - ردف (٥٠٣/٤) .
 (٣) انظر في ذلك - بل في موضوع الردافة كله - النقائش بتحقيق الصاوي ج ١ ص ٦١ وانظر كذلك معجم البلدان - ج ٢ ص ٧ -
 (٤) انظر للسان - نسط وعنمة (كسمكة)
 (٥) المربع : ما يأخذ الرئيس وهو ربيع الغنيمة . والصفايا : ما يصطفيه الرئيس والنشيطه : ما اصاب من الغنيمة قبل ان يصير الى مجتمع الحى . والفضول : ما عجز ان يقسم لقلته وخص به الرئيس (انظر للسان - ربيع)
 (٦) هند اسم امرأة يصرف ولا يصرف والجمع هنود وهندات -

وقد اعتلى عمرو بن هند هذا عرش الحيرة ما بين سنتي ٥٥٤ - ٥٦٩ (١) للميلاد . بعد أبيه المعروف بابن ماء السماء وهو المنذر الثالث . (٢) وكانت الحيرة قد ازدهرت قبلهما ازدهارا كبيرا ، ونالت في شتون ذلك العصر منزلة عظيمة ، حتى نافس أمراؤها كما سبق أن ذكرنا ملوك الدول الكبرى المعروفة في ذلك الزمان في الترف والأبهة والعظمة . (٣)

أما عمرو بن هند هذا فقد كان شديد الإعجاب بنفسه ، يكاد لا يرى بين ملوك الزمان له ندا ، كما كان فخورا عاتيا ، وطلاغية مستيدا . قال الأعلم الشنتمري في شرحه لديوان طرفة :
" وكان يقال له مضط الحجارة لخبثه " . (٤)

وكان قد جعل للنهر يومين ، يوما يصيد فيه ، ويوما يشرب . فاذا خرج للصيد لا تراه الا الخاصة . واذا جلس للشرب وقف الناس على بابه ، حتى يرتفع مبلس شرابه (٥) . وفيه يقول طرفة : (٦)

قَسَمْتُ الْكُفْرَ فِي مَنْ فِيَّ كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا تَطِيرُ (٩)
فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ نَحْسِي تَطَارُهُنَّ بِالْحَدَبِ الصَّقُورُ (١٠)
وَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَنْظُرُ رُكْبًا وَقُوفًا مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ

- (١) و (٢) انظر في ذلك تاريخ العرب لمطول ١١٠/١
(٣) انظر حضارة العرب للمستشرق غوستاف لوبون ص ١١٦
(٤) انظر تاريخ العرب لمطول ١١٧/١ (٥) انظر العصر الجاهلي - للدكتور شوقي ضيف ص ٤٥

(٦) انظر شرح الأعلم للقصيدة التي مطلعها :
ليت لنا مكانا الملك عمرو غوثا حول قبئنا تخور
انظر الديوان ص ١٠١ وانظر كذلك الكامل لابن الأثير - دار
ما در بيروت ١٤٧/٥٤٧

(٧) انظر تاريخ اليعقوبي ٣٩٩/١

وكان عمرو بن هند ، يجزل العطاء للشعراء^(١) . ولذلك فقد أُم -
 مجلسه أعظمهم^(٢) ، مثل عمرو بن قميثة ، والمسيب بن عيسى
 وطرفة بن العبد ، والحارث بن حشرة ، وعمرو بن كلثوم^(٣) ، وغيرهم
 يتعرضون لنواله وعطاياه ، وكان ذلك عنده غاية ما يهدف اليه
 ويتمناه . ولذلك لم يأل جهدا في إكرامهم ، حبا في الشهرة
 وكسب الحمد من ناحية ، وطمعا في اجتذاب العرب من ناحية أخرى
 وكسب تأييدهم . فهو يعلم أن الشعراء هم أبواب الدعاية في ذلك
 العصر ، وهم زعماء الرأي العام بين العرب يديرونه بألسنتهم
 كيف شاءوا^(٤) . ولذلك فقد رصد لهم الهدايا القيمة ، والعطايا
 السخية ، فتوافدوا عليه ، حتى أصبحت الحيرة في عهده مركزا
 أدبيا مزدهرا^(٥) .

وكانت نهاية عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم الشاعر ، في
 قصة طريفة ، تواتر ذكرها على ألسنة الرواة . وذلك أن^(٦) عمرو
 بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أن أحدا من العرب
 تأنف أمه من خدمة أُمي . فقالوا : نعم ، عمرو بن كلثوم .
 فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ، ويسأله أن يزير
 أمه أمه . ثم أمر برواقه ف ضرب فيما بين الحيرة والفرات ،
 وأرسل إلى وجوه مملكته فحضرُوا .

(١) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦

(٢) انظر تاريخ العرب لمطول ١١٧١

(٣) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦ . وتاريخ العرب لمطول ١١٧١

(٤) انظر تاريخ العرب لمطول ١١٧١

(٥) انظر العصر الجاهلي ص ٤٦

(٦) انظر في ذلك الشعراء (عمرو بن كلثوم) ص ١٥٧ وما بعدها

انظر في ذلك الشعراء (عمرو بن كلثوم) ص ١٥٧ وما بعدها

ثم دخل عليه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب ، ودخلت
أمه ليلى على هند أم عمرو بن هند ، في قبة نصبت لها في جانب
الرواق . وكان عمرو بن هند قد أوصى أمه بأن تنحى الخدم ، وأن
تستخدم ضيفتها . فلما فعلت ذلك صاحت أم عمرو بن كلثوم : وا ذلاه ،
يا التغلب !

فلما سمعها ابنها - وهو في مجلس الملك - ثار منه ، ونظر إلى
عمرو بن هند فعرفا لشر في وجهه ، فقام إلى سيفه علق بالرواق ف ضرب
به رأسه حتى قتله .

ونادى في يني تغلب ف انتهبوا جميع ما في الرواق ، وساقوا
نجايبه وساروا نحو الجزيرة . وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

بَأَيِّ فُشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ تطيعُ بنا الوُشاةَ وتزدرِينَا
تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدًا مَتَى كُنَّا لَأَمْكُ الْمُقْتَوِينَا (١)

ثم ولي بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، ثم المنذر
أبو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس (٢) . وقد دامت دولة
الحيرة حوالي أربع مائة عام (٣) . ثم زال عنها ملك المناذرة ،
وذلك حين تسلم أمورها في أوائل القرن السابع الميلادي إياس بن
قبيصة من بني طي (٤) (٦١١-٦٠٢ م) . إلا أن الفرس بعد ذلك ألفوا
نظام الإمارة العربية ، وأشرفوا بأنفسهم على الحيرة وأعمالها
ولم يعد لزعماء العرب تلك الحرية المطلقة ، التي كانت لهم أيام
المناذرة . فلقد أصبحوا تحت إمرة ولاية من الفرس حتى أشرق نور

(١) التهديد والتهديد والتهديد من الوعيد والتخوف (انظرا للسان -
هدد) ، والوعيد والتوعد : التهديد . وقد أوعده وتوعده -
(اللسان - وعد) ، والمقتوون الخدم ، وخدم الملوك خاصة .

الاسلام ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فعالت دولة الفرس
ودخل الناس في دين الله أفواجا .

اذ ماجأت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة للميلاد ، حتى كانت
جيوش الفتح المباركة قد بدأت تنشر وايات الاسلام على تلك البلاد .
واستسلمت الحيرة للجيش الاسلامى بقيادة خالد بن الوليد . (١)

هذا ولم يفت المؤرخين أن يذكروا شيئا عن حضارة الحيرة زمن
المناذرة ، وذلك نتيجة للفنى والترف الذين تيسرا لها ،
بسبب موقعها فى منطقة زراعية رعوية من ناحية ، وبسبب -
الاتاوات التى كانت تفرض على من هم فى طاعتها من ناحية أخرى

هذا فضلا عن الأسباب التجارية الأخرى وهى كثيرة . حتى بلغت
الحيرة فى الفنى والثراء مبلغا كبيرا . كان له فى حضارتها آثار
بالغة . ومن ذلك على سبيل المثال قصر الخورنق (٢) ، الذى بناه
النعمان بن المنذر (٣) ، ليكون منزلا لبهرام جور الذى أرسله أبوه
يزجرد الأول ملك الفرس (٤) ، حتى ينشأ بين العرب فى الحيرة
فيتعلم الصيد ، وينعم بجودة الهواء . وقد ذكر المؤرخون بأن الخورنق
كان يعد من معجزات الفن وبدائعه . (٥)

(١) انظر تاريخ الطبرى ٦١٤/ ط دار المعارف ٢/ ٢١٣ وانظر
كذلك الكامل لابن الاثير - دار صادر ١/ ٤٩٧

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٦١٤/ ١

(٣) حكم ما بين سنتي (٤٠٠-٤١٨ م)

(٤) حكم ما بين سنتي (٣٩٩-٤٢٠ م) - وانظر معجم البلدان (حيرة)

(٥) انظر تاريخ اليعقوبى ١/ ٣٨٧

وللخورنق والسدير ذكر شائع ، وصيت ذائع فى أشعار العرب
الجاهليين . قال عمرو بن أمية أخوه لعمرو بن هند ، يهجو ويذكر
الخورنق والسدير : (١)
أَلْبَنُ أُمِّكَ مَا بَدَا وَلَكَ الْخَوْرَنُقُ وَالسَّيْدُ (٢)

وكذلك هجاه المتلمس بقصيدة مطلعها :
أَلَّا لَلسَّيْدِىُّ وَبَارِقُ وَمُبَايِضُ وَلَكَ الْخَوْرَنُقُ (٣)

تلك هى مملكة الحيرة ، التى أردنا بحديثنا الموجز عنها
أن نوضح الحالة السياسية ، التى كانت سائدة فى شمال شرق
الجزيرة العربية ، وأطراف العراق ، حيث كانت تنزل قبائل ربيعة
وعلى الخصوص بنو بكر بن وائل الذين ينتسب اليهم شاعرنا طرفة
ابن العبد . فقد كانت ديارهم من أعمال الفرس فى ذلك الزمان
كما يقول ابن خلدون (٤) . وغيره من المؤرخين ، وكان الفرس -
يحكمون تلك الديار بواسطة المئذرة أصحاب الحيرة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد جعلنا حديثنا عن الحيرة
خاتمة لهذا الفصل الذى عقدناه تبينا للبيئة الشاعر طرفة بن
العبد - وعصره . أما ما بين طرفة نفسه وبين بلاط الحيرة من حديث
فاننا ان شاء الله سنجلوه فى الفصل الثالث حين نتحدث عن حياة
طرفة .

* *

(١) مخطوطا ديوان طرفه برواية ابن السكيت ورقة رقم ١٥٢ (أبش) ، ٩٦ أدب ش
بدار الكتب المصرية وانظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ١٢
(٢) البيت للمتلمس فى ديوانه ص ٣٦ ، وبارق ماء بالهراق ومبايض
موضع بالعراق أيضا . وانظر كذلك مخطوطة ديوان طرفه برواية
ابن السكيت ورقة رقم ٨٨ (أبش) ، (٩٦ أبش) بدار الكتب

الفصل الثاني

قبيلة طرفة

المبحث الأول : تمهيد عن العرب في الجاهلية
مسالكهم ونسبهم
المبحث الثاني : قبيلة ربيعة ، نسبها ومسالكها
وديانها وشعراؤها وأيامها

الفصل الثاني

قبيلة طرفة

المبحث الأول : العرب في الجاهلية :

تمهيد :

أجمعت المصادر التاريخية والأدبية على أن شاعرنا طرفة ابن العبد ، من مالك ابن ضبيعة . ومالك بن ضبيعة من بكر ابن وائل . وبكر بن وائل بطن من بطون ربيعة . وربيعه فرع كبير من فروع العرب العدنانية . والعرب العدنانية هم القسم الثاني من العرب الباقية - كما سماهم الباحثون . ولذلك فإن البحث عن طرفة وقبيلته ربيعة ، يقتضى الحديث ولو بإيجاز عن العرب في الجاهلية ، مسكنا ونسبا .

مساكن العرب في الجاهلية :

العرب هم أولئك الناس الذين سكنوا منذ أقدم العصور في هذه الجزيرة التي عرفت باسمهم ، منذ كان التاريخ ، وحتى هذه الأيام . وجزيرة العرب هذه معروفة الموقع معروفة الحدود اذ لا يجهل باحث أنها تقع في أقصى الجنوب الغربى من قارة آسيا . بين خطى عرض ١٢ ، ٣٢ . وخطى طول ٣٥ ، ٦٠ شرقاً (١) وتبلغ مساحتها حوالى المليون من الأنيال المربعة (٢) وأغلبها صحار رملية ، تتخللها الواحات الكثيرة . وتضاريسها بوجه عام هضبة تنحدر نحو الشرق والشمال (٣) (٤)

كما أن حدودها لم تعد خافية على أحد من طلاب العلم ، إلا أنه يحلو للباحثين أن يذكروا تلك الحدود ، كلما تعرضوا للحديث عن الجزيرة العربية ، أو تعرضوا للحديث عن سكانها العرب .

وجزيرة العرب فى الحقيقة ليست جزيرة بالمعنى الجغرافى ولكنها شبه جزيرة وحسب ، وذلك لاحاطة المياه بها من ثلاث جهات فقط . فمن الجنوب المحيط الهندى ، ومن الشرق الخليج العربى وبحر عمان ، ومن الغرب البحر الأحمر . أما من الشمال فتحدها بلاد الشام .

وقد قسم الجغرافيون بلاد العرب الى خمسة أقسام كبيرة . هى
الحجاز ونجد وتهامة ، والعروض واليمن . (١)

فأما ما انحدر من تلك الجزيرة الى الغرب الى شواطئ البحر الأحمر ، فهو الذى سمي بتهامة . وهذه هى المنطقة الساحلية الغربية الممتدة من أقصى الجنوب الى خليج العقبة فى الشمال . وأما ما ارتفع من تلك الجزيرة الى الشرق فهو الذى يسمى نجدا ، وأما ما حجز بين تهامة ونجد فقد سمي بالحجاز . والقسم الذى يلى نجدا الى الشرق ، حتى ينتهى الى الخليج العربى كان يسمى بالعروض . وفيه البحرين واليمامة وعمان . وقسم القسم الجنوبى باليمن ، وهو كذلك الى اليوم . (٢)

وليس هنا مجال تفصيل الحديث عن أقسام بلاد العرب السابقة ولكنها عجالة اقتضاها البحث ، كمدخل للحديث عن سكانها العرب القدامى الذين انتسبت اليهم ربيمة ، قبيلة طرفة بن العبد .

نسب العرب :

هذا والمعروف عند المؤرخين أن العرب هم من الجنس السامى .
والساميون هم تلك الشعوب التى تنتسب الى سام بن نوح^(١) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وتتكلم الشعوب السامية العربية والعبرانية والسريانية والحبشية . ومنها الشعوب التى كانت تتكلم الفينيقيّة والآشورية والآرامية .^(٢)

ولقد اصطلح الباحثون والمؤرخون على تقسيم العرب الى قسمين بائدة وباقية . فأما البائدة فهم أولئك العرب القدامى الذين انقرضوا قبل الاسلام بمدة . ومنهم عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وارم وغيرهم .^(٣) وقد يسمون أيضا بالعرب العاربة أى العرب الخلى

وأما العرب الباقية فهم تلك القبائل التى عاشت ، وبقي نسلها حيا بعد العرب البائدة . والمؤرخون يقسمون العرب الباقية - كذلك - الى قسمين ، العرب القحطانية والعرب العدنانية . فأما القحطانيون فهم المنتسبون الى قحطان ، من ولد سام بن نوح^(٤) . والله أعلم . قال بعض الباحثين بأن قحطان هو أول جد معروف للعرب وهو أول من تكلم العربية . اذ أخذها

(١) انظر العقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٣٤٣/٣
(٢) انظر فى ذلك دائرة معارف القرن العشرين (عرب) ، وتاريخ الأئب الجاهلى - الفصل الثانى .

عن العرب البائدة . فقد أدرك أواخرهم . وقال بعضهم -
 بل ان أولمن تكلم العربية هو يعرب بن قحطان ، كما نقل البلاذرى
 فى أنساب الأشراف^(١) . أما ابن سلام فانه ينقل عن يونس بن حبيب
 قوله (أولمن تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه اسماعيل بن
 ابراهيم صلوات الله عليهما^(٢)) . وقد قال بذلك أيضا غير يونس
 بن حبيب ، وغير ابن سلام^(٣) .

ويقال إن القحطانيين قد نزحوا من أرض بابل ، بعد انقراض
 دولة حمورابى فسكنوا اليمن ، ومنهاجاءوا الى بقية أنحاء
 الجزيرة اذ كانوا كثيرا ما ينزحون عن بلادهم عند الشدائد
 فينزلون الحجاز أو اليامة ، أو البحرين أو عمان . وقد قامت
 لبعض قبائلهم دول فى تلك البلاد . ودولة الغساسنة فى الشام ،
 ودولة المناذرة فى العراق ، ودولة كندة فى نجد ، دليل تاريخى
 على ذلك^(٤) .

أما العرب العدنانية ، فهم العرب الشماليون ، الذين
 كانوا يسكنون فى تهامة والحجاز ونجد والعروض وما الى ذلك .
 وقد نسبوا الى سيدنا اسماعيل عليه السلام لكونهم من ذريته .
 فان عدنان الذى ينسبون اليه هو من نسل اسماعيل . وكان اسماعيل
 قد أسكنه أبوه ابراهيم عليهما السلام عند البيت الحرام ، بل
 انهما هما اللذان بنيا ذلك البيت العتيق^(٥) . قال الله
 سبحانه وتعالى : "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِمَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ
 رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"^(٦)

(١) أنساب الأشراف ٥/١

(٢) طبقات الفحول - مطبعة المدنى - ٩/١

(٣) ٦/١

وقد تزوج اسماعيل فى جرهم ، وهم أهل مكة فى ذلك الزمان وعاش بينهم ، وكان له أولاد كثيرون ، منهم قيدار أو قيسدر الذى ملكه أخواله على الحجاز حينذاك^(١) . ثم تسلسل العرب من أولاد اسماعيل عليه السلام حتى كان عدنان . قال الباحثون وكان بين عدنان وبين جده اسماعيل آباء كثيرون . قيل كانوا أربعين وقيل كانوا أقل من ذلك^(٢)

أما ابن حزم فانه يقول : " فعدنان من ولد اسماعيل بلا شك فى ذلك . الا أن تسمية الآباء بينه وبين اسماعيل ، قد جهلت جملة " .^(٣)

ثم ولد لعدنان عك ومعد^(٤) . فأما معد فهو أبوالقبائل العدنانية . ومن أبنائه نزار^(٥) . ومن نزار عدة فروع : هم قضاة ومضر وربيمة وآياد وأنمار^(٦) . والى هؤلاء تنسب القبائل العربية العدنانية . ومنهم تفرعت فروعها الكثيرة ، وانحدرت بطونها المختلفة .

- (١) انظر البلاذرى فى أنساب الاشراف ٨/١
- (٢) انظر أنساب الاشراف ١٣/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٩٣/٢ - طبعة العادة - .
- (٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم - تحقيق عبد السلام هارون ص ٧
- (٤) انظر البداية والنهاية ١٩٨/٢ - طبعة العادة -
- (٥) انظر أنساب الاشراف ١٥/١ ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم بتحقيق عبد السلام هارون - ص ٩
- (٦) انظر فى ذلك أنساب الاشراف ج ١ ص ٢٤ ، والعقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٢٥٧/٣ ، وجمهرة الانساب ص ١٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية (ربيعة ومضر) .

المبحث الثاني : قبيلة ربيعة :

نسبها ومساكنها :

هنا نحن أولاء قد عرفنا أن ربيعة من نزار . ونزار من معد ومعد من عدنان .^(١) وعدنان من نسل اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام . ولا تكاد تجد عند بعض الباحثين في أنساب العرب اصرارا على أمر مثل اصرارهم على أن قبائل ربيعة بن نزار ، هم من صرخاء ولد اسماعيل عليه السلام .^(٢) فاذا أضافوا اليهم قبائل مضر ومن تناسل من ايراد بن نزار ومن عك بن عدنان قالوا : «ولا يصح ذلك لغيرهم البتة »^(٣).

وقد تفرعت من ربيعة بطون كثيرة كان لها في تاريخ الجزيرة في ذلك الزمان شأن وأى شئ .

وقد سكنت ربيعة في أماكن متفرقة من الجزيرة ، اقتطاعها كثرة النسل ، أو كثرة الأيام والحروب ، أو انتجاع مواطن الماء والكلاً أو كل ذلك

والمعروف أن أكثر العرب العدنانيين كانوا أهل بدو . لم تستقر بهم الحياة في موقع دائم ، ولم يبنوا بيوتا ثابتة . ذلك لأن حياتهم قامت على الرعى ، وتربية الأنعام . أما من استقر منهم في الحواضر مثل مكة حينذاك فقد كانت لهم إلى جانب هذا - مصادر رزق أخرى كالتيجارة . ولعل هذا هو الذي حدا بهم إلى التحضر والاستقرار .

(١) انظر أنساب الأشراف ١٣/١ ، والأكلیل للهمداني ١٣١/١ ، وجمهرة

ولم تكن ربيعة كذلك ، بل كان اعتماد حياتها على الرعى
والغزو وما اليهما ، مما جعل التنقل والبداوة من السمات البارزة
ففى حياتها . فمن أماكن سكناها : مهبط الجبل من غمر ذى كندة -
على مسيرة يومين من مكة - ، وبطن ذات عرق وما والاها من نجد (١) .
ثم وقعت الحرب بين بنى ربيعة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكان
الفناء والهلاك ، فتغرقت ربيعة فى تلك الحرب ، وتمايزت ، فارتحلت
بطونها الى بقاع مختلفة (٢)

فقد سكنت بنو تغلب منهم فى العراق ، وفى بادية الشام
وسكن بنو حنيفة فى اليمامة ، وكانوا أهل ثغل وزروع (٣) . وكان
بنو بكر بن وائل - وهم رهط طرفة - فى تهامة . ثم تركوها الى
اليمامة ثم الى البحرين والعراق . وكذلك نرح بنو عبد القيس
من ربيعة الى البحرين وهجر ، وكانوا فى تهامة (٤)

ولو مضينا نستعرض الأماكن التى سكنتها بطون ربيعة ، وذكرها
شعراؤها فى شعرهم لطال بنا المقام . ذلك أن هذه القبائل كانت
تنتجع مواطن العشب والماء فتنتقل اليها فى فصول من السنة ، ثم
ترحل عنها حين ينضب ماؤها ، ويحسف كلؤها . وقد ترحل عن تلك
الأماكن ، لمزاحمة البطون أو القبائل الأخرى لها ، ودحراها عنها
فتنتشر فى أنحاء الجزيرة ، وتتفرق فى أطرافها حتى تصل الى سواد
العراق .

(١) دائرة معارف القرن العشرين (ربيعة) وانظر كذلك دائرة
المعارف الاسلامية (ربيعة) ومعجم قبائل العرب - بساب
الراء .

(٢) معجم قبائل العرب - باب الراء .

ومن هذه الأماكن ما هو معروف إلى الآن ، ومنها ما قد عفا
عليه الدهر ، وطمس معالمه طول العهد والأوان . وطرفة نفسه
يذكر كثيرا من تلك الأماكن التي نزلت بها فروع ربيعة ، ومن
غيرها من القبائل .

ومن تلك الأماكن التي لم تعد معروفة في زماننا ، برقة
شهمد في قوله :

لخولة أطلال ببرقة شهمد تلوح كباقي الوشم في لاهرا اليد^(١)

وحزان الشريف في قوله :
لهند بحزان الشريف طلوع^(٢) تلوح وأدنى عهدهن محيل^(٣)

والسفنح وريدة وسحول في قوله :
وبالسفنح آيات كأن رسومها يمان وشته ريدة وسحول^(٤)

وصحراء يسر في قوله :
أرق العين خيال لم يقصر طاف والركب بصحراء يسر^(٥)

(١) البيت الأول من المعلقة - الديوان ص ٦٠٠ وانظر شرحه في
هامش ص (٤٠) من هذا البحث

(٢) مطلع قصيدة رقم ٤ من الديوان ص ٨١ ، وانظر شرحه في هامش
ص ٣١ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ٨١ ، والسفنح أسفل الجبل ، ويقال موضع الآيات
العلامات التي تعلم بها الديار ، والرسوم الآثار بلاشخص .
يمان ثوب وشي يمان . وريدة وسحول قريتان من قرى اليمن
شبه آيات الديار ورسومها بثوب وشي يمان . وثياب الوشي
من ال... ..

وغير ذلك كثير . (١)

أما الأماكن التي لازال الناس يعرفونها بأسمائها القديمة
فمنها نجد في قوله :

حَيْثُمَا قَاطَلُوا بِنَجْدٍ وَشَتَوْا حَوْلَ ذَاتِ الْحَازِ مِنْ ثِنْيَيْ وَوَقَرٍ (٢)

والعراق في قوله
تَرَحَّلَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ مُرْقَشٌ عَلَى طَرَبٍ تَهْوِي سِرَاعًا رَوَاحِلُهُ (٣)
وغير ذلك . (٤)

بطون ربعة :

كان ربعة عليها يبدو ، أكبر أولاد نزار بن معد بن عدنان ،
فقد ذكر البكري في معجم ما استعجم أن نزار بن معد ، كان
يكنى بابنه ربعة . (٥)

(١) لقد انتشرت هذه الأماكن في شعر طرفه ٠٠ انظر الديوان ص ٧ ،
١٣ ، ٢٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .

(٢) الديوان ص ٥٥ وانظر شرح البيت في هامش ص : ١٢ من هـ هذا
البحث

(٣) المرقش هو المرقش الأكبر شقيق جد طرفه ، وترحل من أرض العراق
حيث يسكن إلى أرض اليمن حيث تسكن أسما ، معشوقته ، وقوله
على طرب تهوى سراعا وواحله ٠٠ أي تسير بخفة متوقفا إلى
أسما . والبيت في الديوان ص ١٢٣ ، والشرح من شرح الأعلام .

(٤) فقد ذكر بجلة ، ص ٢١ من الديوان .

(٥) انظر معجم ما استعجم للبكري ص ٥

ثم تفرعت من ربيعة بطون كثيرة اشتهروا بأسماء خاصة بهم
وان ظل افتخارهم بانتسابهم لربيعة قائما . قال ابن خلدون:
” ثم تفرعت ربيعة الى بطنين هما ضبيعة وأسد“ (١)

فمن ضبيعة بنو أحمر ، ومنهم الشاعر المسيب بن عيسى
المشهور . وهو خاله الأعشى ، الشاعر المعروف (٢) كما سيأتى . ومنهم
الحارث الأنجم سيد ربيعة فى زمانه . وفيه اذ قتل كانت أول حرب
بين بنى ربيعة . (٣) ومن بنى ضبيعة أيضا الشاعر المثلث
جرير بن عبدالمسيح . (٤) وهو خال طرفة كما سنرى أيضا .

أما بنو أسد فمنهم جديلة وعنزة وعميرة ومن تفرع منهم .
فمن جديلة عبد القيس وهنب ابنا أفضى بن نعيم بن جديلة . فأما
عبد القيس فمنهم بنو شبن وبنو لكيز ، وهما قبيلة عبد القيس (٥)

وأما هنب فمنه قاسط . ومن قاسط وائل بن قاسط والنمر بن
قاسط وعامر بن قاسط ومعاوية بن قاسط . (٦) ثم كان من وائل
أشهر بطون بنى ربيعة ، وهما بكر وتغلب قال ابن خلدون : ” وأما
وائل فبطن عظيم متسع . أشهرهم بنو تغلب ، وبنو بكر بن وائل“ (٧)
ثم كان من بنى تغلب بن وائل ، بنو غنم وبنو جشم بن تغلب ،
ومن تفرع منهم . (٨)

(١) انظر العبر ١٠٣/٢

(٢) انظر جمهرة الأنساب ص ٢٩٢

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ والضم اعوجاج فى الفك
أو الحنك (الاشتقاق ص ٣١٧)

(٤) انظر العقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٢٣٣/٣ ، والمصدر
السابق ص ٢٩٣

(٥) انظر جمهرة الأنساب ص ٢٩٥

(٦) انظر العقد الفريد - مطبعة الاستقامة - ٢٧٥/٣ وجمهرة الأنساب

وأما بنو بكر بن وائل ، فمنهم بنو علي وبنو يشكر . الذين
منهم الحارث بن حلزة اليشكري وسويد بن أبي كاهل اليشكري
الشاعران الجاهليان المشهوران .^(١) ثم كان من بنى علي بن بكر
ابن وائل : مالك ولجيم وعكابة أبناء صعب بن علي بن بكر بن وائل .
فمن لجيم بن صعب ، بنو حزيمة أهل اليمامة . وكانوا أهل نخل وزرع
كما عرفنا .^(٢) ومن عكابة بن صعب ، بنو ثعلبة بن عكابة بن صعب **منهم**
بنو قيس واليهم ينسب الأعشى ، ويمون بن قيس ، الشاعر الكبير .^(٣)

ومن بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن
وائل : بنو ضبيعة ، ومنهم بنو مالك ومن بنى مالك بن ضبيعة
الشاعران المشهوران ، المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر .^(٤) ومنهم
كذلك شاعرنا طرفة بن العبد .

ولو أننا ذهبنا نستقصى الفروع والبطون والأفخاذ والفصائل
التي انحدرت من ربيعة ، أو أننا ذهبنا نستقصى الشعراء والفرسان
والحكماء والزعماء الذين انتسبوا اليها ، لطال بنا المقام

فإن فروع بطون ربيعة ، قاصيها ودانيها ، وأخبار فرسانها
وزعمائها وشعرائها وحكمائها ، قد ملأ بطون الكتب . ولكنه
لا يعنيننا هنا . ولذلك فقد أوجزنا الحديث فيه بقدر الاستطاعة
فلم نتعرض الا لذكر القبائل والبطون الرئيسية التي انتسبت الى
ربيعة . ثم ضربنا أمثلة بذكر بعض من نبه فيها من الزعماء
والشعراء والفرسان . ثم سرنا مع البطون التي انحدر منها فرع
شاعرنا طرفة بن العبد . وذلك لنبين مكان رهطه في القبيلة ،
ومكانه في رهطه - كمقدمة لما سيأتى عنه من تفصيل .

ديانة ربيعة :

لم يكن للعرب في العصر الجاهلي ديانة واحدة ، وإنما هي أخلاط من العقائد والأديان ، اعتنقها أهل ذلك الزمان ، وإن كانت غالبيتهم قد اجتمعت على عبادة الأوثان . (١)

ويظهر أن القبائل العربية في الزمن الذي وجدت فيه ربيعة ، كانت قد نسيت أو تناسست ما كان قد جاء به جدهاها الكبيران إبراهيم واسماعيل عليهما السلام . وإن كانت هذه القبائل قد ورثت عنهما حب البيت الحرام فكانوا - كما ذكر الكلبي في كتاب الأصنام - " يحجون ويعتصرون على أثار إبراهيم واسماعيل " عليهما الصلاة والسلام . (٢)

كما كانوا قد ورثوا عنهما أيضا معرفة الله سبحانه وتعالى . وإن كان قد شاب هذه المعرفة شرك بغيره من الأثام ، أو ولع بعبادة الأصنام . وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول : " وَمَا يَوْمُنَّ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " . (٣)

وكانت العرب تفعل ذلك وهي تظن أنها تسلك الدرب القويم ، وتمشى على السراط المستقيم . ذلك أنهم كانوا يعرفون لله - سبحانه - في الخلق قدره : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " . قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . (٤)

وذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " كَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا مَا يُحَدِّثُ عَنْ امْرَأَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى رَأْسِ
 جَبَلٍ مَعَهَا ابْنٌ لَهَا يَرَعَى غَنَمًا ، فَقَالَ لَهَا ابْنُهَا : يَا أُمُّهُ . . . مَنْ خَلَقَكَ ؟
 قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ أَبِي ؟ قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ فَمَنْ خَلَقَنِي ؟
 قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ؟ قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ
 خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْجِبَلَ ؟ قَالَتْ : اللَّهُ .
 قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ هَذِهِ النَّمْلَ ؟ قَالَتْ : اللَّهُ . قَالَ : فَأَنْتِ أَسْمَعُ لِلَّهِ
 شَأْنًا " . (١)

وكما كان العرب يعرفون قد رآه في الخلق فقد كانوا كذلك يعرفون
 حقه في الملك ، وليس أدل على ذلك من قوله سبحانه وتعالى : " قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ
 وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ .
 قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مَلَكُوتَهُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ، قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ " . (٢)

والحقيقة أن المشركين بل الناس جميعا لم يزعم أحد منهم كما يقول
 ابن تيمية رضي الله عنه " أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات
 والأفعال . بل ولا أثبت أحد من بني آدم الهما مساويا لله في جميع صفاته .
 وعامة المشركين بالله ، مقرون بأنه ليس شريكه مثله ، بل عامتهم يقولون
 أن الشريك مملوك له سواء كان ملكا أو نبيا أو كوكبا أو صنما . كما كان يقول
 مشركو العرب في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه

أما هذه التماثيل التي اتخذوها ، والأصنام التي عبدوها ، فلم يكونوا
يقرون لها بشيء من الخلق أو شيء من الملك . وإنما اتخذوها لئلا يغادرتهم
وعبدوها توهمًا في وساطتها ، وعكفوا عليها طمعًا في شفاعتها . وصدق الله
سبحانه وتعالى إذ يصور ذلك أيضًا فيقول : " أَلُمِّلِ الدِّينَ الْخَالِصُ ،
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ، مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " (١)
"وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ " (٢) .

ألا ترى أنهم لم يكونوا يعترفون لتلك الأصنام بشيء من الفضل سواء
في الخلق أو في الرزق . . . إنما كانوا يرجعون الفضل في ذلك كله لله
سبحانه وتعالى . وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ، دليل على
ذلك . فقد روى عمران بن حصين عن أبيه " أن قريشا جاءت وكانت تعظمه
فقالوا له : كرم لنا هذا الرجل ، فانه يذكر آلهتنا ويسبهم " . وجاءوا
معه حتى جلسوا قريبًا من باب النبي صلى الله عليه وسلم . فكان مما دار بين
حصين هذا رضي الله عنه وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن قال حصين :
" ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ؟ فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : " يا حصين ، كم تعبد من اله ؟ قال : سبعة في الأرض وواحد
في السماء . قال : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء
قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال صلى
الله عليه وسلم - فيستجيب لك وحده ، وتشركهم معه . (٣)

تلك كانت في الجاهلية ، حال القبائل العربية . أو قل حال أكثر القبائل العربية . اجتماع على عبادة الأوثان . وإن كان قد بقي لهم مما ورثوه عن أبويهم الكريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، آثارة من معرفة لله تعالى ، وحب للبيت الحرام وحب لاعتباره والحج إليه كما تيسر لهم ذلك . ولكنهم كانوا قد خلطوا تلك المناسك بأقوال من أهوائهم ، وأفعال ما أنزل الله بها من سلطان .

فكانت نزار مثلاً تقول في تلبيتها : (١)

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ	لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ
إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ	تَطَعْتُكَ وَمَا مَلَكَكَ

ولما جاء الإسلام الحنيف أعاد للتلبية صفاءها ونقاها ، وذلك منذ اللحظة الأولى لبعثة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان المشركون يقولون : لبيك لا شريك لك ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلكم قُتِرَ قُتِرَ ، فيقولون : الا شريكا هو لك ، تطعه وما ملك " (٢)

على أن خلط المشركين لتلك الشعائر بما في نفوسهم من أهواء لم يقتصر على التلبية وحدها ، بل تعداها إلى ماليين هنا مجال حصره . قال ابن الكلبي : " وكانت ربيعة إذا حجت فقصت المناسك ، ووقفت في المواقف نفرت في النفر الأول ، ولم تُقِمْ في التشريق " (٣)

وخلاصة الأمر أن شأن ربعة في التدين كان شأن بقية العرب
لا يجمع شتات هادين معين ، وان اجتمع أكثرها على عبادة الأصنام ، حتى
كان لها كما يذكر اليعقوبي صنم خاص اسمه ذو الكعبات . (١) ثم تنصر
بعضها كما رأينا عند تغلب التي دخلت تحت حكم الاسلام بنصرانياتها -
كما نعلم - وبقيت عليها .

وأما بنو عبد القيس ، فلم تتعكن النصرانية منهم ، تمكنها من تغلب
بل ان الاسلام نفسه بقى مدة قبل أن يتمكن منهم . فقد كانوا بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ، أول المرتدين ، تحت زعامة بنو حنيفة وهم
فرع منهم . وكانوا كما يقول ابن خلدون أشد المتحمسين لمسيح
الكذاب . (٢)

ولعل شاعرنا طرفه بن العبد ، كان على شاكلة قومه ، غير مستقر
على دين . بل لعله كما سنرى عند دراسة شعره - كان أشد منهم بعدا
عن الأديان . فان له في الحياة آراء خاصة لا ارتباط لها بأي دين .

شعره ربعة :

لقد حظيت ربعة في الجاهلية من الشعر بنصيب كبير . وكان لها
عدد من الشعراء غير قليل . وكان كثير منهم - كما يذكر الباحثون -

(١) انظر تاريخ اليعقوبي - دار صادر وبيروت - ٢٥٥/١
(٢) انظر تاريخ العبر ١٠٤/٢ ، وقد اشتهر قولهم : " ولكن كذاب ربعة "

من الفحول المجيدين ، وهكذا فان ربيعة - كما امتازت بصريح نسبها الى اسماعيل عليه السلام (١) فقد امتازت بكثرة الشعراء فيها . وقد كانت للشعراء في الجاهلية المكانة الاسمى والمنزلة الاعلى . قال اليعقوبى : " ولم يكن لهم شئ يرجعون اليه من أحكامهم وأفعالهم الا الشعر فيه كانوا يختصمون ، وبه يتمثلون ، وبه يتفاضلون ، وبه يتقاسمون ، وبه يتناضلون وبه يُمدحون ويُعابون " (٢) فما كان أعظم حظ ربيعة اذن بكثرة الشعراء فيها . .

ولقد كانت القبيلة تفرح بنبوغ شاعر من أبنائها ، فكيف لا تفرح بتعدد شعرائها . ٢٢ . وهم الذين يرفعون لواءها ، ويهجون أعداءها ، ويذيعون في الناس مكارمها ، ويحمون بينهم بالسنتهم محارمها . فهم بين هذا وذاك أبواق دعايتها ، وأصوات اذاعتها ، ووسائل اعلامها . قال ابن سلام : " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، واليه يصيرون " . (٣) وروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : " كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه " . (٤) فكيف لا تعتبر كثرتهم في ربيعة اذن مزية من المزايا التى اختصت بها .

بل لقد حظيت ربيعة بمزية أخرى ، وهى أن الشعر أول ما كان فيها قال ابن سلام : " وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم

المهلهل . (١) وفى المهلهل هذا يقول ابن سلام أيضا : " وكان أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة " . (٢) بل إن الرواة قد بالغوا فى نسب أولية الشعراء ربيعة حين ذكروا أن ربيعة بن نزار نفسه - كان يقول الشعر . وهو جد القبيلة الأول . روى الأصمعي . قال : " أخبرنى شيخ من تغلب قال : أردت أن أبى فلما أصحر رفع عقيرته — فقال :

رَأَتْ سِدْرَةً مِنْ سِدْرِ حَوْمَلٍ فَابْتَتَتْ	بِهِ بَيْتَهَا أَنْ لَا تُحَاذِرَ رَامِيَا (٣)
إِذَا هِيَ قَامَتْ فِيهِ قَامَتْ ظِلِيلَةً	وَأَدْرَكَ رَوْقَاهَا الْغُصُونُ الدَّوَانِيَا (٤)
تَطْلُعُ مِنْهُ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى	تَطْلُعُ ذَاتُ الْخُدْرِ تَدْعُو الْجَوَارِيَا (٥)

ثم قال :

أترى من قائل هذه الأبيات يابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية " . (٦)

ولقد ذهبت استقصى شعراء ربيعة فى الجاهلية ، فوجدت عنتا ومشقة فبعض المصاد ولم يكن يعنى أصحابه بفرز الشعراء الجاهليين من المسلمين وبعضها الآخر وهم أصحابه فى نسب بعض شعراء الجاهلية ، فجعلوهم مسلمين . (٧)

أما العقبة الكئود فهونندرة الأخبار التى وردت عن أولئك الشعراء ، فقد أطنب الباحثون فى الحديث عن الفحول والعظماء ، وقلت فى مصادرههم أخبار من كانوا منهم من الشعراء .

ولذلك فأنى قد قصرت الحديث على أربعين شاعرا من شعراء ربيعة
ثبت لدى أنهم جاهليون من ناحية ، وتحدث عنهم أو اختار لهم - من ناحية
أخرى - كبار العلماء القدماء كالمفضل والاصمعي وابن سلام وابن قتيبة
وغيرهم .

قال ابن سلام في طبقات الفحول : " وكان شعراء الجاهلية في ربيعة
أولهم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو
بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس (١)
ولعلنا ندرك بسهولة أن تعداد ابن سلام هذا للجاهليين من شعراء ربيعة
كان على سبيل المثال لا الحصر . فانه لم يذكر فيه غير عشرة منهم . وقد
حفظت كتب الأدب وتاريخه في الجاهلية لربيعة من الشعراء أكثر من هذا
العدد بكثير . ولا عجب في ذلك فان عمل ابن سلام - كما يقرر ذلك بنفسه
هو اختيار لشعراء العرب المعروفين ، مقتصرًا على أربعين فقط من الفحول
المشهورين . (٢)

ولذلك فانه يعود فيذكر بعضًا من شعراء ربيعة الآخرين كعمرو بن
كثوم (٣) وسويد بن أبي كاهل (٤) والمثقب العبدى (٥) ، والممـ
العبدى (٦) ، والمفضل النكري (٧) . وبذلك يكون من ذكرهم ابن سلام من
شعراء ربيعة الذين كانوا في الجاهلية ، خمسة عشر شاعرا لا غير .

وكان المفضل الضبي قد اختار في مفضلياته لسبعة عشر شاعرا من شعراء
ربيعة الجاهليين ، وهم : المسيب بن علس ، والحارث بن حلزة ، والمثقب
العبدى ، والاخنس بن شهاب ، وجابر بن حنن ، والمرقشان الاكبر والا صغر

وشعلبة بن عمرو العبدى ، وعميرة بن جعل ، وأفنون التغلبى ، وبشر بن عمرو بن مرثد ، وعبد المسيح بن عسلة ، ويزيد بن خذاق الشنى ، والممزق العبدى ، ومرة بن همام ، وراشد بن شهاب اليشكرى .

والمفضليات - كما يقول محققاها الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام عارون - هى " أقدم مجموعة صنعت فى اختيار الشعر العربى " (١) . . . ولا نعلم أحدا قبل المفضل الضبى أقدم على أن يصنع للناس اختيارا من الشعر (٢)

ثم جاء الأصمعى فاختار فى أصمعياته لأحد عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين ، وهم : الحارث بن عباد ، وطرفة بن العبد ، والمتلمس والمرقش الأصغر ، والمفضل النكرى ، والممزق العبدى ، ومهلhel بن ربيعة وعقبة بن سابق الهزاني ، والمنخل بن عامر اليشكرى ، وشمر بن عمرو الحنفى وعُلباء بن أرقم بن عوف . ويعرض الأصمعى على المفضليات يتضح لنا أن الأصمعى قد اختار لاثنين فقط من شعراء ربيعة الجاهليين كان المفضل قد اختار لهما ، وهما المرقش الأصغر والممزق العبدى . وأما التسعة الآخرون الذين اختار لهم الأصمعى ، فلم يكن المفضل قد ذكرهم .

ثم جاء ابن سلام فذكر فى طبقات فحول الشعراء خمسة عشر شاعرا من شعراء ربيعة الجاهليين كما رأينا . وهم خمسة من الذين اختار لهم المفضل فى مفضلياته ، وأربعة من الذين اختار لهم الأصمعى فى أصمعياته واثنان اختار لهما المفضل والأصمعى كلاهما ، ثم انفرد ابن سلام بذكر أربعة لم يذكرهم المفضل ولا الأصمعى وهم سعد بن مالك وعمرو بن قميئة والأعشى وعمرو بن كلثوم .

ثم جاء أبو تمام فاختر في حماسه الكبرى والصغرى لأكثر من عشرين شاعراً من شعراء ربيعة الجاهليين ^(١) . كان الكثيرون منهم قد ذكروهم سابقوه ولكن بعضهم لم يكونوا قد ذكروه . كسهل بن شيان المشهور بالفند الزمانى وحجر بن خالد ، وباعث بن هجرم ، وقتادة بن مسلمة . وغيرهم .

ثم جاء ابن قتيبة فتحدث في الشعراء والشعراء عن سبعة عشر شاعراً من شعراء ربيعة الجاهليين ، ولكنه لم ينفرد الا بذكر سويد بن خدّاق الشنى ، أخى يزيد بن خدّاق ، أحداً الذين اختار لهم المفضل .

وقد ذكر غير أولئك العلماء من شعراء ربيعة الجاهليين عمرو بن قيس المشهور بالأصم ، وعمرو بن مالك المشهور بالأعلم العبدى ، وبسطام بن قيس وعمرو بن حلزة ، والخرنق بنت بدر بن هفان ، وبهولاء يبلغ عددهم أربعين شاعراً .

وهناك غير هؤلاء - كثير من شعراء ربيعة ، الذين تناثرت أسماؤهم وبعض أشعارهم في كتب التراجم والاختيارات ، كحماسة البحتري ومؤلف الآمى ومعجم المرزبانى . (٢)

ولكن الهدف هنا ليس احصاء جمع شعراء ربيعة ، ولا سرد أخبارهم أو نقل أشعارهم ، بل ان الهدف هو تسليط الأضواء على الأجواء الأدبية التى ولد وعاش فيها شاعرنا طرفة بن العبد . وفي الحديث عن هؤلاء الأربعة غناء وأى غناء .

ولما كانت المصادر التاريخية والأدبية ، وكتب الأنساب والمعاجم لا تسعفنا بذكر تواريخ أولئك الشعراء حتى نتحدث عنهم حسب أقدميتهم - كما هو الأصل - فاننا سنلجأ الى ترتيبهم ترتيباً هجائياً وذلك بما اشتهروا به من الأسماء والألقاب . متعرضين لأهم أخبارهم وممثلين بأجود أشعارهم ، وأولئك هم :

- (١) الأخنس بن شهاب ، وهو : الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ^(١) قال الأمدى : "وهو أحد الشعراء والفرسان ، وصاحب القصيدة المختارة التى أولها :
- لَا بُنَىَّ حِطَّانَ بْنَ عَوْفٍ نَزَّازُ كَمَا نَقَشَ الْعُنْوَانُ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ ^(٢)
- ومن جيد شعره قوله فيها فيما اختار له المفضل :
- وَأَنْ قَصْرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ ^(٣)
- قال ابن الأبنارى : (" وهو أول العرب ، وصل قصراً لسيوف بالخطى ^(٤))

(١) انظر شرح المفضليات لابن الأبنارى ص ٤١٠ ، والمؤتلف للأمدى ص : ٣٠ ، وضبط نسب الشاعر هو : الأخنس (كالا علم) ، وشهاب (ككلاب) وشريق (كزهير) ، وثمامة (كأسامة) ، وأرقم (كأحمد) ، وعدى (كعلو) وغنم (بالغين المعجمة كصخر) ، وهنب (كهند) وأفصى (بالفاء كأفعى) ، ودعى (كدرى وسنى) ، وجديلة (كقبيلة) .

(٢) انظر المؤلف ص ٣٠ والرق (بالفتح) : الصحيفة البيضاء ، وأوالجسد

(٢) والأصم ، وهو " عمرو بن قيس بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي

ربيعة بن ذهل بن شيان " (١) . أحد فرسان بني شيان وسادتها

وذوى النباهة فيها . وهو الذي برك بين الصفين يوم الزورين ، وقال

لقومه : " قاتلوا عني ولا تغفروا حتى أفر " (٢) . ومن جيد شعره قوله : (٣)

لَمَّا تَدَاعَيْتُمُوهُ وَالنَّعْ مَعْتَكِرُهُ يَا لَلْأَرَامِ ، نَابُنَا يَعْلُوَانِ (٤)

فَاسْتَلْحَمَ الْمَوْتَ مِنْ حَانَتْ مَنِيَّتِهِ مَنْ كَانَ فَارِسَ قَوْمٍ غَيْرِ شِيَانِ (٥)

كَمْ مِنْ فَتَاةٍ أَصَابَ الْمَوْتُ قِيَمَهَا فَالِدَّ مَعُ مِنْهَا بَتَهَتَانٍ وَتَسْنَانِ (٦)

- قال اللمدي : " وابنه مفروق شاعر ، وكان أشعر من أبيه " (٧) وهو

القاتل : (٨)

وَلَرَبَّ أَبْطَالٍ لَقِيتُ بِمِثْلِهِمْ فَسَقَيْتُهُمْ كَأْسَ الرَّدَى وَسُقِيتُ

وَأَخٍ يُجِيبُ السُّتُضَافَ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلُ تَعَثُرُ فِي الْغُبَارِ رُزِيتُ (٩)

فَلَا تُطْلَبَنَّ الْمَجْدُ غَيْرَ مَقْصُودٍ إِنْ مِتُّ وَإِنْ هَيَّيْتُ حَيَّيْتُ

(١) المؤلف ص ٥١ ، وضبط ذهل (كجهر)

(٢) انظر العقد الفريد - ط الاستقامة - ٥٤ / ٦ ، والكامل - بيروت - ٦٠٥ / ١

(٣) المؤلف ص ٥٢

(٤) النع الغبار والجمع نفاع (كسلاح) (اللسان نفع) ، والاعتكار الكثرة

والاختلاط (اللسان عكر) ، وعُلُوَان شعار بني ربيعة (من المؤلف

ص ٥٢)

(٥) استلحم أي أصابولحق (اللسان لحم) ، والثنيان (كالشعبان) الذي

يكون دون السيد في المرتبة والجمع ثنية (كفتية) (اللسان ثنى) .

(٦) القيم الزوج ، وهتنت السماء (من باب ضرب) ، وهتونا وهتانا (كغليان)

وتهتانا (يوزن غضبان) ، وتهاتنت : أي صبت مطرها . (اللسان هتن)

(٣) والأعشى ، وهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . . (١) الشاعر المشهور المقدم . كان أعشى ويكنى أبا بصير ويسمى صناجة العرب . وكان يفد على ملوك فارس ، ويمدح ملوك الحيرة . وفي أحد هم يقول في قصيدته التي مطلعها : (٢)

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجْهُهُ الرِّجَالُ (٣)

والأعشى من أصحاب المعلقات ، شاعر طبق ذكره الأفاق ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من طبقات الفحول في الجاهلية مع امرئ القيس والنابغة وزهير . (٤) وقد كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة (٥) وقد أدركه الإسلام ولكنه لم يسلم . (٦)

ومن طريف أخباره أنه أنشد بين يدي كسرى قصيدته التي مطلعها :
أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السَّهَادُ الْمُسَوَّرُ وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
فلما فسرت لكسرى قال : ان كان هذا سهرل غير سقم ولا عشق ، فما هو
الا لص (٧)

(١) اقتضرت في نسبه علي بكر بن وائل ، وبقيّة النسب إلى ربيعة بن نزار معروف فقد ذكرته في الأحنس . وضبط آباء الأعشى هو : جندل (كثعلب) وشراحيل (كساحيق) ، وعوف (كلون) ، وضبيعة (كجهينة وعنيزة) وثعلبة (كجمهرة) ، وعكابة (كسراقة وقحافة) ، وصعب (كصخر) .

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٨ وما بعده (ط دار صادر -

(٤) والاعلم العبدى ، وهو عمرو بن مالك بن ضبيعه بن قيس بن ثعلبة ، ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . من شعراء ربيعة القدماء ، ومن قوم طرفة الاذنين ، كما يتضح من نسبه . ومن جيد حكمه فيما روى ابن الاعرابي له :

وَيُزِرِّي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَخْيَلًا^(١)
ومن طريف ما روى المرزبانى فى الموشح أن أحد بنى قيس بن ثعلبة ، سمع الفرزدق وهو ينشد قصيدته التى مطلعها :

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْرِفُ^(٢) وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَدَرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ^(٣)
(٣)

فأنكر عليه سرقة لآبيات فيها ، وقال : " ياعد والله سرقتنا قول صاحبنا الاعلم العبدى . فقال له الفرزدق : " اذهب فخذها من الرواة " .^(٤)

(١) المؤلف ص ٢٠

(٢) عزف يعزف عزفا (كضرب يضرب ضربا) فهو عزوف (كصبور) : انصرف عن اللهو فلم يشتهه ، وعن النساء فلم يصب اليهن (اللسان عزف) . وأعشاش (كأقلام) : موضع بالبادية ، وقيل فى ديار بنى تميم (انظر اللسان عشش) . والحدراء من النساء الحسناء الممتلئة تشبيها لها بالحدراء من الابل (انظر اللسان حدر) أولعله اسم امرأة . والقصيدة فى ديوان الفرزدق ٣٢/٢ .
وبيت الفرزدق هذا فى اللسان مادة عزف ، ومادة عشش ، ومادة حدر

(٣) هى الآبيات ذات الأرقام من ٤٤ - ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ (انظر جمهرة القرشى - بتحقيق الجاوى - ص ٨٦٦ - ٨٨٨) .

(٤) انظر الموشح ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٥) أفنون التغلبى : وهو صريم بن معشر بن زهل بن تيم بن عمرو

ابن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . (١) وقيل ان اسمه ظالم بن معشر . (٢) وقد لقب بأفنون لقوله :

قَنَيْتَنَا الْوَدَّ يَا مَضْمُونُ مَضْمُونَا أَيَا مَنَا إِنَّ لِلشَّبَانِ أَفْنُونَا (٣)

ومن جيد شعره قوله ، فيما اختار له المفضل : (٤)

فلا خير فيما يكذبُ المرءُ نفسه وتَقُولُهِ لِلشَّيْءِ : يَا لَيْتَ نَالِيَا
لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقاسى إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا

(١) انظر شرح المفضليات ص ٥٢٢ - ٥٢٣ ، والشعر والشعراء ص ٢١٣ وضبط نسبه هو صريم (كزهير) ، ومعشر (كطعب) ، وزهل (كجرح) وتيم (كعين) ، وحبيب (كزهير) .

(٢) انظر المؤتلف ص ٢٢٥

(٣) انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٣٣٦ والسمط ص ٦٨٥ والمؤتلف ص ٢٢٥ والضَّهَّانة (كالصدقة) : الحب والعشق ، ورجل ضمن (كقطن) ، أى عاشق . والضمان : الكفالة ، فمضمون الاولى بمعنى معشوق والثانية بمعنى مكول أبدا . (انظر اللسان ضمن) والفن والأفنون الضرب من الشيء ، ورجل مفن (بكسر الميم وفتح الفاء وتشديد النون) أى يأتى بالأعاجيب وأفنون الشباب أوله وأفنون السحاب (أوله أيضا) وضبطه يضم فسكون (انظر اللسان م فتن) .

٦) وباعث بن صريم ، وهو باعث بن صريم بن أسد بن تيم بن شعلبه بن
غير بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . (١)
قد روا بأخ له اسمه وائل فقتلوه فهيج باعث قومه عليهم ، وقادهم اليهم
وقتل منهم وأسر . وفي ذلك يقول : (٢)

سَأَلَ أُسَيْدٌ هَلْ ثَارَتْ بَوَائِلُ أَمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا (٣)

(٤)

وفيها يقول :

وَحِمَارِغَانِيَّةٌ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُشْرًا بِشِمَالِهَا (٥)
وَعَقِيلَةٌ يَسْمَى عَلَيْهَا قَيْسٌ مُتَغَطِّرُسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا (٦)
وَكَتِيبةٌ سَفَعَتِ الْوُجُوهُ بِوَأْسِهَا كَالْأَسَدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا (٧)
قَدْ قَدْ تَأَوَّلَ عَنفَوَانٌ رَعِيلُهَا فَلَهَفَتْهَا بِكَتِيبةٍ أَمْثَالِهَا (٨)

(١) انظر شرح حماسة أبي تمام للتبريزي - طبعة بولاق - ٤٩/٢ ، وضبط نسبه
هو غير (كذ هل وجرح) والباقي مر ذكره .

(٢) نفس المصدر وانظر السمت ص ٤٧٦

(٣) أسيد اسم قبيلة ، والبلبال الاهتمام بطلب الثأر

(٤) شرح الحماسة (ط بولاق ٥٠/٢ - ٥١) ، والسمت ص ٤٧٦

(٥) سُبَيْتٌ أول النهار فرفعت خمارها بشمالها للهرب ، فلما اطمانت آخر النهار
عقدته برأسها . قال البكري " وخيل الشمال دون اليمين لأن اليمين هي التي
يستعان بها في العدو . وأما شِمْرة الساعي الناجي ، وَحْمَلُهُ لشيء إنما
يكون بشماله " انظر السمت ٤٧٦ .

(٦) العقيلة الكريمة ، والقيم الزوج ، والمتغطرس صاحب النخوة ، يقول أغرت على
حيها فشمرت عن ساقها للهرب فظهر خلخالها .

(٧) الكتيبة الجيش ، وسفع الوجوه يبد وعليها السواد من حر الشمس .

(٨) العنفوان أول الشيء ، والرعييل جماعة الخيل ، يقول : لقد قدت سوابق أوائل
الخيل وخضت بهم كتيبة مثلهم . (انظر شرح الحماسة - ط بولاق ٥١/٢)

(٧) ويسطام بن قيس ، وهو بسطام بن قيس بن خالد بن عبد الله
ابن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة . بن
عكابه بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل . (١) أحد شجعان العرب -
المعدودين ، وأحد فرسانهم المشهورين . (٢) كانت له في أيام ربيعة مع
تميم صولات مشهورات ، ويطولات معروفات . وقد قتل في أحدها فدهمت
عليه عيون رجال بني ربيعة ، وشقت عليه جيوب نسائهم . حتى أنهم ظلوا
يعرفون موضع دفنه بالصحراء . (٣) ومن فخره قوله : (٤)

أُرُونِي بِسَعُودٍ وَقَيْسٍ وَخَالِدٍ وعمرو وعبد الله بن أبي الباق والندي
وسرتُ على آثارهم غير تـُـكـارِكٍ وصيتهم حتى انتهيت إلى المدي

(٨) بشر بن عمرو - وهو بشر بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس
ابن ثعلبة بن عكابه بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل . (٥) وهو ابن ابن عم
طرفه بن العبد وزوج اخته لأمه الخرنق بنت بدر بن هفان . (٦) ومن جيد
شعره قوله يمدح قومه فيما اختار له المفضل (٧) :

وترى جِيَادَ شِيَابِهِمْ مَخْلُولَةً والمشرقية قد كسوها الذهباً (٨)
غَلَبَتْ سَمَاحَتُهُمْ وَكَثْرَةُ مَالِهِمْ لَزِيَّاتٍ دَهْرَ السَّوْءِ حَتَّى يَذْهَبَا (٩)

(١) انظر المؤلف والمختلف للأمدى ص ٨٣ - ٨٤ ، ويسطام (كمقلام وميزان)
وهمام (كشاداد) .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ .

(٣) انظر جمهرة اللغة (حسن) .

(٤) المؤلف ص ٨٤ .

(٥) انظر شرح الفضليات ص ٥٥١ والمؤتلف ص ٧٧ وقد أكملت النسب عنه غيره .

(٦) انظر السمط ص ٧٨٠ .

(٧) انظر المفضلية ٧١ .

٩) وشعلبة بن عمرو العبدى ، وهو شعلبة بن حزن بن زيد مائة بن الحارث بن
 ابن شعلبة بن سليمة بن مالك بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز
 ابن أقصى بن عبد القيس بن أقصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة
 ابن نزار بن معد بن عدنان * (١)

ومن جيد شعره قوله : (٢)

أَمِنْ حَذَرِ آتَى الْمَهَالِكِ سَكَايَرَا وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مُتَالِفٌ !

* *

(١٠) وجابر بن حنى ، وهو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو
ابن معاوية بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب
ابن بكر بن وائل (١) أحد شعراء بنى تغلب الذين أكثر العلماء
من ذكرهم والاستشهاد بشعرهم . ومن جيد شعره قوله فيما اختار
له المفضل : (٢)

نُعَاطِي الْمُلُوكَ السَّلَامَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْمُومٍ
وَكَاثِنٌ أَزْرَنَّا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ إِذَا مَا أَرَدْنَا أَوَّاسَةً طَائِفًا

(١١) والحارث بن حلزة ، وهو الحارث بن حلزة بن مكروه بن بُدَيْدٍ
ابن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن حشم بن ذبيان بن كنانة
ابن يشكر بن بكر بن وائل (٣) أحد شعراء الجاهلية المشاهير
جعل له ابن سلام فى الطبقة السادسة من طبقات الفحول مع عمرو
ابن كلثوم وعنترة بن عمرو بن شداد وسويد بن أبى كاهل (٤) وهو
صاحب المعلقة المشهورة التى مطلعها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِيٍّ يَمْلِكُ مِنْهُ الثَّوَاءُ

ويقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند . وإنه - لبرص كان
فيه - أنشده أياها من خلف قبته ، فلما سمعها عمرو بن هند أمر
برفع السجف (٥) بينهما استحسانا لها ، ودعا الحارث فأكرمه
وأدناه . (٦)

(١) انظر شرح المفضليات ص ٤٢٢ ، وضبط نسبه هو : (حنى) (كدبى

وقصى ولوى) . (٢) انظر المفضلية ص ٤٢ .

(٣) انظر طبقات ابن سلام ص ١٥١ ، وشرح المفضليات ص ٥١٥ ،
وضبط نسبه هو : حلزة (بكسر الحاء) وتشديد اللام وكسرها أيضا

(١٢) والهارث بن عباد، وهو الهارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل^(١) . أحد زعماء بكر بن وائل المشهورين ، وأحد عقلائها المعدودين . كان قد اعتزل القتال بين بكر وتغلب طمعا في الصلح بينهما ، كما سنرى في أيام ربيعة ، ولكن طغيان تغلب بزعماء المهلهل بن ربيعة ، جعله يعود إلى القتال .

وفي ذلك يقول ، فيما اختار له الأصمعي^(٢) :

قَرَّبَا مَرِيضَاتِ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقَعَتْ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حِيَالِ^(٣)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بِحَرْبِهَا الْيَوْمَ صَالِ

(١) هو الهارث بن عباد (كنز أبع) في جميع المصادر كجمهرة الأنساب ص ٣٠٥ ، ٣٢٠ وحيوان الجاحظ ٢٢/١ ، ٣٦١/٣ ، ٣٦٢ ، ١٠٣/٦ وفي السمط ٧٥٧ . وقد ضبطه محقق السمط الأستاذ عبد العزيز الميمنى وروى للفرزدق مستشهدا :
أَرَاهَا نَجُومَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حِيَالِ بَنَاتِ الْهَارِثِ بْنِ عُبَادٍ
والبیت للفرزدق في ديوانه ١٣٤/١ من قصيدة قالها في زوجه النوار . وذلك أنه تزوج عليها من بنات الهارث بن عباد فغارت وقالت " تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين " .
وللمهلهل في قصيدته الرائعة عندما قتل بجير بن الهارث ابن عباد قوله :

هَتَكْتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبَادٍ وَبِضِّ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ
ولم يشذ عن ذلك من مصادر غير ذيل الأمالي حيث ذكره في موضعين ٢٦/٣ ، ١٨٥ باسم الهارث بن عباد (كشاد) ، ولست أدري من أين كان الوهم أمن القالي نفسه أم من محقق الأمالي .

(٢) انظر الأصمعي . ق ١٧٠ الج ١٠ ، ٢٢/١ ، ٢٢٨ ، ٣٩

(١٣) وحجر بن خالد ، وهو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ٠٠ بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (١) وهو من رهنط طرفة بن العبد كما نرى من نسبه وقد اختار له أبو تمام في حماسه أكثر من مقطوعة ، ومنها : (٢)

كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا	مَا إِنْ تَزَالَ تَرَى لَهَا أَهْوَالاً (٣)
وَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تُرِيدُ عَاجِزًا	غَسًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مَقْزَالًا (٤)
وَاسْتَبْدَلِي خَتْنًا لِأَهْلِكَ مِثْلُ	يُعْطَى الْجَزِيلُ وَيُقْتَلُ الْأَبْجَالُ (٥)
غَيْرَ الْجَدِيرِ بِأَنْ تَكُونَ لِقَوْحِهِ	رَبًّا عَلَيْهِ وَلَا لِفَصِيلُ عِيَالُ (٦)

(١٤) والغرنيق ، وهي بنت بدر بن هفان بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ٠٠٠ (٧) إحدى الشاعرات المشهورات في الجاهلية ، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه ، وكانت تحت بشر بن عمرو بن مرثد ، الشاعر الذي مر بنا ذكره ومن جيد شعرها قولها ترثي أخاها طرفة : (٨)

عَدَدْنَا لَهُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ حِجَّةً	فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا
فَجَعَلْنَا بِهِ لَمَّا أَنْتَظَرْنَا يَا بَسَهُ	عَلَى خَيْرِ حِينٍ لَأَوَّلِيدًا وَلَا قَحْمًا (٩)

(١) انظر شرح الحماسة - ط بولاق - ١٨٣/١ وحجر (كجرح ونهل)

(٢) انظر شرح حماسة أبي تمام - للتبريزي - طبعة بولاق - ١٨٣/١ ،

٢/٤ ، ٣٧٢/٢ ، ٣٩٩/٢

(٣) كلبية امرأة من كلبه جعل صدر البيت لاختبار عنها ، ثم نقل الكلام إلى مخاطبة نفسه .

(٤) الغس الضعيف ، والبرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، والمعزال الذي لا ينزل مع القوم في السفر ولكن ينزل ناحيته . يقول في طلبه مثلي .

(٥) الختن الصهر ، ومثله مبتدأ وخبره يعطى .

(٦) غير الجدير صفة للختن ، واللحوق صفة للناقة إذا كان بها لبن . بقا ، اطلب . لاهلك صبا غدا مستعد لما له . (مدد بذلك

(١٥) وراشد بن شهاب ، وهو راشد بن شهاب بن عبدة بن عصم
ابن ربيعة بن عامر بن جهيل بن ثعلبة بن غبر بن حبيب بن كعب
ابن يشكر بن بكر بن وائل. أحد فرسان ربيعة وشعرائها . ومن
جيد شعره قوله فيما اختار له المفضل: (١)

وَلَا تُوعِدْنِي إِنْ تَنَبَّأْتُ تَلَاقِنِي مَعِيَ مَشْرِفِي فِي مَضَارِبِهِ قَضَمُ (٢)
وَنَبْلُ قِرَانٍ كَالسُّيُورِ سَالِجِي وَفَرْعٌ هَتُوفٌ لَأَسْقِي وَلَا نَشَمُ (٣)
وَمُتَّارِدُ الْكُتَيْبِ أَسْمَرُ عَاتِرُ وَذَاتُ قَتِيرٍ فِي هَوَاصِلِهَا دُرُ (٤)

* * *

(١٦) وسعد بن مالك ، وهو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. (٥) أحد سادات بكر
بن وائل وفرسانها في الجاهلية «(٦)» وهو جد طرفة بن العبد ، ومن
ذكرهم ابن سلام كواحد من شعراء ربيعة وهو القائل في يوم رُقْصَة ،
وكان لبكر على تغلب: (٧)

يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتُ أَرَاهِي فَاسْتَرَا حُوا

(١) انظر المفضلية ٨٦ ، وضبط نسبه هو : عبدة (كشجرة) وعصم (كرجل)
وجهيل (كسهيل) ، وغبر (كنهل وجرح) .

(٢) المشرف في السيف ، والقَضَمُ من السيف الذي طال عليه الدهر فتكسر حده
(٣) القرآن المتشابهة ، والسلاجم الطوال واحدها سلجم ، والفرع لقوس
أخذت من أعلى النض ، والهتوف ذات الصوت ، والسقي من الأشجار
ما شرب من ماء الأنهار ، والذي يشرب من المطر أعليه والنشم
شجر خوار (انظر في شرح هذه الآيات شرح المفضليات ص ٦١٢)

(٤) والمطر الدرم إذا هز اضطرب كله ، والعاتر الصلب ، والقدير
والسامة ، ذات قنط بعدد عده ، الدم الاستسقاء

والْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَاحِمِهَا التَّغِيلُ وَالْمِيسَرُ رَاحٌ (١)
إِلَّا الْقَتَى الصَّبَّارُ فِي النُّجْدَاتِ وَالْفَرَسِ الْوَقَّاحِ (٢)
وَالنَّثْرَةُ الْحَصْدَاءُ وَالْبَيْضُ الْمُكَلَّلُ وَالرَّمَكُ رَاحٌ (٣)

* *

(١٢) وسويد بن أبي كاهل ، وهو سويد بن أبي كاهل بن حارثة بن
حُسل بن مالك بن عبدسعد بن جُشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر
بن بكر بن وائل (٤) أحد فحول الجاهلية المعروفين. وضعه
ابن سلام في الطبقة السادسة ، مع عمرو بن كلثوم والحارث بن
حلزة وعذرة بن عمرو بن شداد (٥)

وهو صاحب القصيدة المشهورة :

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ °

- (١) الجاحم الملتهمه أى من كان ذا خيلاء ومرح ثم بلى بالحرب
شغلته عن خيلائه ومرحه . وقيل بل لا يصبر ذو الخيلاء والمرح
على حر الحرب وعلى ذلك يدل البيت الثانى .
- (٢) الصبار مبالغة من الصبر ، والنجدات الشدائد ، والفرس
الوقاح الشديد الحافر .
- (٣) النثرة الدرع الواسعة المحكمة السرد ، والحصدا * الجدلاء
المحكمة القتل .
- (٤) انظر شرح المفضليات ص ٣٨٢ ، والاغانى - ثقافة - ١٠٠/٣ وضبط
حسل (كثيب) .

قال ابن سلام : " وله شعر كثير ، ولكن برزت هذه على شعره " (١)
وهي التي اختارها له المفضل الضبي فيما اختار ، وقد بلغت عنده
مائة وثمانية أبيات وفيها يقول : (٢)

تَمْنَحُ الْمِرْأَةَ وَجْهًا وَاضِحًا مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصُّحُورِ ارْتَفَعَ
لَا أَلْفِئْهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا غَيْرَ الْإِلَامِ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعَ

(١٨) وسويد بن خذاق الشنئ ، وهو كما يذكر ابن قتيبة ، أخو يزيد
ابن خذاق الشنئ أحد الذين اختار لهم المفضل الضبي ، وهو شاعر
قديم أيضا ، من بني شنئ بن أفسى بن عبد القيس بن أفسى بن دُعْمَى
ابن جديلة ، بن أسد بن ربيعة . كان في زمن عمرو بن هند ، وقد
هجاه بقوله : (٤)

أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَأْتِيَ السَّيِّئُ أَهْلَهُ وَأَنْ قِيلَ عِيشَ بِالسَّيِّئِ غَزِيرُ
بِهَا الْبَقُّ وَالْحُمَّى وَأَسَدُ خَفِيَّةٍ وَعُمَرُ بْنُ هَنْدٍ عَتَدَى وَيَجُورُ (٥)

(١) طبقات ابن سلام ص ١٥٣

(٢) انظر المفضلية ٤٠

(٣) انظر الشعراء ص ٣٠٢ وسويد (كسبيل) ، وخذاق (كشاد)
والشنئ نسبه الى قبيلة شنئ (بفتح الشين وتشديد النون)

(٤) نفس المصدر ص ٣٠٣

(٥) الخفية (كالملطية) : غيضة ملتفة يتخذها الأسد عرينه
(انظر اللسان خفا) .

(١٩) وشمر بن عمرو الحنفى ، وهو أحد شعراء بنى حنيفة بن لجيم
ابن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وهم أهل اليمامة كما عرفنا
ومن جيد ما اختار له الأصمعى قوله : (١)

ولقد مررت على اللثيم يسبنسى
فمضيت ثمت قلت لا يعنينسى
وهو البيت الذى جرى على كل لسان

(٢٠) وطرفة بن العبد ، وهو موضوع دراستنا ، وسيأتى الحديث عنه
بالتفصيل ، فيما بعد أن شاء الله تعالى .

(٢١) وعبد المسيح بن عسلة ، وهو عبد المسيح بن حكيم بن عفير
ابن طارق بن قيس بن مرة ، بن همام بن مرة بن نهل بن شيبان
ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل (٢) . وأما
عسلة فهي أمه ، وقد نسب إليها . ومن جيد شعره فى الفخر قوله :

(١) انظر الأصعية ٢٨ ، وثمت هي ثم تزيد العرب تاء فى آخرها
فتختص بعطف الجمل ، واسم الشاعر شمر (بفتح الشين وكسر
الميم) وحنيفة (كقذيفة) ولجيم (كزهير) .

(٢) انظر شرح المنذليات ص ٥٥٦ ، والمؤتلف للأمدى ص ٣٣٥ ،
وضبطا نسب الشاعر هو : عسلة (كبصلة) ، وحكيم (كرحيم) ،
وعفير (بعين مهمل وفاء كزهير) ، وممة (كددة وقصة)

فيما اختار له المفضل: (١)

وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ آلِ مُرَّةٍ إِنْ أَكَلْتُمْ كُؤُومًا لَا تَرْقُوا كَلِمِي

(٢٢) وعقبة بن سابق الهزاني ، وهو من شعراء بني هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة^(٢) ، ومن جيد ما اختار له الأصمعي قوله يصف حصانه: (٣)

حَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنْكَبِ وَالْعُرْقُوبُ وَالْكَعْبُ^(٤)
جَوَادُ الشَّدِّ وَالْتَقْرِيبِ وَالْإِخْضَارُ وَالْعَقُوبُ^(٥)
يَزِينُ الْبَيْتَ مَرْبُوطًا وَيُشْفِي قَرَمَ الرُّكْبِ^(٦)

(٢٣) وعلباء بن أرقم ، وهو علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن كعب بن يشكر بن بكر بن زوائل^(٧) كان في زمن النعمان بن المنذر . ومن طريف ما يروون عنه أن النعمان كان قد حمى كبشاً ، وعلق في عنقه سكيناً وزنداً ، لينظر من يجترئ عليه ، فذبحه علباء وأكله^(٨) . ثم اعتذر للنعمان بقصيدة اختارها له الأصمعي فيما اختار . ومنها يصف تقلب زوجه معه يقول: (٩)

(١) انظر المفضلية ٧٢ وشرح المفضليات ص ٥٥٧
(٢) وعقبة (كشعبة وروبة) ، وهزان (بكسر الهمزة وتشديد الزاي) ، وصباح (كرباح) ، وعتيك (كعتيق) ، واسلم (كأحمد) ، ويذكر (كالضارع من ذكر) ، وعنزة (كشجرة) .
(٣) انظر الأصمعية رقم ٩
(٤) الطرف العين ، والعرقوب فيرجل الدابة بمنزلة الركبة في

فِيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِ مُقَسَّمٍ كَأَنَّ ظَبْيَةً تَعْطُو إِلَى نَاضِرِ السَّلَامِ (١)
وَيَوْمًا تُرِيدُ مَا لَنَا مَعَ مَا لَهَا فَإِنْ لَمْ تُنْزِلْهَا لَمْ تُنْزِلْنَا وَلَمْ تَنْزِلْ

(٢٤) وعمر بن حنظلة ، وهو أخو الحارث بن حنظلة الشاعر الفجسلي
المشهور (٢) والذي قد تحدثنا عنه سابقا . ومن جيد شعر عمرو هذا
قوله يرثي أخاه الحارث المذكور : (٣)

يَا مَنْ الْإِيَّامُ مَفْتَرِبَةٌ هَاهُنَا مَا رَأَيْنَا قَطُّ نَهْرًا لَا يَخُونُ
وَالْمُلَمَّاتُ فَمَا أُعْجِبُهُ هَاهُنَا لِلْمُلَمَّاتِ ظُهُورٌ وَبُطُونُ
رُبَّمَا قَرَّتْ عَيُونٌ بِشَجٍّ بِي مَرْمِضٍ قَدْ سَخِنَتْ مِنْهُ عَيُونُ

(١) مقسم أى جميل كله من القسم وهو الجمال والحسن (اللسان
قسم) ظبية بالحركات الثلاث بالرفع على تقدير ضمير الشأن
والنصب على أعمال كأن مخففة والجر على زيادة أن بيسن
الكاف ومجرورها . وتعطو تتناول يتعدي بنفسه وبالجر ف
والسلم شجر والبيت فى اللسان : وارق السلم (اللسان سلم)

(٢) انظر المؤلف ص ١٢٤ ، ومعجم الشعراء ص ٨

(٣) انظر المصدرين السابقين أيضا .

(٢٥) وعمرؤ بن قميثة ، وهو عمرو بن قميثة بن ذريح بن سميد
 ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . بن عكابة بن صعب بن علي
 ابن بكر بن وائل . (١) أحد فحول الجاهلية المشهورين ، القدماء
 قال الجاحظ بأنه " من أقدم الشعراء الجاهليين من عصر مهلهل
 ابن ربيعة التغلبي " . (٢)

وقد وضعه ابن سلام في الطبقة الثامنة من طبقات الفحول
 في الجاهلية . (٣) وكان عمر بن قميثة قد دخل بلد الروم مع امرئ
 القيس بن حجر فهلك ف قيل له عمرو الضائع " (٤) وإياه عنى امرؤ
 القيس بقوله :

بَكَى مَا حَبَى لِمَا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَتْرَكَ أَنَا لَاحِقَانِ بَقِيصَرَا
 (٦)

ومن جيد شعره قوله فيما ذكر ابن قتيبة واختار البحرى :

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَعْدَ يَوْمٍ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ
 وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ مَا لَسْتُ مُدْرِكًا وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ

(١) انظر الأغانى - ثقافة - ٧٦/٨ ، وقميثة كقبيلة ، وذريح (كزهير)

(٢) البخل ص ٢٧٠

(٣) انظر طبقات ابن سلام ص ١٥٩

(٤) الموتلف ص ٢٥٤ وانظر الموشح ص ٣٧

(٥) طبقات ابن سلام ص ١٦٠ والشعر والشعراء ص ٢٩٢

(٦) الشعر والشعراء ص ٢٩٣ ، وحماسة البحرى ص ٣٢١

(٢٦) وعمرو بن كلثوم ، وهو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ابن وائل (١) الشاعر الفارس المشهور . وأول فحول الطبقة السادسة من طبقات فحول الجاهلية عند ابن سلام (٢) . وهو قاتل عمرو بن هند أحملوك الحيرة - كما مر بنا - وصاحب المعلقة المشهورة .

أَلَا هَبِي بِصَحْنِكَ فَأَصْبِحْنَا وَلَا تَبْقِي خُمُورًا لِأَنْدَرِينَا (٣)

قال ابن قتيبة : " وكان قام بها خطيبا فيما كان بينهما وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب واحد السبع الطوال " (٤) وهي السادسة عند القرشي والخامسة عند الزوزني والسادسة عند التبريزي (٥) وفيها يقول

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدُ عَلَيْنَا	فنجهل فوق جهل الجاهلينا
فان قناتنا يا عمرو أَعْيَتْ	على الأعداء قبلك أن تلينا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا	وَأَنَا الْبَارِزُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَنَشْرِبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا	ويشرب غيرنا كُدْرًا وَطِينَا

(١) انظر الأغاني - ثقافة ٤٦/١٤ والمؤتلف ٢٣٢ وكلثوم (بضم الكاف) ، وعتّاب (كشداد)

(٢) طبقات ابن سلام ص ١٥١

(٣) الصحن القدح ، والصبوح شرب الغداة ، والاندريين موضع بالشام

(٤) الشعروا الشعراء ص ١٥٩ وانظر القصة في الأغاني - ثقافة -

٤٨٧/١١ والكامل ٥٤٨/١

(٥) وهي السابعة عند أبي جعفر النحاس .

(٢٧) وعَمِيرَةُ بنُ جَعْلٍ ، وهو عميرة بن جعل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حُبَيْب بن حُرْقَةَ بن ثعلبة بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنَم بن تغلب بن وائل (١) أحد شعراء ربيعة الجاهليين أيضا .
وان كان ابن قتيبة قد وهم في نسبه فجعله من شعراء ربيعة الاسلاميين (٢) ومن جيد ما اختار له المفضل الضبي قوله فى الوقوف بالاطلال (٣) :

ألا يا ديار الحى بالبركان خلت حججٌ بعدى لهن ثَمَانٌ (٤)
فلم يبق منها غيرُ نُؤيِّ مُهْتَمٍّ وغيرُ أوارٍ كالرَّكِيِّ دِفَانٍ (٥)
وغيرُ حطوبات الولائدِ نَعْنَعَتٍ بها الريحُ والأمطارُ كلُّ مكانٍ (٦)

(٢٨) والفندُ الزَّفَّانِي ، وهو شهل بن شيبان بن ربيعة بن زُفَّان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل (٧) أحد فرسان ربيعة المشهورين وأبطالها المعدودين . شهد حروب بكر وتغلب ابني وائل وقد قارب المائة ، فأبلى بلاءً حسنا ، والفند لقب غلب عليه لعظم خلقه ، فالفند القطعة من الجبل . أو لأنه قال لإحابه فى إحدى الحروب : استندوا إلى فانى لكم فندٌ . ومما اختاره لـ

(١) انظر شرح المفضليات ص ٥١٨ ، والمؤتلف ص ١١٤ ، وعميرة كجيلة ، وجعل (كزحل) ، وحرقة (بضم الحاء المهملة وفتح الراء - كهمة لمزة)

(٢) انظر الشعراء والشعراء ص ٥٤٣

(٣) انظر المفضلية رقم ٦٤

(٤) البردان موضع .

(٥) النؤي ، الحاجز حول الخباء . الأوار . (بالفتح) جمع آوار ، وهم

أبو تمام من قصيدته المشهورة : (١)

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي نَهْلٍ وَقَلْنَا : الْقَوْمُ إِخْوَانُ
عَسَى الْيَوْمُ أَنْ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانَ _____
فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ وَأُضْحِي وَهُوَ عُرْيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدَّانِ دَنَاهُمْ كَمَا دَانُوا _____

هذا وقد اختار له أبو تمام شعرا غير هذا أيضا . (٢)

(٢٩) وقتادة بن مسلمة الحنفى ، وهو أحد زعماء بنى حنيفة ،
وأحد كرمائهم وشجعانهم . مدحه طرفة بن العبد بقوله :
أَبْلَغَ قَتَادَةَ غَيْرَ سَائِلِهِ مِنْهُ الثَّوَابُ وَعَاجِلُ الشُّكْمِ
وكان قوم طرفة قد أجذبوا ذات سنة ، فأتوا قتادة فبذل لهم .
وكانت لقتادة أيضا مواقف في أيام ربيعة مع تميم ، هاهو ذا يقول
في أحدهما : (٤)

(١) انظر شرح حماسة أبي تمام للتبريزي - ج ١ ص ١٢٠ - (طبعة بولاق ١٢/١ - ١٣)

(٢) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٥١

(٣) انظر الديوان - ديوان طرفة - شرح الأعلام ص ٩٥ وقد جعله
قتادة بن مسلمة . ولكن ابن السكيت في روايته لديوان طرفة
(مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٥٢ أدب ش و ٩٦ أدب ش)
والخطيب التبريزي في شرح حماسة أبي تمام (طبعة بولاق ١٣٦/٢)
قد ذكره باسمه الصحيح وهو قتادة بن مسلمة .
(٤) شرح الحماسة - طبعة بولاق ١٣٨/٢

قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ (١)
 وَالْخَيْلُ فِي سَبَلِ الدَّمَاءِ تُعْمُ
 إِذْ تَتَقَى سِرَاقَ آلِ مُقَاعَسٍ
 حَدَّ الْأَسْنَةِ وَالسَيْفِ تَمِيمُ (٢)
 لَمْ أَلْقَ قَبْلَهُمْ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ
 أَحْمَى وَهْنٌ هَوَازِمٌ وَهَزِيمُ (٣)
 لَمَّا التَقَى الصَّفَانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا
 وَالْخَيْلُ فِي نَقْعِ الْعَجَاجِ أَرْوَمُ (٤)
 فِي النَّقْمِ هَامَةُ الْوُجُوهِ عَوَابِسُ
 وَبَيْنَ مَنْ دَعَسَ الرِّمَاحَ كَلَامُ (٥)
 يَمُتُّ كَبْشَهُمْ بِطَفْنَةٍ فَيُصَلِّي
 فَهَوَى لَعْرَ الْوَجْهِ وَهُوَ دَمِيمُ (٥)

(٣٠) والمتلمس ، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيـ
 ابن دوفن بن حرب بن وهب بن جُلَيِّ بن أحمر بن ضبيعة بن ربيعة (٦)
 وهو خال طرفة بن العبد . والمتلمس لقبه ، وقد سمي به لقوله :
 فهذا أوان العرش حتى نُبَاهُ زنا بيرة والأزرق المتلمس (٧)
 قال ابن قتيبة " وهو من أشهر المقلين في الجاهلية . (٨) وله هو وابن
 اخته طرفة قصة مع عمرو بن هند ، عرفت بصحيفة المتلمس
 سيأتى ذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .
 ومن جيد شعره قوله : (٩)

لَحِظْتُ الْمَالَ أَيْسَرُ مِنْ بَغْسَاءِ وَضُرِبَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
 وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ

- (١) تكافأ أى انكفأ مهزوما . والسبل ما سأل من المطر .
 (٢) هوازيم وهزيم هازيمات ومهزومات
 (٣) أروم جمع آرم والأزم الامساك والعض
 (٤) السهوم تغير اللون والدعس الطعن
 (٥) الكبش الرئيس ، والحسر الكريم . وقد تغير بعد طعنه .
 (٦) انظر جهمرة الانساب لابن حزم ص ٢٢٣ وطبقات ابن سلام ص ١٥٥
 والاغانى - ثقافة - ٥٢٤/٣ والموتلف ص ٩٥ ودوفن (كرونيق) .
 ووهيم (كمخر) ، وجلي (كقصي) ، وأحمر (كأحمد)
 (٧) طبقات ابن سلام ص ١٥٦ والشعر والشعراء ص ١١٤ والباز والتبين

(٢١) والمثقب العبدى وهو عائد بن مخصن بن ثعلبة بن وائلة
ابن عدى بن عوف بن ثمن بن عذرة بن منبه بن نكرة بن كيز
ابن أقص بن عبد القيس بن أقص بن دعى بن جديلة بن أسد بن
ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. (١) والمثقب لقبه وقد سمي
به لقوله :

أَرَيْنَ مَحَاسِنًا وَكُتْمَنَ أَخَى وَثَقْبَنَ الوَصَاصَ لِلْعِيُونِ (٢)

وهذا البيت من قصيدة جميلة اختارها له المفضل الضبي فيما اختار
ومطلعها : (٣)

أَفَاطَمُ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكُمَا سَأَلْتُ كَأَن تَبَيَّنِي

وفيهما يقول : (٤)

فَلَا تَعْدِي مَوَاعِدَكَ ذَبَاتٍ تَمْرِبُهَا رِيَا حُ الصِّفِّ دُونِي

فَإِنِّي لَوُتُخَالِفُنِي شِمَالِي خِلَافَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

ومن جيد قوله فيها : (٥)

فَإِذَا مَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقِّ فَا عَرَفَ مِنْكَ غَثِي مِنْ سَمِينِي

وَالْأَفَاطِرُ حَنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَّقِينِي

(١) انظر جمهرة الانساب ص ٢٩٨ وفيه سبب تسميته بالمثقب وانظر -

معجم الشعراء ص ١٦٧ وعائد (كفاعل) ، ومحصن (كمفعلة) ، وعدى
(كفعلى) ، ومنه (كنهل) ، وعذرة (كثمرة وصحبة) ، ومنبه (كمعلم)
ونكرة (كندرة) ، ولكيز (كرهير) .

(٢) انظر فى ذلك طبقات ابن سلام ص ٢٧١ والشعر والشعراء ص ٣١١ ،
وابن الأنبارى فى شرح المفضليات ص ٣٠٣ ، ص ٥٧٤ وابن دريد
فى الاشتقاق ص ٣٢٩ والبيت فى ديوانه ص ١٥٦ برواية أخرى
والوصاص الثقوب فى البراقع .

(٣) المفضلية ٧٦ وابن قتيبة ص ٣١٢ وحماسة البحتري ص ٧٩ ومعجم
الشعراء للمرزبانى ص ١٦٧ والبيت فى ديوانه ص ١٣٦ بخلاف
فى رواية عجزه .

قال ابن قتيبة : « وكان أبو عمرو بن الملاء يستجيد هذه القصيدة له ويقول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه » (١)



(٢٢) والمرقش الأصفر ، وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . والمرقش لقبه ، وهو عم طرفة بن العبد ، وابن أخي - المرقش الأكبر . (٢) وكان الأصفر أشعرهما ، وأطولهما عمرا . وهو الذي عثق فاطمة بنت المنذر (٣) اخت النعمان بن المنذر أحد ملوك الحيرة . وبها كان يشيب ، وله معها في شرح المفضليات قصص لا تغلظ من الطرافة . (٤) ولها يقول :

أفاطم لو أن النساء ببلدة
وأنت بأخرى لا تبعثك هائما
ومن جيد شعره قوله فيها ، وهو مما سبق إليه :

فَمَنْ يُلْقِ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَنْوِي لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَمْرَهُ (٥)

(٢٣) والمرقش الأكبر ، وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو عم الأصفر كما ذكرنا . (٦) قيل وقد لقب بالمرقش لقوله :

الدَّارُ قَفْرٌ وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَيْمِ قَلَمٌ (٧)

(١) الشعراء ص ٣١١ . (٢) انظر الاغانى دار الثقافة ١٢٩/٦ والمؤتلف ص ٢٨١ ومعجم الشعراء ص ٤ (٣) انظر شرح المفضليات ص ٤٩٣ وانظر في ذلك ايضا الشعراء ص ١٤٢

والمرقش الأكبر أحد عشاق العرب المشهورين، وقد قتله عشقه
وصاحبه هي أسماء ابنة عمه عوف بن مالك وبها كان ينسب (١)

ومن جيد شعره قوله في الفخر بقومه: (٢)

هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي فَوَارِسَ وَائِلٍ فَلَنَحْنُ أَشْرَعُهَا إِلَى أَعْدَائِهَا
وَلَنَحْنُ أَكْثَرُهَا إِذَا عُدَّ الْمُصَى وَلَنَا فَوَاضِلُهَا وَمَجْدُلُهَا (٣)

(٣٤) ومرة بن همام ، وهو مرة بن همام بن مرة بن نهل بن
شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل (٤) أحد
شعراء ربيعة القدماء وأحد فرسانها وزعمائها . وعمه جساس
بن مرة قاتل كليب المشهور ، والذي هاجت بسبب مقتله حرب
البسوسيين أحياء ربيعة كما عرفنا . وقد اختار المفضل لمرة بن
همام هذا قصيدة مألوفة :

يَا صَاحِبِي تَرَحَّلًا وَتَقَرُّبًا
فَلَقَدْ أَنَى لِمَسَافِرٍ أَن يَطْرَبَا

وفيها يصف ناقته بقوله :

وَكَأَنَّهَا بِلَوَى مُلَيِّحَةٍ خَاضِبٍ شَقَاءُ نَفِيقَةٍ تَبَارَى غِيْهَبَا (٥)

(٤٥) والمسيب بن علس ، وهو زهير بن علس بن مالك بن عمرو بن

قمامة بن عمرو بن يزيد بن ثعلبة بن عدى بن ربيعة بن مالك
ابن جشم بن بلال بن جماعة بن جلي بن أحمر بن ضبيعة بن ربيعة
ابن نزار. (٦) " وانما لقب بالمسيب حين أوعد بني عامر

ابن نهل فقالت له بنو ضبيعة " قد سيبناك والقوم " (٧)

(١) الشعراء والشعر ٦ ص ١٣٨ وشرح المفضليات ص ٤٥٧ والاعاني ثقافة

ولكن ابن دريد يذكر في اشتقاقه أن المسيب قد لقب بذلك لقوله :
فإن سرَّكم ألا تَووبَ لِقَاحِكُمْ غَزَارًا فقولوا لِلْمُسَيْبِ يَلْحَقُ (١)

والمسيب بن علس "من شعراء بكر بن وائل المعدودين ، وخال
الأعشى ميمون بن قيس ، وكان الأعشى راويته " (٢) . وقد عده ابن
سلام في الطبقة السابعة من الفحول . ومن جيد شعره قوله يمدح
بنى شيبان : (٣)

وكا لشهدب الرّاحِ أحلامهم وأحلامهم منها أعزبُ
وكا لميسك تَرَبُّ مَقَامَاتِهِمْ وَتَرَبُّ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

(٣٦) والمفضل الذكرى ، وهو المفضل بن معشر بن أسحم بن عدى بن
شيبان بن سؤد بن عذرة بن منبه بن نكرة بن لكيز بن أفصى بن
عبد القيس بن أفصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار (٤)

قال ابن سلام : " فضله قصيدته التي يقال لها المنصفة . وأولها :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقْلَمُوا فَنَيْتَنَا وَنَيْتَهُمْ فَرَيْقُ (٥)

= سلام ص ١٥٦ وشرح المفضليات ص ٩٥

(١) الاشتقاق ص ٣١٦

(٢) الشعراء الشعراء ص ١٠٧ - ١٠٨ ، والسمط ص ٣٩

(٣) انظر الشعراء الشعراء ص ١٠٧ - ١٠٨ وعيون الاخبار ٣٠٤/١

(٤) انظر جمهرة الانساب ص ٣٩٩ وضبط نسبه هو : معشر (كلمة)

وأسحم (كأحمد) ، وعدى (كعلي) وسؤد (كذودولوم وقوم) الخ

(٥) انظر طبقات ابن سلام ص ٢٧٥ ، وفريق : أى متفرقة .

وقد اختارها له الأُصمعي فيما اختار ، وفيها يقول : (١)
 كَانَ الْقَبْلَ بَيْنَهُمْ جَرَادٌ تَكْفِيهِ شَامِيَةٌ خَرِيْقٌ (٢)
 وَبَسَلٌ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَمِيْنًا كَبَا لِيَدَيْهِ الْإِفِيْهُ فُوقُ (٣)

(٣٧) والممزق العبدى ، وهو شَأْسُ بْنُ نَهْأَدِ بْنِ أَسُودَ بْنِ جَزِيلَ بْنِ
 حَيْثَى بْنِ عَسَا بْنِ حَيْثَى بْنِ عَوْفِ بْنِ سُوْدَ بْنِ عَذْرَةَ بْنِ مِنْبِهِ بْنِ نُكَّسْرَةَ
 ١ ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعْمَى بن جَدِيلَةَ بْنِ
 أَسَدَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ. (٤) وهو صاحب القصيدة التى على القاف
 التى يقول فيها لعمر بن المنذر بن عمرو بن النعمان ، وكان
 هَمَّ بِغَزْوِ عَبْدِ الْقَيْسِ :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوَلًّا فَكُنْ خَيْرَ أَكَلٍ وَالْأَقَادِرُ كُنْتُ وَلَمَّا أُمْرَقُ

فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه (٥)

وبهذا البيت سُمي الممزق. (٦) قال أبو العباس ثعلب : الممزق أول

من ذم الدنيا . قال :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهَا مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ دَاقٍ
 هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعَ بِاشْفَاقٍ إِنَّمَا مَا لَنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي (٧)

(١) انظر الأُصمعية رقم ٦٩

(٢) تَكْفِيهِ أى تقلبه . وريح خريق شديدة (اللسان خرق) وشَامِيَةٌ لأنَّ

الريح التى تَلَكُهَا تكون شديدة البرد .

(٣) البسل (كالبحر) : من الاضداد ، وهو الحلالوا الحرام ، وهنا المقصود
 به (حرام طبعاً) والواحد الجمع والمذكروا المونث فى ذلك سواء
 انظر اللسان بسل

(٤) انظر جمهرة الانساب ص ٢٩٩ وشَأْسُ (كفأس) ، ونَهْأَرُ (كرماد)
 وأَسُودَ (كأحمد) وجَزِيلَ (كعقيل) ، وَحَيْثَى (كصهلوى) وَعَسَا (كجساس)

(٣٨) والمنخلُ اليشكري ، وهو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة ابن عمرو اليشكري ، نسبة الى بنى يشكر بن بكر بن وائل . كان ينادم النعمان بن المنذر ملك الحيرة . (١) وكان ينسب بهند اخت عمرو بن هند (٢) احد ملوك الحيرة أيضا - ولها يقول في قصيدته التي مطلعها :

ان كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحورى =
يا هندُ هل من نائلٍ يا هندُ للعاني الأسير (٣) ؟
قال ابن قتيبة : " وقتله عمرو بن هند " (٤) أما أبو الفرج فقد ذكر أن المنخل كان يبتهم بامرأة النعمان بن المنذر ، وهو الذى قتله لذلك . (٥) .

وعلى أى حال فقد كان المنخل من تلك الفئة اللاهية من فتيان العرب فى الجاهلية ، التى كانت لاتعيش الا للهو والشراب وقد مر بنا الحديث فى ذلك .

(٣٩) المهلهل ، وهو عدي بن ربيعة بن مرة بن هيرة بن الحارث ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . (١) اخو كليب ، وائل بن ربيعة المشهور . والمهلهل خال امرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور ، وجد عمرو بن كلثوم لأمه (٢) وقد سمي عديًا لقوله :

(١) انظر الاغانى - ثقافة ٣/٢٤ والمؤتلف ص ٢٧١

(٢) انظر الشعر والشعراء ص ٣١٧

وعودا على يد نقول : إن شعراء ربيعة في الجاهلية كانوا كثيرين ،
 وكان كثير منهم من الفحول المجيدين . وقد تناولوا بأشعارهم
 موضوعات شتى . كان الغزل ، والفخر بالكرم والفروسية
 والشجاعة على رأس تلك الموضوعات . فقد كان أكثرهم من
 الفرسان والشجعان .

ولذلك فقد علا بين قبائلهم قدرهم ، وزاع بين بقيّة
 العرب ذكركم ، وسارت مسار الشمس أشعارهم . وفي ذلك الزمان
 ووسط هذا المهرجان - إذا جاز لنا التعبير - ولد شاعرنا
 طرفة بن العبد .

*

*

أيام ربيعة :

سبق أن ذكرنا أن ديوان شعر العرب ، قد امتلأً بذكر حروبهم ، والحديث عن أيامهم حتى لا يكاد يخلو شعر شاعر منهم من الفخر بما كان منه من شجاعة وإقدام ، أو الفخر بما كان من فرسان قبيلته من تضحية وبسالة . بل إنه لا يكاد يخلو من تحريض على الأخذ بالثأر ، أو ثأر للشجعان الذين سقطوا في تلك الحروب ، أو هجاء لأعداء القبيلة أو للذين خذلوها عندما نزلت بها الخطوب ، أو أرغمت على خوض الحروب

هكذا وقد ذكرنا أيضا أن تلك الأيام قد تشعبت وكثرت ، حتى امتلأت بها كتب التاريخ ، ذلك أنها قد غطت عصر الجاهليين كله . وأنها قد تفرعت حتى شملت عرب الجزيرة كلهم من الشمال إلى الجنوب ، وخرجت إلى من جاورهم من الشعوب . فكانت للعرب مع الفرس أيام ، وكانت للقطانيين مع العدنانيين أيام . كما كانت لكل قبيلة أيام مع القبائل الأخرى ، وأيام كانت بين بطونهم أنفسهم .

والذى يعنيننا أن نشير إليه هنا ، هو الأيام التى تههم ربيعة ، سواء أكانت بينها وبين الفرس ، كيوم ذى قار المشهور أم كانت بينها وبين القبائل الأخرى ، كتلك الأيام التى كانت بينها وبين تميم ، أم كانت بينها ذاتها ، بين بطونها أنفسهم . كتلك الأيام التى كانت بين بكر وتغلب ، وهما أكبر حيين فيها ، والتى عرفت بحرب البسوس

فأما يوم ذى قار ، فقد كان بين جيوش من الفرس ومن عاونهم

بأطراف العراق ، قريب من الكوفة ^(١) . وقد أفاضت المراجع التاريخية والأدبية في الحديث عن ذلك اليوم . وذلك لما تجلى فيه من فنون الحرب وحيلها ، وضروب البطولة وأشكالها . ولما قيل فيه من الحكم والأمثال والأشعار التي ذاعت بين الناس وانتشرت فيهم أيما انتشار ^(٢) .

وملخص ذلك اليوم أن النعمان بن المنذر ، آخر ملوك الحيرة من المناذرة ، أيام الفرس كان قد غضب عليه كسرى ^(٣) ، فقرّر أن يتخلص منه . فلم يجد النعمان من يترك عنده حريمه وودائعهم غير **هاقي بن مسعود الشيباني** ، سيد بني شيبان من بكر بن وائل ، فقبل الوديعة . ثم سار النعمان إلى كسرى ليعتذر له ، ولكنه أمر بقتله . ثم ولى مكانه على الحيرة **إياس بن قبيصة الطائي** وطلب منه أن يجمع ما خلفه النعمان فيرسله إليه .

وأبى هاني بن مسعود أن يفرط في الوديعة ، فغضب كسرى وقرر استئصال بكر بن وائل . قال ابن الأثير : " وعنده النعمان بن زُرْعَة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر . فقال لكسرى : أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار . فتأخذهم كيف شئت " ^(٤) .

ثم سير كسرى من جيوشه وجيوش القبائل العربية عنده ، كتغلب وإباد وقضاة وغيرهم - إلى بني بكر بن وائل في ذي قار ما لا قبل لهم به من الفرسان . وعلى رؤسهم عدد من الأبطال المشهورين كالنعمان بن زُرْعَة التغلبي ، وإياس بن قبيصة الطائي ، وخالد بن يزيد البهراني . وذلك عدا مرازمة الفرس وأبطالهم .

أما بنو بكر بن وائل فقد ولوا عليهم حنظلة بن ثعلبة
ابن سيار الهجلى . وكان من مساعير الحرب وهاتها .

قيل فلما التقى الجمعان ، وتقارب الزحفان ، قام خطباء
بنى بكر بن وائل وزعماءهم ، يحرضونهم على القتال ، ويحضونهم
على الصبر فى مقارعة الأبطال ، بكلمات وأحاديث صارت مضرب
الأمثال .

فأما هانىء بن مسعود فقال : " يا قوم ، مهلكٌ مقدور ، خير
من منجىٍ مفرور . ان الجزع لا يرد القدر ، وان الصبر من أسباب
الظفر . المنية خير من الدنيا ، واستقبال الموت خير من استدباره
فالجداجد ، فما من الموت بد " (١) . وأما حنظلة بن ثعلبة
فقد قطع وُضُن النساء أى حزم هواهن ، فسقطن على الأرض ، ثم قال :
" ليقا تل كل رجل منكم عن حليلته " (٢) فسمى مقطع الوضن . ثم
ضرب على نفسه قبة ، وأقسم ألا يفر حتى تفر القبة . (٣) وحتى نساء
القوم كن فى ذلك اليوم شديداً الحماس للانتصار ، يحمسن الفرسان
بالأنشيد والأشعار . وقد سُمعت احداً من تنشد : (٤)

إِنْ تَهْزِمُوا نَعَانِيقُ وَنَفْرِشُ النَّسَارِيقُ
أَوْ تَهْزِمُوا نَفَارِيقُ فِرَاقِ غَيْرِ وَامْرِيقُ

(١) العقد الفريد - الاستقامة - ٩٨/٦ وانظرا لآغانى ٣٣١/٢٣
(ط) دار الثقافة .

(٢) العقد الفريد - الاستقامة ٩٨/٦ . وانظرا لآغانى - ثقافة
٣٣٢/٢٣ والكامل بيروت ٤٨٩/٦

(٣) انظر لآغانى - ثقافة ٣٣١/٢٣

ثم التقى الجمعان فاقتتلوا قتالا شديدا ، ضربت فيه فرسان بكر
ابن وائل أمثلة رائعة فى صبر أهل الحق وان كانوا قليلين أمام
الكثرة المعتدين. قال ابن عبدربه : " ثم ضرب الله وجوه
الفرس فانهمزوا " (١)

قيل فلما بلغ رسولا الله صلى الله عليه وسلم ، ظفر ربيعة
بجيش كسرى قال : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ،
وبى نصروا " (٢) وقد أفضنا الحديث فى يوم ذى قار هذا ، وذلك
لنضرب مثلا للحروب التى كانت تقع بين العرب وبين غيرهم من
الشعوب قال ابن الأثير " وقد قال الشعراء فى وقعة يوم ذى قار
فأكثروا " (٣)

وكانت هناك أيام بين القحطانيين والعدنانيين كما ذكرنا
ومنها يوم أواره الأول وأواره اسم جبل أو ماء لبنى تميم بناحية
البحرين (٤) وقد انتصر فيه المنذر بن امرئ القيس ، المشهور
بابن ماء السماء ، على بنى بكر بن وائل (٥) وكان المنذر قد بعث
اليهم "يدعوهم إلى طاعته فأبوا ذلك" ... فسار "اليهم فى جموعه
فالتقوا بأواره فاقتتلوا قتالا شديدا ، وأجلت الواقعة عن هزيمة
بكر" (٦)

ومنها يوم خزاز ، وقد كان بين القحطانيين والعدنانيين أيضا .
وخزاز جبل على طريق البصرة إلى مكة . وقعت عنده وقعة ذلك اليوم
وكانت لمعد على مخرج (٧)

(١) المقداد الفريد - الاستقامة ٩٨/٦

(٢) انظر الحماد ٢٧٧/٦ ، الأغاني ٣٦/٣ ، الكامر -

وملئ ذلك اليوم أن ما كان ملوك اليمن كان في يده أسارى
من معد ، فسار اليه وفد من وجوههم ليفتدوا أسراهم ، فاحتبس
بعضهم كرهائن ، وقال للباقيين : " ايتوني برؤساء قومكم لأخذ
عليهم الموائيق بالطاعة لي ، والا قتلت أصحابكم " .^(١) فاجتمعت
معد على كليب (واثل) بن ربيعة ، وسار بهم لقتال مذحج أهل اليمن
فلما بلغهم اجتماع معد ، ساروا اليهم بمن يليهم من أهـل
اليمن .

وكان كليب قد قدم على مقدمته رجلا من بنى تغلب اسمه سلمة
ابن خالد ، وشهرته السفاح التغلبي ، وأمره أن يوقد فوق خزاز
نارا لتهتدى بها جموع معد ، فان داهمه الأعداء فليوقد نارين .
ووصلت مذحج الى خزاز ليلا ، فأوقد السفاح نارين ، ورأى كليب
ذلك فصبحهم بمن معه . فاقتتلوا اقتتالا شديدا ثم انهزمت مذحج
وانفضت جموعها . وفي ذلك يقول السفاح التغلبي :^(٢)

وليلةً بتُّ أوقدُ في خَزازِ هَدَيْتُ كَتَائِبًا مُتَحَيِّراتِ
ضَلَلْنَ مِنَ الشُّهَادِ وَكُنَّ لَوْلَا سَهَادُ الْقَوْمِ أَحْسَبُ هَادِيَاتِ

وفي ذلك أيضا يقول عمرو بن كلثوم :^(٣)
ونحن غداة أوقد في خزازي رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينَا
بنا اهتدنا لقبائل من معد بِنَارَيْنَا وَكُنَّا الْمُوقِدِينَا

(١) الكامل - بيروت - ٥٢٧/١

(٢) انظر معجم البلدان (خزاز) وابن الاثير بيروت - ٥٢٧/١

(٣) انظر في ذلك معلقة عمرو بن كلثوم (في جمهرة القرشي) بتحقيق

البحاوي ص ٣٥٧ . وانظر معجم البلدان (خزاز) . وانظر شرح

الزوزني ص ٢٥٦ ، ولم يَرَوْهُ الثاني منهما والرُفْد (كالضرب)

الاعانة (مصدر رفد) والرُفْد (كالجسم) : الاسم .

ثم كانت بين ربيعة وبين تميم أيام كثيرة ، فكانت تدور
سجالا بينهم ، فهي مرة لتميم ومرة لربيعة . وقد كان فيها من
الغزو والقتل والأسر ، والسلب والنهب ما أسهب في ذكره الرواة
كما كان فيها من الأشعار والمراثي والمفاخرات ما تضيق عن حصره هذه
الصفحات ولا بأس من ذكر تلك الأيام هنا ولكن بايجاز شديد ، ففي
مصادرها الفناء لمن يريد أن يستزيد .

فمن تلك الأيام يوم الوقيط ، وكان لبكر على تميم . (١) ويوم
النباج وثيثل ، وكان لتميم على بكر . (٢) ويوم فلج ، وكان
لبكر على تميم . (٣) وفيه يقول ابن الأثير : « فانهزمت تميم ،
وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت » (٤) .

(١) الوقيط (كالخليل) ، المكان الصلب الذي يتجمع فيه الماء
وانظر في يوم الوقيط النقائض بتحقيق الصاوي ١٣/٢ ، والعقد
الفريد - الاستقامة - ٣٨/٦ ، ومعجم البلدان (وقيط) والكامل
بيروت ٦٢٨/١ .

(٢) النباج (كالنجاج) موضع قريب من البصرة . وثيثل (كخيبر)
ماء قرب النباج ، وانظر في يومها النقائض ط أوربا ص ١٠٢٣
والمقداد الفريد - الاستقامة - ٤٠/٦ ، ومعجم البلدان (تيثل ونباج)
والكامل - بيروت ٦٥٠/١ .

(٣) فلج (كشمس) موضع ، وانظر في يوم فلج ابن الأثير ٦٥٢/١

(٤) نفس المصدر .

ويوم جَدُود ، وكان لتميم على بكر. (١) ، ويوم زُرُود ، وكان لتميم على بكر كذلك. (٢) ويوم ذى طُلُوح ، وكان لتميم على بكر أيضا. (٣) ويوم الإيَاد ، وكان أيضا لتميم على بكر. (٤)

أما يوم الغَبِيط ، فكان لبنى شيبان من ربيعة على تميم (٥) وكذلك كان يوم قُشَاوَة لشيبان على تميم. (٦) وكان يوم زُبَالَة أيضا لشيبان على تميم. (٧) وكان يوم مُبَارِض أيضا لشيبان على تميم (٨) وأما يوم عَاقِل فكان لتميم على ربيعة. (٩) ثم كان يوم الشَّيْطَيْن لبكر على

(١) جدود كشمود . اسم موضع فى أرض بنى تميم . وانظر فى يوم جدود النقائض بتحقيق الصاوى ١٣٧/١ و ٢٢/٢ وشرح المفصليات ص ٢٤٠ والعقد (استقامة) ٤٩/٦ والكامل بيروت ١/٦١٠.

(٢) زرود اسم جبل وانظر فيه العقد - استقامة ٤٢/٦ ومعجم البلدان (زرود) وضبطه كجهور.

(٣) طلوح - كدروع - موضع لبنى يربوع كأنه جمع طالح (ياقوت طلوح) وانظر فى يوم ذى طلوح النقائض ط أوربا ص ٤٧ ، والعقد (استقامة) ٤٢/٦ والكامل ١/٦٣٧.

(٤) الإياد (بالكسر كالعباد) موضع لبنى يربوع (ياقوت إياد) وانظر فى يوم الإياد: النقائض - بتحقيق الصاوى - ٢٧٧/٢ والعقد استقامة ٤٥/٦ والكامل ١/٦١٢ وانظر فيه كذلك معجم مقاييس اللغة لابن فارس (أفق).

(٥) انظر فى يوم الغبيط (وهو اسم واد): النقائض ط أوربا ص ٧٥ و ١٠١٩ والعقد استقامة ٤٧/٦ ومعجم البلدان (غبيط) وابن الأثير فى الكامل بيروت ١/٥٩٨.

(٦) انظر فى يوم قشاوة (وهى أرض وضبطها كسراقة وثمالة وخرافة) : النقائض بتحقيق الصاوى - ٢٠ ومعجم البلدان (قشاوة) والكامل بيروت ١/٥٩٦.

(٧) زباله كقشاوة وسراقة وقحافة منزل معروف بطريق مكة الغرب.

تميم . (١) وكذلك كان يوم الزورين لبكر على تميم . (٢)

ومن طريق ما روى في ذلك اليوم ، ان تميما جاءوا بجملين
مجللين مقرونين مقيدتين ، وجعلوهما بين الصفين ، وقالوا هذان
زوراننا - أي إلهاهم ، لانفر حتى يفر هذان البعيران . (٣) فلما
راى عمرو بن مسعود بن قيس الشيباني ، ذلك ، وهو الامم الشاعر
الذي مر بنا ذكره . وكان رئيس بكر بن وائل في ذلك اليوم قال
"أنا زويركم" . ثم برك بين الصفين وقال: قاتلوا عنى ولا تفروا
حتى أفر . (٤)

ثم اشتد بين الفريقين القتال ، ونال كل منهم من صاحبه كل
منال ، حتى انهزمت تميم وقتل منهم ناس كثير . وأخذت بكر
ابن وائل البعيرين ، فذبخوا واحدا واستحيوا الآخر . (٥)

(١) الشيطان (مثنى شيط كَثِيبٌ وَكَيْبٌ) ، وهما واديان لبني تميم
وانظر في يوم الشيطان: النقائص - ط أوربا - ص ١٠٢ والعقد
الفريد - الاستقامة ٥٥/٦ والكامل بيروت ١-٦٥٤ .

(٢) الزور (كالبوص واليوم والسوق) كلشي يتخذ ربا ويعبد من
دونا لله تعالى (اللسان زور) وانظر في يوم الزورين: العقد
الفريد - استقامة ٥٣/٦ والكامل بيروت ١-٦٠٤ واللسان
(زور) .

(٣) انظرا الكامل بيروت ١-٦٠٥ والعقد الفريد استقامة ٥٤/٦ ،
وروايته "لأنولى حتى يولى هذان الجملان" .

(٤) انظرا المصدرين السابقين وانظر كذلك اللسان زور .

(٥) عبارة اللسان (وَثَرِكَ الْآخِرُ يَضْرِبُ فِي شَوْلِهِمْ)

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم^(١) فمن فرح بالنصر ، مكث من
الفخر ، ومن راث لقتله ، محض على فداء أسراه . وفي ذلك
يقول الأغلب العجلي راجز ربيعة المشهور:
(٢)

جاءوا يزورهم وجئنا بالأصم شيخ لنا قد كان عهداً لهم
يكرها سيفاً ذا الرمح انحلهم كهيئة الليث إذا ما الليث هم^(٣)

تلك أمثلة للأيام التي كانت بين ربيعة وغيرها من القبائل
وخاصة قبيلة تميم ، ولعل تجاوز القبيلتين في المساكن ، واشتراك
بطونهما في المراعى ، وعيون الماء ، وتنافسهما على كسب
ود ملوك الحيرة ، والفوز بالخطوة عندهم .. وغير ذلك .. كان
من أسباب كثرة تلك الأيام^(٤).

أما الأيام التي كانت بين بطون ربيعة بعضهم البعض ، فإن
أشهرها حرب البسوس التي مر بنا طرف من أخبارها . وقد كانت بين
بكر وتغلب ابني وائل بن ربيعة . وقد هاجت بسبب مقتل وائل بن
ربيعة التغلبي ، المشهور بكليب . على يد جساس بن مرة البكري .
ثم دامت أربعين سنة لا تنطفئ لها ناره ، ولا سكنت لها أوار .

وكان الذي اشتهر من تلك الحرب ستة أيام . هي يوم النهي

(١) الكامل لبيروت - ٦٠٥/١

(٢) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن جارثة بن دلف بن جشم بن قيس
ابن سعد بن عجل بن لجيم بن هبيل بن علي بن بكر بن وائل . قال
الأمدي وهو أرحز الرجاز وأرضهم كلاماً ، وأصحهم معاني .

(٣) انظر الموتلف ص ٣٣ .

(٤) كر يكر (مزبأب رد يرد) إذا رجع وعطف

وكان لتغلب على بكر. (١) ويوم الذنائب ، وكان لتغلب على بكر
أيضا. (٢) . وفيه يقول مهلهل بزريعة التغلبي الشاعر الذي مر
بنا ذكره :

فلو نُبشُ المقابرُ عن كُليبٍ فيخبرُ بالذنائبِ أي زيرِ (٣)
أي أي زير أنا . . . وذلك أن كليبا - وهو أخوه - كان يعيره فيقول
انما أنت زير نساء. (٤) فهاهو ذا يفتخر له بالنصر الذي أحرزه على
بنى بكر بن وائل الذين قتلوه . . . وذلك في قصيدة طويلة مطلعها :

أَلَيْفًا بَذَى حُصْمٌ أَنْيَسِرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْوَري (٥)

ثم كان يوم واردات أيضا لتغلب على بكر . وفيه يقول مهلهل أيضا :

وَأَنْتِ قَد تَرَكْتِ بُوَارِدَاتٍ بُجَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْمَيْسِرِ
هَتَكْتُ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُكَاذٍ وَبِشْرُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصَّدُورِ (٦)

وذلك أن العارث بن عباد ، الشاعر الذي مر بنا ذكره ، وأحد زعماء
بكر بن وائل . كان قد اعتزل القتال وأرسل ابنه إلى المهلهل
في الصلح ، فقتله المهلهل وقال فيه ما قال قيل فلما بلغ أباه
مقتله قال : " نعم القتل قتيلًا أصلح بين بكر وتغلب " (٨) ولكن

(١) النهي الفدير وكل موضع يجتمع فيه الماء ، والجمع أنو وأنهاء
ونهي ونهاء (اللسان نهى) وانظر في يوم النهي: العقد الفريد
الاستقامة ٦٣/٦ ، والكامل بيروت ٥٣٢/١ .

(٢) الذنائب قرية في اقبر كليب (معجم البلدان ذنائب) ، وانظر
في يوم الذنائب: العقد الفريد - لاستقامة ٦٣/٦ والكامل -
بيروت ٥٣٢/١ .

(٣) انظر أمالي القالي ٢٤/١ ، ١٣٧/٢ والاغانى شقافة ٣٢/٥ ومعجم
البلدان (ذنائب) (٤) انظر أمالي القالي ٢٤/١

(٥) ذو حسم (بالضم) موضع بالبادية (اللسان حسم) والحوور (كالقول)
الرجوع . (٦) واردات في معجم البلدان واردات موضع على يسار
طريق مكة وأنت قاصدا . وانظر في يوم واردات: العقد الفريد -
استقامة ٦٤/٦ والاغانى شقافة ٣٥/٥ ومعجم البلدان واردات -

المهمل تلجأوا إلى الحد ، وتابع الحرب ، فكان يوم عُنَيْزَة بين الحيين حيث تكافأ فيه . (١) ثم كان يوم القُصَبَات ، وكان لتغلب على بكر . (٢)

حتى كان يوم رُقْصَة ، وهو يوم تحلق اللحم الذئير بنا خبره . فكان أشهر تلك الأيام كما كان آخرها . وفيه انتصرت بكر على تغلب (٣)

ومن طريف ما كان فيه ، أن جَدْر بن ربيعة من بكر بن وائل وكان قومه قد أمروا رجالهم بحلق لمعهم ليعرف بعضهم بعضا - كما مر بنا - فقال جدر : "أنا قصير فلا تشينوني . وأنا أشتري لمتي منكم بأول فارس - يطلع عليكم " فطلع ابن عَنَّاق أحد فرسان بني تغلب ، فشد عليه جدر فقتله ، ثم ارتجز فقال :

رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنْ أَلَمَّتْ إِنْ لَمْ أَقَاتِلْهُمْ فَجَزُوا لِمَتِي (٤)

تلك هي أمثلة من أيام ربيعة ، بل إنها أمثلة من أيام العرب التي شغلت أولئك القوم في ذلك العصر . فكنيت لاتكاد تراهم إلا لها يعدون ويستعدون . ولاتكاد تسمعهم إلا بأخبارها يتسامرون ويتفاخرون

(١) عنيزة (كجينة) من أودية اليمامة ، وقرى عنيزة بالبحرين (معجم البلدان عنيزة) . وانظر في يوم عنيزة : العقد الفريد

الاستقامة ٦٤/٦ والاغانى - ثقافة ٣٥/٥ والكامل بيروت ٥٣٢/١

(٢) القصبات تصغيرا للقببات من قرى اليمامة - ياقوت - قصبة - وانظر

في يوم القصبات الاغانى - ثقافة ٣٦/٥ ، والكامل بيروت ٥٣٧/١

(٣) انظر في سبب تسميته بذلك ص ٥٦ من بحثنا هذا . وانظر في يوم

قصة (كقطعة) العقد الفريد - الاستقامة ٦٦/٦ ، والاغانى - ثقافة

٣٦/٥ ، ومعجم البلدان (قصة) ، والكامل بيروت - ٥٣٥/١

نعم ، ولقد أغنت هذه الأيام ديوان شعرهم في الجاهلية -
 بما كانت تجود بهم قرائح الشعراء وتلهج ألسنتهم من المدائح
 والمراثي ، والمهاجاة والمفاخرات ، وليس ما ذكرناه هنا للمهل
 وغيره ، إلا أمثلة يسيرة ، على ما قيل في تلك الأيام من أشعار
 كثيرة .

* * *

تلك هي ربيعة قبيلة طرفة بن العبد ، وتلك هي أنسابها
 ومساكنها وديانها وأيامها ، وأولئك هم نفر من شعرائها .

فمن هو طرفة بن العبد نفسه .. وما موقعه منها .. وما هي
 قصة حياته وموته ..

هذا ما ستجيب عنه بمشيئة الله تعالى صفحات الفصل

القادم .

* *

الفصل الثالث

حياة طرفة

- المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه
المبحث الثاني : مولده ونشأته ومذهبه في الحياة
المبحث الثالث : علاقته ببلاط الحيرة ونهايته

الفصل الثالث

حياة طرفة

المبحث الأول : اسمه وكنيته ونسبه وأسرته :

هو عُبَيْد بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ، كما أورد محمد بن حبيب في كتابه ألقاب الشعراء^(١) . وأما لقب طرفة فقد جاء من بيت شعر قاله . قال محمد بن حبيب : " وطرفه قوله :

لَا تَعْجَلَا بِالْبِكَاءِ الْيَوْمَ مُطَرِّفَا وَلَا أَمِيرِكُمَا بِالْدارِ إِذْ وَقَّعَا^(٢)

والشعراء الذين لقبوا بأبيات شعر قالوها - في الجاهلية - كثيرون . ليس هنا مجال حصرهم . ولكن منهم على سبيل المثال من ربيعة غير طرفة أفتون التغلبي ، والمتلمس خال طرفة ، والمثقب العبدى ، والمرقش الأكبر والمسيب بن علس ، والممزق العبدى ، وغيرهم . وقد روينا لهم عند الحديث عنهم في الفصل السابق - أبياتهم التي لقبوا بسببها - بهذه الألقاب .

وقد اختلف الباحثون في كنية طرفة بن العبد ، فهي عند محمد

(١) محمد بن حبيب منسوب إلى أمه (حبيبه) ولذلك لا يصرف - انظر معجم الأدباء ١١٢ / ١٨ ، وستأتى ترجمته في الفصل الأول من الباب الثانى من هذا المبحث عند الحديث عن رواية ديوان طرفة .

(٢) ألقاب الشعراء ص ٣٢٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٢١ . وانظر كذلك معجم الشعراء ص ٥٥ . ومعاه

(١)
 بن حبيب في (كنى الشعراء) : "أبو اسحق" . وهي عند أبي عثمان
 الاثنان في (معاني الشعر) : "أبو عمرو" . وهي عند المرزبانسي
 في (معجم الشعراء) : "أبو اسحق" ، و "أبو سعد" ، و "أبو عمرو"
 والاخيرة نقلا عن ابن دريد . (٣)

وكذلك اختلف الباحثون في اسم طرفة الاول ، فقد ذكره معظمهم
 باسم طرفة . وذكره بعضهم بأسماء أخر . فهو عند محمد بن حبيب
 "عبيد" . (٤) وهو عند ابن قتيبة "عمرو" (٥) وهو عند المرزبانسي "عمرو" أيضا
 قال : "ويقال مَعْبِد" . وعنده عن أبي سعيد السكري "عبيد" . (٦)

ولما كان بعض الباحثين قد ذكر بأن كنية طرفة "أبو عمرو" كما رأينا
 فان المخرج من هذا الاختلاف هو القول بأن بعضهم قد خلط بين اسمه
 وكنيته ، والله أعلم . أما مَعْبِد ، فليس من أسماء طرفة على أى حال ، إذ
 أن الكثيرين قد ذكروا بأن طرفة كان له أخ يقال له معبد بن العبد . (٧)

ثم ان الباحثين يتفقون في بقية نسب طرفة ، ولكنهم يتفاوتون في عدد
 الأجداد الذين يذكرونهم . ولعل يعقوب بن السكيت في روايته لديوان

(١) كنى الشعراء ص ٢٢٨

(٢) معاني الشعر ص ١٦٠

(٣) انظر معجم الشعراء ص ٥

(٤) النقب الشعراء ص ٣٢٠

طرفة ، والهمدانى فى تاريخه الاكليل ، والزوزنى فى شرح المعلقات
السبع ، والتبريزى فى شرح القصائد العشر ، هم من بين الباحثين
الذين ذكروا سلسلة كاملة لنسب طرفة بن العبد . فهو عند هم : " طرفة
ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ،
ابن عكابة بن صعب بن علو بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى
ابن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان " (١) .

أما ابن سلام (٢) ، وابن حبيب (٣) وابن قتيبة (٤) وأبو عثمان
الاشننادانى (٥) ، وأبو زيد القرشى (٦) ، وأبو بكر بن دريد (٧) ، والامدى (٨)
والمرزبانى (٩) ، وابن حزم (١٠) ، والاعلم الشنتمرى (١١) ، وغيرهم ممن
العلماء والمؤرخين والباحثين ، فقد تفاوتوا فى ذكر أجداد طرفة
فبعضهم يذكرهم الى سعد بن مالك ، وبعضهم الى قيس بن ثعلبة ، وأكثرهم
الى بكر بن وائل .

أما العبد بن سفيان والد طرفة بن العبد ، فانى لم أجد فى مصادر
بحثى أى ذكر له ، اللهم الا نقفا من الأخبار عند بعضهم ، كقول أبى يوسف
يعقوب بن السكيت فى روايته لديوان طرفة : " كان أبو طرفة قد مات

(١) انظر ابن السكيت ظهر ورقة ١ فى كلتا النسختين ، واكليل الهمدانى

٢٣١ / ٨ وشرح الزوزنى ص ٤٣ وشرح التبريزى ص ٥٦

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء - ص ١٣٧ .

(٣) انظر ألقاب الشعراء ص ٣٢٠ (٤) انظر الشعراء والشعراء - ١٨٥ / ١

وهو غلام ^(١) ، وقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء : "وكان أبو
طرفه مات وطرفة صغير" ^(٢) ، ولم يزيدوا على ذلك .

ولست أدري السبب الذي جعل الرواة يغفلون ذكر العبد بن سفيان
ويهملون الحديث عنه ويتجاوزونه إلى غيره من أجداد طرفة . أكان هو
نفسه غفلا من القوم ؟ أم أن أخباره ضاعت فيما ضاع من أخبار . . ؟ أم أن
هناك أسبابا غيرها . . ؟ وحتى طرفة نفسه لم يتحدث في شعره بحديث
تستقى منه أخبار عن أبيه ، وقد تحدث عن كثيرين من أجداده ومن غير
أجداده . وكل الذي ذكر أباه فيه هو بيت واحد . وهو قوله : ^(٣)

أَبُو أَنْزَلِ الْجَبَّارُ عَامِلٌ رَمَحَهُ عَنِ السَّيْفِ حَتَّى خَرَّ بَيْنَ سَنَابِكِ

فهو يفتخر بأن أباه كان يطعن أعظم الناس ، ويصرع جبابرتهم . فكيف
بمن هم دونهم . لقد كان إذا شك برمحه أشد الرجال ، فانه يصرعه
في الحال . كيف لا ، وهاهو ذا قد صرع برمحه أحد الجبابرة ، وألقاه
في الأرض بين سنانك الخيل ، ولسان حال طرفة يقول : وما يكون ذلك
إلا لرجل بطل شجاع . قال الأعظم الشنتمري في شرح ذلك البيت :

" وقوله : أبو أنزل الجبار عامل رمحه ، يعنى الملك الجبار ، وأراد بعض
ملوك غسان " ^(٤) . ولما لم يكن بين أيدينا غير هذا القول ، فإن له عندنا
أهمية خاصة .

ذلك أننا قد عرفنا أن قوم طرفة كانت مساكنهم في شرق الجزيرة ، وما
يليها من أطراف العراق . وكانت تلك المناطق من أعمال المناذرة ملوك
الحيرة . وكانت الحيرة وملوكها ومن يليهم من العرب ، يدنون للفرس بالولاة

ويساعدونهم كما عرفنا في حروبهم مع الروم ، ومن يد يد لهم بالولا
من العرب كالفساسنة في الشام .

فليس اذن ما يمنع من أن يكون والد طرفة ذا تاريخ في بعض تلك
الحروب . ولحافات وطرفة صغير - ذهبت أخباره فيما ذهب من أخبار . ولم
يبق في ذاكرة ابنه الا تلك الجولة ، التي كانت بينه وبين بعض ملوك
الفساسنة ، والتي سجلها طرفة في بيت شعره الذي رأينا . فذلك
اذن هو العبد بن سفيان والد طرفة .

وأما أم طرفة فهي وردة باجماع الباحثين . وهي أخت المتلمس ، جرير
ابن عبد المسيح ، الشاعر المشهور ، باجماعهم كذلك . فهي اذن وردة بنت
عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن جلي بن أحسن بن ضبيعة
ابن نزار ، كما هو معروف في نسب المتلمس . (١)

وهي ليست من رهط أبي طرفة الاقربين ، كما وهم - سهوا - بعض
الباحثين . فقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء قال : " وأمه وردة
من رهط أبيه " (٢) وكذلك فعل المرزبان في معجم الشعراء (٣) . وقال
الأعلم الشنتمري في شرح ديوان طرفة : " وردة أم طرفة ، وهي من بني مالك
بن ضبيعة " (٤) . ويظهر أنهم قد خلطوا بين ضبيعة في نسبها ، وهو
ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، وبين ضبيعة في نسب طرفة ، وهو ضبيعة
ابن قيس بن ثعلبة (٥) .

ولقد كان لموت والد طرفة - وطرفة صغير - أثر سوء على الأسرة
بكاملها ، فها هو ذا طرفة يشب يتيما ، فلا يعرف عن أبيه شيئا ، ولو
عرف شيئا لفصل القول فيه ، وهو الشاعر السليم . وها هو ذا وردة أم -
طرفة يهضم حقها من أعمامه ، فلا تستطيع أن تنتصر . ومن تنتصر
وزوجها قد غيبه التراب . وينوها لما يشبوا عن الطوق . .

وملخص القول في ذلك أن أعمام طرفة ، أبوا أن يقسموا تركة أبيه
بعد أن مات . وظلموا وردة حقها من تلك التركة . فأكلوه . فتصدى
لهم طرفة وهو صغير ، وشهر في وجههم سلاحه . وسلاح الشاعر حار
كما نعرف . وخاصة إذا كان الشاعر مثل طرفة . يقول : (١)

ما تتظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب (٢)
قد بيعت الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب
والظلم فرق بين حق وائيل بكر ساقبها المنايا تغلب
أدوا الحقوق تغزلكم أعراضكم ان الكريم اذا يهرب يفض (٣)

وهذه الأبيات من قصيدة قال الأصمعي في مقدمته لها - كما يذكر
الأعلم : " ويقال إنها من أول ما قال " (٤)

(١) الديوان ص ١٠٧ - ١٠٨

(٢) النظر (كالشجر) ، والنظرة (كالسرقة) : الانتظار والتأخير

(٣) اللسان نظ

وهى كمانرى - انتفاضة شاب يافع ظلمت أمه حقها . فاضطر الى معاقبة أعمامه بهذا العتاب الشديد ، وتهديد هم بهذا التهديد الذى يجنح للوعيد . يعاتبهم على تأخير حق أمه ، ويلومهم على ذلك ويصغر من شأنهم حين يذكر أنهم لم يتجرأوا عليها الا وهى وحيدة ضعيفة ، ليس لها من مدافع ولا حام . فبنوها صفار وأهلها غائبون .

قال الأعم : " فجرأهم ذلك على ظلمها " . (١)

فاذا انتهى طرفه من العتاب قفز الى التهديد والوعيد ، ضاربا لأعمامه مثلا من الواقع الملموس ، الذى عاشه آباؤهم الأقربون فى حرب البسوس . وطرفة يرجع أسباب تلك الحرب الى الظلم ، فقد تفرقت بسببه بطون القبيلة ، وتقطعت أرحامها ، وتناثرت جثث أبطالها فى الثنايا والشعاب ، وأصبح رجالها يتساقون المنايا ، كما يتساقى الندماء كئوس الشراب .

ثم انه يذكر أعمامه بأن ما فعلوه بحق أمه اليوم ، وان بدا صغيرا فان عواقبه كبيرة . وكأن لسان حاله يقول : " ومعظم النار من مستصغر الشرر " . فليؤدوا حقها حتى يحفظوا أنفسهم من غضبه وهيجانه . ويصونوا أعراضهم من سلاطة لسانه .

وهكذا كان طرفه فى مظلمة أمه شديدا قوى الجنان ، سليط اللسان . لم يخفف من حدته كون الظلمة أعمامه . وكيف يكون ذلك وهو

القاتل :

وُظِّلَ ذِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمَهْنَدِ (١)
وتلك هي وردة بنت قتادة أم طرفة بن العبد .

وأما بقية أسرته ، فقد ذكر الباحثون أن طرفة كان له أخ اسمه معبد
ابن العبد . (٢) وقد ذكره هو نفسه في قوله : (٣)

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قَلْتُهُ غَيْرَ أَنْ نَسَى نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفَلْ حَمُولَةً مَعْبِدٍ
قال الأعلام في شرح هذا البيت : " وكان معبد أخو طرفة يرعى - هـ -
وطرفة - ابلا لهما ، فغلبها طرفة ، فقال له معبد : لم لا تسرح في ابلك
كما أفعل ؟ ، أترى أن شعرك يرد بها ان أخذت ؟ (٥)

وذكر أبو زيد القرشي في جمهرة الأشعار ، أن طرفة كان له أخ آخر
اسمه خالد بن العبد . وهو المقصود بقوله : (٦)

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِي تَحْمِلُ رَسُولِي إِلَى خَالِدٍ هِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
وهو بيت من جملة أبيات بعث بها طرفة إلى أخويه خالد ومعبد - ابني العبد
من سجنه بالبحرين قبل قتله (٧)

وكانت لطرفة أيضا أخت ، كانت تحت ابن عمه عبد عمرو بن بشر بن
مرشد (٨) ، كما كانت له أخت لأمه ، هي الخرنق بنت بدر بن هفان -

الشاعرة المشهورة (٩) وكان لطرفة كذلك أعمام كالمرقش الأصغر الشاعر

(١) انظر الديوان ص ٤ ، والمضاضة الحرقعة .

(٢) انظر جمهرة ابن حزم تحقيق بروفنسال - ص ٣٠ ، ومعاهد التنصيب ١/ ٣٦٦

(٣) الديوان ص ٣٨ ، والحمولة الابل . ونشدتها أي طلبتها .

المشهور ، وأحوال كالمتمسك ، وأبناء أعمام ، لهم بحياته صلات ، ولهم
فى أشعاره أخبار .

تلك اذن هى أسرة طرفة بن العبد ، التى نشأ فيها وربا بينها .
فكان لأحوالها على طباعه أثر وأى أثر ، وكان لها فى شعره أكثر من خبر .
بل اننا نظن أن تكوينها على هذا النحو الذى رأينا - أب متوفى ، وأم
وحيدة ، وبنون صغار ، وأعمام فيهم ظلم ، أقول اننا نظن أن تكوينها
على هذا النحو كان له أثر على نفس طرفة ، جعله يثور على الأغنياء
والأقرباء والزعماء كما سنرى . وجعل له آراء خاصة فى الحياة كما سنرى
كذلك .

* *

المبحث الثاني : مولده ونشأته ومذهبه في الحياة :

مولده ونشأته :

ان تاريخ طرفه يتلفع بالغموض ، شأنه في ذلك شأن كثير من أخبار ذلك العصر . وأكثر الأمور غموضاً في تاريخ طرفه هو مكان ولادته ، وتاريخها وتاريخ وفاته ، فان أحداً من المؤرخين لم يتعرض لذلك بذكر . ولعلنا نستطيع في هذه السطور أن نخمن ذلك ، وان كانت الأحداث التاريخية لا يجدى معها التخمين الا للاستئناس وحسب . .

أما مكان ولادته فهو مضارب قومه في شرق الجزيرة العربية وأطراف العراق . فقد عرفنا أن بكر بن وائل رهط طرفه كانت مضاربهم هناك وليس هناك حائل تاريخي يحول دون القول بأن طرفه قد ولد في إحدى تلك النواحي . ولكن بنير تحديد .

وأما متى كان ذلك ، فان الرواة قد اتفقوا على أمرين لعلنا نستطيع أن نستنتج منهما تاريخ مولده وتاريخ وفاته ولو بالتقريب . فأما أولهما فهو أن طرفه قد قتل في عهد عمرو بن هند . بل انه قد قتل بايحاء منه على يد أحد عماله . وهو عامله على البحرين بالذات .^(١) وقد عرفنا أن عمرو ابن هند قد تربع على عرش الحيرة بين سنتي (٥٥٤ - ٦٩ م) . وعليه

وأما الآخر الثاني فهو أن طرفة لم يعمر طويلاً ، فقد عاش بين عشرين إلى ست وعشرين سنة ، كما انفصل فيه القول بعد قليل . فلو افترضنا أنه قد هلك في أول عهد عمرو بن هند مستوفياً من العمر ستاً وعشرين سنة لوجب أن يكون مولده في سنة ٥٢٨ م . ولكن سنة وفاته غير معروفة بالضبط والمعروف فقط أنه قد هلك بين سنتي (٥٥٤ - ٥٦٩ م) . وبديهمى أن الذي يهلك بين تينك السنتين مستوفياً من العمر ستاً وعشرين سنة فلا بد وأن يكون قد ولد بين سنتي (٥٢٨ ، ٥٤٣ م) .

وبناءً على ذلك فانه إذا صح مقتل طرفة في عهد عمرو بن هند - وصح كون عمره عشرين أو ستاً وعشرين سنة ، وصح تاريخ اعتلاء عمرو بن هند عرش الحيرة ، وصح تاريخ نهاية حكمه ، فان طرفة يكون قد ولد بعد سنة ٥٢٨ م ، ومات قبل سنة ٥٦٩ م ، وبين هاتين السنتين ، عاش طرفة بن العبد ما بين عشرين إلى ست وعشرين سنة .

والرواة مختلفون في عدد سنوات عمر طرفة ، إذ يقول بعضهم بأنه عاش عشرين سنة ، ولذلك يلقبونه ابن العشرين . ويقول الآخرون بأنه قد عاش ستاً وعشرين سنة . وبين هؤلاء وهؤلاء تذبذب أخبار عمره عند الباحثين . ولم يشذ عن ذلك غير أبي الفرج الأصفهاني في الأغاني حين روى عن لبيد بن ربيعة أن طرفة بن العبد قد قتل ، وهو ابن ثمانى عشرة سنة . (١)

واحتج أصحاب كل رأى بما يؤيد رأيهم أما ينتف من الأخبار ، أو بما

قال بأن لبید بن ربیعة قد مر بمجلس بنی نهد بالكوفة ، فبعثوا
خلفه غلاما يسأله من أشعر الناس ، فقال : ذو القروح . یعنی امراً
القیس . قال : ثم من ؟ قال ثم ابن العشرين یعنی طرفة . (١)

أولعلمهم احتجاج الرأیهم بمثل ما روى القالی فی أمالیه عن جریر .
قال : " دخلت علی بعض خلفاء بنو أمیة " ، فقال : ألا تحدثنی عن
الشعراء . . فقلت : بلى . قال : فمن أشعر الناس ؟ قلت : ابن
العشرين . قال أبو علی القالی : " یعنی طرفة " . (٢)

وأما الذین قالوا بأنه قد عاش ستا وعشرين سنة ، فانهم يحتجون
لذلك بقول أخته الخرنق ترثیه : (٣)

عددنا له ستا وعشرين حجّةً فلما توفّاها استوى سيدا ضحّا
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَّابَهُ على خير حالٍ لا وليدٍ ولا قهحما

ورواية الديوان لهذين البيتين مختلفة كما رأينا عند حدیثنا عن الخرنق
فی الفصل السابق . فان صدر أولهما فیهِ : " عددنا له خمسا وعشرين حجة " (٤)

وعلى أى حال فان غاية ما بلغه طرفة من العمر ، هو ست وعشرون
سنة فقط . ولعل هذا هو أرجح الأقوال فی عمره .

ومن عجب أن يذكر الرواة بعض أوصافٍ لطرفة ، وهم يختلفون فی
سنوات عمره . قال المرزبانى فی معجم الشعراء : " وكان آدم أزرق أو قص
أفء أكشف الله الصدور متأثراً بالخلقة " (٥) . فإذا كانت سنوات عمره

قد غمت عليهم ، فيما غم من أخباره ، فمن أين جاءتهم هذه الأوصاف . .

هذا - وقد نشأ شاعرنا طرفة فقسيرا ، كما يتضح ذلك من نتف

(١)

الأخبار التي وجدت عنه ، وكما يتبين من قوله :

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرشد
فأصبحت ذامال كثير وعادنى بنون كرام سادة لمسكود

فها هو ذا طرفة على حقيقته ، رجل فقير أبتى . فليس له مال ولا أولاد . وغاية ما يتمناه أن يكون مثل قيس بن خالد ، أحد سراة بنى شيان أبناء عمومته أو أن يكون مثل عمرو بن مرشد أحد أبناء عمه . فيكون ذا مال ويكون ذا ولد ولعل طرفة لم يكن قد تزوج . فانه وان كان من عادة العرب أن يزوجوا أبناءهم مبكرين ، الا أن أخبارا عن زواج طرفة لم تصل إلينا . أو لعله كان متزوجا ولكن لم يحن له عقب .

الناس الأسمر ، والأثمة فى الابل والظباء لون مشربا بياضا . أما فى الانسان فهو السمرة ، (انظر اللسان أد م) . والزرق : شدة صفاء اللون ، مع ميل الى البياض (انظر اللسان زرق) . والوقص بالتحريك (قصر العنق . وقص (كعب) يوقص (كيلعب) ، وقصا . وهو أوقص وهي وقصاء (انظر اللسان وقص) . والافرع : الوافى الشعر وهو ضد الاصلع (اللسان فرع) والاكشف الذى تثبت له شعرات فى قصاص ناصيته لا تكاد تسترسل . والعرب تتشائم به . فهذا هو الكشف ، والموضع كشفة . والرجل اكشف (انظر اللسان كشف) . وقصاص الناصية نهاية منبتها من مقدم الرأس (انظر اللسان قصص) والزور ميل فى وسط الصدر ، وقيل بل هو اشراف أحد جانبيه على

وأثار شعر طرفة هذا شفقة ابن عمه عمرو بن مرثد ، وحرك
 مروءته . . روى الأعمى في شرحه لديوان طرفة عن أبي عبيدة قال :
 " فقال عمرو بن مرثد - لما سمع قول طرفة - ابعثوا الى طرفة فليأتني
 فأتاه فقال له : أما الولد فالله يعطيكه . وأما المال فلا تبرح حتى
 تكون أوسطنا مالا " . ثم أمر بنييه وبني بنييه فأعطوه مائة من الإبل . (١)

ولما كان طرفة فقيرا - كما رأينا - فقد كانت مهنته عند نشأته
 رعى الإبل . فقد روى التبريزي عن ابن الأعرابي ، قال : " كان لطرفة
 وأخيه ابل يرعيانها يوما ويوما . فلما أغبها طرفة قال له أخوه معبد :
 لم لا تسرح في ابلك - كما أفعل - كأنك ترى أنها ان أخذت يرد لها
 شعرك هذا " (٢) . قال : فاني لا أخرج فيها أبدا حتى تعلم أن شعري
 سيرد ها " . فان دلت هذه الرواية على شيء ، فانما تدل على أن شاعرنا
 كان فقيرا يربى ابل اهله ، ولولا فقره لانتدب لها راعيا ، كما كان
 يفعل أبناء السراة ، وذوو اليسار من العرب .

نبوغه وثقافته :

ظل نبوغ طرفة المبكر في الشعر لنزاهة من الأغاز ، حير الباحثين
 وشغل أذهان القدماء منهم والمحدثين . حتى ذهب بعضهم الى أن
 طرفة ربما قال الشعر في السابعة من عمره ، وأقبل ذلك التاريخ . والافكيف
 تبعاً لهذا المكانة المحمودة في سماء القصيدة العربية من الشعر .

وقد وصلت إلينا أخبار نبوغه المبكر من نثف الأخبار والقصص العابرة
التي ترددت على ألسنة الرواة في الأزمنة الغابرة . كقصته مع القنابر وهو
صغير ، وأوقسته مع أحد معاصريه من كبار الشعراء آنذاك ، وأوقسته مع أعمامه
الذين هضموا حقاًمه كما رأينا .

فأما قصته مع القنابر فإن ملخصها أن طرفة وهو في السابعة من عمره
كان قد رافق أحد أعمامه في سفر . فلما حطوا رحالهم يستريحون في الصحراء
وفي مكان اسمه معمر بالذات - كما ورد في شعر طرفة ، ذهب طرفة بفخ له فنصبة
للقنابر في الصحراء ، ونشر عليه الحب ، شأنه في ذلك شأن الصبية من أترابه
وظل يومه يرقب المصافير أن تقع على فخه فلم تفعل ، فقد حذرت أمره .

فلما أراد الركب المسير ، وأخذ طرفة فخه ومضى ، التفت إلى القنابر
فوجدها تسقط على مكان الفخ وتلتقط الحب المنثور هناك . فهيج ذلك
قريحته المبكرة فقال : (١)

يا لك من قبرة بمعمّر
خلالك الجو فيبضى واصفرى
ونقرى ماشئت ان تنقرى
قد رحل الصياد عنك فابشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى
لا بد من صيدك يوما فاصبرى

(٢) وروى المفضل بن سلمة رجلاً آخر لطرفة يهجو فيه تلك القنابر وهو قوله :

قاتلكن الله من قنابـر

مهتد يات بالفلأ نواقـر

فلا سقـن معين الماطـر

وفي هاتين الأرجوزتين - كما نرى - أخلاق الصبية الصغار واهتماماتهم

النبوغ المبكر ، والاستعداد الفطري للشعر .

وأما القصة الثانية ، وهى هجاء طرفة لأعمامه حين هضموا حلق أمه ، فقد مر بنا خبرها . والذى يقرأ قصيدة طرفة فيها ، يجد شعرا قد قوى عوده وصرح عموده . اذا قورن بشعره فى القنابر . وان روى الأعلام عن الأصمعى فى تقدّمه لها قوله : " ويقال انها من أول ما قال " .^(١)

وأما القصة الثالثة التى دلت الباحثون بها على النبوغ المبكر الذى حظى به طرفة بن العبد ، فهى قصته مع خاله المتلمس ، وألّمسى بن عيسى ، وأعمرو بن كلثوم ، كما اختلف الرواة فى إيرادها . فقد نسبها للمتلمس المفضل الضبي فى أمثال العرب^(٢) وابن قتيبة فى الشعر والشعراء^(٣) ، وابن دريد فى جمهرة اللغة^(٤) ، وأبو الفرج فى الأغاني^(٥) ، وأبو هلال العسكري فى الصناعتين ، وفى جمهرة الأمثال^(٦) ، والقزاز فى ضرائر الشعر^(٧) . وغيرهم .

ونسبها للّمسى بن عيسى : ابن السكيت فى روايته لديوان طرفة^(٨) والأمدى فى الموازنة بين أبى تمام والبحترى^(٩) ، والجرجاني فى المنتخب

(١) انظر الديوان ص ١٠٧ (٢) أمثال الضبي ص ١٠٣-١٠٤

(٣) الشعر والشعراء ١٨٣/١ (٤) م قنو (نوق)

(٥) أغاني - مطبعة التقدم - ١٣٢/٢١ - ١٣٣

(٦) الصناعتان ص ٦٤ وجمهرة الأمثال ٣٥-٣٦

(٧) ضرائر الشعر ص ١٧

(٨) ورقة ٣٧ من مخطوطة ١٥٢ أدب ش وورقة ٣٣ من المخطوطة ٩٦

أدب ش .

من كنايات الأديباء^(١) ، وغيرهم . ونسبت القصة لعمر بن كلثوم
في جمهرة الأشعار ، وفق الموشح للمرزياني^(٢) ، كذلك .

وملخص تلك القصة أن أحد أولئك الشعراء - وكلهم عاصر طرفة
كان ينشد القوم ذات يوم شعرا ، فكان ماقال :

وقد أتتاسى الهم عند احتضاره بناجٍ عليه الصعيرة مكدماً^(٣)

فقال طرفة ، وكان لا زال صغيرا يلعب مع الصبيان : " استنوق الجمل
فضحك القوم ، وذهبت مثلا . وذلك أن الشاعر قد وصف جملة بصفة
لا توصف بها إلا النوق ، وهي قوله : " عليه الصعيرة " . فالصعيرة سمة
في عنق الناقة خاصة . من الصعر وهو السيل^(٤) . قيل فغضب الشاعر
المنشد ، ونظر إلى لسان طرفة وأشار إلى رأسه وقال : ويل لهذا من
هذا . فذهبت مثلا .

وخلاصة ما نستنتجه من هذه الأقاصيص ، أن طرفة بن العبد كان
قد وهبه الله نبوغا مبكرا ، لم يكن لكثيرين غيره من أترابه الصبيان ، وحباه
بفطنة عرف بها بين أهل ذلك الزمان . بل لقد صار ذلك النبوغ وتلك
الفطنة المبكران ، علما عليه ، وسمة من سماته ، لا يتجاهلها باحث في
أشعاره ، ولا ينساهما متحدث عن أخباره . قال عنه أبو عثمان الأشناداني
في كتابه معاني الشعر : " نبغ في الشعر من حداثة ، حتى صار يعد

من الطبقة الأولى^(١) ، وقال عنه القيروانى فى كتابه أعلام الكلام :
 " ولقد خص بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر "^(٢)

هذا نبوغ طرفة ، وأما ثقافته فلم يكن أمرها أقل عجباً من أمر نبوغه المبكر . بل لعل لها به ارتباطا . كيف لا . . . وقد ضمن شعره فى ذلك العدد القليل من السنين من الأمور الثقافية ما كان كثير منه مجهولاً عند الكثيرين . فقد عرف الكثير من أماكن الجزيرة ومنازل أهلها ومضارب سكانها . كما عرف أوصاف الصحراء ، وطباع أهلها ، وأنواع رياحها وأمطارها ، وأعشابها وأشجارها ، وطيورها وحيوانها وغير ذلك .

وقد عرف كثيرا كذلك من صفات الحيوان وطباعه ، الوحش منه أو الأنيس . كما عرف أشياء من أيام العرب وثقافات الماضى وضروب الفروسية وأعمال الشعوب المجاورة ان فى البر أو فى البحر . كما قدم نماذج من الحكم والأمثال ، عز كثير منها على ذوى الخبرة والتجربة من الرجال .

ولو ذهبنا نحصى ضروب الثقافة التى عمر بها ديوانه ، أو نضرب أمثلة لها من شعره ، لطال بنا المقام ، ولكان فى ذلك استباق للأحداث^ث فما الهدف إلا التدليل هنا على ثقافته ليس إلا ، أما تفصيل ذلك ، فإنه سيأتى بإذن الله عند دراسة شعره .

سلوكه ومذهبه فى الحياة :

ان الذى يتصفح ديوان طرفة ، ويراجع نصف الأخبار التى وردت عنه

طرفية ، ومن اعتداده بنفسه ، ذلك الاعتداد الشديد . ومن جرأته
على الهجاء بصورة كان لها في لون حياته وقصة موته أثر عميد .

(١)

فأما اباحيته فانه يقررها بنفسه حين يقول :

فلولا ثلاث هن من حاجة الفتى	وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشرية	كيت متى ما تعل بالماء تزيد
وكرى ان انا رى المضاف محباً	كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والد جن معجب	بنهكة تحت الطرف المسدور

فانه قد وقف حياته على ثلاث ، ولولا هن ما أسف على موت ولا رغب فى
ازدياد حياة . وأولئك الثلاث هن الخمر والغروسية والنساء . وهو هنا قد
خلط الفح بالسمين كما يقال . فان اباحيته فى معاقرة الخمر واللهـــو
بالنساء ، لم تمنعه من المروءة والنجدة ، لمن يطلب النجدة من المكرويين
والملهوفيين .

(٢)

ثم استمع اليه يقول :

وان تبغسنى فى حلقة القوم تلقى	وان تقنصنى فى الحوانيت تصطد
متى تأتنى أصبحك كأساً رويصة	وان كنتعنهاذا غنى فاغن وازد

فهو امام القوم فى متداهم ، يشهد أمورهم ويشاركهم أحاديثهم . واما
فى حوانيت الخمارين يعبُ ما فيها من الخمر ، ويسامر من يرودها من
الفتيان . وهو يحضر رفيقه على زيارته هناك ليسقيه من شراب الفداة شربة
هنيئة وكأساً روية .

(١) ثم استمع إليه يقول :

(٢) وما زال تشرب الخمر ولذت
وبيعى وانفاقى طريقى ومتلدى
(٣) الى ان تحافتنى العشيرة كلها
وأفردت أفراد البعير المعبد

أرأيت اباحية مطلقة كهذه الاباحية ؟ لقد تجاوزت كل الحدود
حتى باع وأنفق من ماله الطارف والتلبد . ولقد أسف فى الشراب واللذة
الى الحضيض ، حتى حجرت عليه قبيلته كما تحجر على المريض . كيف لا . . ؟
وهى تخشى أن تنتشر اباحيته بين الشباب من أبنائها ، فتحرف مسارهم
وتفسد أخلاقهم . وهى شهادة من قبيلته على اباحيته التى رأينا
والتي تنتشر الأدلة عليها فى ثنايا شعره .

أما الظاهرة الثانية فهى اعتداد طرفه بنفسه . والذي يتجلى فى
قوله : (٤)

(٥) وآليت لا ينفك كشحو بطانة
لعصب رقيق الشفرتين مهند
(٦) أختة لا يثنى عن ضريبة
اذا قيل مهلا قتل حاجزه قدى
(٧) حسام اذا ما قمت منصرام به
كفى العود منه البدليس بمعضد
(٨) اذا ابتد والقوم السلاح وجدتنى
منيعا اذا ابلت بقائمة يدى

(١) الديوان ص ٣١ (٢) الطريف ما استحدثته من المال . والمتلدى والتلبد
والتلبد ما كان قد يعاندك (٣) تحافتنى العشيرة باعدتنى وأفردتنى
كما يتحامن البعير الا جرب حتى لا يعدى صحاح الابل . والمعبد المذل
بالقطران . (٤) الديوان ص ٤٢-٤٣

فهو دائم التمنطق بسيف موثق به ، حاد الشفرتين ، لا يفلت ضربته
بل ان الضربة الواحدة منه ، كقيلة بأن تحسم الأمر وتحرز النصر
وفى هذا من الاعتداد بالنفس ، والمباهاة بالشجاعة الشخصية ما فيه .
ومثله قوله : (١)

وَأُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيَّةِ إِذْ صَدَّتْ بِصَفْحَتِهَا عَنِ السَّهْمِ (٢)
وَأَجْرُ ذَا الْكُلِّ الْقَنَاةَ عَلَى أَنْسَاءِهِ فَيُظِلُّ يَسْتَدْمِى (٣)

فضربته لا تخطى ، رميته ، وهو مغرم بفعل الأبطال من الرجال ، وأبناء
الذوات منهم خاصة . وهو خبير بمقاتلتهم لا يخيب طعنه فيهم . ولا يكون
ذلك الا لرجل شديد جري ، صبور مقدام فى نفسه ، عزيز كريم فى أهله
وأصله ، ويتجلى ذلك فى قوله : (٤)

فَلَوْ كُنْتُ وَغَلَا فِي الرِّجَالِ لَضَرَنْتُ عِدَاؤُهُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ (٥)
وَلَكِنْ نَفَى عَنِ الرِّجَالِ جَرَأَتِي وَصَبْرِي وَقَدَامِي عَلَيْهِمْ وَمُحْتَدِي (٦)

ليس هذا وحسب ، بل انه يجعل من نفسه فتى القوم الذى لا يلجئون الا اليه
ولا يعتمدون الا عليه ، يقول : (٧)

إِذَا الْقَوْمُ قَالَوْا مَنْ فَتًى خَلَّتْ أُنْفَى عَضِيَّتِي فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّسْ (٨)

فهل رأيت اعتدادا بالنفس كهذا الاعتداد . . وهل سمعت اعتزازا
بالذات كهذا الاعتزاز ؟ .

فأما الظاهرة الثالثة التى تكمل بها صورة سلوك طرفة ومذهبه فى الحياة فهو جرأته على الهجاء ، من غير ما تفريق بين الأبعد والأقرباء . بل لعمل اعتداده بنفسه مرتبط بهذه الظاهرة ، وسبب من أسبابها . وقد يرجع ذلك إلى تكوينه النفسى الذى أفرزته ظروفه الاجتماعية التى رأينا . أو يرجع كما يقول بعض الباحثين إلى كونه ذا حسب فى قومه وذا مكانة بينهم فكان جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم . (١)

فقد هجا أعمامه حين اجترأوا على حق لأمه - كما رأينا - وهجا عمرو ابن هند ملك الحيرة حتى قتله كما سنرى . وها هو ذا يهجو عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، ابن عمه وزوج أخته ، وكان قد وقع منه فى حق طرفه ما أوغر عليه صدره ، وأطلق فى عرضه لسانه . ومن ذلك قوله فيه : (٢)

يا عجباً من عبد عمرو وبغيه لقد رام ظلمى عبد عمرو فأنعما
ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا إذا قام أهضما

فهو يجرده من خصال الرجولة المحمودة ، ثم يلقي عليه من الصفات ما لا يحمد إلا فى النساء . فهو ذو جسم ناعم لين ، يتثنى من نعيمه وغناه ، وهو ذو خصر ضامر يتضح لكل من يراه .

وقد كان الرجل من العرب فى الجاهلية يعتبر المساس برجولته من أقذع الهجاء ، فكيف إذا وصف بما توصف به النساء . . ولكنها جرأة طرفه وسلاطة لسانه . فكأنه يقول بأن سيفه من ناحية ، ولسانه من أخرى ، هما اللذان يدافعان عنه ويحميانه .

وخلاصة الأمر . . هي أن طرفة بن العبد ، كان شابا منطلقا
 لا يلوى على شيء ، معتدا بنفسه ، مفتخرا بشجاعته وفروسيته
 مدلا بمكانته في قومه ، مرخيا لنفسه العنان في هجاء من يشاء
 من الناس . وهوبين هذا وذاك يستبيح كل لذة ، ويقتنص كل
 فرصة للهو ، لا يردعه عن ذلك وازع من دين ، ولا يحسب -
 كما يقول حسابا للعوازل واللائمين .

* *

المبحث الثالث : علاقة بللاط الحيرة ، ونهايته :

علاقته ببللاط الحيرة :

كان بلاط الحيرة محط أنظار الشعراء العرب ، بسبب ما كان يخلعه ملوكها من الجوائز والمنح والعطايا ، على من كان يتعرض لفضلهم من أولئك الشعراء بالمدح والثناء ، أو كان يطلق لسانه في أعدائهم بالقدح والهجاء . فقد فطن ملوك الحيرة إلى دور الشعراء بين القبائل . فهم كما ذكرنا أبواق الدعاية وأساليب النشر وأصوات الاذاعة . كانوا اذا رضوا عن ملك أو رئيس أذاعوا في الناس فضائله وعظموه ، واذا سخطوا على أحد منهم ، تولوه بسلانح قولهم وسليط أسنتهم فحطوا من قدره وأنزلوه .

ولذلك فقد فتح ملوك الحيرة أبواب قصورهم للشعراء ، يدخلونها متى يشاءون . كما فتحوا لهم أبواب خزائهم ، وبسطوا لهم أيديهم وأكثروا لهم من الخلع والجوائز والمنح . واتخذوا منهم الجلساء والندماء زيادة في التشجيع والاغراء .

وتهافت على بلاط الحيرة فحول الشعراء وعظماؤهم ، يتعرضون انهمال ملوكها وعطاياهم ، ومحظون باكرامهم وخلقهم وهداياهم .

ومن هنا بدأت علاقة طرفة ببلاط الحيرة^(١). وكذلك كان الحال بالنسبة لخاله المستلمس..

وفتح عمرو بن هند للشاعرين بابيه ، وألحقهما بمجلسه ، وجعلهما من ندمائه^(٢). فهنئنا بذلك زمنا . ثم ألحقهما عمرو بن هند بحاشية أخيه قابوس بن المنذر . وجعلهما من ندمائه^(٣). وكان يرشحه لملك الحيرة من بعده^(٤). فهنئنا بذلك زمنا آخر . ولكن هذا الهناء لم يدوم طويلا ، إذ ما فتئت العلاقة أن ساءت بين طرفة وبين بلاط الحيرة فغضب عليه عمرو بن هند غضبا شديدا ، جعله يفكر في التخلص منه . بل ويتخلص منه فعلا كما سنرى . .

ويذكر الرواة لسوء العلاقة بين طرفة وبين بلاط الحيرة أسبابا ثلاثة . هي تغزل طرفة بأخت عمرو بن هند ، وخروجه مع عمرو بن أمية في ثورته عليه . وأخيرا هجاؤه له ولأخيه قابوس . وقد كان كل واحد من هذه الأسباب الثلاثة ، كهيلا بأن يوغر صدر عمرو بن هند على طرفة ، فكيف بها إذا اجتمعت ثلاثتها . . ؟

فأما تغزل طرفة بأخت عمرو بن هند ، فهو كما يزعم الرواة^(٥) ، أن طرفة كان ينادم عمرو بن هند يوما ، وبيناهما يشربان ، إذ أشرفت أخت الملك ، فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده ، فقال يشيب بها أمام أخيها الملك :

- أَلَا يَا أَيُّهَا الظَّيْفِيُّ الذى يبرق شنفاه (١)
 فقلبي منه مَسْبُولٌ وعيني تَمَّ ترعاه (٢)
 ولولا الملكُ القاعدُ قد أَلْشَنَ ظيْفِي فَاه (٣)

بهذه الصراحة ، وهذه الجرأة ، وهذا الاتهام . دون أن ينتابه من الملك أى وجل ، ودون أن يعتريه فى مجلسه خجل . فحقده عليه عمرو بن هند ، وأسرها فى نفسه ، حتى تحين الفرصة . ويذهب بعضهم الى أن التى أشرفت على مجلس الشراب هى زوجة عمرو بن هند ، وأن طرفة قال هذا الشعر فيها . (٤) والامرئحينئذ يكون أشد وأدهى . والنتيجة واحدة ، وهى أن عمرو بن هند قد أضْمَمَ على طرفة . (٥)

وأما الامر الثانى الذى ساءت بسببه العلاقة بين طرفة وبين بلاط الحيرة ، فهو خروجه مع عمرو بن أمامة فى ثورته على أخيه عمرو بن هند . فان عمرو بن هند - كما رأينا - كان يعد أخاه لابئيه وأمه قابوس بن هند لملك الحيرة من بعده . ولذلك فقد أقطعه بعض النواحي واستعمله عليها . وقطع أخاه لابئيه عمرو بن أمامة ، فغضب هذا منها ، وتحين الفرصة للثورة عليهما . وفى ذلك يقول :

- أَلَا بَنِ أُمِّكَ مَابَكْدَا ولك الخورنق والسديسر (٦)
 (٧)

== فى شرح المعلقات السبع ص ٤٥ وغيرها
 (١) برق (من باب نصر) وأبرق : لمع (اللسان برق) . والشفن (كالبحر) الذى يلبس فى أعلى الأذن من الاقراط ، والذى يلبس فى أسفلها هو القرط (كالبرج) . وقيل الشفن والقرطسواء . والجمع أشناف وشنوف (اللسان شنف) . (٢) التبل (كالدرب) هو أن يسقم الهوى - الانسان ، فهو مَبُول (اللسان تبل) .

فَلَا مُمْعِنٌ سَابِتُ الضَّمْرَانِ ۖ (١) اِنْ مَنَعَ الْقَصُورُ
بِكُنَائِبٍ تَرْدِي كَمَا تَرْدِي إِلَى الْجَيْفِ النَّسُورُ (٢)
أَتَى بَنِي الْعَلَاتِ تَقْضَى دُونَ شَاهِدِنَا الْأُمُورُ (٣)

ثم لحق عمرو بن أمارة باليمن . وتبعه من العرب فاس كثير . وسار طرفة ابن العبد معه . قال ابن السكيت : فلما قدم عمرو بن أمارة على الملك اليماني سأله أن يبعث معه جندا يقاتل به أخاه عن نصيبه من ملك أبيه . فقال له : اجتر من أحببت . فاختر مراداً . فسرهم معه (٤) ولكن قبيلة مراد فطنت بعد قليل إلى أن مسيرها مع عمرو بن أمارة ، ليس في مصلحتها . فثارت عليه وقتلته وتفرقت عنه . وفي ذلك يقول طرفة يحرض عمرو بن هند على مراد ، ويحضضه على الأخذ بثأر أخيه عمرو بن أمارة ، وكان يكنى أباحسان : (٥)

أَعْمَرُوْا بَنَ هِنْدٍ مَا تَرَى رَأَى مَعْشَرٍ أَمَاتُوا بِأَحْسَانَ جَارًا مُجَاوِرًا
فَانْ مُرَادًا قَدْ أَصَابُوا جَرِيْمَةً جَهَارًا وَأَضْحَى جَمْعُهُمْ لَكَ وَاتْرَا (٦)
فَلَوْ أَنَّهُ نَادَى مِنَ الْحِصْنِ عُصْبَةً لَأَسْقُوا عَلَيْهِ بِالصَّعِيدِ الشَّرَاشِرَا (٧)
وَلَوْ شَهِدَتْهُ تَغْلِبُابُنَةُ وَائِلٍ لَكَانَ لَهُ عِزًّا عَزِيْزًا وَنَاصِرًا
فَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ لَمْ تَزِرْهُمْ جَاهِرٌ خَيْلٌ يَتَّبِعَنَّ جَاهِرًا

(١) الضمران (بفتح الضاد وضمها) ، شجر صحراوي صغير قليل الحطب ، وقيل من الحمض (اللسان ضم) .

(٢) ردى يردى رديا (كمشى يمشى مشيا) ورديانا (كفليان) : عدا وأسرع (اللسان ردى) .

(٣) بنو العلات : هم بنو الضرائر ، أى الأخوة من أب واحد وأمهات شتى (انظر اللسان علل) .

(٤) فسرهم : فسرهمهم ، أى فكسروهم ، أى فكسروهم ، أى فكسروهم .

وكان أن احتفل عمرو بن هند على طرفه ، لما كان من سيره مع أخيه في ثورته عليه . فبعث إلى ابيه التي كانت في جوار قابوس بن هند ، فساقها وصادرها . . كأول اعلان لغضبه عليه . وبات يتحين الفرصة المتخلص منه .

وهكذا تعكر الجو بين طرفه وبين عمرو بن هند ، وكان صافيا وساءت بينهما العلاقة ، وكانت حسنة . فقد قرب من نفسه ، فخاص في عرضه وشبب بأخته . وقد جعله من ندائه فتار مع أخيه عليه . أترأه يتفاضى عن كل هذا ؟؟ على أن الذي بت العلاقة بين طرفه وبين عمرو بن هند هو هجاؤه له ولا أخيه قابوس كما سنرى . .

هجاؤه طرفه لعمرو بن هند :

لعل السبب الرئيسى الذى أحرق عمرو بن هند على طرفه وقطعها كان بينهما من اتعمال هو ذلك الهجاء المقذع الشديد ، الذى أثار عن طرفه في عمرو بن هند ، فتناقلته الألسن ، وتندربه المتحدثون ولم يبق فيه طرفه عند حد ، بل لقد تجاوز فيه كل حد . ولم يقتصر فيه على عمرو بن هند وحسب ، بل تجاوزه إلى أخيه قابوس بن المنذر ، وتوسع فيه حتى جعله يشمل كل آل المنذر .

== ومعبة (اللسان شرر) . وأما الحصن فهو ثعلبة بن عكابة . الجد السادس لطرفة (انظر ابن سلام ص ٢٨ ، ٢٩) ، وقد اشتهر بين العرب بكونه أباً لقبائل عدة . قال ابن الكلبى ليس من العرب من له ولد كل واحد منهم

والرواة يذكرون لبداً هذا الجاء سبياً وجيهاً . وذلك أن عمرو بن هند كما زعموا : (١) كان قد قسم الدهر يومين ، يوم بؤس ويوم نعمة . فكان يركب في يوم البؤس للصيد ، فيقتل أول من يلقي في طريقه من الناس . وكان يجلس في يوم النعيم للهواه وشرابه ، وتقف الناس طول النهار ببابه ، فان اشتهى حد يثأخذ أدخله إلى مجلسه . والاقضى الناس يومهم كذلك ، دون أن يسمح لأحد منهم بالمسير . وكان هذا دهره كله . ويظهر أن طرفة - وهو الفتى الحر الجريء لم يهجه مثل هذا الحال ، أو أنه كان قد ناله من سوءه بعض منال . .

وزعم رواية آخرون بأن هذا كان دأب قابوس بن هند أيضاً . (٢) فقد كان شاباً لاهياً ، مغرماً بالصيد والشراب ، يقضى فيهما أيامه . فاذا ركب للصيد رافقه طرفة والمتلمس ، وقضيا بصحبته اليوم كله ، حتى يعود في المساء وقد نالهما من الجهد ما نالهما . وإذا جلس للشراب وقفاً بيساب سرادقه حتى يؤذن لهما بالدخول . وقد وقف يوماً ببابه ، وانقضى اليوم دون أن يسمح لهما بمشاركته مجلس شرابه . فضجر طرفة ضجراً شديداً وقال يهجو عمرو بن هند ، وأخاه قابوس بن هند : (٣)

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغَوْتُ حَوْلَ قُبَّتَيْ تَخْشُورٍ

(١) انظر شرح الأعم لدَيوان طرفه ص ١٠١ ، وانظر كذلك جمهرة الأشعار للقرشي ص ٣٢ .

من الزُّمَرَاتِ أَشْبَلَ قَارِ مَاهَا
قَسَمْتُ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَحَى
لَنَا يَوْمَ وَلِلْمَكْرُونِ يَوْمٌ
وَضَرَّتْهَا مَرْكَسَةٌ دُرُورٌ (١)
كَذَاكَ الْحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
تَطْيِيرَ الْبَائِسَاتِ وَلَا نَطْيِيرُ

التي آخر هذه الأبيات ، التي كنا قد عرضناها في فصل سابق من هذا البحث . (٢)

وتتد القوم بهذا الشعر ، وذاع فيهم خبره ، حتى بلغ أسماع عمرو بن هند نفسه . فحفظها الطرفة ، وحق له ذلك . فان في القصيدة غير ما ذكرنا من سلاطة اللسان والخوض في الاعراض - ما فيها . .

أما كيف وصل هذا الشعر الى عمرو بن هند ، فان الرواة يتناقلون
في ذلك قصة لا تخلو من الطرافة (٢) وهي أن عبد عمرو بن بشر بن مرشد
ابن عم طرفة ، وزوج أخته ، الذي مر بنا ذكره ، كان من ندماء عمرو
ابن هند أيضا ، ومن أحب جلسائه اليه . وقد خرج معه للصيد يوما ، فسي
نفر من النعماء . فأمعنوا في الطلب ، حتى أصابوا طريدتهم . فقال لهم
عمرو بن هند اجمعوا حطباً وأوقدوا نارا ففعلوا . ثم شبعوا صيدهم
وجلسوا يأكلون .

وبيناهم كذلك ، وعبد عمرو بن بشر يقدم للملك ان ينظر هذا الى
خصر قميصه منخرقا ، فأبصر كشحته . وكان من أحسن أهل زمانه جسما
فقال : يا عبد عمرو .. لقد أبصر طرفة حسن كشحك حين قال :

(١) النعجة الزمرة : القليلة الصوف (من الزمر بالفتح - وهو قلة الشعر)

ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحا - اذ اقام - أهضماً (١)

وقيل بل إن عمرو بن هند أصاب في يومه ذاك ، واحد من حمار الوحش فعقره ، وطلب من عبد عمرو أن ينزل فيعالجه ، فأعياه . فضحك عمرو ابن هند وقال له : لقد أبصرك طرفة حين قال : ثم تمثل بيت طرفة المذكور . (٢)

وزعم آخرون بأن عمرو بن هند دخل الحمام يوماً ، ودخل معه عبد عمرو هذا . فلما تجرد نظرا ليه عمرو بن هند وقال : كأن ابن عمك طرفسة كان يراك حين قال :

" ولا خير فيه غير أن له غنى " . . حتى أتى على الشعر كله . (٣)

وأثار عمرو بن هند حفيظة عبد عمرو بن بشر بهذا الهجاء ، ومس كرامته أمام الندماء . وكان مختفا على طرفة ، لا مر كان بينهما - كما سبق أن ذكرنا - ولكنه لم يكن قد وجد الفرصة المناسبة ليقتله فيه . فلما لاح له اليوم افترصها . إذ كان يعرف ما قال طرفة في عمرو بن هند وأخيه قابوس فقال " أبيت اللعن " ما قال فيك أشد مما قال في (٤) ، أو قال : لقد قال للملك أقبح من هذا " (٥)

قال عمرو بن هند : وما الذي قال ؟ فندم عبد عمرو على ما سبق منه وأبى أن يسمعه . لقد أدرك أن قول طرفة سيجلب له غضب عمرو بن هند وقد يعرضه لآثامه ، وهو المعروف عند القوم بدعائه وبغيه وخبثه .

قال عمرو بن هند : " أسمعني وطرفة آمن " (١) . فقرأ عليه تلك القصيدة . قال عمرو بن هند : " أوقد بلغ من أمره أن يقول فو مثل هذا الشعر؟ " (٢) ثم أوهم عبد عمرو أنه لم يصدقه ، مخافة أن تدركه الرحم فينذر طرفة (٣) . وسكت على ما وقر فو نفسه زمنا ، وهو لا يريد أن يعجل على طرفة ، لمكان قومه الذي عرفنا ، ولكنه يحتال للامر .

وحاول طرفة أن يعتذر - وليس من طبعه الاعتذار - حين علم أن هجاء قد بلغ عمرو بن هند ، فارسل اليه أبياتا قليلة ، ينفي فيها عن نفسه تلك الوشاية ، ولكنها لم تبلغه ما أمل من غاية . قال : (٤)

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالْأَنْصَابُ يُسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دُمُ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ إِذْ حُسِبْتُ وَأُمِرْتُ مِنْ عَبِيدَةِ الْوُزَمِ (٥)
أَخْشَى عِقَابَكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَمْ أَغْدُرْ فَيُؤْثِرِينَا الْكَلِمُ (٦)
(٧)

* *

فهو ينفي عن نفسه تهمة هجاءه ، رهبا من غضبه وخشيته من عقابه وحتى لا يؤثر عنه ذلك ، ويشيع ، فتسوي بينهما العلاقة . وهو يقسم له على صدق ما يقول ، بما تعارفوا على تقديسه . وهو لا ينسى أن بينوه له فو هذه الأبيات القليلة أنه قد هم بهجاءه ، وذلك عندما أخذت ابله ، ولكنه لم يفعل .

(١) انظر شرح الأعم للديوان ص ١٠٤ (٢) شرح الزوزني للمعلقات السبع ص ٤٤

(٣) مجمع لا مثال للميداني (المثل ٣١١) (٤) الديوان ص ١٠٦

وتظاهر عمرو بن هند بقبول الاعتذار ، وإن كان قد بيت النية
للتخلص من طرفه . وبعث اليه من يطمئنه ، وهو يعد العدة لقتله
والبراءة من دمه في آن واحد . فانه كان يعلم أن بنى قيس بن ثعلبة
بل بنى بكر بن وائل أجمعين لن يسلموا طرفه ، ولن يسكتوا عن الاخذ
بثأره ولو بعد حين .

والحقيقة أن الذى يتصفح ديوان طرفه ، يجد بين ثناياه
فى هجاء عمرو بن هند من الأشعار ، مالا يجدى معها أى اعتذار .
وأى اعتذار هذا الذى يبدو فى الآيات التى ذكرنا . إنها - التى قلتها
أقرب ما تكون الى شرح حقيقة وتوضيح موقف ، وكيف يعتذر طرفه ؟
وهو الفتى الذى نعرف ؟ وماذا يجدى الاعتذار فى قوله لعمرو بن
(١) هند :

أنت ابن هند فأخبر من أبوك إذا	لا يصلح الملك الا كل بذخ (٢)
ان قلت نصر فصر كان شرف فتنى	قد ما وأبيضهم سربال طباخ (٣)
ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق	وفى المخازى لكم أسناخ أسناخ (٤)
ان قسم المجد الذى فى سراتكم	أو قسم اللوم فضلتها بشياخ (٥)

(١) الديوان ص ١٤٧ .

(٢) الباذخ والبذخ (بالتشديد) : العالى ، ذوالشرف . والجمع بذخ
وبواذخ (اللسان بذخ)

(٣) نصر من أجداد عمرو بن هند . وأبيضهم سربال طباخ كناية عن يحلله .

(٤) الظل الغزو والمنعة (اللسان ظلل)

والورق النسل والاحدك والورقة (كالشجرة) الكريم من الرجال
اللسان ورق (والسنخ (كالبرق) . الأصل من كل شىء ، والجمع

أصله من كل شىء ، والجمع

فمن يسمع مثل هذا القول في أهله ثم يسكت ، إلا أن يكون غير عمرو بن هند .
ومن يستطيع أن يقول مثل هذا القول في ملوك الحيرة ، إلا أن يكون طرفة
ابن العبد . أو شاعرا يتمتع بجرأة كجرأة طرفة ، ويحمل لسانه
كلسانه ..

على أن طرفة قد قال في عمرو بن هند - غير ما ذكرنا - هجاء
مقدما (١) . يصف اللسان عن ذكره ، ويتسامى عن ترديده ونشره ..
فقد تدنى فيه إلى أخس القول وأفحشه ، ورمى الرجل بأقبح الصفات
وأحطها . لقد شبهه بالمرأة الفاجرة ، التي تبيت الليل تقسارف
الآثام ، وترتكب الفواحش .. حين قال :

مَلِكُ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلُ مُوسِيَّةُ (٢)

إلى آخر ما قال . فان فيه من سب الرجل ، وقذف عرضه ، وإساءة
القول فيه ملا يغسله إلا دم طرفة - كما سنرى ..

* *

(١) القذع (كالقلم) : الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره . والهجاء
المقدع : الذي فيه فحش وقذف وسب يقبح نشره (انظر اللسان
قذع) .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي ١٩٥ / ٣ والبيت
منسوب للمتلمس في الأغاني - ثقافة - ٢٣ / ٥٣٩ وهو في ديوانه

حيلة عمرو بن هند لقتل طرفة :

كان المتلمس ممن شارك طرفة هجاء عمرو بن هند . بل انه كان

أيضاً ممن أقذع له الهجاء ، كما فعل طرفة . ومن قوله فيه : (١)

قُولاً لعمرو بن هند غير مُتَّعِبٍ يَا أَخْنَسَ لَا تَفْؤَالَا ضِرَاسُ كَالْعَدَسِ (٢)

لَوْ كُنْتَ كَلْبَ قَنْيَهِ كَتَدَا جُدَدٍ تَكُونُ أَرِيثُهُ فِي آخِرِ الْمَتَرَسِ (٣)

وأسف المتلمس في هجاء عمرو بن هند أكثر من هذا ، كما أسف طرفة . حتى

إن الرواة قد خلطوا في نسبة بعض أبياتهما في هذا الجانب ، فهي عندهم

مرة للمتلمس ومرة لطرفة . (٤)

ولذلك فإن عمرو بن هند عند ما صمم على قتل طرفة قال له بعض

جلسائه " انك ان قتلت طرفة هجأك المتلمس " . (٥) فوجدت هذه القولة

عنده أن ناصاغية . فصمم على التخلص من السمتمس كذلك .

(١) الاغانى - ثقافة - ٢٣ / ٥٣٩ والبيتان في ديوانه ص ٢٩٨-٢٩٩

(٢) الابة (كالهبة) ، والتوبة (كالتودة) ، والموئية (كالموقعة) والواب كالبرق : كلها الخزى والحيا والانقباض . والموئيات من الامور المخزيات (انظر اللسان وأب)

وأخنس لانف : قصيره . والبقر كلها خنس " فلعله بذلك شبهه . (انظر اللسان خنس) . وقد شبهه أضراره بالعدس في صغرهما وسوادهما .

(٣) القنيص الصائد والمصيد وجماعة الصائد (اللسان قنص) . والجددة (كالحقة) الخطة في متن الحيوان تخالف لونه . والجمع جدد (كزحل) اللسان جدد والارسة (كالعضبة) : العقدة اللسان ارب . والمرسة (كالبقرة) والمرس (كالفرس) الحبل . . والجمع مرس (كبقرة) وجمع الجمع أمراس (اللسان مرس) . يقول بأنه من أخس الكلاب ، وقلادته من أخس القلائد .

ولكن عمرو بن هند ، كان يريد أن يتخلص منهما ومن أن يتحمل
 دمه . فأعرض عنهما زمنا حتى أمناه ، ثم بعث اليهما فأتياه ، فأكرم
 مقدمهما ، وأحسن اليهما ، وأغدق عليهما من خلعهِ وعطاياه . (١) حتى
 إذا تأكد من اطمئنانهما إلى جانبه ، ووثوقهما به ، دعاهما إليه وقال :
 " أظنكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، فهل لكما في أن أكتبكما إلى عامل
 البحرين بسلامة ، وجائزة ؟ " قالا : نعم . فكتب إليه بقتلهما (٢)
 ثم قال لهما : " انطلقا إليه فاقبضا جوائزكما " (٣)

أما طرفه فكان كما عرفنا - شابا معجبا بنفسه ، مغرورا بمكانه
 في قومه ، مدلا بمكان قومه في الناس . ولذلك فقد استقل من شأن -
 عمرو بن هند ، ونسى ما قال فيه أو تناساه . وجعل كما يروى خاله
 المتلمس ، يتخلج عجباً وتيهاً في مشيه بين يديه ، والرجل يكاد يقتلعه
 من الأرض بنظرته إليه . (٤)

وأما المتلمس ، فقد كان رجلا مسنا ، ذات تجربة في الحياة ، علمته
 السنوات الطوال من العمر والتجارب الكثيرة ، أن يظل حذرا مهما
 كان ، وألا ينخدع بظواهر الأمور فيطمئن لكل انسان . ولذلك فانه لم

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٤٤

(٢) كتاب المنتالين من الشعراء - لمحمد بن حبيب ص ٢١٣

(٣) جمهرة القرشي ص ٣٢ والاغانى - التقدم - ١٢٥/٢١ والاغلم

في شرح الديوان ص ١٠٤

يأمن عمرو بن هند ، وخامره الشك فيما كتب له ولطرفة ، قال الأعلم
الشنتمري في شرح الديوان : " فلما هبطا النجف ، (١) قال
المتلمس : يا لطرفة - انك غلام حديث السن ، والملك من قد
عرفت حقه وغدره . وكلانا قد هجاه . فلست آمنا أن يكون قد أمر
فينا بشر ، فهلم فلننظر في كتبنا هذه ، فان يكن أمر بخير مضينا فيه
وان تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا . فأبى لطرفة أن يفك خاتم الملك .
وعدل المتلمس الى غلام من غلمان الحيرة عبادي (٢) ، فأعطاه الصحيفة
فقرأها ، فقال : شكك المتلمس أمه . فانتزع الصحيفة من الغلام
واكتفى بذلك من قوله واتبع لطرفة فلم يلحقه ، وألقى الصحيفة في نهر
الحيرة ، ثم خرج هاربا الى الشام . (٣)

أرأيت يقظة المتلمس ومراسه وحذره (٤) ثم أرأيت كيف صرح
ظنه وصدق حدسه ؟ وكان أن ألقى بكتاب الملك في النهر ، ونجا من
الهلاك . وفي ذلك يقول : (٥)

وَأَلْقَيْتُهَا بِالنُّشْ مِنْ جُنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْتُو كُلَّ قِطْعٍ مُضَلِّلٍ (٦)
رَضِيتُ لَهَا بِالْمَاءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا التِّيَارُ فِي كُلِّ جَدٍّ وَلٍ
وقيل بل انه قال لطرفة : " تَعْلَمَنَّ أَنَّ الَّذِي فِي صَحِيفَتِكَ مِثْلُ الَّذِي فِي
صَحِيفَتِي . قال لطرفة : ان كان اجترأ عليك ، فلم يكن ليجتري عليَّ

(١) منطقة النجف بالعراق مشهورة ، وهي قرب الكوفة (انظر اللسان نجف

ومعجم البلدان نجف)

(٢) العباد كالبلاد : قوم من قبائل شتم من بطون العرب ، اجتمعوا

ولا ليقدم على^(١) . ففارقة المتلمس وهو يقول :^(٢)

من مبلغ الشعراء عن أخويهم^١ نبأ فتصدّ قههم بذاك الانفس^٢
أودى الذى علق الصحيفة^٣ منها ونجا^٤ ارحبائه المتلمس^(٢)
ألق الصحيفة لا أبالك إنه^٥ يخشى عليك من الحباء^٦ النقرس^(٤)

* *

نهاية طرفة :

لم يستمع طرفة الى نصح خاله المتلمس - كما رأينا - ومضى فى طريقه ، رغم أنه قد رأى بعينه وسمع بأذنه ، ما كتب عمرو بن هند فى صحيفة المتلمس ، وكان يعلم أن أضم عمرو بن هند عليه أقوى وحقده عليه أشد . ولسنا ندرى سببا لعدم سماعه نصح خاله الا أن يكون طيشه واعتداده بنفسه قد حجب عينه عن الرؤية ، وأصمأذنه عن السماع . والا فماذا كان ينتظر من عمرو بن هند غير ما رآه فى صحيفة خاله . . . وهو الذى أقنع فى هجائه أكثر ما فعل خاله ؟

قال الأعظم الشنتمرى فى شرحه لذيوانه : " ثم سار طرفسة

= (اللسان كفر) ، وأقوى أى أجزى وأكافى* (اللسان قنا) ، والقط كالهر) : الكتاب (اللسان قطط) . والبيت للمتلمس فى موضعين (كفر وقنا) .

(١) انظر الاغانى - مطبعة التقدم - ١٢٦/٢١

(٢) انظر الاغانى - دار الثقافة - ٥٤٤/٢٣ والبيتان الاوّل والثانى

فى ذيوانه ص ١٧٧ ، والبيت الثالث فيه ص ١٨٦

حتى قدم على عامل البحرين وهو هجر ، فدفع له كتاب عمرو بن هند
 فقرأه فقال له : هل تعلم ما أمرت فيك ؟ ، قال نعم . . أمرت أن -
 تجيزنى وتحسن الى . فقال له العامل : ان بينى وبينك خثولة
 أنا راع لها ، فاهرب من ليلتك قبل أن يصبح ويعلم الناس بمكانك
 فانى قد أمرت بقتلك . فقال له طرفة : قد اشتدت عليك جائزتى
 فأحببت أن أهرب ، وأن أجعل لعمرو على سبيلا ، كأنى قد أذنبت
 ذنبا . والله لا أفعل ذلك أبدا . (١)

(٢)
 فيا عجباً لطرفة أى عجب . . حتى فى هذا الموقف يستدبر بصره
 ويصدق فى نفسه وصفه ، فهو الذى يقول :

سَادِرًا أَحْسَبُ غَيًّا رَشِدًا فِتْنَاهِيْتُ وَقَدْ صَابَتْ بِقُرْ
 وَلَكِنَّهُ هِنَامَاتِنَاهِي حَتَّى صَابَتْ بِقَرِّ فَعَلَا ، ووقع هو فيما يحذر حقا . فأين
 فطنته ؟ وأين ذكاؤه ؟؟ وأين حنكته وأين دهاؤه . . لقد كان عليه
 أن يقبل انذار الوالى ، وقد أخذته فيه مروءة أو أدركته رحم ، ولكنه
 لم يفعل . .

قال الاعلم : " فلما أصبح أمر بحبسه ، وتكرم عن قتله . وكتب
 الى عمرو بن هند أن ابعت الى عمك غيرى ، فانى غير قاتل الرجل . فبعث
 اليه عمرو بن هند رجلا من بنو تغلب . واستعمله على البحرين ، وكان

رجلا شديدا شجاعا ، وأمره بقتل طرفة . فقد م البحرين وقرأ عهده
على أهلها . فلبث أياما فاجتمعت بكر بن وائل فهت به . وكان طرفة
يحرصهم . وانتدب له رجل من عبد القيس ثم من الحواثر ، يقال له
أبو ريشة ، فقتله فقبره بهجر ، بأرض منها البنى قيس بن ثعلبة (١) .

وهكذا مضى طرفة الى حيث أراد الله أن يمضى ، دون أن
يحرك أهله ساكنا للدفاع عنه ، غير أنهم هموا بالعمل - كما يقول
الأعلم - ثم سكتوا . فما الذى عمون عليهم أمر طرفة فأهملوه ؟ وكان
بعقد ورهم أن يستنقذوه . ٢٢ . وقد كان طرفة يحرص قومه من سجنه
دون أن يسمعوه . ومن ذلك قوله فى قصيدة طويلة مطلعها : (٢)

أَلَا عَزَّلَيْنِي الْيَوْمَ خَوْلَةً أَوْغَضِي فَقَدْ نَزَلْتُ حُدَّ بَاءَ مُحْكَمَةِ الْعَضِي (٣)

وكان العامل حين سجنه قد بعث اليه بجارية تسمى خولة ، فلفظها
طرفة وقال تلك القصيدة . (٤) وفيها يقول :

أَلَا بَلِّغَا بَكْرَ الْعِرَاقِ بَنَ وَائِلٍ بِكَاسٍ سَقَى النَّصْرَى شَارِبَهَا رَمَضِ (٥)
وَكُنَّا عَلَى ذِي مِرَّةٍ وَسَطَ قَوْمِنَا ضَبِيعَةً قَدْ مَأْنَصَرِبُ النَّاسِ عَنْ عَرْضِ (٦)

-
- (١) انظر الد يوان ص ١٠٥ (٢) انظر الد يوان ص ١٦٨
(٣) غرض البصر : كفه وخفضه وكسره . والحالة الحدباء : الصعوبة
الشديدة التى لا يطمئن صاحبها لها (اللسان حدب)
(٤) ابن السكيت فى نسخ الديوان المخطوطة الاولى ظهورقة ٣٠ والثانية ورقة ٢٧
(٥) النصري هو عمرو بن هند ، فالمناذرة من آل نصر . والرمض (بالسكون)
مصدر رمض النصل يرمضه (بضم الميم وكسرها) رمضا : حدده ،
فهو رميض . والرمض كذلك شدة الغيظ (اللسان رمض)

ون هبت صيحه أد راج الرياح ، وكأن الصمم قد أصاب قومه ، فأطلق
فيهم صيحة أقوى ، وضمنها انفعاله ويأسه . قال : (١)

أبلغ سراة بني بكر مُنْغَلَّةً فجدع الله من آذانها اليمينَا
كما دافعوا فيرى فيهم مكانهم ولا سمعنا لها من ذكرها حسنا

ولكن حظ صيحه هذه لم يكن أوفر من حظ سابقتها . وهو أمر يدعو
للعجب ، فلم يكن ذلك من شأن العرب . وكيف يكون من شأنهم
وشاعرهم يقول : (٢)

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
واكتفى قوم طرفة بطلب ديته بدل المطالبة بدمه . فأخذها أخوه
معبد بن المعبد من الحواثر ، لما كان من قتل صاحبهم أياه . وفي
ذلك يقول المتلمس :

أبني قلابة لم تكن عاد اتكم أخذ الدنية قبل خطة معضد (٦)

(١) انظر انديوان ص ١٩٨

(٢) المنغلة (بفتح الغينين) : الرسالة المحمولة من بلد الى بلد
انظر اللسان غلل ، والجدع : القطع ، وقيل الذي يكون في الانف
والاذن والشفة واليد ونحوها . (انظر اللسان جدع)

(٣) هو قريط بن أنيف أحد بني العنبر في نونيته المشهورة :
لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
انظر حماسه أبو تمام بطبعة بولاق ١ / ٥ وشاهدنا فيها ١ / ٩ وقبله
قوله :

قوم ان الشرأبدى ناجذيه لهم لها رها اليه زرافات ووحدانا

(٤) انظر اللسان ، الا عند بني (كعب بن) دغاهم وحشهم (اللسان عند)

وانطلقت الخرنق أخت طرفة ، تبكيه بشعرها الذى رأينا -
 حار البكاء ، كما انطلق لسانها فى عبد عمرو بن بشر بن مرثد
 وفى عمرو بن هند نفسه ، بأقذع الهجاء . (١)

وبموت طرفة بن العبد ، طويت صفحة حية من صفحات
 الأثب العربى ، كانت ستكون مجلدا ضخما ، لو كتب لصاحبها
 امتداد فى الحياة . إذ أنه على قصر عمره ، قد حير بنبوغه
 الباحثين ، وشغل بشعره الدارسين .

وسنرى مصداق ذلك فى الباب القادم من بحثنا هذا
 ان شاء الله تعالى . .

* * *

تحت جده سعد بن مالك . والدنية الخسيس من الأمور
 ويقال للرجل إذا طلب أمرا خسيسا لقد دنى (بالتشديد)
 (انظر اللسان دنا) . ومعضد (كمبرد) هو معضد بن عمرو
 الذى تولى قتل طرفة (انظر الديوان ص ١٤) .

(١) انظر شعر الخرنق فى عمرو بن هند ، وفى عبد عمرو بن بشر

الباب الثاني

شعر طرفة

- الفصل الأول : دراسة تاريخية
الفصل الثاني : موضوعات شعره
الفصل الثالث : خصائص شعره

الفصل الأول

دراسة تاريخية

المبحث الأول : مصادر شعر طرفة ورواة ديوانه
المبحث الثاني : الانتحال في شعر طرفة
المبحث الثالث : طرفة في رأى القدماء

الفصل الأول

دراسة تاريخية

المبحث الأول: مصادر شعر طرفة ، ورواة ديوانة :
مصادر شعره :

كان حظ الشعر العربي في الجاهلية - على قلته - أوفر من حظ نظائره من أشعار الأمم القديمة الأخرى . وذلك بفضل ما خص الله به العرب من ذاكرة حافظة ، ظلت تتناقل روايته جيلا بعد جيل بالمشاهدة أساسا ، وبيعض قليل من الكتابة أحيانا . ثم بفضل ما بذله علماء العربية من جهود لجمع تلك الأشعار . فقد كانت تلك الجهود هي السبب المباشر في وصول هذه الأشعار إلينا .

اذ أنه ما ان بدأ عصر التدوين في أواخر القرن الثاني الهجري حتى انبرى أولئك العلماء في المدرستين المشهورتين البصرة والكوفة لجمع ذلك الشعر وتسجيله ، من رواته وحفظته من أبناء البادية وفصحاء العرب . سواء أكانوا يغزونها في مضارب أقوامهم ، فيكتبون عنهم ما يكتبون ، أو كانوا يتلقونهم وهم يوافون أسواق البصرة والكوفة ، ويرودون حلقات العلماء ، يمتارون ويتسكبون بما يحفظون . وقد كان أولئك الأجلاء ، يعتبرون ذلك مفخرة من مفاخرهم ، ومأثرة من مآثرهم .

بل لقد كان الناس في ذلك الزمان - والعلماء منهم خاصة - يعتبرون المعالم الذي لم يسمع من الأعراب أدنى مرتبة وأقل علما ، قال ابن الأنباري

(١)

وهو يتحدث عن يونس بن حبيب :

"وكانت حلقة بالبصرة ، وكان يقصده طلبة العربية ، وفصحاء
الاعراب والبادية ." (٢)

وقال الجاحظ في البيان والتميين : " وقد جمعت لك في هذا الكتاب
جملا التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار ." (٣)

وإذا كان هذا الخبران من جملة الأخبار التي تدل على أن العلماء
قد فتحوا أبوابهم على مصراعيها لفصحاء الأعراب يدخلونها متى
يشاءون ، فيسمعون منهم ويكتبون عنهم ، فإن الأخبار على ارتياد
العلماء لمضارب القوم في الصحراء كثيرة كذلك . .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : " دخل أبو عمرو ، اسحق
بن مرار - الشيباني البادية ، ومعه وستيجتان من جبر ، فما خرج
حتى أتاهما بكتب سماعه عن العرب ." (٤) وأين ما كتبه أبو عمرو
الشيباني بهاتين الزجاجتين ، ما كتبه الكسائي (٥) رحمة الله عليه
عندما حمل معه إلى الصحراء أضعافاً مضاعفاً من زجاجات الحبر .

(١) هو عبد الرحمن - يونس بن حبيب - مولى بني ضبة ، إمام نجاة
البصرة في عصره . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وسمع من العرب كما
سمع من قبله . وأخذ عنه سيبويه وحكى عنه في كتابه ، وأخذ عنه
كذلك الكسائي والفراء وغيرهما . وقد عمر ثمان وثمانين سنة ،
وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة . " انظر المعارف لابن قتيبة
ص ٥٤١ ، ونزهة الألباء ص ٤٩ ومعجم الأديباء ٦٤ / ٢٠ وغيرها

ابن
ذكر الأنباري في نزعة الألباء ، أن الكسائي سأل الخليل (١) من
أين علمك ؟ فقال : من بوادي الحجاز وتهامة . فخرج الكسائي
وأنفذ خمس عشرة قنية حبرا في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظه (٢) .

فلما اجتمع لأولئك العلماء هذا القدر من الأشعار ، أخذوا
يصفونها " طسورا " في مجموعات شعرية لقبائل أو طبقات اجتماعية
معينة وأخيرا في مختارات ومنتخبات (٣) . ناهيك عما عجت به
صفحات كتبهم اللغوية والأدبية والنحوية والدينية والتاريخية
وغيرها ، من تلك الأشعار . إذ كانوا يتمثلون بها على معاني مفردات
اللغة أو مختلف أساليب الأدب ، أو متشعب مسائل النحو ، أو متعدد
حوادث التاريخ .

وقد كان شاعرنا طرفة بن العبد - على قلة شعره - ذا حظوة
وحظ وافرين عند أولئك العلماء ، فإما من صاحب اختيار الاختار له
وما من واضع مصنف إلا استشهد بشعره . بل لقد كان حظّه أوفر
من حظ كثير من شعراء الجاهلية المعمرين ، حين وصلنا ديوانه

الكوفيين وأحد أئمة القراء السبعة . أخذ عنه الفراء وأبو عبيد
القاسم بن سلام وآخرون . وله كتب في النحو والقراءات وغير
ذلك من العلوم . وقد توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة (انظر
المعاني لابن قتيبة ص ٥٤٥ ، ونزعة الألباء ص ٦٧ وانباء
الرواة ٢٥٦/٢)

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي - نسبة إلى فيخذ من الأزهر
يقال له الفراهيدي ، كان سيد أهل الأدب قاطبة في علمه

ولم تصلنا لكثير من أولئك دواوين .

ولعل أقدم ما بقى من تلك المجاميع الشعرية هو الاختيارات التي جمعها حماد الراوية وسماها السموط أو المعلقة (١) . وهي تلك القصائد الطوال المشهورة التي كثر الحديث عنها ، حتى زعموا أنها كانت معلقة على جدران الكعبة ، مكتوبة بماء الذهب . وقد ذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حماد (٢) ، هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة (٣) .

وكانت المعلقة عند حماد سبعة ، هي معلقة امرئ القيس ابن حجر ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، ولبيد بن ربيعة ، وعنترة بن عمرو بن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة . ولكن المفضل الضبي حين روى المعلقة السبع استبدل بمعلقة عنترة بن عمرو بن شداد ، والحارث بن حلزة ، قصيدتين للنايف والاعشى (٤) .

وللمعلقة شروح كثيرة من أهمها شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري (٥) وشرح المعلقة السبع للزوزني ، وشرح (٦)

(١) انظر تاريخ العرب المعري - للمستشرق بروكلمان - ١/ ٦٢

(٢) أعد رواية الكوفة المشهورين للأشعار والأخبار . وقد روى ابن قتيبة

قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي - أنه لم يكن يرضى رواية حماد

انظر المعارف لابن قتيبة ص ٥٤١ ونزهة الألباء ص ٣٥ .

القوائد العشر للتبريزي . (١) وكان أبو جعفر النحاس (٢) ، قد وضع شرحها للمعلقات التسع جامعاً بين ما رواه حماد والمفضل . أما التبريزي - فقد أضاف لذلك قصيدة عبيد بن الأبرص البائية ليتها عشرة . (٣) .

ثم وضع المفضل الضبي اختيارات عرفت بالمفضليات ، وهي أوسع من المعلقة وأغزر ، فقد حوت مائة وثلاثين قصيدة ومقطوعة ، وكان للشعراء الجاهليين النصيب الأكبر منها . وآخر تحقيق لها هو ما صنعه الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، وطبعته دار المعارف بمصر عدة طبعات ، والمفضليات وإن لم يكن لطرفة فيها شيء ، إلا أن شرحها لابن الأنباري قد تناثرت أبيات لطرفة بين ثناياه .

ثم وضع الأصمعي اختيارات أخرى عرفت بالأصمعيات ، جمع فيها حوالي اثنتين وتسعين مقطوعة ، كان لطرفة من بينها قطعة صغيرة من أربعة أبيات . وكان آخر عمل في الأصمعيات هو تحقيقها الذي قام به الأستاذان أحمد شاكر وعبد السلام هارون أيضاً ، وتولت دار المعارف بمصر طبعه عدة مرات ، كما فعلت بالمفضليات . ثم جاء أبو زيد القرشي في القرن الثالث الهجري فجمع في كتابه الذي أسماه (جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام) تسعاً وأربعين قصيدة . جعلها سبعة أبواب بكل باب سبع قصائد . . .

(١) توفي أبو زكريا يحيى بن علي بن محسن بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام - التبريزي المعروف بالخطيب سنة ٥٠٢ هـ (انظر ترجمته في انباء الرواة ٢٢ / ٤ ، ونزهة الألباء ص ٣٧٢)

فالمعلقات ، والمجمهرات ، والمنتقيات ، والمذهبات ، والمراثي ،
والمشويات ، وأخيرا الملحقات .

وقد روى عن المفضل الذي هو سند روايته قال : " قال المفضل
"فهذه التسع الأربعون قصيدة هيون أشعار العرب ، في الجاهلية
والإسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم (١)

ثم ذهب الأدباء والعلماء الى نوع جديد من الاختيارات تخففوا
فيه من القصائد الطوال ، واقتصروا على المقطوعات الصغيرة يقسمونها
على موضوعات الشعر وأبوابه المختلفة . فهذه مختارات في الحماسة
وهذه في المراثي ، وأخرى في الأثب أو النسيب أو الهجاء أو المديح
أو غير ذلك . وأول من بدأ هذا النوع من الاختيارات هو أبو تمام الشاعر
المشهور . (٢)

وقد جمع أبو تمام في كتابه المسمى بديوان الحماسة - نسبة لا أول باب
من أبوابه - ثمانمائة وثيقاً وسبعين مقطوعة ، قسمها على عشرة أبواب وبدأها
بما قيل في الحماسة ، وختمها بما قيل في مذمة النساء . وقد اختار
أبو تمام في حماسته هذه لطرفة قطعة من خمسة أبيات . ولأبو تمام -
اختيارات أخرى تسمى الوحشيات ، أو كتاب الحماسة الصغرى ، وضعها
على نفس أبواب الحماسة الكبرى تقريبا . وجمع فيها أكثر من خمسمائة
مقطوعة مما شردت معانيه وكثر غريبه . " وأغلبها للمقلين من الشعراء "

(١) انظر جمهرة الأشعار - بتحقيق البجاوي ص ١٠٧ . والمفضل هذا
غير المفضل الضبي المشهور ، فان بين الرجلين أكثر من قرن من الزمان
وأما يد القش والمفضل هذا . محمداً . للعلماء انظر تاريخ

أوالمغمورين منهم^(١) ، ولذلك فليس في كتاب الوحشيات لطرفة شيء .

ثم جاء أبو عبادة البحتري^(٢) ، فوضع حماسته على نسق حماسة أستاذة أبي تمام . ولكنه وسعها عنه ، فقد جعلها مائة وأربعة وسبعين بابا ، جمع فيها حوالي خمسمائة وألف مقطوعة . وقد اختار لطرفة فيها ثمانية مواضع .

ثم جاء الخالديان^(٣) ، فجمعا في كتاب الأشباه والنظائر مئات من المقطوعات لمئات من الشعراء في مئات من الأبواب . وقد خالف الخالديان أقرانهما حين صنعوا رواوين في الحماسة ، حين أعلا رأيهما فيها رويًا ، فقد ضامتا تشابه وتناظر من الأبيات في كل أمر ثم بينا الجيد منه وغير الجيد في أغلب الحالات . وكذلك لم يفتهما في كثير من المواضع أن يذكرنا من سبق إلى هذا المعنى من الشعراء وقد اختار الخالديان لطرفة في ستة مواضع .

وعلى غرار ما صنع أبو تمام والبحتري - صنع ابن

= إلى ذلك حسن الاخلاق كريم النفس . ولد سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات سنة احدى وثلاثين ومائتين . (انظر نزهة الالباء ص ١٥٥) .

(١) انظر مقدمة محقق كتاب الوحشيات ص ٦ .

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحتري الشاعر المشهور . وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر الناس في زمانهم

الشجرى^(١) فى الحماسة الشجرية ، حيث جمع فيها نيفا وأربعين
 وتسعمائة مقطوعة ، ولكن ليس لطرفة فيها شئ . ثم جاء البصرى^(٢)
 فجمع فى الحماسة البصرية أكثر من ستمائة وألف مقطوعة ، وذلك فى -
 مختلف الموضوعات . وبعض تلك المقطوعات قصائد ، وبعضها -
 أبيات مفردة ، وأكثرها مقطوعات صغيرة . وقد اختار لطرفة فيها فى
 خمسة مواضع .

وقد جمع علماء العربية - غير هذه الاختيارات التى سر ذكرها
 وغير دواوين الشعراء التى سيأتى ذكرها - دواوين القبائل . وقد
 وصلت اليها من تلك الدواوين أخبارها ولم تصل اليها أشعارها . ان لم
 يكتب لها البقاء عبر هذه السنين ، وضاعت فيما ضاع من تراثنا الثمين
 ولم يبق لنا منها الا ديوان هذيل^(٣) ، الذى شرحه أبو سعيد
 السكرى^(٤) . وقد تناثرت فى ثنايا شرحه أبيات لطرفة بن العبد .

== محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم بن ولة بن عرام - من بنى
 عبد القيس - كان أصلهما من الخالدية ، قرية من أعمال الموصل
 فنسبا اليها . قيل انهما رحلا الى بغداد لطلب العلم
 وأخذ عن أبي بكر بن زيد ، والصولى (ت ٣٣) وغيرهما . وكان
 ينظمهما - كما قال ثعلب - " من أخوة الا د ب مثل ما ينظمهما
 من أخوة النسب " . وقد توفى الا د ب أول أبويكر محمد سنة ٣٨٠ هـ
 وتوفى الثانى أبو عثمان سعيد سنة ٣٩٠-٣٩١ هـ . (انظر مقدمة
 محقق كتاب الاشباه والنظائر - الدكتور السيد محمد يوسف) .

(١) هو هبة الله بن على بن محمد بن حمزة - المعروف بابن الشجرى

أما كتب اللغة والأدب والنحو والتاريخ والتفسير وغيرها ، فقد احتفظت هي الأخرى بأشعار كثيرة لا يكاد يحصيها العد ، وكان - لطرفة فيها نصيب وأى نصيب . وأصدق دليل على ذلك ما حواه من شمر طبقات الفحول لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وكذلك الحيوان ، وتاريخ اليعاقبة والطبرى وغيرها ، وجمهرة ابن دريد وغيرها من كتب اللغة وكتاب سيويه وغيره من كتب النحو ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والامالى لأبى على القالى ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهاني ، وسمط اللثالى للبكرى ومعجم البلدان لياقوت الحموى . . وغير ذلك كثير .

ديوان طرفة :

على أن أهم مصدر لشعر طرفة هو ديوانه الذى وصل إلينا فيما وصل من دواوين . فقد كان طرفة - كما ذكرنا - من ذوى الحظ الوافر الذين وصلت دواوينهم إلينا ، وهم ثلة قليلة من بين المقات من الشعراء الذين ضاعت دواوينهم ، ولم تصلنا إلا أشعار متفرقة لهم . وقد وصل إلينا ديوان طرفة من أصول ثلاثة ، ليس منها غيرها

فيما أعلم والله أعلم كما يستقى من المصادر التي عنيت بذلك وهذه

الأصول الثلاثة هي ما عمله أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت ، (١)

وما صنعه أبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان المعروف بالأعظم

الشنتمري ، (٢) وما صنعه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسى . (٣)

فأما عمل ابن السكيت ، فلا أعلم أن أحدا طبعه بمفرده . وان

كانت مطبعة أرنك بمدينة قازان بالروسيا قد قامت سنة (١٩٠٩ م) تسع

وتسعمائة بعد الألف ميلادية ، بطبع ديوان طرفة بشن العلامة

المرحوم الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى المتوفى سنة (١٢٣١ هـ) -

أحدى وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف للهجرة النبوية الشريفة ، والذي

كان قد انتهى من جمعه وشرحه " فى أوائل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٧ (٤)

وقد اعتمد الشنقيطى فى شرحه هذا على شرح ابن السكيت والأعظم

ورثه كما يقول - على رواية ابن السكيت . ففى أول صفحة من مقدمته يقول

بعد حمد الله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده : " وبعد ،

فقد عملت شرحا لديوان طرفة بن العبد ، أحد فحول شعراء الجاهلية

الأقدمين ، مرتبا له على رواية يعقوب بن السكيت ، وأشرت الى ما أخذت

من تعليقه بقاف بين قوسين ، ونهيت على ما لم يروه الشنتمري فى شرح

الستة " .

(١) ، (٢) ستاتى ترجمتهما - عند الحديث على رواية الديوان فى هذا

الفصل - ان شاء الله تعالى .

(٣) هو عاصم بن أيوب الأديب البطليوسى ، الأندلسى أبو بكر ، كان من

وفى صفحة ٦٥ من تلك النسخة يقول الشيخ الشنقيطى : " وهذا آخر ما عثرت عليه من رواية ابن السكيت ، وسأسرد بقية القصيدة على ما حفظت من رواية الشنتمرى . والانسبان محل النسيان " . وفى آخر عمله يقول : " انتهى ديوان طرفة . بحمد الله تعالى وحسن عونه ، قال شارحه الفقير اليه تعالى : بينت فى أوله أنى جمعت بين روايتى ابن السكيت والشنتمرى ، ورتبته على رواية الأول (١) .

وهذه النسخة - فضلا عن كونها غير يسيرة التداول بين أيدينا - فإنها لم تتخصص فى رواية ابن السكيت ، بل لقد خلطتها كما يقول شارحها برواية الأعم . ولذلك فقد رجعت الى مخطوطتى عمل ابن السكيت لديوان طرفة ، المحفوظتين بدار الكتب المصرية .

أما الأولى فهى مخطوطة - مكتوبة بقلم قديم - أى بخط النسخ الواضح . ومضبوطة بالشكل طباطما ، ويستوى فى ذلك الشعر والشرح . ومكتوب على الصفحة الأولى منها : " قريض طرفة بن العبد - كاتبه محمد بن أبى سعيد - غفر الله له . كانت ملك الأخوين جبرائيل ونصير الله عبد الله دلول بحلب سنة ١٨٥٩ م " . وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٥٢ أدب ش) .

وأما الثانية فهى مخطوطة - مكتوبة بقلم معتاد - قريب من خط الرقعة ، ومكتوب على الورقة الأولى منها : " بخط الفقير اليه تعالى يونس الخطيب الحبنى الحيفاوى " . وهى ليست مضبوطة بالشكل ، وليس

وقد روى ابن السكيت كما نتبين من هاتين المخطوطتين لطرفة ثمانيا وعشرين قصيدة ومقطوعة ، بشروح غير وافية . ولكنه أثبت فسى ثناياها كثيرا من أخبار طرفة . كقصة اشتراكه مع عمرو بن أمارة فسى خروجه على أخيه لأبيه عمرو بن هند .^(١) وقصة كتاب عمرو بن هند له ولخاله المتلمس التى عرفت بصحيفة المتلمس .^(٢) وقد مر بنا ذلك فى الباب السابق .

وابن السكيت وان كان كوفيا ، فقد أخذ - كما سنرى - عن علماء المد رستين البصرة والكوفة . ولذلك فان صنعه لديوان طرفة هذا مأخوذ عن الأصمعى وأبى عبيدة من علماء البصرة ، وعن الفضل وأبى عمرو الشيبانى وابن الاعرابى وابن حبيب من رواة الكوفة .

وأما ما صنعه أبو الحجاج الأعلم الشنتمرى ، فهو شرح ديوان طرفة بن العبد ، ضمن مؤلفه الكبير " شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين " . وهو كتاب قال فى مقدمته : " فجعلت الديوان متضمنا لشعر امرئ القيس بن حجر الكندى ، وشعر النابغة زياد بن عمرو الذبيانى ، وشعر علقمة بن عبدة التميمى ، وشعر زهير بن أبى سلمى المزنى ، وشعر طرفة بن العبد البكرى ، وشعر عنتر (بن عمرو) بن شداد العبسى " .^(٣)

وقد اعتمد العلم فيما جلبه من هذه الأشعار - كما يقول " على أصح رواياتها ، وأوضح طرقاتها . وهى رواية عبد الملك بن قُرَيْبب الأَصْمَعِى ، لتواطؤ الناس عليها ، واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها . وأتبعنا ما صح من رواياته ، قصائد متخيرة من رواية غيره " (١) وهكذا لم يقتصر العلم على ما رواه الأَصْمَعِى ، فقد أتبعه بما صح له عند غيره من الرواة البصريين كأبى عبيدة ، وألـكوفيين كالفضل الضبى ، وأبى عمرو الشيبانى ، وغيرهما .

هذا وقد قام العلم بشرح ما جمع من الأشعار شرحا تاما قال : " وشرحت جميع ذلك شرحا يقتضى تفسير جميع غريبه ، وتبيين معانيه ، وما غمض من أعرابه . ولم أطل فى ذلك اطالة تخل بالفائدة وتمل الطالب الملتص للحقيقة " (٢) وقال : " وقد فسرت جميع ما ضمنته هذا الكتاب تفسيراً لا يسع الطالب جهله ، ويتبين الناظر النصف فضله . والله الموفق للصواب ، وهو حسبي ونعم الوكيل " (٣)

ويمتاز مؤلف العلم الشنتمرى هذا عن غيره بميزة فريدة ، فروايتـه واضحة المعالم معروفة النسب الى الأصمعى ، فصلها ابن خـير

(١) انظر ديوان طرفة بشرح العلم ص ٢

(٢) نفس المصدر ص ٢ أيضا .

- (١) الاشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه ، قال : " كتاب الاشعار الستة الجاهلية ، شرح الأستاذ أبو الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الأعلم رحمه الله . حدثني بها أيضا قراءة من عليه لها ولشرحها : الوزير أبو بكر محمد ، بن عبد الغني بن عمر بن فندلة (٢) رحمه الله ، عن الأستاذ أبو الحجاج الأعلم مؤلفه رحمه الله ويرويها الأستاذ أبو الحجاج الأعلم المذكور عن الوزير أبي سهل يونس بن أحمد الحراني ، عن شيوخه أبو مروان عبيد الله بن قيس (٣) الطوطالقي (٤) وأبو الحجاج يوسف بن فضالة (٥) ، وأبو عمر بن أبي الحباب (٦) ، كلهم يرويها عن أبي علي البغدادي (٧) عن أبي بكر ابن دريد (٨) ، عن أبي حاتم (٩) ، عن الأصمعي رحمه الله (١٠)

(١) توفي الشيخ الفقيه المقرئ المحدث شالمتقن أبي بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الأموي الاشبيلي سنة ٥٧٥ هـ عن ثلاثة وسبعين عاما .

(٢) هو محمد بن عبد الغني بن عمر بن عبد الله بن فندلة (كخردلة) ، من أهل اشبيلية . يكنى أبا بكر . صاحب أبي الحجاج الأعلم الشنتمري كثيرا واختص به كان أدبيا لغويا شاعرا فصيحاً . وكان مولده سنة ٤٤٤ هـ وكانت وفاته سنة ٥٣٣ هـ (انظر الصلة لابن بشكوال ص ٥٨٣) .

(٣) هو يونس بن أحمد بن يونس بن عيسى بن (كزيد ون) ، الجذامي المعروف بابن الحراني من أهل قرطبة ويكنى أبا سهل . وكان بصيرا بلسان العرب يحافظ بالاشعار الجاهلية يقرأ الناس عليه ويقتبسونه منه . وقد توفي سنة ٤٤٢ هـ عن تسع وسبعين سنة . (انظر الصلة ص ٦٨٦) .

(٤) توفي الطوطالقي هذا سنة ٣٨٦ هـ عن إثنين وستين سنة ، وهو من أهل قرطبة ومن علماء الأندلس باللغة . وقد روى عن أبي علي القالي . (انظر الصلة ص ٣٠٠) واختلف العلماء في فرج (والد الطوطالقي) ، فقد كرها ابن القديم في الفهرست فرج (بالجيم) ، وكذلك فعل القفطي في انباه الرواة (٢/ ١٥٣) أما ابن بشكوال في الصلة فقد ذكرها (فرج) (كقبح) خطأ مهمل (الصلة ص ٦٧٦) هو من اصحاب أبي علي القالي وقد أخذ عنه أبو سهل الحراني وذكره .

(٦) هو أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحباب النحوي من أهل قرطبة . يكنى أبا عمر . كان عالما باللغة والأخبار وحافظا ضابطا لها ثقة فيما يرويه منها وقد توفي سنة ٤٠٠ هـ (انظر الصلة ص ١٩) . وقد روى عنه ابنه عبد العزيز المتوفى سنة ٤١١ هـ كتب من كتبه ولكنه لم يكن بالضابط لها . (انظر انباه الرواة ١/ ١٨٠) (٧) هو اسماعيل بن محمد المعروف بابي علي القالي . كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . أخذ الأرباب عن أبي بكر ابن دريد عنه . فقد ذكره سنة ٢١١ هـ . (انظر انباه الرواة ص ١٨٠)

وأما ما صنعه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطاليوسى
فهو شرح ديوان طرفة ضمن شرحه لدواوين الشعراء الستة
الجاهليين أيضا ، وهم الذين اختار لهم الأعلام . ولكن بفارق
فى الترتيب وهو أن البطاليوسى قد ختم مؤلفه هذا بديوان طرفة
ابن العبد فى حين كان الأعلام قد ختم مؤلفه بديوان عنتر بن عمرو
ابن شداد .

ولما لم تتيسر لى نسخة مطبوعة لما صنعه الوزير البطاليوسى
فى ديوان طرفة ، فقد رجعت الى مخطوطتين فى ذلك احدهما
مصورة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٢٩٨٤) ، وأصلها
محفوظ بمكتبة فيض الله باستانبول تحت رقم (١٦٤٠) ، وهى مكتوبة
بخط تعليق جميل ، فرغ من كتابتها عبد الكريم بن محمد فى مدينة
القسطنطينية فى يوم السبت التاسع من شهر شوال المعظم سنة ١٠٤٦هـ
وقد قيلها بقوله على ورقة ١٤٩ : " تم شعر طرفة ، وبه كمل جميع
الديوان " . وأما الثانية فهى مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم (١٨٣٧ أدب) ، وهى مكتوبة بقلم مغربى بخط العلامة
المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركى الشنقيطى . وتحوى
فقط شعر عنتر بن عمرو بن شداد وشعر طرفة بن العبد .

وكل الذى اختاره الوزير البطاليوسى فى النسخة الأولى لطرفة
هو ست عشرة قصيدة ومقطوعة بينها ثلاثة أبيات هى ذات الأرقام :
(٩ ، ١٠ ، ١١) من القصيدة الرابعة من الديوان . وقد جعلها
البطاليوسى مقطوعة قائمة بذاتها . ثم أعاد روايتها فى القصيدة
الأم . وقد جاء فى تقدمته لتلك القطعة : " قال أبو بكر انما ذكر

لهندي بجزان الشُّريف طُلُوعُ وَأَدْنَى عَهْدِهِنْ مُحِيسِلٌ^(١)

ولم يذكر البطلانيوسى سنده فى الرواية ، ولكن بعرض صنيعه على ما صنعه الاعلم الشنتمرى يتضح لنا أنها رواية الأصمعى ، كما أن - تعليقه الذى ذكرنا قبل قليل يؤيد ذلك .

وقد قال البطلانيوسى فى مقدمته لشرح هذه الدواوين: " وكل ما ذكرته فى هذا الشرح ، فمن كتب العلماء أخذته ، ومن مكنون اقوالهم استخرجته " .^(٢)

والبطلانيوسى يجارى ابن السكيت فى ذكر كثير من أخبار طرفة . وأما النسخة الثانية ، فهى وان قيل فى أول شعر طرفة منها : " هذا ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل - رواية الوزير أبى بكر عاصم بن أيوب البطلانيوسى " الا أنه بينها وبين النسخة الأولى اختلاف واضح . فان شعر طرفة فيها يقع فى خمس وعشرين قصيدة ومقطوعة . فهى تنسب لطرفة أبيات عمرو بن أمية التى قالها فى ثورته على أخيه عمرو بن هند ، ثم تضيف ثمانى مقطوعات على النسخة السابقة تذكر مصادر بعضها ولا تذكر مصادر البعض الآخر . فأما الذى تذكر مصدره فهو قول راوينا : " ومما رواه ابن السكيت عن الأصمعى من شعر طرفة ، قوله فى رواية أبى عمرو الشيبانى " وهى نفس العبارة التى ساقها الاعلم الشنتمرى بعد أن روى ما صرح

(١) انظر ظهر ورقة ١٤٦ من تلك النسخة

(٣) انظر ظهر ورقة ١ " " "

(١) لديه من شعر طرفة الذى رواه الأصمعى.

وأما الذى لم تذكر مصادره فى نسخة البطاليوسى الثانية
فمنه الأرجوزة المشهورة لطرفة فى القنابر وهى قوله : (٢)

يا لك من قبرة بمعمـ

خلالك الجو فبيضى واصفرى

والجدير بالذكر أن هذه الأرجوزة ، بالرغم من أن أكثر المصادر
التي ذكرتها نسبتها لطرفة ، إلا أن نسخ الديوان - باستثناء
هذه النسخة - قد أهمل ذكرها .

* *

تلك هى الأصول الثلاثة التى وصل إلينا عن طريقها ديوان طرفة
وقد أثرنا الحديث عنها ، ولو بإيجاز ، لكونها المصادر الأصلية
لشعاره ، ولكونها أيضا تحوى بين طياتها كثيرا من أخباره .

ولقد قام العلماء والمحققون ، العرب منهم والمستشرقون
بطبع ديوان طرفة ونشره عدة مرات ، مشروحا وغير مشروح . ومن ذلك
على سبيل المثال : طبعه فى مدينة غريفز والد سنة ١٨٦٩م بلا شرح
ثم نشره بعناية المستشرق وليم بن آلوارد فى لندن سنة ١٨٧٠م مع
بقية الشعراء الستة الجاهليين . ثم طبعه فى برلين سنة ١٨٩٥م -
بشرح الأعلام . وطبعه فى مدينة شاتون بفرنسا بعناية المستشرق
سلكون بشرح الأعلام أيضا ، مع ترجمة فرنسية له سنة ١٩٠٠م وطبعه

بشرح الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطى معتمدا على رواية ابن السكيت كما ذكرنا - فى مدينة قازان بالروسيا سنة ١٩٠٩م . ثم حققه الدكتور على الجندى ونشره فى القاهرة سنة ١٩٥٨م ، ونشرته دار صادر وبيروت بالشرح - ببيروت سنة ١٩٦١م . كما نشر ضمن مجاميع مرات ومرات^(١)

على أن آخر تحقيق وأدقه وأتقنه لشعر طرفة هو ما قام به - الأستاذان درية الخطيب ، ولطفى الصقال بعنوان : " ديوان طرفة ابن العبد - شرح الأعلام الشنتمري " . وقد قام بطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م . وهذه هى النسخة التى اعتمدت عليها فى دراستى لشعر طرفة ، عائدا الى رواية ابن السكيت ، كلما اقتضى البحث ذلك

وقد بذل الأستاذان المحققان فى ديوان طرفة هذا ، جهدا يستحقان عليه منا الشكر ، ومن الله الثواب ان شاء الله ، ولولا أنه قد فاتهما بعض الأمور لاقترب عملهما من الكمال ، وسبحان الذى تنزه صنعه عن أى نقص . واننى متعرض لبعضها لا بآى قصد سوى أن تتم الفائدة .

فمن تلك الأمور استقأ وهما لبعض أشعار طرفة من المصادر الحديثة أو المتأخرة دون أن يشير إلى مصادرها الأصلية . ومنها نقلهما لبعض أشعاره من المصادر الحديثة ، ثم اشارتهما لمصادرها الأصلية فى تخريج الديوان ، وكان الأولى أن تستقى من مصادرها الأصلية .

على أن أهم ما يؤخذ على المحققين الكريمين هو تجاوزهما لبعض الأشعار التي نسبت لطرفة في بعض المصادر ، والتي لم يرد لها ذكر في أى من دواوينه المخطوطة أو المطبوعة .

واليك الأمثلة على ذلك ، معززة بالأدلة اللازمة ..

(أ) فأما تلك الأشعار التي استقيها من المصادر الحديثة والمتأخرة دون أن يشير إلى مصادرها الأصلية فمن أمثلتها :

أولاً: القطعة رقم ٢٢ من صلة الديوان (ص ١٤٠) فقد نقلت من -
البلاغة الفنية للدكتور علي الجندی ، وهي في المثل
السائر لضياء الدين الموصلي^(١) ، (ص ١٦٦) .

ثانياً: القطعة رقم ٣٩ من صلة الديوان (ص ١٥٤) ، فقد نقلت من
ديوان طرفة المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م وهي في صفحة
جزيرة العرب للهمداني^(٢) ، (ص ٢٢٥) .

ثالثاً: البيت رقم ٤٤ من صلة الديوان (ص ١٥٤) فقد نقل أيضاً من
الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م وهو في خزنة الأدب ،
للبيدادي^(٣) ، (٤٩٢/١) .

رابعاً: الأبيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ من القطعة رقم ٥٣ من صلة
الديوان (ص ١٦٤) ، فقد نقلت كذلك من الديوان المطبوع
بفرنسا سنة ١٩٠٠م ، وهي في تاريخ اليعقوبي^(٤) (٢٤٠/١) .

خامسا : القطعة رقم ٨٠ من صلة الديوان (ص ١٩١) ، فقد نقلت أيضا من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠ م ، وأبياتها - الثمانية الأولى في معجم البلدان (أعذرة السيدان) - لياقوت . والبيت التاسع والآخر منها في نفس المصدر (زخم) .

سادسا : البيتان الأول والرابع من القطعة رقم ٨٩ من صلة الديوان ص ١٩٩ ، فقد نقلنا من جمهرة الأشعار للقرشي ، وهما في كتاب (٢) الاشرية لابن قتيبة (٣) ، (ص ٣٩) .

(ب) والأشعار التي نقلناها من المصادر الحديثة ، ثم رداها الى مصادرها الاصلية في تخريجها للديوان ، فمن أمثلتها :

أولا : البيت رقم ٣٣ من صلة الديوان (ص ١٤١) ، منقول من الديوان المطبوع بفرنسا ، وهو في حياة الحيوان الكبرى للدميري ، (٤) (٣٢/٢) .

ثانيا : الأرجوزة رقم ٢٦ من صلة الديوان (ص ١٤٢) ، منقولة أيضا من الديوان المطبوع بفرنسا ، وهي في لسان العرب لابن منظور (حوت) (٥) .

ثالثا : القطعة رقم ٢٩ من صلة الديوان (ص ١٤٣) ، فقد نقل بيتها من الديوان المطبوع بفرنسا أيضا . وهما في لسان العرب .
الأول ، في (كسج) ، والثاني في (وجعج) .

رابعا : الأبيات الثلاثة الأولى من القطعة ٦١ من صلة الديوان (ص ١٧٦) منقولة من ديوان طرفة بتحقيق الدكتور علي الجندی ، المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م ، والاول منها في ألقاب الشعراء

(١) توفي ياقوت الحموي سنة ٦٢٦ هـ . (٢) توفي أبو يزيد البقرشي في

(١)
 لمحمد بن حبيب (ص ٣٢١) ، والثاني في جمهرة اللغة لابن
 دريد (م رفق ٣٩٩/٢) ، والثالث في معجم مقاييس اللغة
 لابن فارس (م حكم ٩١/٢) .

خامسا : الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ من القطعة رقم ٩١ من صلة الديوان
 (ص ٢٠) ، منقولة من الديوان المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠م
 والأول منها في لسان العرب (بكا) ، والآخران في حماسـة
 البحترى (ص ٢٥٨) (٤) . وغير ذلك .

(ج) وأما الأشعار التي نسبت لطرفة ، في بعض المصادر ، ولم يذكرها
 المحققان في صلة الديوان ، وهي لم تذكر له في أي من دواوينه
 المخطوطة أو المطبوعة ، فإليك ما تيسر لي - في مصادر بحثي
 منها - مرتبة ترتيبا هجائيا لبحسب أقدمية مصادرها ، وذلك
 لتكون أيسر في تناولها .

(١) مَوْلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِثْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتَي مَذْعُورَةٍ وَسَطَ رَبِّ رَبِّ (٥)

(تفسير القرطبي ١٢/٥٣ تحت عنوان : قال طرفة يصف
 أذن الفرس)

(٢) لَوْ خِفْتُ هَذَا مِنْكَ مَا نِلْتَنِي حَتَّى تَرَى خَيْلاً أَمَاهِي تَسِيحَ (٦)

(تفسير القرطبي ٨/٦٤) (٧)

(١) توفي محمد بن حبيب ٢٤٥ هـ وستأتي ترجمته .

(٢) توفي ابن دريد سنة ٣٢١ هـ

(٣) توفي أبو العيين بن فارس بن زكريا سنة ٣٩٥ هـ

(٤) توفي أبو عبيدة البحترى سنة ٢٨٥ هـ .

(٥) ألت الشيء تأليلا أي حددت طرفه (اللسان ألت) والمولتان

المحدثان ، ويقصد بهما أذني ناقته ، والعثق غاية الجودة

اللسان عثق) ، والمذعورة البقرة الوحشية الخائفة . وإذا

كانت كذلك كان أشد لسمعا . واليه القطع من بق الحش

(٣) مِنَّا الْفَتَى الْحَارِثُ الْمُبْتَاعُ لِمَتِّهِ يَوْمَ التَّحَالُقِ وَالْفُرْسَانُ تَطْرُدُ
 الْحَارِثَ الْكَلِجَ لِمَقْدَامٍ أَنْزَلَهُ عِزًّا تَسَامَى فَمَا سَيْطِمُهُ أَحَدُ
 (كتاب بكر وتغلب - أو حرب) ليسوس لمحمد بن اسحاق، وهشام
 ابن محمد الكلبي - ص ٨٤)

(٤) تَرَى هَيْثُنْ لَحْيِيهَا إِذَا مَا تَزُغَتْ لِفَامًا كَبِيتِ الْعَنْكَبُوتِ الْمُدَدُ (٤)
 (التشبيهات لابن أبي عون ص ٣٦٧) (٥)
 (٥) تَمْنَى رَجَالٌ أَنْ أُمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ فِتْلَ كَسْبِيلٍ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ
 (تفسير الطبري ١٤٥/٣٠) (٦)

(١) اللمة (كالقمة) شعر الرأس (اللسان لمم)، ويوم التحالق لبكر
 على تغلب وقد مر ذكره. وتطردا لفرسان أى يحمل بعضهم على
 بعض فى القتال (اللسان طرد).
 (٢) الكلج من الكالج وهو العابس (اللسان كلج)، وتسامى تعالى
 وارتفع. يشير بهذا إلى قصة جدر أحد فرسان بكر بن وائل
 الذى اشترى ليمته بقتل فارس يخرجه عليهم من تغلب وذلك يوم
 تحالق الممم الذى مر ذكره.

(٤) توفى محمد بن اسحق سنة ١٥١هـ، وتوفى هشام بن محمد بن السائب
 الكلبي سنة ٢٠٤هـ.

(٤) اللحيان (بالفتح) حائطا الفم وهما العظامان اللذان فيهما الاسنان
 من داخل الفم، ويكونان للإنسان، الدامة (اللسان، لجام) وتغمة الحمل

(٦) وَالسُّرْدُونَ لِفَاحِشَاتٍ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ بِالشَّرِّ
لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ لَمُنَوَّرٍ لَيْلَةَ الْبَرِّ (١)

(مسالك الأبصار - لابن فضل الله العمري - مصورة دار
الكتاب المصرية ج ٩ ورقة ١٢)

(٧) شَاقَتْ هَوَاكَ عَلَى نَوَاكِ كَمَا الْأَهْوَاءُ مُخْتَلِفٌ وَمُتَلَفٌ (٣)
(قواعد الشعر لأبي العباس ثعلب ص ٥٤) (٤)

(٨) كَأَنَّ الْقُدُورَ الرَّاسِيَاتِ أَمَامَهُمْ قَبَابٌ بَنُوها لَاتِنَى أَبَدًا تَغْلَى (٥)
(تفسير القرطبي ١١/١٩٩) (٦)

(١) البيتان أما في الفخر والمدح ، فالمتحدث عنه فيهما ستر دون
الفاحشات يمنعها ولاياتها ، ثم لا يلقاك بشر أبدا ، وهو بشر
من الناس ولو كان غير ذلك لكان القمر .. مما يفيض على الناس من
خير .

(٢) توفي ابن فضل الله العمري سنة ٧٤٩هـ .

(٣) الشوق نزاع النفس إلى النفس والجمع أشواق ، وشاقه ذكرها أي هيج
شوقه . (اللسان شوق) . والهوى الحب (اللسان حبيب) ، والنوى
البعد (اللسان نوى) .

(٤) توفي أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب سنة ٢٩١هـ .

(٥) يشبه قدور قومها التي يطهون طعامهم فيها بالقباب لضخامتها
واتساعها وذلك حتى تتسع لهم وللضيغان . كما قد شبه جفانهم
بالجوابي يقول :

جفان تعترى نادينا من سديف حين هاج الصنير
كالجوابي لاتنى مترعة . لقرى لأضياف ولللمحتضر

(انظر ديوانه ص ٦٦ وانظر شرح هذين البيتين في هامش ص ٣٢٤ من هذا
البحث) .

مرواة ديوان طرفة :

ان الذى يتصفح أخبار تدوين أشعار العرب وأثارهم فى أواخر القرن الثانى الهجرى ومطلع القرن الثالث ، يكاد لا يجد عالما الاوكان له فى رواية أشعار طرفة نصيب ، سواء أكان ذلك من بعيد أو من قريب فأشعار طرفة كما سئرى - فى الفصول القادمة - أمثلة حية للبيئة العربية فى العصر الجاهلى من ناحية ، ومحاضن أصيلة للغة القوم فى ذلك الزمان من ناحية أخرى ، وفيها من ناحية ثالثة - من أخبار القوم وأيامهم ما فيها .

ولذلك لم يكن يسوع لأى عالم من علماء العربية الآن يلم بشئ منها ، سواء أكان من النحويين واللغويين والنسائيين أو كان من الأخباريين والمؤرخين أو حتى من المفسرين والمختصين فى علوم الدين .

ولكن الذين يعنوننا هنا ، هم رواة الديوان الحقيقيون أى الذين تناقلوا أشعاره ورووا أخباره عن حفظها من فصحاء الأعراب وأبناء البادية أو عن سمعها وحفظها ورواها عن أولئك حتى استقرت فى المدونات التى وصلت إلينا . ولا يعنينا التعرض لأولئك الذين كانوا يستشهدون بأشعار طرفة وهم يدونون علومهم ويصنفون مؤلفاتهم ، وان كنا نكن لهم على ما فعلوه الإجلال والإكبار ..

ونحن حين نتصفح ديوان طرفة بشرح الأعلام الشنتمرى ، نجده قد اختار أكثره وهو ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة من رواية أبى حاتم

ولكنه وضع بين تلك القصائد واحدة هي ذات الرقم ١٢ في الديوان ومطلعها :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَسْرِفُنَا بِقُوَانَا يَوْمَ تَخْلَقُ اللَّحْمُ

وقد قال الأعلام في تقدمته لها : " وزعم الأصمعي أنها مصنوعة ، وأنه أدرك قائلها ، وأثبتها أبو عبيدة والمفضل وغيرهما " (١)

ثم شفع الأعلام الشنتمري تلك القصائد الأربع عشرة بأربع قصائد أخرى قال في تقدمته لها : " ومما رواه ابن السكيت عن غير الأصمعي ، من شعر طرفة ، قوله في رواية أبي عمرو الشيباني (٢) ثم ختمها تلك القصائد بقوله : " كمل جميع ما رواه الأصمعي وغيره من شعر طرفة . والحمد لله كثيرا كما هو أهله . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه . وسلم تسليما " (٣)

وعلى ذلك فإن العلماء الذين اشتركوا في رواية شعر طرفة الذي وصلنا عن طريق الأعلام الشنتمري ، هم الأصمعي وأبو عبيدة ، والمفضل الضبي وأبو حاتم السجستاني وابن السكيت وأبو عمرو الشيباني .

وكان ابن السكيت كما ذكرنا قد روى شعر طرفة عن عدمن علماء المربية كالأصمعي والمفضل وأبي عبيدة وابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وابن حبيب وغيرهم . والدليل على روايته عنهم جميعا ، من غير أن يفرق بينهم لاختلاف مدرستهم ، البصرة ، والكوفة ، هو ما كان يعزوه لواحد أو أكثر منهم **فما** تناثر في مقدمات القصائد عنده أوفى تعليقه على بعض الأنساب

ففى قول طرفة :

وَأَصْفَرَمَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ عَلَى النَّارِ وَاسْتَدْعَتْهُ كَفَّ مَجْمِدِ (١)

يقول ابن السكيت : " لم يروه الأصمى ، ولا ابن حبيب ، ولا ابن الاعرابى ،

وهو فى روايتهم لعدى بن زيد " (٢)

وفى تقدمته للقصيدة التى مطلعها : (٣)

أَلَا اعْتَرَلِينِي الْيَوْمَ خَوْلَةٌ أَوْغَضَى فَقَدَنْزَلْتُ حَدْبًا مُّحْكَمَةُ الْعَضَى

يقول ابن السكيت : " قال أبو عمرو : وكان المفضل ينكرها ، ولم يثبتها

الأصمى ، ورواها أبو عبيدة " (٤)

وفى تقدمته للقصيدة التى مطلعها " سائلوا عنا الذى يعرفنا " (٥)

يقول ابن السكيت : " أثبتها أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيبانى .

وزعم الأصمى أنها مصنوعة وأنه أدرك قائلها " (٦)

ومن هذا وذاك يتضح لنا أن العلماء البصريين والكوفيين

قد اشتركوا فى رواية ديوان طرفة . فمن البصريين الأصمى وأبو عبيدة

وأبو حاتم السجستاني . ومن الكوفيين المفضل الضبى وابن الاعرابى

وابن حبيب ، وابن السكيت ، الكوفى الذى اخذ عن البصريين والكوفيين .

(١) يعنى بالأصفر قدحاً ، وانما صغره لانه من نبع أوسدن

والمضبوح الذى غيرت منه النار . والحوار والمحاورة مصدر حاور
وعلى النار أى عند النار . وذلك حين يشتد البرد ، فقد كانوا
يوقدون النار ، وينحرون الجؤور ويضربونها لقداح ، والمجمد

ولقد شهد التاريخ لأولئك العلماء بأنهم قد بلغوا - في علوم اللغة والشعر الغاية . كما شهد بأنهم كانوا ثبتاً في النقل وثقة في الرواية . ولعل اثبات بعض أخبارهم مما غصت به معاجم الرجال وكتب المؤرخين ، وإبراز تركياتهم من أقرانهم وتلاميذهم من العلماء الآخرين ، وترديد الثناء عليهم والدعاء لهم منّا ومن غيرنا من أخلافهم المتأخرين .. هي الأوسمة التي تزين بها بحثنا هذا عنهم ، أداء لحقوقهم علينا ، واعترافاً بأهمية ما خلفوه إلينا .

وقد جمع أولئك العلماء - إذا استثنينا الأعلام الشنتمرى - عصر واحد تقريباً . فقد توفى أقدمهم - وهو المفضل الضبي - سنة ثمان وسبعين ومائة . وتوفى آخرهم - وهو أبو حاتم السجستاني - سنة خمس وخمسين ومائتين . وتوفى الباقيون منهم بين هذين التاريخين .

ولكننا لن نراعى سنوات وفياتهم عند حديثنا عنهم . وذلك لوجود أولويات أخرى غير سنوات الوفاة .

ولذلك سنقدم الأسمى ، وإن تأخرت وفاته عن ثلاثة من أولئك العلماء ، وذلك لكونه الراوية الأساسية لشعر طرفة سواء عند الأعلام الشنتمرى ، أو عند ابن السكيت . وسنردفه بالمفضل الضبي وذلك لتقدمه على الجميع وفاة ، ولكونه رأس رواية الكوفة ، وشيخ علمائهم في هذا المجال .

ولكونه من شيوخ رواية البصرة . ولقد كان أبو عبيدة والأصمعي
كما سئري - كفرسي رهان أو رضيعي لبنان ، ولكن أبا عبيدة
عند رواية ديوان طرفة ، ليس أصلا كالأصمعي . فهم يروون عنه
فقط بعض ما لم يروه الأصمعي .

ثم سنتبعهم أبا حاتم السجستاني ، فهو وإن كان آخرهم وفاة
الآن أنه سند رواية الأصمعي . ثم سنتبعهم ابن السكيت ، فهو وإن
تأخر عن الباقيين وفاة - تقريبا - إلا أنه صاحب الفضل في وصول
نسخة من ديوان طرفة عن طريقه إلينا . ثم سنتبعه أبا عمرو
الشيبياني ، وذلك لكون ابن السكيت والأعلم الشنتمري قد أخذوا
من روايته فيما أخذوا .

وسنؤخر ابن الأعرابي وابن حبيب ، فهما وإن تقدما وفاة -
لم يذكرنا إلا عند ابن السكيت .

وأخيرا سننقضي على آثارهم بالأعلم الشنتمري ، الذي اعتمدنا
روايته لديوان طرفة أساسا لدراستنا هذه . على أنه قد بذل - رحمه
الله بضيعة هذا ما يستحق به أن يوضع - وإن تأخر زمانه - مع أولئك
الآلاء المتقدمين ، رحمة الله عليهم أجمعين .

الأصمعي (١٤٣ - ٤١٦ هـ)^(١)

هو أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب ، بن عبد الملك بن علي بن أصمعي بن مظهر ، من قيس عيلان .^(٢) وقريب لقب غلب على أبيه ، وإنما اسمه عاصم . والأصمعي منسوب إلى جده أصمعي ، وقد أدرك أصمعي هذا وأبوه مظهر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلما جميعا .^(٣)

والأصمعي هو أحد الأئذان الذين انتهى إليهم علم الشعر واللغة . وقسّم من شعبة بن الحجاج^(٤) وحماد بن سلمة^(٥) ،

- (١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣ ، والورقة لابن الجراح ص ٣١ ، ومراتب النحويين ص ٨٠ ، وأخبار النحويين البصريين ص ٤٥ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٤/١ ، وطبقات الزبيدي ص ١٦٧ ، والفهرست لابن النديم ص ٦٠ ، وجمهرة الأنساب ص ٢٤٥ ، وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠ ، وأنساب السمعاني ٢٨٨/١ ، ونزهة الألباء ص ١١٣ ، واللباب في تهذيب الأنساب ٧٠/١ ، وانباء الرواة ١٩٧/٢ ، ونور القبس ص ١٢٥ ، ووفيات الأعيان - دار الثقافة - ١٧٠/٣ ، وميزان الاعتدال ٦٦٢/٢ ، ومرآة الجنان ٦٤/٢ ، والبداية والنهاية ٣٧٠/١٠ ، والنجوم الزاهرة ١٩٠/٣ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ١٣٩ ، وتقريب التهذيب ٥٢٧/١ ، وبغية الوعاة ١١٢/٢ ، والمزهر ٤٠٤/٢ ، ٤٦٢ ، وطبقات المفسرين ٣٥٤/١ ، وتهذيب التهذيب ٤١٥/٦) .

(٢) قريب (كهذيل) ، وأصمعي (كأحمد) ، ومظهر (كمعلم) .

(٣) انظر جمهرة الأنساب ص ١٤٦ .

(٤) هو شعبة بن الحجاج بن الورد - ويكنى أبا بسطام - من أعلام الحديث بالبصرة . وكان يقول : « والله لأثافي الشعر أسليم مني في الحديث ، ولو أردت الله ما خرجت اليكم ، ولو أردتم

(١) حماد بن زيد ، ومِشعر بن كدام ، ونافع ، وابن عون ، وأبى عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر ، وسواهم .
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

(١) هو حماد بن زيد بن درهم - ويكنى أبا اسماعيل - فقيه محدث ثقة توفي بالبصرة سنة ١٧٩هـ ، (انظر المعارف ص ٥٠٣) .

(٢) هو مشعر بن كدام بن ظهير الهلالي المامري . توفي سنة ١٥٢هـ . محدث ثقة ثبت فاضل - وأحد الاعلام الذين خرج لهم أصحاب السنن . وقد ضبط ابن حجر اسمه هكذا : " مشعر بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة - وكدام : بكسر أوله وتخفيف ثانيه - " انظر تقريب التهذيب ٢٤٣/٢ ، وانظر كذلك تهذيب التهذيب ١٠/١١٣ ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات ٢/٨٩) .

(٣) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء . أحد القراء السبعة المشهورين . وقد اشتهر في المدينة ، وانتهت اليه رئاسة القراءة فيها . وقد أقرأ الناس نيفا وسبعين سنة وتوفي بالمدينة سنة ١٦٩هـ . وأصله كما روى عنه الأصمعي من أصبهان (انظر وفيات الأعيان - دار الثقافة ٣٦٨/٥) ، وانظر كذلك المعارف ص ٥٢٨ ، وتهذيب التهذيب - ٤٠٧/١٠ و امرأة الجنان ١/٣٥٨ .

(٤) توفي الامام المحدث عبد الله بن عون - شيخ البصرة وعالمها سنة : ١٥١هـ (انظر امرأة الجنان ١/٣١٣) .

(٥) أبو عمرو بن العلاء هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة . أخذ عنه يونس بن حبيب والخليل والأصمعي وغيرهم كثير . وكان من أهل السنة - وكما قال ابن قتيبة في المعارف اسمه كنية - وتوفي رحمه الله سنة ١٥٤هـ . وكان يونس بن حبيب يقول : " لو كان أحد ينبئني أن يؤخذ بقوله كله في شيء ، كان ينبئني أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء كله في العربية ، ولكن ليس من أحدا ولا أنت آخذ من قوله وتارك " (انظر نزهة الالباء ص ٢٤ ، والمعارف ص ٥٤٠ - وانظر نزهة الالباء ص ٢٥) وانظر هذا الخبر لابن سلام عن يونس في طبقات ابن سلام ص ١٦) .

وقد لازم الأصمى أبا عمرو بن العلاء طويلا في بدء حياته .
 وكان يخرج كثيرا إلى البادية ، يكتب ما يسمعه من الاعراب
 الفصحاء ، من الشعر والغريب والطرائف ^(١) . ومن أشهر من روى
 عنه ابن أخيه عبد الرحمن ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو نصر
 أحمد بن حاتم المعروف بـغلام الأصمى ^(٢) ، وأبو عبيد القاسم بن
 سلام ^(٣) ، وغيرهم كثيرون .

وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر ^(٤) . وقال الأخفش " ما رأينا
 أحدا أعلم بالشعر من الأصمى وخلف " . وأهم أقران الأصمى
 أبو عبيدة وأبو زيد الأضرعي . قال المبرد : " وكان الأصمى
 بحرا في اللغة لا يعرف مثله فيها ، وفي كثرة الرواية ، وكان

== "خلف الأحمر معلم الأصمى ومعلم أهل البصرة" (نزهة الألباء ص ٥٨)
 وقال الأخفش : " لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر
 والأصمى " . (انظر معجم الأدباء ٦٧/١١) . وقد كان يقول الشعر
 فيجيد ، وربما نسبته للمتقدمين (انظر ترجمته في المعارف لابن
 قتيبة ص ٥٤٤ ، ونزهة الألباء ص ٥٨ ، ومعجم الأدباء ٦٦/١١) .

(١) انظر أخبار النحويين البصريين ص ٥١ .
 (٢) هو أبو محمد أو أبو الحسن عبد الرحمن بن عبد الله بن أخمى
 الأصمى - كان ثقة فيما يرويه عن عمه وعن غيره من العلماء . ومن
 طريف ما يروى عنه أن رجلا لقيه في الطريق فقال له : ما يصنع عمك
 قال : ها هو قاعد في غرفته ، يكتب على العرب . (انظر انباء الرواة
 ١٦٧/٢) .

(٣) هو أحمد بن حاتم الباهلي - أبونصر - وكنيته أشهر من اسمه . وهو
 أديب من أهل البصرة روى عن الأصمى كتبه كلها وقال عنه الأصمى
 ليس يصدق عليّ انسان الا أبو نصر . وقد توفي سنة ٢٣١هـ (انظر انباء
 الرواة ١٨٠/٤) .

(١)
دون أبي زيد في النحو.

وقد كان الأعمى كثيراً الحفظ للشعر والرجز . قال ابن الأعرابي
"شهدت الأعمى وقد أنشد نحواً من مائتي بيت ، ما فيها بيت عرفناه"
بل لقد زعموا " أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة . ف قيل له (٢)
أفيها شيء هو بيت أو بيتان . . فقال : فيها المائة والمائتان
وقيل بل كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة كما ذكر ذلك بنفسه . (٣)
(٤)

وكان الأعمى إلى جانب ذلك حسن العبارة ، ذلق اللسان .
يحب الناس لغته لجمال أسلوبه . قال الامام الشافعي رضي الله
عنه : " ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأعمى " . وتناظر
الأعمى وسيبويه ، فقال يونس بن حبيب : " الحق مع سيبويه ،
وهذا يغلبه بلسانه " . (٥)
(٦)

وكان الأعمى إلى جانب علمه كذلك صادق الرواية ، ثقة في
الحديث ، شديد التوقي لتفسير القرآن الكريم ، وأحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم . كما كان " لا يفتي الا فيما أجمع عليه العلماء
ويقف عما يتفردون به عنه ، ولا يجوز الا أفصح اللغات ، ويلج في

(١) انباه الرواة (٢٠٧/٢) ، وأبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري
ثقة من أهل البصرة . وكان عالماً بالنحو واللغة . وقد أخذ عن أبي
عمرو بن العلاء . وكان من الأعمى وأبي بيده . وكان سيبويه اذا قال
"سمعت الثقة" فانه يعني أبا زيد الانصاري . وقد أخذ كثيرون عنه منهم
أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السجستاني وغيرهما . وقد توفي
رحمه الله بالبصرة سنة ٢١٥هـ . انظر نزهة الألباء ص ١٢٥ ، وانظر
كذلك المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ .

(٢) نزهة الألباء ص ١١٤ (٣) طبقات الربيعي ص ١٦٩

(٤) انظر وفيات الاعيان (١٩٨/٢) .

(٥) بغية الوعاة (١١٢/٢) . والشافعي هو ابو عبد الله محمد بن ادريس -

(١) دفع ماسواه . قال الشافعي رضي الله عنه : " مارأيت بذلك
المعسكر أصدق من الأصمعي " (٢) وسئل أبو داود (صاحب السنن) عن
الأصمعي فقال: " صدوق " (٣)

وقد روى عن الأصمعي يحيى بن معين فأكثر . (٤) وكان يقول
" ولم يكن ممن يكذب ، وكان من أعلم الناس في فنه " (٥) وكان الأصمعي
أيضا رجلا ذا دين من أهل السنة . شهد بذلك ابن قتيبة في المعارف
حين قال " وكان صدوقا في حديثه صاحب سنة " (٦) وكان ممن أثنى
عليه في دينه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وعلى بن المديني
رحمة الله عليه وغيرهم . (٨)

(١) مراتب النحويين ص ٤٩ (٢) نزهة الألباء ص ١٢٣
(٣) نفس المصدر من نفس الصحيفة ، وأبو داود هو سليمان بن الأشعث
إمام أهل الحديث في زمانه ، وقد رحل لطلبه رحلة كبيرة ،
وولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ (انظر ترجمته
في تهذيب التهذيب ١٦٩/٤) .

(٤) انظر الورقة لابن الجراح ص ٣١ . ويحيى بن معين - أبو زكريا
من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله ومن كلامه " كتبت بيدي ألف
حديث " . ولد سنة ١٥٨ هـ وتوفي سنة ٢٣٣ هـ (انظر ترجمته في
تهذيب التهذيب ٢٨٠/١١) .

(٥) بغية الوعاة ١١٢/٢ (٦) انظر المعارف ص ٥٤٣
(٧) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - ينتهي نسبه إلى
بكر بن وائل - ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ وكان
إماما للمحدثين . وقد صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث
ما لم يتفق لغيره . وكان من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله
عنهما . وعنه قال الشافعي " خرجت من بغداد وما خلفت بها
أتقى ولا أوفقه من ابن حنبل . وقصته مع المعتصم مشهورة حين
رفض القول بخلق القرآن فسجن ثم فك الله أسره على يد -
المتوكل بن المعتصم ، الذي أكرمه وقدمه . (انظر ترجمته

ومن طريف ما يروى عنه ، أنه ركب ذات يوم حمارا فقيل له :
 " بعد براذين الخلفاء تركب هذا " فقال : هذا وأملك دينسى
 أحب الي من ذاك مع فقده " (١)

وكان الأصمعي من أهل البصرة ، وقد قضى أكثر أيامه فيها
 ثم قدم بغداد أيام الرشيد فقربه وأغدق عليه .

وقد كان للأصمعي - كما قال أبو العباس المبرد - يد غراء في اللغة
 وقد أغنى مكتبتها بمضفاته التي نيفت على الثلاثين (٢)

وكان بين الأصمعي وبين قرنه أبي عبيدة تنافس شديد . ولذلك
 فقد أثر عن أبي عبيدة أنه قيل له : ان الأصمعي يقول : بَيْنَا أَيْ
 يسائر سلم بن قتيبة (٣) ، على فرس له . فقال أبو عبيدة :
 سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر . والله هاهلك أبو
 الأصمعي قط دابة . ولا حمل الاعلى ثوبه (٤)

== المديني - أبو الحسن . أحد كبار علماء الحديث والتاريخ .
 ولد بالبصرة سنة ١٦١هـ ، وتوفي بسامراء سنة ٢٣٤هـ (قال
 عنه الخطيب البغدادي " وهو أحد أئمة الحديث في عصره
 والمقدم على حفاظ وقته . وأبوه محدث مشهور " انظر تاريخ
 بغداد ٤٥٨/١١ ، وانظر كذلك تهذيب التهذيب ٣٤٩/٧) .

(١) نزهة الباب ص ١٢٢
 (٢) انظر تعداد مؤلفات الأصمعي في الفهرست لابن النديم ص ٦١ وفي
 بغية الوعاة ١١٣/٢ .

(٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم ، من رهط الأصمعي (انظر نسبه في
 جمهرة الانساب ص ٢٤٦) وأبو قتيبة بن مسلم كان أمير
 خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف
 الثقفي الذي كان أمير العراقيين في ذلك الزمان . ولقتيبة

وقد ولد الأصمعي سنة ثلاث وعشرين ومائة ، ومات بالبصرة -
 سنة ست عشرة ومائتين على أرجح الأقوال . رحمة الله عليه .
 وفيه يقول أبو العتاهية :^(١)

أَسِفْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحٍ سَهْمٌ
 وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فَيُنَاحِيَاتِهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفْلًا النِّجْمُ

* *

(١) انظر نزهة الألباء ص ١٢٤ . وأبو العتاهية هو اسماعيل بن
 القاسم بن سويد بن كيسان . الشاعر المشهور . قال أبو الفرج
 الأصفهاني " وكان غزير البحر لطيف المعاني سهل اللفاظ
 كثير الامتنان ، قليل التكلف . وأكثر شعره في الزهد
 والامثال . وتوفي سنة ٢١٣ هـ .
 (انظر الاثاني - دار الثقافة ١١٢/٤) وانظر مرآة الجنان
 ٤٩/٢ وفيه توفي سنة ٢١١ هـ والله أعلم .

المفضل الضبي (ت ١٧٨ هـ) (١)

هو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد بن يعقوب بن عامر بن سالم الضبي (٢). من أكابر علماء الكوفة ورأس روايتها . سمع سماع ابن حرب (٣) وعاصم بن أبي النجود (٤) ، وسليمان الأعشى (٥) وغيرهم . وقد أخذ عنه أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، ومحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، وعلى بن حمزة المعروف بالكسائي وغيرهم .

(١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ ومراتب النحويين ص ١١٦ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٠/١ ، وطبقات الزبيدي ص : ١٩٣ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٥ ، وجمهرة الانساب ص ٢٥٠ وتاريخ بغداد ١٣/١٢٧ ، ونزهة الألباء ص ٥٦ ، ومعجم الأدباء ١٩/١٦٤ ، وانباء الرواة ٣/٢٩٨ ، ونور القبس ص ٢٧٢ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ١٦٢ ، وبغية الوعاة ٢/٢٩٧ ، والمزهر ٢/٤٠٥ ، ٤٣٣) .

(٢) يعلى (كيطفي) وينتهي نسبه الى ضبه من قيس عيلان .

(٣) هو أبو المفيرة - سماع بن - حبيب بن أوس بن خالد النهلي البكري . من رجال الحديث - من أهل الكوفة - أدرك ثمانين صحابيا . وروى له كثيرون من علماء الحديث . وقد توفي سنة ١٢٣ هـ رحمه الله (انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ص : ١٥٩ ، وانباء الرواة ٢/٦٥ ، وتهذيب التهذيب ٤/٣٣٢) .

(٤) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود - أحد القراء السبعة - وهو تابعي من أهل الكوفة وقد توفي به سنة ١٢٧ هـ (انظر وفيات - الأعيان - دار الثقافة ١/٢٤٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/٣٨) .

(٥) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء - أبو محمد الملقب بالأعشى وهو تابعي مشهور كوفي المنشأ والوفاء . وكان عالما بالقرآن والحديث والفرائض . قال عنه النحبي : " كان رأسا في العلم النافع ، والعملا الصالح " . ويروى الأعشى نحو من ثلاثمائة ألف حديث وقد ولد سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١٤٨ هـ (انظر الاعلام للزركلي ١٩٨/٣) .

وكان المفضل الضبي عالما بالأخبار والأشعار والعربية .
قال ابن سلام : " وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة ،
المفضل بن محمد الضبي الكوفي " (١) . والمفضل هو الذي جمع الأشعار
المختارة المسماة بالمفضليات وقد عملها للمهدي كما ذكر الرواة
وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة تقريبا . وقد تزيد وتنقص وتتقدم
القوائد فيها وتتأخر بحسب الرواية . وأصحها التي رواها عنه
أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (٢)

ويقال ان المفضل الضبي كان قد خرج فيمن خرج على المنصور
فلما ظفر به عفا عنه ، وألزمه المهدي ، فجمع له تلك -
الاختيارات (٣) هذا وقعد له ياقوت في معجم الأدباء غير
المفضليات خمسة أخرى من المصنفات (٤)

وكان المفضل صادق الحديث ، صحيح الرواية ، الى جانب
ما كان له باللغة ~~والشعر~~ والنحو والأخبار من علم ودراية
ولثقة أخذ عنه أبو زيد الأنصاري البصري فقد قال السيرافي في
" أخبار النحويين البصريين " : " ولأنعلم أحدا من علماء البصريين
بالنحو واللغة ، أخذ عن أهل الكوفة شيئا من علم العرب ، إلا أبا
زيد . فانه روى عن المفضل الضبي " . (٥)

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٢٣ .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٥

(٣) انظر انباء الرواة ٣١٢/٣

(٤) انظر معجم الأدباء ١٦٧/١٩

(٥) انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٥

وقد شهد له بذلك أيضا أبوحاتم السجستاني فيما ذكره عنه
 أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين ^(١) وقال يا قوت في معجم
 الأدباء " وكان ثقة ثبتا ^(٢) . وقال السيوطي في المزهر ^(٣) :
 وكان - أي المفضل الضبي - أوثق من روى الشعر من الكوفيين "

وهكذا كان المفضل عالما بالشعر مختصا بروايته ثقة
 فيما يرويه . وهو في ذلك يقف بازاء شيوخ البصرة من الرعييل
 الأول كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري

وللمفضل الضبي مع الرشيد أخبار ، تدل على سرعة بديهته
 وسعة علمه ، وتقريب الرشيد له . ومن طريف ما يروى من ذلك
 قوله : " ساءت الرشيد يوم منصرفه من مكة ، فسنح لنا ذئب
 فقال الرشيد : ما أحسن ما قيل في الذئب . . فقلت :
 أطلس يُخفى شخصه غباره في فمه شفرته ونساره ^(٤)
 فقال : أحسن الشاعر ، ولكن أحفظ ما هو أحسن من هذا . فان جئت

(١) انظر مراتب النحويين ص ٧١

(٢) معجم الأدباء ١٦٤/١٩

(٣) المزهر ٤٠٥/٢

(٤) الأطلس من الذئب الذي في لونه غبرة إلى السواد ، وكل ما
 كان على لونه فهو أطلس وقيل بل الأطلس الذي قد تمعّط
 شعره . (وهو أخبث ما يكون ، والانثى طلساء .) انظر
 معجم مقاييس اللغة ٤١٩/٣ - طلس - واللسان طلس .

- به ولك خاتمي . فقلت : لعل أمير المؤمنين يريد :
- (١) ينامُ باحدى مقلتيه ويتقى المنايا بأخرى فهو يقظانُ هاجعُ
- (٢) فقال : ما طرَحَ هذا على لسانك الا لذهاب خاتمي . ورمى به الى
- وكانت وفاة المفضل الضبي على أرجح الأقوال ، سنة ثمان
وسبعين ومائة ، والله أعلم .

*

*

- (١) البيت لحُميد بن ثور في ديوانه ص ١٠٥ ، وروايته فيه :
- ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى لأعدائِهِ هو يقظانُ هاجعُ
- وبعده قوله :
- إذا قام ألقى بوعه قَدْرَ طوله ومَدَّ منه صُلْبَهُ وهو بائعُ
(والبوع والباع قد رمد اليدين وما بينهما من البدن . وبائع
اسم فاعل منه) .
- (٢) نور القبس ص ٢٧٤ ، وهذا الخبر عن المفضل مع الرشيد فسي
انباه الرواة ٢٩٨/٣ ورواية البيت فيه : ويتقى . . بأخرى
المنايا . .

أَبُو عُبَيْدَةَ (١١٠ - ٢٠٩ هـ)^(١)

هو مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التِّيمِيُّ ، نسبة لتيمة قريش ، رهـط
سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . فقد كان أبو عبـيدة مولى
لهم . وهو أحد علماء البصرة الأفاضل من أمثال الأصمعي ، وأبي
زيد الأنصاري . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر^(٢)

(١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣ ، ومراتب النحويين
ص ٧٧ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٤/١ ، وطبقات الزبيدي
ص ١٧٥ ، والفهرست لابن النديم ص ٥٨ ، وتاريخ بغداد
٢٥٢/١٣ ، ونزهة الألباء ص ١٠٤ ، ومعجم الأدباء ١٥٤/١٩ ،
وانبأه الرواة ٢٧٦/٣ ، ونور القبس ص ١٠٩ ، ووفيات الأعيان ٢٥٥/٥
- دار الثقافة - وتذكرة الحفاظ ص ٣٧١ ، وميزان الاعتدال ٤/
١٥٥ ، ومرآة الجبان ٤٤/٢ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة
ص ٢٦١ ، وتقريب التهذيب ٢/٢٦٦ ، وتهذيب التهذيب ١٠/
٢٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٢/١٨٤ ، وبغية الوعاة ٢/٢٩٤ ،
والمزهر ٢/٤٠٢ ، ٤٦٢ ، وطبقات المفسرين ٢/٣٢٦ ، ومفتاح
السعادة ١/١٠٥) .

(٢) هو عيسى بن عمر الثقفي بالولاء - من قراء أهل البصرة ونحاتها
المشهورين . وكان في طبقة أبي عمرو بن العلاء . وعنه أخذ
الخليل . وله في النحو نيف وسبعون تصنيفا ولكنها عدمت .
وقد توفي سنة ١٤٩ هـ (انظر انبأه الرواة ٢/٣٧٤) .

وأبى الخطاب الأُخفش^(١) ، ويونس بن حبيب ، وفصحاء العرب

وكما لازم الأصمعيّ - كما قال - أبا عمر بن العلاء طويلاً .
فقد لازم أبو عبيدة يونس بن حبيب طويلاً أيضاً . فقد روى أبو
الطيب اللقوى في مراتب النحويين عن أبي حاتم السجستاني قال :
" سمعت أبا عبيدة يقول : اختلفت لى يونس أربعين سنة ، أملاً
كل يوم ألواحى من حفظه " ^(٢)

وأبو عبيدة أحد ثلاثة أئمة فى اللغة والشعر وعلوم العرب
لم ير مثله . وعنهم أخذ الناس جل ما فى أيديهم من هذه العلوم .
وذكر الأثيرى فى نزهة الألباء عن الجاحظ قال : " لم يكن فى
الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة " ^(٣)
وقال ابن النديم : " وكان ديوان العرب فى بيته " ^(٤)

(١) هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد - الأُخفش الكبير .
من أكابر علماء اللغة ، ومتقدميها أخذ عنه أبو عبيدة
ويونس بن حبيب وقد توفى سنة ٢١٥ هـ .
(انظر نزهة الألباء ص ٤٣ وطبقات الزبيدي ص ٤٠ ونور
القبس ص ٤٧ ومراة الجنان ٦٧٢) .

(٢) مراتب النحويين ص ٢١

(٣) نزهة الألباء ص ١٠٥

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٥٩ .

وكان لأبى عبيدة علم بأمثال العرب أيضا ، وقد جمع منها
فيما ذكره الزبيدي في طبقاته حوالى أربعة عشر ألف مثل^(١) . ولكن
أبا عبيدة مع علمه هذا كان لا يقيم العروض . وكان ربما أنشد
البيت ، فلم يقم وزنه حتى يكسره وينشده مختلف العروض . قال
أبو العباس المبرد : " كان أبو عبيدة عالما بالشعر والغريب
والأخبار والنسب . وكان الأصمعى أعلم منه بالنحو "^(٢) .

وعن أبى عبيدة أخذ كثيرون من العلماء ، كأبى عبيد القاسم
بن سلام ، وأبى عثمان المازنى^(٣) ، وأبى حاتم السجستاني ، وغيرهم .

وقد ذكر العلماء أن أبا عبيدة كان متهما في أخلاقه —
كما كان منخول الدين ، منخول النسب . ولذلك فلم يكن الحكام
يقبلون شهادته^(٤) . وكان كما ذكر الجاحظ في الحيوان يعيل إلى
منه^(٥) الخوارج . كما كان متهما بالشووية ، يبغض العرب ويظعن
عليهم . وله في مثالهم كتب

وكان مولده كما ذكر ابن الأثير في نزهة الألباء سنة
عشر ومائة ، في الليلة التي مات فيها الحسن البصرى رضي الله عنه^(٦)
كما كانت وفاته سنة تسع ومائتين أو قبلها بسنة أو بعدها بسنتين .
قال ياقوت " مات وله ثمان وتسعون سنة . ولم يحضر جنازته أحد

(١) انظر طبقات الزبيدي ص ١٧٧ (٢) نزهة الألباء ص ١٠٦
(٣) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازنى من أهل البصرة أخذ عن أبى
عبيدة والأصمعى وغيرهما ، وأخذ عنه المبرد وغيره . وكان
عالما بالنحو والتصريف والعروض وغيرها . وقد توفي سنة ٢٤٧ هـ
(انظر نزهة الألباء ص ١٨٢) .

(١) لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لأشريف ولا غيره..

ومن طريف أخبار أبي عبيدة أن رجلاً قال له : «يا أبا عبيدة قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم . فبالله تعالى ، إلا ما عرفتني من أبوك . وما أصله .. فقال : حدثني أبي أن أباه كان يهودياً» . (٢)

وكان أبو عبيدة كثيراً التصانيف حتى قيل أنها تقارب المائتين وقد عدد له ياقوت منها نيفا وثمانين^(٣) وقد ألف في مجاز القرآن الكريم فتمزه العلماء . وكان الأصمعي ممن عاب عليه وضعه لكتاب (المجاز في القرآن) ، بقوله : يفسر ذلك برأيه . وبلغ أبا عبيدة ذلك ، فقام بزيارة الأصمعي يوماً وسأله : «ما تقول في الخبر .. قال الأصمعي : هو الذي نخبزه ونأكله . فقال أبو عبيدة فسرت كتاب الله برأيك قال الله تعالى : «إِنِّي أَرَانِي أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا»^(٤) فقال له الأصمعي : هذا شيء بان لي فقلته . لم أفسره برأيتي . فقال أبو عبيدة : وهذا الذي تعيبه علينا كله شيء بان لنا فقلناه . ولم نفسره برأينا»^(٥)

(١) معجم الأدباء ١٦٠/١٩

(٢) نزهة الألباء ص ١٠٥ ومعجم الأدباء ١٥٦/١٩

(٣) انظر معجم البلدان ١٦٠/١٩

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٦

(٥) انظر هذا الخبر في نزهة الألباء ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وانظره في

معجم الأدباء ١٥٩/١٩

وعلى أى حال ، فقد وثق العلماء أبا عبدة ، فيما كان يرويه عن العرب من الغريب . وأكثر أبو عبدة القاسم بن سلام الرواية عنه فى كتبه . وروى الآخرون عنه وأكثروا . ولولا ثقتهم به فيما كان يرويه لم يفعلوا . وهم الذين كانوا يتحَرَّون الصدق فيما يقولون ، والصحة فيما ينقلون . قال ياقوت :
 " وكان ابن المَدِينِ يصحح رواية أبى عبدة " (١)

*

*

أبوحاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)^(١)

هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم - أبوحاتم السجستاني
نزىل البصرة وأحد كبار علمائها . والسجستاني - كما ذكر
السيوطي في المزهري منسوب إلى إقليم سجستان . وكان أبوحاتم
كثير الرواية عن أبي عبيدة والأصمعي ، وأبي زيد الأنصاري
وكان أعلم الناس بالعروض . وأخرج المعنى ، وقول الشعر الجيد
كما كان كثير التصانيف في اللغة ، وقد صنف في النحو والقراءة
وقد عدد القفطي في أنباه الرواة لأبي حاتم من المصنفات ، نيفاً
وثلاثين^(٣).

وكان أبوحاتم إلى جانب علمه صالحاً عفيفاً ، محسناً قارئاً
للقرآن الكريم^(٤) . كما كان يؤم الناس في المسجد الجامع بالبصرة
فقد كان حسن الصوت جهيره حافظاً لكتاب الله ، عالماً بالقراءة
والتفسير . كما كان - كذلك - صادق الرواية موثق الدين . قال
السيوطي في بغية الوعاة^(٥) : " روى له النسائي في سننه ، والبزار^(٦)
في مسنده " .

(١) انظر ترجمته في (مراتب النحويين ص ١٣٠ ، وأخبار النحويين
البصريين ص ٧٠ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٢٢/١ ، وطبقات
الزبيدي ص ٩٤ ، والفهرست لابن النديم ص ٦٤ ، ونزهة الألباء
ص ١٨٩ ، ومعجم الأدباء ٢٦٣/١١٤ ، وأنباه الرواة ٥٨/٢ ، ونور
القبس ص ٢٢٥ ، ووفيات الأعيان دار الثقافة ٤٣٠/٢ ، ومراة
الجنان ١٥٦/٢ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٩٣ ، وتقريب
التهذيب ٣٣٧/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٥٧/٤ ، والنجوم الزاهرة
٣٣٢/٢ ، وبغية الوعاة ٦٠٦/١ ، والمزهري ٤٦٤/٢ ، وطبقات
المفسرين ٢١٠/١ .

(٢) انظر المزهري ٤٤٥/٢ ، وسجستان بكسر الهمزة والثاني وسكونه الثالث

وذكر السيرا في (١) وابن النديم أن أبا بكر بن دريد قد
اعتمد على أبي حاتم في اللغة . فقد روى عنه ابن دريد وأبو
العباس المبرد وغيرهما . وقال الأزهري في تهذيب اللغة بأن -
شمر (٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، قد جالس أبا حاتم
ووثقه . وذكر الزبيدي في طبقاته أنه قد قيل لأبي زيـد
الأنصاري : على من ثقرأ بعدك .. فقال : على سهل بن محمد **يعنى**
أبا حاتم .

(٤)

ولكن أبا حاتم - رحمه الله - بالرغم من علمه هذا ، لم
يكن بالحنق في النحو ، ولذلك كان إذا التقى هو وأبو عثمان
المازني ، تشاغل أوبادر بالخروج خوفاً من أن يسأله عن النحو
وهو الذي قال فيه أبو العباس المبرد : " وسمعتة يقول : قرأت كتاب
سيبويه على الأخفش مرتين " (٦)

وكان من عمل أبي حاتم الاتجار في (٧) الكتب ، قال القفطي
" وكان جماعةً للكتب ، وكان يتجر فيها " . ولم يكن لأبي حاتم

كتاب السنن - سنة ٢١٥ هـ . وسمع كما قال ابن حجر - من
خلائق لا يحصون . وتوفي رحمه الله سنة ٣٠٣ هـ . قيل بالرملة
بفلسطين ، وقيل بمكة المكرمة . وهو الأرجح ، والله أعلم
(انظر تهذيب التهذيب ١/٣٦٧)

(١) انظر أخبار النحويين البصريين ص ٧٢ ، والفهرست لابن
النديم ص ٦٤ .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر - المعروف بالمبرد
شيخ أهل النحو والعربية . وهو بصرى أخذ عن المازني وأبي
حاتم السجستاني وغيرهما . وكان حسن المحاضرة ، مليح الأخبار

السجستاني ما كان لأقرانه من الخطوة في بغداد . قال أبو العباس المبرد : " ولو قدم بغداد ، لم يقيم له منهم أحد " ومن طريق ماروي السيوطي عنه قال : ودخل بغداد ، فسئل عن قوله تعالى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ) (٢) ، ما يقال منه للواحد .. فقال : " قِ . فقال : فالأثنين .. فقال : قِيَا . قال : فالجمع .. قال : قُوا . قال : فاجمع لي الثلاثة . قال قِ ، قِيَا ، قُوا . قال : وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش . فقال للواحد : احتفظ بثيابي حتى أجي . ومضى إلى صاحب الشرطة . وقال : اني ظفرت بقوم زنادقة يقرءون القرآن على صياح الديك . فما شعرنا حتى هجم علينا الاعوان والشرطة فأخذونا وأحضرنا مجلس صاحب الشرطة . فسألنا . فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر . وقد اجتمع خلق من ^{خلع} الله ، ينظرون ما يكون . فعنفني وعذلني . وقال : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا وعمد إلى أصحاب ف ضربهم عشرة عشرة . وقال : لا تعودوا إلى مثل هذا . فعاد أبوحاتم إلى البصرة سريعا ، ولم يقيم ببغداد . ولم يأخذ عنه أهلها . (٣)

وقد توفي أبوحاتم - رحمه الله - بالبصرة سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة الشريفة ، وصلى عليه واليها . وترحم الناس عليه وعلى علمه الذي كان معه . ذكر القفطي في انباء الرواة أن أبا الفضل الرياشي (٤) ، وكان ممن سار في جنازة أبي حاتم السجستاني ، قال على قبره : " نحب بعلم كثير . قيل له : كتبه .. فقال الرياشي : الكتب تؤدي ما فيها ، ولكن صوره " (٥) .

*

*

(١) انباء الرواة ٥٩/٢ (٢) آية ٦ من سورة التحريم . وتماها "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقوهها الناس والحجارة . عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون" (٣) انظر بغية الوعاة للسيوطي ٦٠٧ (٤) هو العباس بن الفرج - مولى بني العباس بن عبد المطلب - رضي الله

ابن السكيت (ت ٤٤٤هـ) (١)

هو أبو يوسف ، يعقوب بن اسحق . والسكيت لقب أبيه ، وقد عرف به لكثرة صمته . (٢) وقد تتلمذ يعقوب على أبيه الذي كان - كما ذكر الباحثون - عالما بالعربية واللغة والشعر . وقد ذكر ياقوت بأنه كان أيضا من أصحاب الكسائي . (٣) وكان ابنه يعقوب يقول فيه : " أنا أعلم من أبي بالنحو ، وهو أعلم مني بالشعر واللغة " . (٤)

وقد برع ابن السكيت في علوم النحو ، ونحو الكوفيين خاصة ، وعلوم القرآن ، وعلوم اللغة والشعر . وكان مؤدبا لأولاد المتوكل ببغداد وهو وإن كان كوفيا فقد أخذ عن البصريين والكوفيين . فقد أخذ عن أبي عمرو الشيباني ، والفراء ، والأثرم ، (٥) وابن الأعرابي ، وغيرهم من علماء الكوفة . كما أخذ عن الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري وغيرهم من علماء البصرة . ولكن من غير سماع - كما ذكر العلماء - إلا ممن

(١) انظر ترجمته في (مراتب النحويين ص ١٥١) ، وتهذيب اللغة للأزهري

٢٣/١ ، وطبقات الزبيدي ص ٢٠٢ ، والفهرست لابن النديم

ص ٧٩ ، وتاريخ بغداد ٢٧٣/١٤ ، ونزهة الألباء ص ١٧٨ ،

ومعجم الأدباء ٥/٢٠ ، وانباء الرواة ٥٠/٤ ، ونور القبس ص ٣١٩

وفيات الأعيان - دار الثقافة ٣٩٥/٦ ، ومراة الجنان ١٤٧/٢ ،

والبداية والنهاية ٣٤٦/١ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٢٨٨

والنجوم الزاهرة ٣١٩/٢ ، وبغية الوعاة ٣٤٩/٢ ، والزهر ٢/٢١٢ (٤)

(٢) انظر انباء الرواة ٢٢٠/١ في ترجمته لاسحق بن السكيت أبي يعقوب

سمع منهم كالأثرم ، وابن نجدة ^(١) ، وأبو نصر . ولكن الأزهري
في تهذيب اللغة يقول : " ولقي الأصمعي فيأحسب ، فانه كثير
الذكر له في كتبه " ^(٢) وكان ابن السكيت - الى جانب روايته عن
الكوفيين والبصريين - يروى كذلك عن فصحاء الأعراب الذين لقيهم
ببغداد . ^(٣)

هذا وقد أخذ عنه أبو سعيد السكري ، وأبو عكرمة الضبي ، وغيرهما
وكان ابن السكيت واسع العلم باللغة والشعر ، حتى أكثر الباحثون
من الاطراء عليه . قال أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين :
" واليه والى ثعلب " ^(٤) انتهى علم الكوفيين ^(٥) . وقال ياقوت في معجم
الأدباء بأنه كان " من أعلم الناس باللغة والشعر " ^(٦) . وقال الانباري
في نزهة الألياء بأنه كان " من أكابر اللغة " ^(٧) . وأخيرا قال السيوطي
في بنية الوعاة : " ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله " ^(٨) .

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي المعروف بابن
نجدة ، كان صاحباً أبو زيد الأنصاري - يلازمه ويروي عنه - كما
كان أبو نصر صاحب الأصمعي ، والأثرم صاحباً أبو عبيدة (انظر
تهذيب اللغة ٢٢/١ وبغية الوعاة ١/٩٤) .

(٢) انظر تهذيب اللغة ٢٣/١ (٣) نفس المصدر ٢٣/١
(٤) هو أبو العباس - أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف
بثعلب امام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . كان ثقة ديناً
مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب ورواية الشعر القديس
وقد كان مقدماً بين الشيوخ وهو حدث لكائه وفطنته وحرصه على
العلم . وقد ولد سنة ٢٠٠ هـ ومات سنة ٢٩١ هـ رحمة الله عليه
(انظر نزهة الألياء ص ٢٢٨) .

وكان لابن السكيت الى جانب ذلك العلم - حظ من السطر والدين ، قال الأزهرى : " وكان دينا فاضلا ، صحيح الأرب" (١) .

كما كان ثقة أمينا موثق الرواية . شهد بذلك أبو الطيب اللفسوى فى مراتب النحويين ، (٢) والقطنى فى انباء الرواة ، (٣) ، وغيرهما .

هذا وقد خلف ابن السكيت فى اللغة والشعر مصنعات جمجمة كاصلاح المنطق ، والالفاظ ، والاضداد ، والنوادر ، ومعانى الشعر وغيرها . وقد عدد له الباحثون الذين عنوا بذلك ، نيفا وعشرين مصنفا . (٤)

وقد فسر ابن السكيت من دواوين الشعر شيئا كثيرا . (٥) ولعل ديوان طرفة بن العبد ، الذى وصلنا عن طريقه هو أحد تلك الدواوين التى عنى بجمعها وتفسيرها .

وتوفى ابن السكيت رحمه الله ، سنة أربع وأربعين ومائتين . (٦) وقد ذكرنا فى موته قصة ملخصها أن المتوكل قال له ذات يوم : " يا يعقوب من أحب اليك ، ابنائى هذان أم الحسن والحسين ؟ " فذكر ابن السكيت السهطيين الكريمين رضى الله عنهما ، بما هما أهله من الفضل والتقدمية وغض من ولدى المتوكل ونال منهما . فأمر المتوكل به فعذب حتى مات ، والله أعلم . (٧)

أبو عمرو والشيباني (ت ٤١٠ هـ)^(١)

هو اسحق بن مرار الشيباني ، من الرمادة بالكوفة . وقد جاور
 بنى شيان فنسب اليهم . وهو اسحق بن مراد - بكسر الميم وبعد هـ -
 راءهم ملتان مخفتان بينهما ألف - وكذلك ضبطه ياقوت في معجم
 الأرباء^(٢) ، وابن حجر في تقريب التهذيب^(٣) ، والسيوطي في بغية
 الوعاة^(٤) ، وقد ضبط في كتاب المعارف لابن قتيبة : اسحق بن مرار
 كشدار^(٥) - وليس بصحيح ، ولعله خطأ من النساخ . وجاء في تهذيب
 اللغة : اسحق بن مراد^(٦) - ولعله من وهم النساخ كذلك .

وقد اشتهر اسحق بن مرار الشيباني هذا ، بكنيته أبي عمرو
 فكانت تغلب على اسمه . وكان يعرف كذلك بأبي عمرو الأحمر^(٧) .

وكان أبو عمرو عالماً باللغة ، حافظاً لها ، عالماً بأيام العرب
 جامعاً لأشعارهم . وقد روى الأزهري في تهذيب اللغة أنه قرأ وادين
 الشعر على المفضل الضبي^(٨) . وروى الانباري في نزهة الألباء عن عمرو
 ابن أبي عمرو أنه قال : " لما جمع أبي أشعار العرب ، كانت نيفاوشمانين
 قبيلة . وكان كلما عمل منها قبيلة ، وأخرجها الى الناس ، كتب مصحفاً
 وجعله في مسجد الكوفة . حتى كتب نيفاوشمانين بخطه " ^(٩)

(١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤ ، و مراتب النحويين ص
 ١٤٥ ، وتهذيب اللغة ١ / ١٣ وطبقات الزبيدي ص ١٩٤ ،
 والفهرست لابن النديم ص ٧٤ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٣٢٩ ، ونزهة

وكان أبو عمرو واسع العلم باللغة والشعر حتى انه كان يعترف
في وقته بين العلماء بصاحب ديوان اللغة والشعر^(١) . وفيه قال
أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب : " كان مع أبي عمرو الشيباني
من العلم والسماع ، أضعاف ما كان مع أبي عبيدة . ولم يكن من أهمل
البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم " .^(٢)

وقد احتج ياقوت الحموي على ذلك القول بقوله : " ولقد أسرف
شعلب فيما فضل به أبا عمرو ، فاني لا أقول ان الله خلق رجلا كان أوسع
رواية وعلماً من أبي عبيدة في زمانه^(٣) . وعلى أي حال فقد كان أبو عمرو
الشيباني بشهادة كثير من العلماء ذا علم غزير . روى عن يونس
ابن حبيب أنه قال : " دخلت على أبي عمرو الشيباني ، وبين يديه قَمَطَرٌ
فيه أماء^(٤) من الكتب يسيرة . فقلت له : أيها الشيخ ، هذا جميع
علمك ؟ فتبسم الولي وقال : " هذا من صندوق كبير " .^(٥)

وكان أبو عمرو الشيباني ، يرحل الى مضارب العرب في الصحراء
ليسمع منهم ويكتب عنهم . كما كان يفعل أقرانه من ذلك الجيل . قال
شعلب : " دخل أبو عمرو ، اسعدق بين مرار البادية ، ومعه شيجتان
من حبر ، فما خرج حتى أفناهما بكتب سماعه عن العرب " .^(٦)

(١) انظر انباه الرواة ٢٢٢/١ (٢) انظر نزهة الالباء ص ٩٤

(٣) انظر معجم الادباء ٨٢/٦

(٤) القطار (كالقطر) والهبزير (مائتان) فيه الكتب . والجمع

قطاير (اللسان قطر) . والمنا (كالمهوى) : الكيال الذي -

وكان الغالب على أبي عمرو - فيما ذكر الأزهري في تهذيب اللغة -
النوادير وحفظ الغريب ، وأراجيز العرب . (١)

وكان أبو عمرو إلى جانب علمه هذا ، دينا ، نبلا ، فاضلا ، صدوقا
فيما يحكيه ، موثقا فيما يرويه ، وكان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه
يلزم مجالسه ويكتب أماليه .

وقد روى عن أبي عمرو ابنه عمرو (٢) ، وأحمد بن حنبل - رضي الله عنه
وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، وأبو سعيد الضرير ، وغيرهم (٣)
فقد كان أبو عمرو مشهورا بسعة علمه ، معروفًا بصدق روايته حتى جعله
ياقوت راوية أهل بغداد (٤) . وإنما قصر به عند العامة من أهل العلم
أنه كان مشتهرا بشرب النبيذ . (٥)

وقد عمر أبو عمرو طويلا حتى أناف على التسعين ، كما ذكر كثير من
الباحثين . وقد خلفه عدد من المصنفات ، ككتاب النوادر وكتاب اللغات
وكتاب غريب الحديث وغيرها . وقد عدد له ياقوت في معجم الأدباء بعض
تلك المصنفات ، وكذلك فعل القوطي (٦) في انباه الرواة . (٧)

وقد توفي رحمه الله سنة عشرومائتين ، وقيل بل خمسمائتين والله أعلم . (٨)

(١) انظر تهذيب اللغة ١٣ / ١

(٢) أخذ عمرو بن أبي عمرو علم أبيه وتصدد للقراءة عليه وأبوه حي وتوفي سنة ٢٣١ هـ
(انظر معجم الأدباء ١٦ / ٧٣) .

(٣) أبو سعيد الضرير هو أحمد بن خالد البغدادي اللخمي - لقي أبا عمرو
الشياني وابن الأعرابي وكان يلقى الأعرابي الفصحاء . وهو موثق الرواية

ابن الأعرابي (١٥٠ - ٥٤٣١ هـ)^(١)

هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي . كان مولد لبني هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة الكوفيين ، المشار إليهم في معرفتها . وكان كما قال ابن قتيبة في المعارف - ربيبا للمفضل الضبي ، إذ كان المفضل زوج أمه .^(٢) وقد سمع منه دواوين العرب ، وصححها عليه . وقد حفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره .^(٣)

ويقال إن ابن الأعرابي قد ولد في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه .^(٤) وكان ذلك لا حدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسين ومائة .^(٥) وظل يطلب العلم ، وعلوم العربية خاصة حتى صار كما ذكر الأنباري في نزهة الألباء " أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب " .^(٦)

وابن الأعرابي وإن كان كوفيا ، فإنه لم يقتصر في الأخذ على الكوفيين . بل لقد أخذ علم البصريين أيضا . وعلم أبو زيد الأنصاري خاصة . ولكن - كما ذكر السيوطي في الزهر - " من غير أن يسمعه منه " .^(٧) ولذلك قال ياقوت " لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه " .^(٨)

(١) انظر ترجمته في (المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٦ ، ومراتب النحويين ص ١٤٧ وتهذيب اللغة للأزهري ٢٠ / ١ ، وطبقات الزبيدي ص ١٩٥ ، والفهرست لابن النديم ص ٧٥ وتاريخ بغداد د ٢٨٢ / ٢ ، ونزهة الألباء ص ١٥٠ ، ومعجم الأدباء ١٨٩ / ١٨٩ وأنباء الرواة ١٢٨ / ٣ ، ونور القبس ص ٣٠٢ ووفيات الأعيان - دار الثقافة - ٣٠٦ / ٤ والوفيات بالوفيات ٧٩ / ٣ ، ورسالة الجنان ١٠٦ / ٢ والبداية والنهاية ٣٠٧ / ١ ، والبلغة في تاريخ

وقد جالس ابن الأعرابي الكسائي ، وأخذ عنه النوادر والنحو
كما سمع من الأعراب الذين كانوا ينزلون بظاهر الكوفة فاستكثر . (١)

وكان ابن الأعرابي قوى الذاكرة ، واسع الحفظ ، لا يملأ على
الناس من كتاب . فقد ذكر ابن النديم أن ثعلبا قال : " لزمته بضع
عشرة سنة ، ما رأيت بيده كتابا قط " (٢) . كما كان كثير الاملاء
فقد ذكر الأنباري عن ثعلب قال : " سمعت ابن الأعرابي يقول : "أملت
قبل أن تحيثوني يا أحمد ، حَمْلَ حَمْلٍ" (٣) . وذكر السيوطي أن ثعلبا
أيضا قال : " وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان ، كل يسأله أو يقرأ عليه
ويجيب من غير كتاب " (٤) .

وقد ذهب العلماء في الاطراء على علم ابن الأعرابي وحفظه مذها
بعيدا . قال الزبيدي في طبقاته : " وكان ناسبا نحويا كثير السماع
راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفظ " (٥) وقال ثعلب : " انتهى علم
اللغة والحفظ الى ابن الأعرابي " (٦) وقال أيضا : " لم ير أحد في علم
الشعر أغزر منه " (٧) . ومن أقوال العلماء : " كان للناس رؤوس . كان
سفيان الثوري " (٨) رأسا في الحديث ، وأبو حنيفة رأسا في القياس ، والكسائي
رأسا في القرآن " . أما ابن الأعرابي " فانه رأس في كلام العرب " (٩)

(١) تهذيب اللغة ٢١ / ١ وانظر انباه الرواة ٣ / ١٣٢

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٧٥ (٣) نزهة الالباء ص ١٥١

(٤) بغية الرواة للسيوطي ١ / ١٠٥ (٥) طبقات الزبيدي ص ١٩٥-١٩٦

(٦) نزهة الالباء ص ١٥١ (٧) الفهرست لابن النديم ص ٧٥

(٨) هوسفيان بن سعيد بن مسروق - ويكنى أبا عبد الله ، مات بالبصرة

وذكر ابن الأعرابي عند القراء فكان ماقال فيه : " كان يزاحمنا عند المفضل " (١)

هذا وقد أخذ عن ابن الأعرابي كثير من العلماء ، منهم أبو بكر محمد بن

الضبي* ، وأبو العباس أحمد بن يحيى شعلب ، وأبو يوسف يعقوب بن حسن

السكيت ، وغيرهم . قال الأزهرى : " وكان شمر بن حمدويه (٢) ، جالس

ابن الأعرابي دهرًا ، وسمع منه دواوين الشعر ، وتفسير غريبها " (٣)

ويقال أن ابن الأعرابي كان يغمز لا صمعي وأبا عبيدة ، ويزعم أنهما

لا يحسنان قليلا ولا كثيرا (٤) ولكنه كان لا يقول في أبي زيد الأنصاري

الآخر (٥) . ومن ذلك ما رواه أبو العباس شعلب قال : " سمعت ابن الأعرابي

يقول في كلمة رواها الأصمعي : " سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله

الأصمعي " (٦)

ولا يجهل أحد أن الأصمعي وأبا عبيدة كانا شيخا رواة أهل البصرة

ورأس علمائها في ذلك الزمان . ولذلك لم يكن العلماء يوافقون ابن الأعرابي

على ما كان يقول فيهما . وقد قيل لأحد هم : " لم تأت ابن الأعرابي ، ولم

تقرأ كتبه " . فقال : بلغني أنه كان يفتقص الشيخين . يعني الأصمعي

وأبا عبيدة (٧)

(١) انظر تهذيب اللغة ٢١ / ١ (٢) هو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي

أبو عمرو . الأديب الفاضل الكامل . إليه الرحلة في فن الأدب من كل مكان . في

ذلك الزمان . رحل إلى بغداد . فلقى ابن الأعرابي وغيره من اللغويين . ولقى

جماعة من أصحاب أبي عمرو الشيباني وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والفراء .

فأخذ عنهم . وسمع دواوين الشعر من وجوه شتى . وقد عاد إلى هراة ، وألقى بها

عصاه . وتوفي سنة ٢٥٥ هـ (انظر انباء الرواة ٢ / ٧٧) .

(٣) تهذيب اللغة ٢١ / ١ (٤) انباء الرواة ٣ / ١٢٩

وبالرغم من ذلك فقد كان ابن الأعرابي - كما ذكرنا - أميناً على أعراض الناس ، روى ياقوت فدمعجم الأديباء قال : " واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له : " لولم تقل فينا ما قلت عندنا ، فلا تجلسن^١ إلينا " (١) وكان ابن الأعرابي أيضاً - كما ذكرنا - " رجلاً صالحاً ورعاً زاهداً صدوقاً " (٢) .

وقد توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائتين بعد أن نيف على الثمانين (٣) وكان ذلك ببغداد في خلافة الواثق بن المعتصم . وصر عليه أحمد بن أبي دؤاد الأيادي . وكان يومئذ قاض القضاة .

وقد خلف ابن الأعرابي من التصانيف أكثر من خمسة عشر مصنفاً (٤) ومن مآثور قوله رحمه الله : " ما رأيت قوماً أكذب على اللغة ، من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق " (٥) .

(١) معجم الأديباء ١٨ / ١٩٦ وانظر كذلك بغية الوعاة ١ / ١٠٥

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٢٠

(٣) معجم الأديباء ١٨ / ١٩٦ وانظر كذلك انباء الرواة ٣ / ١٣٠

(٤) انظر معجم الأديباء ١٨ / ١٩٦

(٥) انظر نفس المصدر ١٨ / ١٩٦ .

محمد بن حبيب (ت ٤٤٥ هـ)^(١)

هو أبو جعفر ، محمد بن حبيب ، مولى بنى هاشم ، وأمه مولاة لهم . وذكر أكثر من واحد من العلماء بأنه كان ولد ملاءنة^(٢) . ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد^(٣) . والقطبي في انباء الرواة^(٤) ، والسيوطي في بغية الوعاة^(٥) . كما ذكر أكثرهم أن أباه مجهول ، فنسب إلى أمه وهي (حبيب) .

قال أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين : " وحبيب اسم امه ولذلك لا يصرف"^(٦) . وقال ابن النديم في الفهرست : " ولم يكن حبيب أباه ولكن كانت أمه"^(٧) . وقال الخطيب البغدادي : " ويقال ان حبيب اسم امه ، وقيل بل اسم أبيه ، فالله أعلم"^(٨) . وقال ياقوت : " ولا يعرف أبوه ، وانما نسب إلى أمه وهي حبيب"^(٩) . وقال القطبي : وحبيب اسم امه في أكثر الروايات ، ووجد بخط العلماء " حبيب" غير مصروف لأجل التأنيث والعلمية"^(١٠) . وكذلك قال السيوطي في بغية الوعاة^(١١) .

(١) انظر ترجمته في (مراتب النحويين ص ١٥٢ ، وطبقات الزبيدي ص ١٣٩ ، والفهرست لابن النديم ص ١١٩ ، وتاريخ بغداد ٢٧٧/٢ ، ومعجم الأندباء ١١٢/١٨ ، وانباء الرواة ١١٩/٣ ، والوافي بالوفيات ٣٢٥/٢ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص ٢١ وطبقات تقي الدين الأسدي ص ٨١ والنجوم الزاهرة ٣٢١/٢ ، وبغية الوعاة ٧٣/١ ، والمزهر ٤١٣/٢) .

(٢) ولد الملاءنة هو الذي يتهم أبوه امه بجرمة الزنا ، وليس معه شهاد على ذلك . فيقسم على صدق دعواه . وتقسم على صدق انكارها فيفرق بينهما من غير إقامة الحد .

(٣) تاريخ بغداد ٢٧٨/٢ (٤) انباء الرواة ١١٩/٣

(٥) بغية الوعاة ٧٣/١ (٦) مراتب النحويين ص ١٥٢

(٧) الفهرست ص ١١٩ (٨) تاريخ بغداد ٢٧٧/٢

وعلى أي حال ، فقد كان محمد بن حبيب من علماء بغداد باللغة
والشعر والأخبار والأنساب الثقات . قال عنه أبو العباس أحمد بن يحيى
ثعلب : " وكان والله حافظاً صدوقاً ، وكان يعقوب أعلم منه " (١) وكان هو
أحفظ للأنساب والأخبار منه (٢) وقال عنه البغدادي : " وكان عالماً
بالنسب وأخبار العرب ، موثقاً في روايته " (٣) .

وقد روى ابن حبيب عن ابن الأعرابي ، وابن الكلبي ، وقبط (٤) (٥)
وغيرهم . وقد ذكر ابن النديم أنه قد روى عن أبي عبيدة وأبي اليقطين
النسابة أيضاً (٦) . وقد جمع ابن حبيب عدداً من دواوين العرب ، وله
مصنفات كثيرة في الأخبار وغير الأخبار . قال ياقوت : " كتبه صحيحة " (٧)
وعدد له منها حوالي أربعين مصنفاً (٨) . وعدد ابن النديم له منها
ثلاثين (٩) . ومن كتبه التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا : كتاب القاب
الشعراء ، وكتاب كنى الشعراء ، وكتاب المفتالين من الشعراء .

وكان محمد بن حبيب مؤدباً وكان يقول : " إذا قلت للرجل ما
صنعتك ؟ فقال : معلم ، فاصفع " . وقد أخذ عنه أبو سعيد السكري فأكثره .
وكان لا يقعد في المسجد الجامع . قال ثعلب : " فعذلت على ذلك
فأبى ، فلم أزل به حتى قعد " (١١) .

(١) يقصد يعقوب بن السكيت (٢) انباه الرواة ٣ / ١٢٠
(٣) تاريخ بغداد ٢ / ٢٧٧ (٤) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي
من أهل الكوفة . وكان من أحفظ الناس ، وأعلمهم بالأنساب . وقد توفي سنة ٢٠٤ هـ أو
سنة ٢٠٦ هـ (انظر المعارف ص ٣٦٥ وانظر ترجمة الألباء ص ٨٩) .
(٥) هو أبو علي محمد بن المستير . أخذ عن سيويه وعن جماعة من علماء

وكان فو ابن حبيب خصلة لم تعجب العلماء في ذلك الزمان ،
وهي ليست من الأمانة العلمية بمكان . وذلك أنه كان يغير على كتب
الناس فيديعها ، ويسقط أسماءهم .^(١) وقد توفي رحمه الله ، بسامرا
في أيام المتوكل سنة خمس وأربعين ومائتين .

الأعلم الشنتمري (١٠-٤٧٦ هـ)^(٢)

هو أبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم
من أهل شنتمرية الغرب بالاندلس . رحل إلى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين
وأربع مائة ، وأقام بهامدة . وأخذ عن ابن الأفلح^(٣) وأبي سهل الحراني
ومسلم بن أحمد الديب^(٤) . وصار كما قال ابن بشكوال : " عالما باللغات
والعربية ، ومعاني الأشعار . حافظا لجميعها . كثير العناية بهما
حسن الضبط لها ، مشهورا بمعرفتها واتقانها " .^(٥)

(١) انظر معجم الأدباء ١١٣/١٨ ، وانباه الرواة ١٢١/٣ ، وبغية الوعاة
٧٣/١ (٢) انظر ترجمته في (كتاب الصلة لابن بشكوال ص ٦٨١ ، ومعجم الأدباء
٦٠/٢٠ ، وانباه الرواة ٥٩/٤ ، ووفيات الأعيان - مطبعة السعادة - ٣٥٣/٢
وبغية الوعاة ٣٥٦/٢) . (٣) شنتمرية بفتح الشين المعجمة وسكون النون -
وفتح التاء المثناة من فوقها ، والميم وكسر الراء وبعد ها يا - مشددة مثناه
من تحتها . وبعد ها ها - ساكنة - وهي مدينة بالاندلس في غربها (انظر وفيات
الأعيان - دار الثقافة - ٨٣/٧) . (٤) هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن
زكريا - المعروف بابن الأفلح - ينتهي نسبه إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه . من أهل قرطبة . كان حافظا للأشعار واللغة قائما عليهما . ذاكرا
للأخبار وأيام الناس . وقد ولي الوزارة للمستكفي بالله . ولد سنة ٥٢٥ هـ متوفى

قال ياقوت : " كان مشقوق الشفة العليا شقا واسما ، ولذلك لقب
بالاعلم " (١) . وقد كان مولده سنة عشروأربعمئة ، ثم مافتى ، أن ذاع صيته
بين المتأدبين والعلماء في الاندلس ، حتى صارت اليه الرحلة في زمانه
وقد شرح كثير من دواوين العرب . ومنها دواوين الشعراء الستة
الجاهليين . ويعتبر شرحه لها من أحسن المجموعات الشعرية التي
ظهرت في الاندلس في ذلك الزمان .

وقد ترك الاعلم مصنفات عدة . وعاون شيخه ابن الاقليل ، فسي
شرح ديوان أبي الطيب المتنبى (٢) . وقد روى عنه علماء كثيرون كأبي علي
الفساني (٣) ، وغيره . فقد كان مشهورا في أوساط العلماء . قال ابن بشكول
في الصلة : " وأخبرنا عنه غير واحد من شيوخنا " (٤)

وكان قد كف بصره في أواخر زمانه . وتوفي رحمه الله بمدينة اشبيلية
سنة ست وسبعين وأربعمئة . (٥)

وبالاعلم الشنتمرى تختم حديثنا عن أشهر الرواة الذين تناقل
الناس عنهم . فيما تناقلوا من أشعار وأخبار . أشعار طرفة بن العبد
وأخباره . آملين أن نكون قد وضحنا ولو بايجاز . الطريق الذي سلكته
أشعار طرفة وأخباره . عبر أولئك الاعلام ، حتى وصلت الينا . . .

(٢) انباء الرواة ٦٠/٤

(١) معجم الادباء ٦١/٢٠

(٣) هو حسين بن محمد بن احمد الفساني . رئيس المحدثين بقرطبة . يكنى

أبا علي . وكان له الى جانب علوم الحديث - بصر باللغة والاعراب

معرفة بالغريب والشعر . والانساج . من اجل ان الفسانى في تاريخه

المبحث الثاني : الانتحال في شعر طرفة :

لقد شغلت قضية الانتحال في الشعر الجاهلي ، أن هان الباحثين منذ كان عهد التدوين . وذلك بسبب الظروف والملابسات التي أحاطت بذلك الشعر منذ تلفظ به الشعراء أنفسهم ولا من أسمع روايتهم ، وحتى أصبح مكتوباً ومدوناً في مجاميع العلماء واختياراتهم .

ومن ذلك ما ذكره ابن سلام في طبقات فحول الشعراء عن ذلك الشعر قال : " فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد وغزواتهم والروم . وَلِهَيْتَ^(١) عن الشعر وروايته . فلما كثرا لاسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يَلُوا^٢ الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب . . وألفوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل . فحفظوا أقل ذلك ، ونهب عليهم منه كثير^(٢) .

والحقيقة أن الرواية الشفوية ، وهي التي غلبت على الشعر الجاهلي لها بعض المحاذير . فقد ينسى الرواة أو يتزبدون ، وقد يخطئ^٣ النقلة والمتحدثون . ومن هذا المدخل الضيق نشأت قضية الانتحال .

(١) لها عن الشيء يلهو ، وَلِهَيْتَ عنه (يفتح فكسر) يَلْهَى (بفتح الهاء) غفل عنه ونسى ذكره وأضرب عنه .

وافقسم الباحثون حيال تلك القضية المهمة الى قسمين ، فقسم
متطرف ينفي صلة أكثر هذا الشعر بأعله ، ويتهم رواة الأشعار ونقله
الأخبار بوضعه . وقسم معتدل يرى صحة نسبة أكثر هذا الشعر -
لقائليه . وأبياتا قليلة هو التي وضعها الرواة فيه .

ولقد كان للمتطرفين رؤوس من العلماء القدماء ، كمحمد بن سلام
في كتابه طبقات فحول الشعراء^(١) ، ومن تطرفه قوله : " فلما راجعت
العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها وآثرها ، استقل بعض العشائر
شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم ظلمت
وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار
فقالوا على السنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار
التي قيلت^(٢) . أما المعتدلون من القدماء ، فلسنا نخص واحد منهم
بمینه ، ولكن أخبارهم توضح أنهم جميعا كانوا من الدراية بأشعار
العرب والعلم بأخبارهم بحيث كانوا يميزون البيت المصنوع من بيت
بقية الأشعار ، كما يميز الصراف الماهر ، الدرهم المزيف من دين ما يعرض
عليه من النقود . ولذلك فانهم لم يأخذوا بسقالة ابن سلام ، بل
رووا الينا ما ثبت لديهم صحته من الشعر ، ونهبوا الى ما دخلهم فيه
شك . على أن ابن سلام نفسه يرد على نفسه بقوله : " وقد كان عند النعمان
ابن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به^(٣) . وفي

هذا الخبر دلالة على أن دواوين الفحول وكثيرا غيرها من أشعار العرب
الجاهليين كانت مدونة قبل عهد التدوين ، وبالتالي فقد نجت من التزويد
والانتحال - اللهم الا اذا كان ذلك في أضيق الحدود .

وأما المحدثون من الباحثين ، فقد كان منهم أيضا المتطرفون والمعتدلون
في دراسة قضية الانتحال في الشعر الجاهلي ، وبرزت بينهم رؤوس من
المتطرفين ، عربا أو مستشرقين . فمن المستشرقين مرجليوت ، ومن العرب
الدكتور طه حسين ، في كتابه المشهور (في الأدب الجاهلي) . وليست
هؤلاء العلماء اقتصروا على أدلة المتطرفين من القدماء ، اذن ليهان الأمر .

ولكنهم ساقوا لمزاعمهم حشودا من الأدلة والبراهين ، استنتجوها
من نكت الاخبار التي قد لا تصح . وحملوا بعض النصوص مالا يطيقه من
المعاني ، وتزيدوا على الحياة العربية في الجاهلية ، كما تزيدوا على
الرواة القدماء ، وألحقوا بهم تهمة لا تليق بالعلماء .

وقد انبرى كثير من العلماء للرد على أولئك المتطرفين ، والدفاع عن
صحة نسبة الشعر الجاهلي لأصحابه الحقيقيين ، فتصدى لمرجليوت كثير
من المستشرقين أنفسهم ، فردوا عليه وأبطلوا حججه ، وضعفوا براهينه . (١)

وأما طه حسين ، فقد انبرى له حشد هائل من العلماء الاجلاء
فهجنوا أراءه وضعفوها ، ونقضوا براهينه وفندوها . وخير دليل على
ذلك ما كتبه الاساتذة : محمد فريد وحدي في كتابه (نقد كتاب الشعر

الجاهلي) ، ومحمد طاهر جزمي في كتابه (الشعر الجاهلي) ، ومحمد

النمراوى فى كتابه (النقد التحليلى لكتاب فى الادب الجاهلى) ، والشيخ محمد الخضر حسين فى كتابه (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى) ، والشيخ محمد الخضرى فى محاضراته (فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى) ، والاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى فصول كثيرة من كتابه (تحت راية القرآن) ، وغيرهم . (١)

والحقيقة أن للمتطرفين أدلة لها - فى نظرهم - وجه صحيح . ولكن أدلة المعتدلين لها - فى نظر بقية العلماء - أكثر من وجه صحيح . والمجال هنا لا يتسع لسرد تلك الأدلة أو مناقشتها ، إذ أن المقصود بهذا المبحث هو الحديث عن قضية الانتحال فى شعر طرفة بالذات . أما قضية الانتحال بصفة عامة فقد عقد الدكتور ناصر الدين الأسد لمعالجتها فصولا عدة فى كتابه (مصاد الشعر الجاهلى) ، وقد بسط الحديث فى تلك الفصول عن تلك القضية بسطا مستفيضا ، وشرح أدلة المعتدلين شرحا وافيا ، ورد على المتطرفين ردًا شافيا . (٢)

وخلاصة الأمر فى ذلك أن بينما قليلا من الشعر الجاهلى ، منحول على أصحابه لسبب أو لآخر . وهو لا يخفى على من كانت له بالشعر داية . وقد أشار إليه كل من عنى بتلك الغاية . ولكن الأكثرية الغالبة من تلك الأشعار صحيحة النسبة لأصحابها ، ليس فى ذلك شك . وكل من تجاوز القول بهذا فقد تجنى على تراثنا ، وتزيد على أدبنا ، واتهم علماءنا بما هم منه براء . .

أما طرفة بن العبد ، فقد ناله عموالا آخر طرف من الانتحال عليه ، وأصابه

جزء من ذلك القليل ، فنسبت بعض الأشعار التي لم يقلها إليه . والذي يتصفح ديوانه الذي هو بين أيدينا الآن ، ثم يقرأ ما كتب عن شعره العلماء الاقدمون ، يتضح له أن قضية الانتحال تنقسم في شعره الى ثلاثة أقسام .

أما القسم الأول فهو وجود قصائد بأكملها من قصائد الديوان الأساسية اختلف الرواة الاقدمون في نسبتها للطرفة . فقال بعضهم بأنها موضوعية منحولة ، وقال أكثرهم بأنها صحيحة أصيلة . وأما القسم الثاني فهو وجود أبيات متفرقة في ثنايا القصائد الأساسية من قصائد الديوان ، اختلف الرواة الاقدمون أيضا في نسبتها للطرفة ، فداخل الشك فيها بعضهم ، وأثبت صحة نسبتها للطرفة أكثرهم . وأما القسم الثالث فهو وجود أبيات في صلة الديوان شك في نسبتها للطرفة أكثر الرواة القدماء ، ونوه بذلك أيضا من جاء بعدهم من العلماء .

وبودنا أن نبين هنا ، أننا سننتهج في ترجيح أوتوهين صلة هذه الأشعار بطرفة ، نهجا من شقين : أحدهما خارجي ، وهو استعراض أقوال العلماء القدماء في نفى تلك الأشعار أو اثباتها . والآخر داخلي وهو عرض تلك الأشعار على أشعار معروفة النسبة للطرفة ، في خصائصها وموضوعاتها .

فما رجحت كفة نسبه للطرفة عند أكثر العلماء ، وأشبه في خصائصه وموضوعاته بقية أشعاره ، فهو عندنا من شعره لا شك في ذلك ، وما شالست

قال الديوان طرفة ، كونه عيش بين نفعيه زمانا ، ^(١) لعلنا نستطيع أن نطبق عليه ما نقول . أما النوع الأول وهو وجود قصائد بأكملها من قصائد الديوان الأساسية ، شك بعض الرواة في نسبتها للطرفة ، وأثبتها له أكثرهم فمنه في الديوان قصيدتان أولاهما هي الثانية عشرة فيه ومطلعها : ^(٢)

سارلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللمم

يقول الأعلام الشنتمري في تقدّمه لها : " وزعم الأصمعي أنها مصنوعة ، وأنه أدرك قائلها ، وأثبتها أبو عبيدة والمفضل وغيرهما " ^(٣) . ويقول ابن السكيت في تقدّمه لها أيضا : " أثبتها أبو عبيدة والمفضل وأبو عمرو الشيباني . وزعم الأصمعي أنها مصنوعة ، وأنه أدرك قائلها " ^(٤)

فإذا سلكنا المنهج الذي ذكرناه ، في معالجة أمر هذه القصيدة يصبح من اليسير الرد على زعم الأصمعي بشأنها . فهي مشهورة النسبة لطرفة . وقد أثبتها كما رأينا أبو عبيدة ، وهو نظير الأصمعي وصنوه . وأحد جهابذة رواة البصريين الموثوقين مثله . وأثبتها كذلك المفضل الضبي وهو رأس رواة الكوفة ، المشهود لهم بالعلم والصدق بين أهل البصرة كما رأينا عند الحديث عنه .

فإذا رجعنا إلى العلماء الآخرين ، وجدنا أبيات هذه القصيدة

(١) دَفَّ الشَّوْءُ وَدَفَّتْهُ جَنْبُهُ . وهي بالفتح لا غير (اللسان د فف)

(٢) الديوان ص ١٠٩ وقد مر بنا شرح هذا البيت

(٣) الديوان ص ١٠٩ .

(٤) انظر ورقة ٣٥ من المخطوطة الأولى ، وظهر ورقة ٣١ من المخطوطة الثانية .

متناثرة في بطون كتبهم منسوبة لطرفة بن العبد . ومن أمثلة ذلك ،
 ما ذكره ابن اسحق وابن الكلبي في كتابهما حرب البسوس ^(١) . وأبو حاتم
 السجستاني في الاضداد ^(٢) ، وابن قتيبة في المعاني الكبير ^(٣) ، وابن دريد
 في جمهرة اللغة ^(٤) ، وابن الانباري في الاضداد ، وفي شرح المفضليات ^(٥)
 وأبو الفرج في الاغانى ^(٦) ، والحسن العسكري في التصحيف والتحريف ^(٧) ،
 والمرزباني في الموشح ^(٨) ، وابن فارس في مقاييس اللغة ^(٩) ، والريفي في
 نظام الفريب ^(١٠) ، والزمخشري في أساس البلاغة ^(١١) ، وابن الشجري في
 مختاراته ^(١٢) ، وأسامة بن منقذ في لباب الآداب ^(١٣) ، وابن الاثير في الكامل
 في التاريخ ^(١٤) ، وابن منظور في لسان العرب ^(١٥) ، والزبيدي في تـسـاجـع
 العروس ^(١٦) ، وغيرهم . ^(١٧)

-
- (١) حرب البسوس ص ٨٩ - ٩٠ (٢) الاضداد ص ١٥١
 (٣) المعاني الكبير ص ١٦٩ - ٥٥٦
 (٤) جمهرة اللغة ٨١ / ٢ (م جرع)
 (٥) الاضداد ص ١٤٠ ، وشرح المفضليات - ط بيروت -
 ص ١٩٠
 (٦) الاغانى مطبعة التقدم ١٤٣ / ٢٠
 (٧) التصحيف والتحريف ص ٢٨٧
 (٨) الموشح ص ١٧
 (٩) مقاييس اللغة ٩٧ / ١ (أرم) ،
 ص ٣٠٣ / ٤ (عرج) .
 (١٠) نظام الفريب ص ١٣٣ (١١) أساس البلاغة ٤٩٠ / ١ (شرب)
 (١٢) مختارات ابن الشجري ٣٩ / ١ - ٤١
 (١٣) لباب الآداب ص ٢٠٧
 (١٤) الكامل في التاريخ - ط أوروبا - ٣٩٥ / ١ .
 (١٥) انظر المواد : شيخ ، خلع ، عرس ، نبه ، نيك في لسان العرب .
 والبيت رقم ٩ من هذه القصيدة فيه مادة فرع بدون نسبة .

هذا من الناحية الخارجية .

أما من الناحية الداخلية فإن في هذه القصيدة موضوعات شعر طرفة الشيء الكثير فيها الفخر بقومه كأشد ما يكون الفخر مبالغة وغلوا ، فقد افتخر بشجاعتهم وجودهم ورزانة أحلامهم وسماحة أخلاقهم ، وكرم أصلهم ، وعلو منزلتهم . . . وغير ذلك .

وفيهما الوصف الذى أولع به طرفه ، وأجاد فيه . وهو هنا وصف معارك القوم ، وما كان لهم فيها من مواقف حاسمة شديدة ، وما كان ينتاب أعداءهم فيها من الهزائم العديدة . ووصف كذلك لما كانوا يستعملون فيها من السيوف الحسامات القاطعة البتارة ، والخييل القوية الضامرة السريعة فى الغارة . وغير ذلك مما نود أن نرجى الأمثلة عليه الى حين دراسة أغراض شعر طرفة وموضوعاته .

كما أن فى هذه القصيدة أيضا - من خصائص شعر طرفة - الشيء الكثير . فيها الصياغة القوية التى تناسب الحال ، والألفاظ الضخمة التى تلائم الفخر والوصف ، وفيها محسناته وتشبيهاته وكنائته واستعاراته وصيغ المبالغة عنده . وغير ذلك - مما سنضرب له الأمثلة ان شاء الله تعالى عند التعرض بالدراسة لخصائص شعر طرفة . أليق بالأضعفى بعد هذا ، أن يزعم أن هذه القصيدة مصنوعة على طرفة ، ثم يزعم بأنه أدرك من قالها . . ؟

وأما القصيدة الثانية التى شك بعض الرواة فى نسبتها لطرفة

فقد قال الأعلم الشنتمرى في تقدمته لها : وزعم ابن الكلبي أنها
لعش بن لبيد العذرى (١) . وهذه القصيدة هي من القصائد
الأربع التي قال الأعلم الشنتمرى نفسه في مقدمتها :

"وسما رواه ابن السكيت عن غير الأضمعي ، من شعر طرفة ، قوله فسي
رواية أبي عمرو الشيباني (٢) .

وقد رجعت إلى رواية ابن السكيت لديوان طرفة في المخطوطتين
اللتين بين يدي ، فلم أجده قال شيئا في تقدمته لتلك القصيدة (٣) .
كما لم أجده في مصادر بحثي شيئا منها لا لطرفة ولا لغيره . وكذلك
الحال بالنسبة لمحقق الديوان (٤) .

والحقيقة أن هذه القصيدة قريبة عموما الأخرى من أشعار طرفة
لما فيها من موضوعات شعره وخصائصه . فهو يصف طريقا صعبا
مخيفا ، وآية ذلك عزيف الجن به . وتناثر الضباب الغرقى على جانبيه
من شدة السيول التي اجتاحتها ، فهدمت جحور تلك الضباب وقضت
عليها .

ثم يتحدث بأسلوبه المعبود عن تبطنه لذلك الطريق واجتيازه له
فهو الفتى الذي لا تعيقه العوائق ، ثم يفتسخر بشيء من أخلاق قومه
شجاعة وكرما ، تماما كما فعل في القصيدة السابقة .

= اجتزت . كما يتحدث في بقية الأبيات . انظر في الأعلام والديوان .

على أن هناك قصائد أخرى من قصائد الديوان الأساسية ، ذكر
ابن السكيت في شرحه لـديوان طرفة أن الرواة الاوائل قد اختلفوا في نسبتها
لطرفة . ففي تقدمته للقصيد الثالثة من الديوان والتي مطلعها : (١)

أَشْجَاكَ الرَّبِيعُ أَمْ قَدِ مَنَّهٗ أَمْ رَمَادُ دَارِسٍ حَمَمَهٗ (٢)

يقول ابن السكيت : " وقال طرفة ، ولم يروها الاضمعي ، وأثبتها أبو
عبيدة والمفضل وأبو عمرو . قالها عمرو بن كلثوم (٣) .

والعجيب أن الأعلام الشنتمري قد أثبت هذه القصيدة ، في الشعر
الذي رواه لطرفة عن الاضمعي ، ولم يذكر ما ذكره ابن السكيت عنها
شيئا . (٤)

ولانريد أن ينصرف ذهن الوان هذا التشدد أو التحوط بالنسبة
لشعر طرفة ، كان يحدث من علماء احدى المدرستين البصرة أو الكوفة
فان بين أيدينا ما يثبت أن ذلك كان يقع في المدرستين كليهما . وليس
أدل على ذلك ما رواه ابن السكيت في تقدمته للقصيد السادسة والخمسين
من صلة الديوان ، والتي مطلعها : (٥)

(١) الديوان ص ٧٤

(٢) الربيع المنزل وهو محل القوم زمن الربيع ، والدارس الذي امتحنى
وزهب أثره ، والحم الفحم . يقول : أحزنك خلوي الربيع ؟ أم قدم
عهده بأهله . . أم ماتراه من رماد قد درس فحمه ؟ (انظر الديوان

ألا اعتزلينى اليوم خولة أو غُضِيَّ
فقد نزلت حذبا محكمة العَصِيَّ
فقد قال ابن السكيت : " قال أبو عمرو ، وكان المفضل ينكرها ، ولم يثبتها
الأصمعي ، ورواها أبو عبيدة " (١) .

فها أنت ذا ترى أن المفضل وهو رأس رواية الكوفة ، قد أنكر
نسبة هذه القصيدة لطرفة ، كما فعل الأصمعي أحد رؤس رواية البصرة
ولكن أبا عبيدة وهو صنو الأصمعي فى الرواية البصريين قد أثبتها لطرفة
وهكذا .

وأما النوع الثانى من الشعر المشكوك فى نسبته لطرفة ، فهو بعض
الآيات فى ثنائى القصائد الصحيحة النسبة له . فقد اختلف الرواة -
الأولسون أيضا حولها . فكان الواحد منهم يروى القصيدة من شعر طرفة
ويستثنى منها بيتا أو بضعة آيات لشك فى نسبتها له . ولكن أقرانه من الرواة
الآخرين ، ونظراءه من الباحثين كانوا يرجحون نسبة تلك الآيات
لقائلها ، بما ثبت لديهم مما لم يثبت لدى صاحبهم . ولكنهم قد يستثنون
آياتا أخرى شكوا هم فى نسبتها لطرفة . وهكذا .

ولعل هذا هو السبب الأساسى فى تفاوت عدد آيات القصيدة
الواحدة فى مصادرها الأصلية ، وعند مختلف الرواة الأقدمين . والامثلة
على ذلك متعددة وكثيرة ، وللتدليل على ذلك سنتحدث بإيجاز
عن هذه الظاهرة فى القصائد الأساسية لديوان طرفة ، وهى - كما ذكرنا
سابقا - ثمانى عشرة قصيدة ، تبدأ بالمعلقة .

فأما أولى قصائد الديوان وهي المعلقة ، فانها تتكون في رواية
الاعلم الشنتمرى المشهورة عن الأصمعى كما عرفنا من مائة وثلاثة أبيات
ولكنها عند ابن السكيت مائة وخمسة أبيات ، باغفال بيت وزيادة ثلاثة
فقد أغفل البيت الحادى والستين ، وزاد بيتا بعد الأول ، وآخر بعد
السابع والستين ، وثالثا بعد المائة .

والجدير بالذكر أن ابن السكيت لم يفته أن ينوه إلى أن تلك -
الزيادات ليست من الرواية الأصلية ، فهو يقول بعد شرح البيت الأول
وقبل البيت الذى زاده بعده : " ويروى بعده " (١) .

أما البطليوسى فقد روى المعلقة مائة وثلاثة أبيات أيضا - كما رواها
الاعلم ، ولكن باختلاف كذلك ، فقد أغفل البيت الخامس والأربعين منها
وزاد بيتا فى آخرها .

وبتحقيق المعلقة عند من رواها من العلماء القدماء أيضا ، نجد
اختلافا كبيرا عن رواية الاعلم المذكورة . فهي عند أبو زيد القرشى فى
جمهرة الأشعار ، طبعة بولاق - مائة وتسعة أبيات باغفال ستة
أبيات وزيادة تسعة ، وهو نفس الجمهرة - بتحقيق الجاوى - مائة
وواحد وعشرون بيتا ، بعدم اغفال أى بيت . وهي عند محمد بن القاسم
الأنبارى فى شرح القصائد السبع الطوال مائة وثلاثة أبيات باغفال بيت
مما رواه الاعلم وزيادة آخر . وهي عند أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقا^ت
التسع مائة وخمسة أبيات باغفال بيتين وزيادة أربعة . وهي عند الزوزنى

وهي أخيرا عند التبريزي في شرح القصائد العشر مائة وخمسة أبيات . باغفال بيت وزيادة ثلاثة .

ولعل أهم ما يستخلص من هذا الإحصاء أن معلقة طرفة قد نیفت على مائة بيت وأن الرواة القدماء قد اختلفوا في اثبات نسبة بعض أبياتها لطرفة . فاستثنوا بعض الأبيات التي رواها الأصمعي نفسه ، ورووا أبياتا أخرى لم يعرفها الأصمعي . ومن أمثلة النوع الأول قول طرفة فيما أثبتته الأعلام الشنمري من رواية الأصمعي : (١)

فَدَرْنِي أَرَوِّ هَامِي فِي حَيَاتِهَا مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الْحَيَاةِ مُصْرَدٍ (٢)

فان كثيرين ممن رَووا معلقة طرفة من العلماء القدماء أهملوا هذا البيت ومنهم ابن السكيت ، وأبو زيد القرشي في رواية ، وأبو جعفر النحاس والروزني في شرحهما للمعلقات .

(٣) ومن أمثلة النوع الثاني ، قول طرفة فيما رواه غير الأصمعي :

وَأَصْفَرَّ مَضْبُوحٌ نَظَرْتُ حَوَارَهُ عَلَى النَّارِ وَاسْتَوْدَعَتْهُ كَفَّ مَجِيدٍ (٤)

فقد قال ابن السكيت بعد أن روى هذا البيت : " لم يروه الأصمعي ، ولا ابن حبيب ولا ابن الأعرابي ، وهو في روايتهم لعدى بن زيد (٥) . وقد قال ابن الأنباري قبل أن يروي هذا البيت : " وروى أبو عمرو الشيباني ها هنا بيتا لم يروه الأصمعي ولا ابن الأعرابي " . (٦)

واذا تصفحنا تخريج بقية قصائد ديوان طرفة ، سنجد أيضا اختلافا

في السملقة ، فالقصيدة الثانية والتي مطلعها : " أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقِلْ هَرٍ (١) " يرويها الأعم أربعة وسبعين بيتا ، ويرويها البطلحوسى مثل الأعم ، ولكن باغفال بيت وزيادة آخر ، ويرويها ابن الشجرى فى مختاراته خمسة وستين بيتا ، باغفال تسعة أبيات . ولكن ابن السكيت لم يرو منها فى النسخ التى تيسر لنا الاطلاع عليها سوى تسعة عشر بيتا .

وكذلك يروى الأعم الشنتمرى القصيدة الثالثة ، ثلاثة وعشرين بيتا ومطلعها : " أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أُمَّ قَدَمَةٍ " (٢) . ويرويها ابن السكيت أربعة وعشرين ، بزيادة بيت واحد ، ويرويها البطلحوسى ثلاثة وعشرين ، ولكن باغفال بيت وزيادة آخر .

أما القصيدة الرابعة والتي مطلعها " لَهْنَدُ بِحِزَانِ الشَّرِيفِ طُلُولٌ " (٣) فان الأعم يرويها خمسة عشر بيتا وحسب . ولكن ابن السكيت يرويها عشرين بيتا ، ويرويها البطلحوسى تسعة عشر . ثم يروى الأعم القصيدة الخامسة ثلاثة عشر بيتا ، وهى التى مطلعها : " رَقَقْتُ وَدَعَيْنَا الْيَوْمَا بِنَةَ مَالِكٍ " (٤) ، ولكن ابن السكيت يرويها خمسة وعشرين ، بزيادة اثني عشر بيتا كما ترى . والجدير بالذكر أن هذه القصيدة قد وردت فى كتاب الاختياران مما روى عن المفضل الضبي والأصمعى " - أحد عشر بيتا فقط . وبمثل ذلك رواها البطلحوسى .

(١) الديوان ص ٥٠

(٣) الديوان ص ٨٦

(٢) الديوان ص ٧٤

وكذلك زاد كل من ابن السكيت والبطلاني بيتا واحدا في القصيدة

السابعة التي مطلعها : **إِنَّ امْرَأَةً سَرَفَ الْفُؤَادِ يَرَى**

عَسَلًا بِمَاءِ سَحَابَةٍ شَتَمَ ^(١)

وزاد ابن السكيت عشرة أبيات في القصيدة الثامنة بما عجزا من عهد عمرو وبقيها ^(٢)

كما زاد خمسة عشر بيتا في القصيدة التاسعة (لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍ) ^(٣) ، وزاد

كل من ابن السكيت والبطلاني اثنين اثنين في القصيدة العاشرة في ، والتي

مطلعها : **إِنِّي رَجُلٌ مَا هَجَوْتُ تَرْكُوكَ وَالْأَنْصَابِ يَسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دَمٌ** ^(٤)

وزاد ابن السكيت عشرة أبيات في القصيدة الثانية عشرة ومطلعها :

" سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا " ^(٥) . كما زاد بيتا واحدا في المقطوعة الرابعة

عشرة وأولها : **أَسْلَمْنِي قَوْمِي وَلَمْ يَعْضُبُوا** ^(٦) وأغفل بيتا من أبيات القصيدة

الخامسة عشرة والتي مطلعها : **أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَرَأَ مَنَازِلَهُ** ^(٧) . وأغفل

كذلك بيتا من أبيات القصيدة الثامنة عشرة ، وهي آخر قصائد الديوان

الأساسية ومطلعها : **" وَرَكُوبٌ تَعْرِفُ الْجِنَّ بِهِ "** ^(٨)

أما القصائد الأخرى ، التي لم نتعرض لها وهي السادسة ، والحادية

عشرة ، والثالثة عشرة والسادسة عشرة ، والسابعة عشرة ، فلم تختلف

تلك المصادر في عدد أبياتها وإن اختلفت في ترتيب بعضها .

(١) الديوان ص ٩٥ ، والسرف (بكسر الراء) المخطئ الغافل ، (وبفتحها) الخطأ

(٢) الديوان ص ٩٩ (٣) الديوان ص ١٠١

(٤) الديوان ص ١٠٦ (٥) الديوان ص ١٠٩

(٦) الديوان ص ١١٨ (٧) الديوان ص ١١٩

وخلاصة الأمر في هذا الموضوع هو أن الرواة اختلفوا كما ذكرنا في اثبات نسبة بعض الأبيات من أبيات القمائد الأساسية - في ديوان طرفة . ويظهر أن اختلافهم راجع لاثنين . أولهما سماعهم تلك الأبيات من روايتها الأوائل منسوبة لطرفة مرة ، ولأحد أقرانه مرة أخرى كما هو الحال بالنسبة للبيت الذي رأينا بعضهم يرويه لطرفة ، ورأينا الآخرين يروونه لعدى بن زيد . وثانيهما اختلاف السماع . إذ قد يكون الذين استثنوا بعض تلك الأبيات من رواياتهم لم يسمعوها من أحد . ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن السكيت في آخر شرحه لمعلقة طرفة قال :

" قال الأصمعي : حدثني رجل من أهل أضاح ^(١) ، قال : قدم علينا جرير . فقلنا له : من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول : غَدَاً مَغْدَاً قَرَبَ الْيَوْمِ مِنْ غَدٍ . قال الأصمعي : (لم يأت بهذا البيت غير جرير) . وروى أبو عبيدة صدر البيت الذي لم يعرفه الأصمعي ، ولم يأت به جرير " ^(٢) .

علما أن باستطاعتنا أن نضيف سببا ثالثا وراء ذلك الاختلاف . وهو ما قد يكون وقع من النساخ المتأخرين من تصرف سواء بالزيادة أو بالحذف . وأوضح دليل على ذلك هو ما حصل في القصيدة تين الخامسة عشرة والثامنة عشرة . فان بين الأعلام وابن السكيت خلافا في عدد أبياتهما ، كما رأينا .

علما بأن هاتين القصيدتين هما من جملة أربعة قصائد رواها الأعلام عن ابن السكيت ، وقد قال في مقدمته لها : " وما رواه ابن السكيت من غير الأصمعي ، من شعر طرفة ، قوله في رواية أبو عمرو الشيباني " ^(٣) .

(١) أضاح (بالضم) آخره خاء معجمة من قرى اليمامة ، (معجم البلدان - أضاح)
(٢) انظر الخطوط الأولى في نسخة مخطوطة أبيات جرير في نسخة مخطوطة أبيات جرير

فالقصيدتان من رواية ابن السكيت كما ترى ، ولكن أبياتا منهما ذكرت
في رواية ، وأغفلت في أخرى . فهل يدل ذلك - والله أعلم - على شئ
من تصرف النساخ المتأخرين ؟ .

أما النوع الثالث من أنواع الانتحال في شعر طرفة ، وهو أكثر
الشعر المروى في صلة الديوان ، مما لم يرد في أصوله المخطوطة ، فإنه
ينقسم الى ثلاثة أقسام من حيث قوة نسبته لقائله وضعفها . فأما القسم
الأول منها فهو تلك القصائد الثلاث الهزمية والقافية واليائية المروية
في صلة الديوان تحت أرقام (١٩ ، ٦٢ ، ٩٢) ، وفيها من الشعر خمسة
وسبعون بيتا ، في الأولى واحد وثلاثون ، وفي الثانية سبعة وعشرون ، وفي
الثالثة سبعة عشر بيتا . ومطلع الأولى :

وَقَالُوا لَمَيَّتْ مَاتَ : مَا كَانَ دَاوُدُ فَقَالَتْ لَهُمْ : مَيَّتْ أَتَاءَ نِسَاوَهُ (١)

ومطلع الثانية :

أَرَقْتُ لَهُمْ أَشْهَرَتْنِي طَوَارِقُهُ وَسَاعَدَنِي دَمْعِي فَفَاضَتْ سَوَابِقُهُ (٢)

ومطلع الثالثة :

مَنْ قَالَ فِي النَّاسِ قَالُوا فِيهِ مَا فِيهِ وَحَسْبُهُ ذَاكَ مَنْ خَزَى وَيَكْفِيهِ (٣)

وهذه القصائد الثلاث تجتمع فيها صفات أهما اشتتان : أولا هما

أنه لا يوجد منها أى بيت في المصادر القديمة أو الحديثة التي تيسر لى
ولمحقق الديوان الرجوع اليها . فقد نقلها المحققان عن الديوان
المطبوع بفرنسا سنة ١٩٠٠ م ، والذي لم يذكر محققه مرجعه في تلك

وثانى تلك الصفات هي كون تلك القصائد لا تشبه شعر طرفة لا من قريب
ولا من بعيد ، ففيها من المعاني الدارجة ، والألفاظ المبتذلة
والصور المتكلفة ما لا يسف اليه طرفة ، ولا يسمح للسانه أن ينطق بمثل
بل ان فيها من المعاني ما يخالف مذهبه ، ويضاد آراءه .

واستمع اليه يقول في الأولى : (١)

وَلَنْ يَهْلِكَ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا أَتَى مِنْ الْأُمِّ مَالٍ يَرْضَهُ نَصْحَاؤُهُ
وَجَالَسَ رِجَالَ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى فَزَيْنُ الْفَتَى فِي قَوْمِهِ جُلَسَاؤُهُ

أرأيت كيف أن طرفة في هذه الأبيات لا يستمع الا الى الناصحين
ولا يجالس الا رجال الفضل والبر والتقوى والدين ؟ ياسبحان الله . .

أيقول هذا الشعر طرفة الذي يقول : (٢)

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتْنِي وَبِيعِي وَانْفَاقِي طَرِيقِي وَمُتْلِدِي (٣)
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرَدَتْ أَفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعْبِدِ (٤)

ثم أعد قراءة مطلع القصيدة الثانية ، واستمع الى طرفة يقول فيها : (٥)

وَلَمْ أَبْكِ طَيْفًا زَارَ وَهْنًا خِيَالَهُ وَلَا شَارَ نَافِي الْخَدِّ رَكْتَ أَعَانَقَهُ
سَأَصْرِفُ نَفْسِي عَنْ مَوَى كُلِّ غَادِرٍ وَأُعْرِضُ عَنْ أَخْلَاقِهِ وَأُخَارِقُهُ (٦)
وَأَجْعَلُ أَهْلَ الدِّينِ أَهْلَ مَوَدَّتِي لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْفَضْلِ مِنْ أَنَا وَائِقُهُ

فهل هناك من أهل الدين والتقوى والصلاح ، والأخلاق العاليات ، من يصل إلى ما وصل إليه شاعرنا طرفة في هذه الأبيات . . ؟ ؟ أعقل أن يقول مثل هذا الشعر طرفة الذي يقول : (١)

وان تبغنى في حلقة القوم تلقنى	وان تقتضنى في الحوانيت تصطادى (٢)
متى تأتني أضحك كاساً رويّةً	وان كنت عنها فإلغنى فاعن وأزدر
ندامى بيش كالنجوم وقينة	تروح علينا بين بردٍ ومجسدر (٣)
لعمرك ما أمرى على بغمة	نهارى ولا ليل على بسرمد (٤)

أرأيت من يصادق طرفة . . وأين يكون ؟ ؟ ان هذه الأبيات هي التي توائم ما وردنا عن طرفة من أخبار ، أما تلك فأنها لا تنتم إلا عن عاكف فسى محرابه آناء الليل وأطراف النهار . .

ولا أريد أن أفيض في الحديث عن تلك القصائد الثلاث المروية لطرفة في صلة ديوانه ، ويكفى أن أقول بأن النقاد القداماء لو أدركوها لحرقوها . ولا يخفى على أحد بأنها مصنوعة في العصور المتأخرة ، وأن الذين وضعوا هذه الأبيات قد هبطت عزائمهم وقصرت جهودهم عن أن يدانوا بشئ منها شعر طرفة ان في الخصائص أوفى الموضعات .

وأما القسم الثاني من هذا الشعر المشحول على طرفة أو المشكوك

في صحة نسبته له بتعبير أدق ، فهو تلك الأسماء التي نسبها لطرفة
من الباحثين كثيرون ، ونسبها للغيره ، كثير آخرون . ورواه بدون نسبة ،
لأحد كثير آخرون أيضا .

وهذا القسم تتأرجح نسبته لطرفة بين الأصلة والانتحال . وإن كانت
الأصلة تغلب عليه لما فيه من مذاهب طرفة ، وسلوكه وأخباره . ولما فيه
كذلك من تشابه في الموضوعات والخصائص مع بعض أسماءه .

ومن هذا النوع أرجوزته التي مر ذكرها - في القنابر - وهي ذات الرقم
٤٥ من صلة الديوان ومطلعها : (١)

يَا لَكَ مِنْ قَبَسَةٍ يَمَعُـرُ
خَلَا لَكَ الْجَوْفُ يَضِي وَأَضْفَرِي

وهذه الأرجوزة وإن كانت قد وردت في نسخة مخطوطة ، مما صنعه الوزير
البطليوس - كما رأينا - إلا أن حكمها هو حكم الشعر الذي لم يرد في
أصول الديوان المخطوطة . وذلك لأن نسخة البطليوس الأخرى لم تذكرها
ثم إنها لم ترد عند الأعلام أو عند ابن السكيت .

ومن تخريج هذه الأرجوزة يتبين لنا أن الذين نسبوها لطرفة ، سواء أكلها
أو بعضها ، من الباحثين كثيرون ، ومنهم مثلا - عد الذين ذكرهم محققا
الديوان في تخريجها - (٢) أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال (٣) ، وأبو منصور

(١) انظر صلة الديوان ص ١٥٧ (٢) انظر الديوان ص ٢٣٨

(٣) الأرجوزة كلها فيه ، ١ / ٢٤٩ وقصة طرفة مع القنابر .

الجوالقي في شرح أدب الكاتب (١) ، والبيهقي في المحاسن والمساوي (٢) ،
وابن يعين في المفصل (٣) ، وأبو بكر الرازي في مختار الصحاح (٤) ، وصفى
الدين البغدادي في مرصد الاطلاع (٥) ، والبغدادي في خزنة الادب (٦)
والألوسي في بلوغ الارب (٧) ، وغيرهم .

وهناك آخرون من الباحثين والعلماء قد نسبوا هذه الارجوزة أو -
نسبوا رجزاتها للكليب وائل بن ربيعة . وهناك آخرون أيضا لم ينسبوها
لأحد . (٨)

ومن هذا النوع من الشعر الذي تتأرجح نسبه بين طرفه وغيره ، بعض
الآبيات التي نسبت له في هجاء عمرو بن هند . فقد نسبت أيضا لخاله المتلمس
كما رأينا .

والحقيقة أن البيت في صحة نسبته للطرفة أو وضعها عليه ، ليس من السهولة
بمكان . وذلك لأنها تشبه شعره من وجوه ، وتشبه شعر خاله المتلمس من وجوه
أخرى . فقد هجيا - كلاهما - عمرو بن هند كما أثبت العلماء . وقد أقذعنا
كلاهما أيضا له في الهجاء . ومن ذلك قولهما كما سبق أن ذكرنا :
”مَلِكُ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلُ مَوْسِمٌ مَوْسِمٌ“ (٩)

وقولهما كذلك :
لو كنتَ كَلْبَ قَنْيَسٍ كُنتَ ذَا جَدٍّ تَكُونُ أَرْبَتَةً فِي آخِرِ الْمَرْسِ

(١) شرح الكاتب ص ٢٨٥-٢٨٦ وقصة طرفة مع القنابر كذلك .

(٢) المحاسن والمساوي ص ٤٨٩

ولقد تذبذب الباحثون في نسبة هذا البيت أيضا ، فنسبه بعضهم
لطرفة ، ونسبه آخرون لخاله المثلث (١) . وغير ذلك .

وأما القسم الثالث من الشعر المنحول على طرفة ، فهو تلك
الآبيات التي رويت منسوبة لطرفة عند بعض الباحثين ، ولكن أكثر
الآخرين قدنفقوا صلتها بطرفة ، وأكدوا انتحالها عليه . وأنت إذا
تفحصت تلك الآبيات لا يعجزك بقليل من إمعان النظر ، أن تتبين
ما فيها من تكلف وصنعة ، لإثبات أن شعر طرفة بطل .

ومن أمثلة ذلك البيت الذي نسبته لطرفة أبو زيد الأنصاري
في كتابه النوادر في اللغة ، وهو قوله : (٢)

أضرب عنك الهموم طارقهـا ضربك بالسيف قونس الفرس (٣)

(٤) فقد قال أبو زيد نفسه بعد أن أنشده : " وزعم النحويون أنه مصنوع "

قال ابن منظور في لسان العرب بعد أن أنشد هذا البيت : " قال ابن بري
والبيت مصنوع على طرفة " (٥) وقال السيوطي في المزهر بعد أن أنشده

أيضا ، نقلا عن أبي زيد : " أنشدني الأخفش بيتا مصنوعا لطرفة " (٦)

ويظهر فعلا أن البيت مصنوع على طرفة . وقد وضع للاستشهاد

به على قاعدة من قواعد النحو الشاذة ، وهي حذف نون التوكيد في قوله

(١) انظر تخريجه في الديوان ص ٢٤١-٢٤٢ والبيت للمثلث في ديوانه

" اضرب " ، وقد أراد " اضربن " . ولذلك كثر الاستعمال به
في كتب اللغة والنحو بنسبة وبدون نسبة .^(١)

ومن هذا النوع أيضا ، البيت الذي نسبته سيبويه لطرفة فـسـى
" الكتاب " ، وهو قوله :^(٢)

أَسْعِدِينَ مَالِ الْمِ تَعَلَّمُوا وَذُوا الرِّأْيِ مِمَّا يَقِلُّ يَصْدُقُ^(٣)

وقد علق عليه سيبويه بقوله : " وهو مصنوع على طرفه " ، وهو لبعض
العباديين^(٤) .

ولعلمن هذا النوع كذلك ، تلك الأبيات التي نسبها بعض الباحثين
لطرفة ، ونسبها أكثرهم لغيره ، ومن ذلك قوله :^(٥)

تَصَدَّقْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ ، فَإِنْ لَكَ مَقَامٌ مَقَالًا

فإن هذا القول يخالف سلوك طرفه في الحياة ، ولا يوائم اعتداده بنفسه
الذي عرفناه . أفيقول طرفه مثل هذا ، وهو الذي يقول :

(١) انظر تخريجه في الديون رقم ٩ من القنطرة ص ٢٤١

(٢) انظر صلة الديوان ص ١٨٢

(٣) سعد بن مال ، هو سعد بن مالك ، وهو جد طرفه المشهور ، وأحمد

سادات بكر بن وائل في زمانه . وفيه يقول طرفه : " انظر الديوان

ص ٨٨ " .

رأيت سمودا من شعوب كثيرة . فلم تر عيني مثل سعد بن مالك

ولكن نفى عنى الرجال جراءةً^(١) وصبرى واقدامى عليهم ومحتدى^{هـ}

أم يقول ذلك طرفه وهو الذى يقول: (٢)

وأجرُّ ذاك الكفَّالَ القنَّاةَ على أنسائه فيظل يستدمر^{هـ} (٣)

أترى للمعتد بجراعتيه وصبره واقدامه على الرجال ، المدل بأصله
بينهم ، كما نقرأ فى البيت الأول ، الذى يعرف كيف يطعن ، ومن
يطعن ، كما نقرأ فى البيت الثانى ، أترى ذلك يسف الى القول :

تصدق على هداك المليك فان لكل مقام مقالا ..

ولذ لك فقد صدق الذين نفوا صلة هذا البيت بطرفة . وقد نسبوه
للحطيئة . كما فعل أبو عبيدة فى مجاز القرآن^(٤) ، والمجرد فى

الكامل فى الألب^(٥) ، والقرطبى فى تفسيره المعروف بالجامع لأحكام
القرآن^(٦) ، وابن منظور فى اللسان^(٧) ، والبيت فى ديوان الحطيئة من

جملة أبيات قال أبو عبيدة عنها ، بأنها أول ما استعطف به سيدنا
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعد أن سجنه^(٨) .

-
- (١) الديوان ص ٤٧ (٢) الديوان ص ٩٦
(٣) انظر شرحه فيها مش ص ١٥٤ (٤) مجاز القرآن ٢/٢
(٥) الكامل فى الألب ص ٥٤٩
(٦) تفسير القرطبى ٨٨/١١
(٧) اللسان (حنن قول)
(٨) انظر ديوان الحطيئة ص ٢٢٢

ومن أمثلة ذلك أيضا ، البيت الذى نسبته لطرفة ، أبو منصور
الثعالبي فى كتابه "المنتحل" ^(١) ، وهو قوله : ^(٢)

عن المرء لا تسأل لوسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارن يقتدى
فقد نسبته لعدى بن زيد ، أبو الفضل الميدانى فى مجمع الأمثال ، والحسن

بن عبد الله ^(٤) العسكرى فى المصون . وأبو حيا دالتوحيدى فى الصداقة ^(٥)
والصديق ، وأبو منصور الثعالبي فى التمثيل والمحاضرة ،
وغيرهم .

ونود أن نختم الحديث عن هذا القسم من الشعر المنحول على طرفة
بهذه القصة الطريفة التى رواها أبو الفرج الاصفهاني فى أغانيه
عن أبي عبيدة قال : " انشدنى أبو الزعراء - رجل من بني قيس بن ثعلبة
لطرفة بن العبد :

"تَكَاشَرْنِي كَرَهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تَبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي جَوُّ" ^(٧)

قال : فعجبت من ذلك ، وأنشدته أبا عمرو بن العلاء ، وقلت له : انى
كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفى ، فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفه
فكانما رد به أبا عمرو بن العلاء على أبي عبيدة - كما روى أبو الفرج
قوله : " وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقا " . قال أبو الفرج =
" ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأن العلماء من رواة الشعر
رووها ليزيد بن الحكم . وهذا أعرا بى لا يحصل ما يقوله .

ولو كان هذا الشعر مشكوكا فيه أنه ليزيد بن الحكم - وليس كذلك

لكان معلوما أنه ليس لطرفة ، ولا موجودا في شعره على سائر الروايات ولا هو أيضا مشبها لمنهـب طرفـة ونمطه» .

ثم روى أبو الفرج بعض تلك القصيدة بعد أن قال: " فأما تمام القصيدة التي نسبت الى طرفة ، فأنا أذكر منه مختاره ، ليعلم أن مرذول كلام طرفة فوقه " .

وبعد أن روى ما روى منها قال: " وهذا شعر اذا تأمله من له في العلم أدنى سهم ، عرف أنه لا يدخل في منهـب طرفـة ولا يقاربه " (١)

أرأيت كيف كان النقاد القدماء ، والمتأدبون والعلماء - ينبرون للوضايع فلا يتركونهم يناولون مأربا ، أو يحققون مطالبنا حتى خلت تلك الأثمار - الا القليل منها - من الوضع والانتحال . ولقد نبه العلماء الى هذا القليل - بما قالوه فيه من أقوال .

أيجوز بعد ذلك للمتطرفين أن ينهبوا اليها نهب اليه ابن سلام في الحكم على شعر طرفة بقوله : " ومما يدل على نهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، اللذين صرح لهما قصائد بقدر عشر . وان لم يكن لهما غيرهن ، فليس موضعهما - حيث وضعا من الشهرة والتقدمة . وان كان ما يروى من الفشأ لهما ، فليسما يستحقان مكانهما على أغواة الرواة . ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كثير ، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدم

(١) الفحول ، فلعل ذلك لذاكه فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير ..

فماذا يقول ابن سلام الآن لو عرف أنه قد صح لطرفة من الشعر أضعاف ما ذكر . وأن المصححين الذين عناهم ، هم الذين قد نفوا عن ذلك الشعر ، ما لحق به من الغثاء الذى ذكر . وهم الذين أثبتوا ما هو بين أيدينا الآن . ومن أولئك العلماء كما رأينا - الأصمعي وأبو عبيدة والمفضل الضبي وأبو حاتم المجستاني ، وابن الأعرابي وابن حبيب وأبو عمرو الشيباني وابن السكيت وغيرهم . ومن هم المصححون الذين يعنيهم ابن سلام إذا لم يكونوا أولئك العلماء الأجلاء ..

على أننا نوافق ابن سلام على تعجبه من قلة شعر طرفة ، وإن كان قصر عمره كفيلاً بأن يبطل هذا التعجب . ثم نوافق على ضياع بعض أشعاره ، وهو أمر لا بد وأن يكون ، فى مثل الظروف التى مر بها الشعر الجاهلى منذ تبيت به شفاة الشعراء الجاهليين حتى وصل الى عصر التدوين .

ولكن هذا الذى ضاع من شعر طرفة ، لم يكن بالقدر الذى ذكره ابن سلام ، حتى يغلب من ذلك الى الزعم بكثرة الوضع فيه . ونحن لا نرد على ابن سلام ، فهو من هو من العلم والتقدمة ، ولكنه هو الذى يرد على نفسه بنفسه - كما كنا قد ذكرنا - فهو يقول عن الشعر الجاهلى " وقد كان عندا النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح هو وأهل بيته به " (٢)

أليس طرفة من الفحول .. ألم يضعه ابن سلام نفسه فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية .. بل لقد قدمه كثير من العلماء على غيره

الذى كان عندا النعمان بن المنذر ، مع أشعار بقية الفحول .. كيف ان
يضيع من شعره كل هذا القدر الذى ذكره ابن سلام ..

وبودى أن أتساءل : ما ذا كنا نريد من طرفة أن يقول ، فى
تلك السنوات القليلة التى عاشها ، أكثر مما قال .. ألم يداخل
العجب من طرفة ، والاعجاب به جميع العلماء - كما سنرى فى المبحث
القادم - وذلك بسبب قوله لما بين أيدينا من أشعار ، فى سنوات
عمره القصار ..

وخلاصة الأمر أن شعر طرفة الذى هو فى ديوانه الآن ، لا يداخلنا
شك فى صحة نسبته له . كما شهد بذلك رواة الجيل الأول عندما رروا -
هذا الشعر ، وتحدثوا عن صلته بقائله . وكما رأينا من تشابه بين
قصائده وأبياته فى حملها لخصائص شعر طرفة واحتوائها على
موضوعاته .

وأما ذلك الشعر الذى فى صلة الديوان ، فبعضه صحيح النسبة
لطرفة ، وبعضه متأرجح النسبة بين طرفة وبين غيره من الشعراء
وبعضه مصنوع عليه ، كما بين ذلك المحققون والعلماء ..

المبحث الثالث : طرفة في رأى القدماء :

لقد شغل طرفة بن العبد ، بموهبته الشعرية الفذة ، أنهان
القوم منذ القديم . شغل الناس فى مجالسهم ومنتدياتهم ،
وشغل الشعراء الفحول فى آرائهم وتصريحاتهم ، وشغل العلماء
فى كتبهم ومؤلفاتهم . فلم تكن تمر بندق قوم يتذكرون الأشعار
والأخبار ، الا وتسمع لطرفة فى أحاديثهم ذكرا ، وتجد لشعره
بينهم أثرا .

ولا يكاد يخلو - كذلك - كتاب من كتب العلماء فى ذلك الزمان
من ذكر طرفة ، والاستشهاد بشعره . سواء أكان ذلك الكتاب
يبحث فى الشعر أو النحو أو اللغة أو التاريخ أو التفسير أو الأخبار
أو غير ذلك

كما لا يكاد يذكر شاعر من الفحول المتأخرين ، الا ويذكر له رأى
فيمن سبقه من الشعراء ، وفيمن تبوا منهم المنازل الأولى . وقد
كان طرفة ممن يجرى ذكره على السنة أولئك ، سواء أكانوا يفضلونه
أو يفضلون غيره .

ولم يقف تدارس شعر طرفة ، وتناقل أخباره عند منتديات
الناس وحلقات العلماء ، وأفواه الفحول من الشعراء ، ولكنهم
تعدوها الى مجالس الأمراء وقصور الخلفاء . بل ان المتأدبيين
والندماء لم يكونوا ينامونهم ويتناظرون فى مجالسهم الا بأشعار

والحقيقة أن طرفه ، وإن كانت أشعاره قليلة ، فقد بلغ بها
 ما لم يبلغه المكثرون ، إذ بجودة الشعر وقوته ، لا بكثرة —
 يتفاضل الشعراء ، وليس في الكثرة مع الغثاء — كما هو معلوم —
 أى غناء .

ولقد جود طرفه في شعره — على قلته — حتى فاق أكثر شعراء
 زمانه ، وتقدم على أكثر أقرانه . ولعله كان يسلك في شعره مسلكه
 في حياته ، وينهب فيه منهبه فيها . فلقد كان كما عرفنا — فتى
 جريئاً في تصرفاته ، قويا في شخصيته ، معتدا بنفسه ، مدلا بمكانه
 في قومه ، ومكان قومه في الناس .

فلعله — وقد منَّ الله عليه بموهبة الشعر — قد تفنن في
 ضروبه وجود فيه ، واعتنى بصوره وألفاظه ومعانيه ، حتى صار
 " يعد من الطبقة الأولى " ، كما قال أبو عثمان الأشناداني في
 (معاني الشعر) ^(١)

وجمع العلماء — كما عرفنا — أشعار طرفه وأخباره ، فيما
 جمعوا من أشعار وأخبار يتلقفونها من أفواه الرواة والحفظة
 والفصحاء . أو يقصدونهم في مضارب أقوامهم عبر الصحراء . فلم
 يكونوا يرون فصيحاً في جعبته أشعار وأخبار الا اجتماعاً عليه ،
 ولم يكونوا يسمعون براوية من رواة الأشعار والأخبار كذلك الا تابقوا
 اليه .

بل لم يكونوا يعرفون صاحب رأى في أشعار الشعراء القدماء
 وأخبارهم الا انطلقوا اليه يسألونه عما عنده . فاذا قال شيئاً

دونوه أو حفظوه ، ثم انطلقوا الى الناس فأذاعوه بينهم
ونشروه فيهم . ذكر ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء قال :
" مر لبيد فى بنى نهد فأتبعوه رسولا سؤلا ، يسأله : من
أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل يعنى امرأ القيس ، فأعادوه
اليه ، قال : ثم من ؟ قال الفلام القليل - يعنى طرفه - قال
ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه " (١) .

وقد شغل هذا الخبر العلماء فى ذلك الزمان ، فتلقفوه وتعاوروه
يروونه فى كتبهم كما سمعوه ، مختلفين فى ألفاظه وصياغته ،
متفقين فى مضمونه ودلالته . قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء :
" قال أبو عبيدة : مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة ، وهو يتوكأ
على عصا . فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله ، من أشعر
العرب ؟ ففعل . فقال له لبيد : الملك الضليل - يعنى امرأ القيس
فرجع فأخبرهم ، قالوا : ألا سألته : ثم من ؟ فرجع فسأله ، فقال :
ابن العشرين - يعنى طرفه . فلما رجع قالوا : ليتك كنت سألته
ثم من ؟ فرجع فسأله ، فقال : صاحب المحجن - يعنى نفسه " (٢)

وقال صاحب جمهرة الأشعار : " وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة
مر بمجلس بنى نهد بالكوفة ، وبيده عصاه يتوكأ عليها بعدما كبر
ثم أكمل القرشى رواية الخبر " (٣)

وقال صاحب العقد الفريد : " وقيل للبيد : من أشعر الناس ؟
قال : صاحب القروح يعنى امرأ القيس - قيل له فبعده من ؟ قال :
ابن العشرين - يعنى طرفه . قيل له : فبعده . قال أنا " (٤)

(١) انظر طبقات الفحول ، ص ٤٥ ، طبقات المحدثين ، ص ١٠٤ ،

هذا وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني هذا الخبر في موضعين من الأغاني ، تابع في الموضع الأول منهما ما ذكره ابن سلام وابن قتيبة ، من مرور لبيد بمجلس بني نهد بالكوفة ، ثم أكمل الخبر ^(١) وذكر في الموضع الثاني أن لبيدا كان في المسجد عندما بعث إليه جمع من القراء نائبا عنهم يسأله عن أشعر العرب فأدلى برأيه الذي رأينا .

وهناك خبر آخر وضع فيه طرفة ثاني الشعراء كذلك ، ولكنه جاءنا عن طريق آخر غير طريق لبيد . قال أبو الفرج الأصفهاني " وسئل أعرابي عن أشعر الناس فقال : الذي يقول :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربني بسهميك في أعشار قلب مقتل ^(٢)

يعني امرأ القيس . قيل له : فمن الثاني . قال : الذي يقول :

تطرد القم بجر ساخن ^(٣) وعليك القبطان جاء بقر ^(٤)

يعني طرفة "

وقد ذهب الأخطال إليهما ذهب إليه لبيد ، إذ جعل طرفة ثاني الشعراء ولكنه انتزع الأولوية من امرئ القيس وخص بها الأعشى . روى أبو الفرج في أغانيه " أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطال عن أشعر الناس ، قال : الذي كان إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع . قال : ومن هو . قال : الأعشى . قال ثم من . قال ابن العشرين - يعني طرفة - قال ثم من . قال : أنا " ^(٥)

(١) انظر الأغاني مطبعة التقدم ٩٣/١٤
(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٣ ، والاعشار القطع الكسور
(٣) يقول : وما بكيت إلا لتضربني بقلبي كله ، أو لتجرحي قلبي المقطع
(٤) يعني طرفة
(٥)

وقد تابع كثير من العلماء المتأخرين أسلافهم المتقدمين ،
 فى الاستشهاد برأى لبيد ابن ربيعة على جعل طرفة ثانى شعرا^(٢)
 ومن هؤلاء السيوطى فى المزه^(١) ، والعباسى فى معاهد التنصيص
 والأوسى فى بلوغ الأرب^(٣) ، وغيرهم .

وليس يعنى ذلك أن الآراء اجتمعت على كون طرفة ثانى
 الشعراء كما جعله لبيد ، فقد جعله جرير أشعر شعراء الجاهلية
 على الإطلاق . وتخطف العلماء رأى جرير هذا فأذاعوه ، كما تخطفوا
 رأى لبيد من قبله ونشروه .

روى ابن الأثير فى شرح القصائد السبع الطوال : " قال : قال
 الأعمى : حدثنى رجل من أهل الصلاح ، وهو من أطاخ ، قال : قدم
 علينا رجل لم نعرفه فقلنا له : من أنت ؟ قال : أنا جرير . فلما
 عرفناه قلنا له : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :
 غَدْمًا غَدًّا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ " ^(٤) وكان ابن
 السكيت قد روى مثل هذا الخبر فى شرحه لديوان طرفة - كما عرفنا^(٥) -
 وقد أثبت الأعمى الشنتمرى فى شرحه لديوان طرفة شيئاً قريباً
 من هذه الرواية .^(٦)

(١) انظر المزه ٤٧٩/٢ (٢) انظر معاهد التنصيص ٣٦٦/١

(٣) انظر بلوغ الأرب ١٣١/٣ (٤) شرح القصائد السبع الطوال ص ٣١

(٥) انظر مبحث الانتحال فى شعر طرفة - من هذا الفصل

(٦) انظر المزه ٤٧٩/٢

وقد فصل أبو علي القالي في أماليه هذا الخبر ، عن عمارة بن عجيل قال : " حدثني أبي - يعني عجيل بن بلال - قال : سمعت أبي يعني بلال بن جرير - يقول : سمعت جريرا يقول : دخلت على بعض خلفاء بني أمية ، فقال : ألا تحدثني عن الشعراء ؟ قلت : بلى قال : فمن أشعر الناس ؟ قلت : ابن العشرين - يعني طرفة " (١)

أما أبو الفرج الأصفهاني ، فقد ذكر هذا الخبر أيضا في موضعين من أغانيه ، جريا على عادته في استقصاء الروايات ، قال في الموضع الأول منهما : " حدث عمارة ابن عجيل عن أبيه عن جده : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : ابن العشرين - يعني طرفة " (٢)

وقال أبو الفرج في الموضع الثاني : " قال عمارة بن عجيل ابن بلال بن جرير بن الخطافي : سمعت أبي يقول : دخل جدى على بعض ملوك بني أمية ، فقال : ألا تخبرني عن الشعراء ؟ قال : بلى . قال من أشعر الناس ؟ قال : ابن العشرين يعني طرفة " (٣)

هذا ، وقد جأنا هذا الخبر ، وهو أن طرفة أشعر الناس ، من طريق آخر أيضا غير طريق جرير . روى أبو زيد القرشي في جمهرة الأشعار قال : " وقال تميم بن مقبل : طرفة أشعر الناس " (٤)

(١) الأمالي ١٧٩/٢

(٢) الأغاني - دار الكتب ٥٣/٨

(٣) المصدر السابق ١٩٩/٨ - ٢٠٠

وكما أخذ بعض العلماء المتأخرين برأى لبيد ، فجعلوه
 طرفة ثانی الشعراء ، فقد أخذ بعضهم أيضا برأى جرير ، فجعلوه
 أشعر الناس على الإطلاق . قال الشريشي في شرحه للمقامات الحريية
 " والعرب تقول: أشعر الناس ابن العشرين ، وتعني طرفة " (١)
 وقال السيوطي في شرحه لشواهد المغني: " وسئل جرير من أشعر الناس
 قال : الذي يقول : (٢)

سُبْدِيْكَ الْيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيْكَبَا لَأَخْبَارٍ مِنْ لَمْ تَزُوْدِ (٣)

وهكذا كان طرفة من الشعراء المقدمين ، عند العلماء الاقدمين .
 ويكاد اجماعهم ينعقد على أن طرفة لم يتأخر عن المرتبة الثانية
 بين جميع شعراء الجاهلية . ولم يشذ عن ذلك فيما أعلم - الا ابن
 سلام في طبقات فحول الشعراء ، اذ وضع طرفة في الطبقة الرابعة
 مع عبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد .

وحجته في ذلك قلة شعرهم في أيدي الرواة ، والا كان قد
 وضعهم مع الفحول الأوائل كما يذكر فهو يقول: " موضعهم مع
 الأوائل ، وانما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة " (٤) ولكن
 أيام طرفة القصيرة ، قد شفعت له عند غير ابن سلام ،

(١) شرح المقامات الحريية للشريشي ١٤٨/١

(٢) البيت في الديوان ص ٤٨ .

(٣) شرح شواهد المغني ص ٢٧٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء - دار المعارف - ص ١١٥ ومطبعة المدني

فوضعه في موضعه الصحيح ، قال القرشي في جمهرة الأشعار : « قال
الذين قدموا طرفة بن العبد : هو أشعرهم ، اذ بلغ بحدائثه سنة
ما بلغ القوم في طول أعمارهم » (١) .

أما الذين جعلوا طرفة أشعر الناس بمعلقته المشهورة ، فهم
من العلماء القدماء كثيرون . وقد كان على رأسهم ابن سلام نفسه
حين قال في طبقات الفحول : « فأما طرفة فأشعر الناس واحدة ، وهي
قوله :

لخولة أطلال ببرقة تهمد وقفت بها أبكى وأبكى إلى الغد^(٢)

قال ابن سلام أيضا : « وتليها أخرى مثلها وهي :

أصحت ليوم أم شأقتك هرر ومن الحبيجون مستقر^(٣)
ومن بعد له قصائد حسان جيد^(٤) »

أما ابن قتيبة فإنه عندما تحدث في الشعراء والشعراء عن طرفة
قال برأيه مرة ، وعن أبي عبيدة أخرى . فأما التي برأيه فهي
قوله : « وهو أجودهم طويلة ، وهو القائل ، لخولة أطلال ببرقة
تهمد . وله بعدها شعر حسن »^(٥)

وأما التي برأى أبي عبيدة فهي قوله : « قال أبو عبيدة :
طرفة أجودهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور . يعني امرأ القيس وزهيرا
والنابغة . ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلزة ، وعمرو بن
كلثوم ، وسويد بن أبي كاهل »^(٦) .

(١) جمهرة الأشعار - بتحقيق البجاوي - ص ٩٤

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ١٣٨ .

(٣) انظر ديوان طرفة ص ٥٠ وروايته « جنون مستقر »

(٤) طبقات الفحول ص ١٣٨ . (٥) انظر الشعر والشعراء ١٨٥ /

وقد سار العلماء المتأخرون على آثار من سبقوهم من العلماء القدماء ، ففضلوا طرفة بمعلقته على بقية الشعراء . فقال ابن رشيقي : " وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء " (١) وقال في موضع آخر : " وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمعي وهو الحكم والصواب " (٢) . وقال البيهقي (٣) : " وأشعر العرب واحدة طويلة جمعت جودة مع طول ثلاثة : طرفة بن العبد في قوله :

لخولة أطلال ببرقة شهـمـد ، والهارث بن حلـزة
في قوله : . آذنتنا ببينها أسماء (٤) وعمرو بن كلثوم في قوله
ألاهي يصحك فاصبحينا (٥)

وقال السيوطي في المزهري : " وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم " (٥)
وقال في شرح شواهد المغني : " وأما أشعرهم قصيدة فطرفة " . وقد
قال بمثل ذلك غير أولئك كثيرون .

وقد يكون الرأي رأي أولئك أو هؤلاء من العلماء ، ولكن الرأي الصواب فيما نرى - والله أعلم - هو ما قال العلماء المعتدلون الذين جعلوا أولئك الفحول جيادا سابقة ، وجعلوا لكل منهم مضمارا يبرز فيه أقرانه . فالشعر كما ذكر ابن سلام مثل الشعاعة والخطابة والجمال ، لا ينتهي في أي منها إلى غاية ، ولا يجتمع فيه على واحد بعينه . قال في طبقات الفحول : " وشهدت خلفاً فقليل له :

من أشعر الناس . . فقال : ما تنتهي إلى واحد يجتمع عليه ، كما لا يجتمع

(١) العمدة ٦٥/١ (٢) نفس المصدر ٦٦/١

(٣) المحاسن والمساوي ص ٤٥٧ ٤٥٨ .

(٤) وتماه قوله : ربثا ويملئنه الثواء

(٥) وتماه قوله : ولا تبقى خمورا الأندرينا

(٦) المزهري ٤٨٧/٢

على أشجع الناس ، وأخطب الناس ، وأجمل الناس .^(١)

ومن هذا الرأي المعتدل قول أبي عبيدة : " أشعر الناس أهل الوبر خاصة ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابعة ، وفي الطبقة الثانية الأعشى وليبد وطرفة " قال القرشي : " والقول عندنا ما قال أبو عبيدة ."^(٢)

وتعاور هذا الرأي المعتدل ، كثير من العلماء فيما بعد ، ففي المقامة القريضية - يقول بديع الزمان - كما يذكر الحصري في زهر الآداب : " سلوني أجيبكم ، واستمعوا أعجبكم . قلنا : فما تقول في امرئ القيس . قال : هو أول من وقف بالديار وعرضاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يُجد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرجبة بنانه . قلنا : وما تقول في النابعة . قال : ينسب اذا عشق ، ويثلب اذا حنق ، ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، فلا يرمى الاثابا . قلنا : فما تقول في طرفة . قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينيتها مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تطلق عتاق خزائنه ."^(٣)

(١) انظر طبقات الفحول ص ٦٥ - ٦٦

(٢) انظر جمهرة الأشعار - طبعة بولاق ص ٣٤

(٣) نفس المصدر ص ٣٤ أيضا .

(٤) زهر الآداب ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

ثم تابع بديع الزمان الحديث ، فقال في زهير وجريرو والفرزدق والمتقدمين والمتأخرين .

ويقول القيرواني في أعلام الكلام : " وأما طرفة فلو طال عمره لطال شعره ، وعظم في الشعر ذكره ، ولقد خُصُّ بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر ، فملاً أرجاء ذلك النصيب ، بصنوف من الحكمة ، وأوصاف من علو الهمة . والطبع معلم حائق ، والذكاء جواد سابق . " (١)

وقال مسلمة بن عبد الملك لخالده بن صفوان : " صف لنا الشعراء العشرة " فتحدث له عن عد من الشعراء ثم قال : " وأما أهاجهم للرجال ، وأبنهم في المقال ، وأضربهم للأمثال ، فطرفة " (٢)

ذلك هو - فيما نظن - الرأي الصواب ، فان لكل شاعر من أولئك الفحول ، نصيباً من السبق والتقدمة . ولعل قول الفرزدق في ذلك هو فصل الخطاب روى أبو زيد القرشي في جمهرة الأشعار أن الفرزدق قال : " وأنا الشعر كان جملاً بارزاً ، عظيماً فنحراً ، فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه ، وعمرو بن كلثوم سنامه ، وزهير كاهله ، والأعشى والنايفة فخذه ، وطرفة وليبد كركرتة ، ولم يبق إلا الذراع ، والبطن ، فتوزعناهما بيننا " (٣)

لقد أعطى الفرزدق بهذا القول ، لكل واحد من الفحول القديماً من السبق نصيبه ، ومن التقدمة حقه ، حين وزع الشعر فيما بينهم

(١) أعلام الكلام ص ١٦ (٢) انظر المحاسن والمساوي ص ٤٥٩

(٣) الباطن من الشعر كان جملاً بارزاً ، عظيماً فنحراً ، فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه ، وعمرو بن كلثوم سنامه ، وزهير كاهله ، والأعشى والنايفة فخذه ، وطرفة وليبد كركرتة ، ولم يبق إلا الذراع ، والبطن ، فتوزعناهما بيننا .

هذا التوزيع . وان كان الفرزدق قد ظلم المتأخرين بهذه
القسمة ، وجار عليهم . الا أن ذلك من التواضع .

وهكذا شغل طرفة منذ القديم - القوم جميعهم كما ذكرنا -
شغلا للناس في أنديتهم ومجالسهم ، وهم يتسامرون بأخباره
وأشعاره آناء الليل وأطراف النهار . وشغل الرواة والفصحاء
والحفظة ونقل الأخبار .

وشغل النقاد والعلماء والنسابين وغيرهم ممن عنى
بالأشعار . .

وشغل حتى الأمراء والخلفاء في مختلف العواصم
والأقطار . .

فماذا قال طرفة في شعره . . وأى الموضوعات طرق . .

وأين أجاد . . وأين قصر . . ولماذا انشغل الناس به
ذلك الانشغال . .

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في الصفحات القادمة ان شاء الله
تعالى . .

الفصل الثاني

موضوعات شعر طرفة

الوقوف بالأطلال	❖	الغزل
الوصف	❖	الفخر
الهجاء	❖	الأمثال والحكم
الآراء الخاصة بالحياة		

الفصل الثانى

موضوعات شعر طرفة

تمهيد :

طرق الشعراء الجاهليون فى أشعارهم ، موضوعات شتى • وتنقلوا فيها بين فنون متعددة • فوقفوا بالا طلال يتحسرون على مافات ، وتغزلوا بالنساء وخصوا منهن الجميلات • ووصفوا الديار والمنازل ومواطن تنقلهم بين الجبال والوديان والصحراوات ووصفوا كذلك ما اتخذوا من ركائب فى ذلك الزمان ، كما وصفوا ما طارد هم وما طاردوه فى الصحراء من حيوان •

وكانوا بحكم حاجتهم الى الشجاعة والكرم فى بيئتهم التى عرفنا ، يتباهون بذلك ويتفاخرون ، ويتهاجون ويتمادحون • ويرثون فرسانهم وشجعانهم وساداتهم وكرمهم تخليدا لذكراهم ، وتندرا بسجاياءهم • ووفاء بعهدهم ، وتشجيعا على الاقتداء بهم •

وبين هذا وذاك من الموضوعات ، تناثرت الحكم والامثال التى كانت تجسود بها قرائح أولئك الشعراء ، فتتناقلها الشفاة ، وتطير فى كل اتجاه • لما كانت تحمل من رأى سديد • ولما كان لها على نفوس الناس من وقع شديد وأثر بعيد •

وسار الشعراء على منوال الجاهليين فيما تلا ذلك من عصور ، بالرغم مما طرأ على الحياة من تبديل وتغيير • ان فى الوسائل او فى الغايات • فقد ولى — الى غير رجعة — ذلك الشظف الذى عهد الجاهليون • ونعم العرب

وان زادوا فيها بعض ما أفرزه تغيير الحياة ، وتغيير المواطن ، وتغيير الدين . فقد وقفوا كما وقف أسلافهم الجاهليون بالاطلال ، وقالوا مثل ما قالوا في الغزل والوصف والفخر والمدح والهجاء والثناء والحكم والامثال .

اما طرفة فكان واحدا من فحول الجاهلية كما رأينا . ولذلك فقد تنقل هو الاخر بين تلك الضروب ، وسلك فيها ماسلكه أقرانه من دروب ، فوقف بالاطلال وأكثر عندها من البكاء . وعشق وتغزل وتحسر على فراق النساء . ووصف ناقته وصفا لم يستطعه الآخرون ، وقال في الفخر والهجاء والامثال والحكم ، أقوالا قصر عن مثلها الكثيرون . وله كذلك آراء خاصة في الحياة لم يتخرج من تبيانها ، بل لقد كان كما سنرى — يتفاخر بها ويجاهر — باعلانها .

ولكن طرفة قد ترفع — فيما يبدو من دراسة شعره — عن بعض موضوعات الشعر الجاهلي كالمديح مثلا ، وذلك بالرغم من شيوع المدح في ذلك العصر بين الفحول ، من أمثال زهير والناخبة والأعشى . وقد ترفع كذلك عن الرثاء ، لارتباطه بالمدح في أغلب الحالات .

ويرجع ترفع طرفة عن تلك الموضوعات ، الى أنها لا تتواءم ما طبع في الحياة عليه ، ولا تلائم ما كان يذهب فيها اليه . فقد فطر طرفة — كما رأينا — معتزا بنفسه ، معتدا بشخصه ، مدلا بمكانه في قومه ، متعاليا في ذلك كله ، متعاليا بمكان قومه في الناس . ومن كانت تلك طباعه ، فلن تجد لنفسه بالثناء ولعا ، ولن تجد للمدح في قوله متسعا .

لذلك فقد خلت اشعار طرفة — أو كادت — من المدح . ولم يقل فيهم

لا من بعيد ولا من قريب • وأرانا متشوقين بعد هذا التمهيد الى بسط
الحديث فيما خاض فيه طرفة من الموضوعات •

الوقوف بالأطلال

ذكر ابن منظور في اللسان ، بأن الطلل هو ما شخص من آثار الديار ،
وجمعه أطلال وطلول . (١) وذكر كذلك ان الرسم هو الاثر ، او بقية الأثر ،
أو ما ليس له شخص من الآثار ، أو ما كان لا صقا بالارض من آثار الديار •
وجمعه أرسم ورسم . (٢)

ولقد وقف الشعراء بتلك الاطلال والرسوم ، يتذكرون ما كان بينهم وبين
معشوقاتهم قبل الرحيل من تلك المواضع • فقد كان الناس في الجاهلية
يعيشون جماعات تنتجع مواطن العشب والماء ، فتقيم بها زمنا ، ثم ترحل
عنها الى أمكنة أخرى • وهكذا دواليك • ولذلك فقد كان الشاعر منهم ، لا يكاد
يعدم من صاحبه باتصال ، حتى ينادى أهلها بالظعن والترحال •

ولقد ضم كثير من الباحثين الوقوف بالاطلال الى الغزل ، ودمجوه فيه •
والصواب ليس كذلك • فالوقوف بالاطلال ، والبكاء عندها ، وان كان الشعراء
يتخذونه مدخلا لغزلهم ، الا أنه موضوع مستقل ، كان يخوض فيه الكثيرون
لذاته ، ويتخذونه مدخلا لقصائدهم سواء تغزلوا بعد ذلك أو لم
يتغزلوا •

ولقد كان الوقوف بالاطلال سمة من سمات الشعر العربي ، يستوى فيه المتقدمون والمتأخرون . ولولا انه لا يوائم عصرنا لما أغفله الشعراء المحدثون ؛ وليس هنا مجال الحديث عن وقف بالاطلال من الشعراء ، ولكن ليس هناك ما يمنع من ضرب أمثلة ، لنرى كيف عشق الشعراء في الجاهلية والاسلام ذلك ، وكيف سار فيه الخلف كما سار السلف . وسنكتفى بامرئ القيس في الجاهلية ، وجربير في عصر بني أمية . وأبى تمام في عصر بني العباس .

قال امرؤ القيس :

أَلَا عَمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي (١)

وقال جرير :

لِمَنْ الدِّيَارُ رُسُومُهُنَّ خَوَالِي أَقْفَرْنَ بَعْدَ تَأْنِسٍ وَحِلَالٍ (٢)

وقال أبو تمام :

طَلَّ الْجَمِيعُ لَقَدْ عَفُوتَ حَمِيدًا وَكَفَى عَلَى رِزْيٍ بِذَاكَ شَهِيدًا (٣)

وما هو إلا الشعراء — كما ذكرنا — الا أمثلة منتقاة من بين أقرانهم الآخرين ، أما الباقيون فانك لا تكاد تجد شاعرا منهم ، الا وله بالاطلال صلات ، وبالرسوم وقفات . وذلك منذ أن قيل الشعر وعرفه الناس ، حتى الأيام الاخيرة من عهد بني العباس ، بل ومن بعد بني العباس .

ولقد كنا نظن ابا نواس صادقا في قوله : (٤)

دَعِ الْاطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجَنُوبُ وَتَبْلِي عَهْدَ جَدَّتِهَا الْخُطُوبُ

فها هو قد تخفف من تلك العادة ، ودعا الشعراء للتخلص منها . بل لقد تجاوز ذلك حين سخر ممن يقف بالاطلال هذه السخرية اللاذعة التي تمثلت في قوله : (١)

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى رَسْمِ دَرَسٍ واقفاً ما ضرَّ لو كان جَلَسَ

ولكن ابا نواس خيب ظننا فيه ، فقد كانت له بالاطلال وقفات ملتاعة كالأخرين . يقول : (٢)

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيارِ بُكَائِي وَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي

ويقول (٣) :

لِمَنْ الدِّيارُ تَسْرُبَتْ بِبِلَاهَا نَسِيكَ رِبْتَهَا وَمَا تَنَسَاهَا

اما طرفة فكانت له هو الآخر مع الاطلال ، وقفات طوال . فهو ما أن يرى اطلال من يهوى حتى يثور شوقه ، ويهيج غرامه ، بل ويكاد الأسى يقضى عليه ، لولا أن صحبه كانوا يدركونه ويواسونه . يقول : (٤)

لِخَوْلَةِ اِطْلَالٍ بِرَقَّةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كِباقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَلَّدِ

وتكاد شخصية طرفة التي عرفنا قوتها وعزتها ، تذوب من شدة الحسرة وكثرة البكاء ، اذا ما لاح لها اطلال الحبيبة . يقول في رواية أخرى : " ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي وَأَبْكِي إِلَى الْغَدِ " (٥)

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٢

(٤) انظر ديوانه ص ٦

(١) المصدر السابق ص ١٣٤

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٦

ويقول في موضع آخر : (١)

مَتَى تَرَى يَوْمًا عَرَصَةً مِّنْ دِيَارِهَا وَلَوْ فَرَطَ حَوْلَ تَسْجُمِ الْعَيْنِ أَوْ تُهَلَّ (٢)

فيا عجباً لذلك الفتى الجرىء المقدام ، الذى استعصت نفسه على كل قياد .
كيف يبكى بكاء الأطفال ، كلما وقف على واحد من تلك الاطلال . انها - لعمر
الحق - عاطفة الهوى القوية ، التى تلوى أعناق الاقوياء والضعفاء ، والى التى
ينصاع لقيادها الشجعان والجبناء .

ويصدقنا طرفة الحديث ، حين يخبر بوقوفه على طلل الحبيبة ، تشده
اليه نفسه ، ولو أطاعها ما برحه . يقول : (٣)

حَابِسِي رَسْمٌ وَقَفْتُ بِهِ لَوْ أَطِيعَ النَّفْسَ لَمْ أَرْمُكْ (٤)

وهو وان عشق الوقوف بتلك الاطلال - الا أنه يعترف بقدمها ، وذمها
معالمها ، فقد مضى حول على الاقل على أقربها به عهدا ، يقول : (٥)

لِهِنْدٍ بِحِزَانِ الشَّرِيفِ طُلُوءٌ تَلُوحُ وَأَدْنَى عَهْدٍ مِّنْ مُحِيطِلٍ

ولذلك فهو يعجب - كما نعجب معه - من وقوفه بتلك الدوارس المتكررات من
الاثار يقول : (٦)

وَمَا زَادَكَ الشَّكْوَى إِلَى مُتَنَكَّرٍ تَظَلُّ بِهِ تَبْكِي وَلَيْسَ بِهِ مَظَلٌّ

وقد كان طرفة بعد أن يصف ما تلقى نفسه حين تلوح لها تلك الطلول ، ينصرف
الى وصفها ووصف غيرها من بعد ساكنيها ، أو ينصرف الى الحديث عما كان

(١) الديوان ص ٩٢ .

(٢) العرصة هي كل خربة ليس فيها بناء . وقد سميت بذلك لان الولدان يعرضون

بينه وبين صواحيه فيها • واستمع اليه وهو يصف ما حدث لواحد من تلك
الطلول يقول : (١)

لَحِبَتْ بَعْدِي السُّيُولُ بِهِ	وَجَرَى فِي رَوْنَقٍ رَهْمِيٍّ (٢)
فَالْكُثِيبُ مُعْشَبٌ أَنْفَ	فَتَنَاهِيهِ فَمُرَّتْ كُمُ (٣)
جَعَلَتْهُ حَمٌّ كُلَّهَا	لِرَبِيعٍ - دِيْمَةٌ تَثْمُهُ (٤)

فقد تتابع هطول الامطار على ذلك المكان من كل جانب ، وأخذته السيول
من كل ناحية ، وجعلت كل ديمة تنيح عليه بمطرها ، فتدقه وتكسره حتى
تغيرت معالمه ، ودرست آثاره ، وأعشبت نواحيه دون أن تجد من يرعاها •
فالربيع من السكان خلاء ، والمراعى قد هجرها الرعاء •

ثم استمع اليه وهو يتحدث عما كان بينه وبين احدى صواحيه ، وقد ذكره
بذلك مروره على رسوم ديارها يقول : (٥)

أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ قَفَرًا مَنَازِلَهُ	كَجَفْنِ الْيَمَانِيِّ زَخْرَفَ الْوَشْيَ مَاثِلَهُ (٦)
دِيَارُ سُلَيْمٍ إِذْ تَصِيدُكَ بِالْمُلَى	وَإِذَا حَبْلٌ سَلَمَى مِنْكَ دَانَ تَوَاصِلُهُ

-
- (١) الديوان ص ٧٥ •
(٢) الرونق حسن النبات واوله • والرهيم جمع رهمة وهي مطر ضعيف كالديمة •
اي جرى المطر في اعواد نبات ذلك المكان فنداه ونعمه •
(٣) الكثيب عوما اجتمع من الرمل • والمعشب كثير العشب • والانف الذي لم
يرع • يصفه بالخلاء • والتناهي جمع تنهية وهي بطن ينتهي اليه •
ومرتكمه مجتمعه ومتراكمه • يريد أن الخصب قد عم ذلك الربيع ، ما ارتفع
منه وما انحدر • انظر شرح الاعلم (الديوان ص ٧٥) •
(٤) الديمة هي المطر الدائم ، وتثمه اي تدقه وتكسره لشدة مطرها • وجعلته
حتم لكلها اي جعلت ذلك الربيع قصص صدرها ومعتمده • يريد انها أناخت
عليه بمطرها وبركت عليه ولزمته (نفس المصدر ص ٧٥-٧٦) •

وَإِذْ هِيَ مِثْلُ الرِّيمِ صِيدَ غَزَالِهَا لَهَا نَظْرٌ سَاجٍ إِلَيْكَ تَوَاعَلِ لَهُ (١)
 غَنِينَا وَمَا نَخْشَى التَّفَرُّقَ حَقْبَةً كَلَانَا غَرِيرٌ نَاعِمُ الْعَيْشِ بِأَجْلِهِ (٢)
 لِيَالِي أَقْتَادُ الصَّبَا وَيَقُودُنِي يَجُولُ بِنَا رِيْعَانُهُ وَنُجَاوِلُهُ (٣)

فتلك ديار صا حبه سلمى ، تذكره طولها بايامه معها ، فقد كانت حقبة
 من الزمان جميلة • فهو جار لسلمى قريب منها ، وهى تمليه الأمانى وتصيده
 بها • وهما على العهد الذى بينهما ، يواصلانه ولا يقطعانه ، ويعبان من
 نعيم الهوى زمانا ، ولا يخشيان تفرقا ولا هجرانا • يدور بهما الصبا — فى رخاء
 عيش — كل مدار ، ويدوران معه — بحسن حال — حيث دار •

ولا يغيب عن طرفة ، وهو بين تلك الاطلال ، أن يذكر ما كان يراه فيها
 من طير او حيوان • ففى بعضها يتكاثر النعام ، حتى لا يكاد يرى فيها سواه ،
 وفى بعضها يتكاثر الحجل حتى يصبح هدف الصائدين • وفى الطريق الى بعضها
 الآخر — هناك فى الخلاء — تسرح حمر الوحش كما تشاء • يقول : (٤)

لَا أَرَى إِلَّا النِّعَامَ بَـ كَلَامَاءَ أَشْرَفَتْ حَزْمُهُ (٥)

ويقول : (٦)

لِخَوْلَةٍ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِضْمٍ طَلْسُ وَبِالسَّفْحِ مِنْ قَوْمٍ مَقَامٍ وَمَحْتَمِلٍ (٧)

(١) الريم والريمة الظبيّة البيضاء ، وقوله صيد غزالها — يقصد طول عنقها
 " لان ذلك اشد لتشوفها ومد عنقها • والساجى الساكن الفاتر • وتواعله
 أى تسارق النظر وتتبع بعضه بعضها •

(٢) غنينا أى أقمنا ولبثنا وسعدنا • والغرير الذى لم يجرب الأمور • والباجل
 الناعم الحسن •

(٣) يجول بنا ونجاوله أى يدور بنا ويدور معه • وريعانه اوله •

(٤) الديوان ص ٧٦ •

تربعه مرباعها ومصيفها مياه من الأشراف يرمى بها الحجل (١٢)
ويقول: (٢)

يظل بها غير الغلاة كأنه رقيب يخافى شخصه ويضائله (٣)

وهكذا كان طرفه ، مولعا بآثار صواحيبه ، مغرما بالهجرة اليها ، لانها لم تكن فى موضع واحد . وكان كلما مر بأثر منها ، ثارت لواعج الشوق فى نفسه ، وتاق الى من كان فيه من الصواحب . ومربخياه ما كان بينه وبينهن فى غابر الازمان ، وقبل رحيلهن من هذا المكان . ثم ترجم ذلك فى قريض تناقلته الشفاة ووعته الصدور ، وقد رأينا أمثلة له فيما تقدم من سطور .

الغزل

الغزل بمعناه الشامل هو الحديث عن النساء المعشوقات ، سواء أكن من الصواحب والخليلات ، أو كن من الحلائل والازواج . ومن معانيه ايضا محادثة النساء ومراودتهن واللهو معهن ، والنسيب والتشبيب بهن وما الى ذلك . (٤)

غير أن العلماء الذين عرضوا لهذا الموضوع ، قد فرقوا بين الغزل من ناحية ، وبين النسيب والتشبيب من ناحية اخرى . فالغزل هو محادثة النساء

(١) انظر شرح هذا البيت فى عامش ص ٨٠ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ١٢١ .

(٣) العير الحمار الوحشى . ويضائله : يصخره ويحقره . يقصد انها فلاة ذات ظهور وبطن فالعير يبدو فيها مرة ويخفى مرة . فكأنه رقيب ينظر ثم

ومفاكتهن ، كما يقول ابن دريد في الجمهرة ^(١) ، او حديث الفتيان والفتيات
كما يقول الازهرى في التهذيب ^(٢) ، وابن فارس في معجم المقاييس ^(٣) ، وابن منظور
في اللسان ^(٤) ، او هو اللهو مع النساء ، كما يقول ابن سيده في المحكم ^(٥)
والتغزل بهن هو التكلف لذلك ، مثلما قالوا .

اما التشبيب فهو ترقيق الشعر بذكر النساء ^(٦) . وفيه من حرارة العاطفة
ما فيه كما يتضح من اسمه . فهو كما قال اولئك العلماء — من تشبيب النار
وتأريشها . ^(٧) والنسيب مثله . قال ابن منظور : " والتشبيب النسيب
بالنساء " ^(٨) .

ولكن هذه الفروق بين الغزل والنسيب والتشبيب ، لاتعني هنا ، فان
العلماء متفقون على أن الغزل يشمل هذه جميعا . قال ابن منظور في اللسان :
" وشبَّ بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب " ^(٩) .

ولقد شاع الغزل في الشعر العربي شيوعا واسعا منذ عرف الناس ذلك
الشعر وحتى اليوم . فلا تكاد تجد شاعرا يخلو ديوانه من الغزل والنسيب .
ولا تكاد تجد شاعرا الا وقال في التشبيب . ويستوى في ذلك الشعراء الجاهليون

(١) جمهرة اللغة ١٠/٣ — غزل — .

(٢) تهذيب اللغة ٤٩/٨ — غزل — .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤٢٢/٤ — غزل — .

(٤) اللسان — غزل — .

(٥) المحكم ٢٦٤/٥ — غزل — .

(٦) انظر تهذيب اللغة ٢٨٩/١١ — (شبب) — ، واللسان (شبب) .

(٧) انظر المصدرين السابقين — في نفس الموضعين .

وغير الجاهليين وهذا أمر طبيعي فان في فطرة الرجل ميلا غريزيا للنساء ، فاذا أُتيح له أن يعبر عن تلك الفطرة ، فهو مولع بان يطيل الكلام ، وهو حـري بأن يجيد فيه . اذ أنه يصدر عن عاطفة ولدت معه ، وهي عاطفة حب المرأة والاعجاب بها والميل نحوها .

وكل الناس في ذلك الامر سواء . ولكن الشعراء يمتازون بما وهب لهم الله سبحانه وتعالى من ملكة خاصة ، يعبرون لنا بها عن احساسهم بتلك العاطفة ، بأساليب تختلف عن أساليب بقية الناس .

هذا ، ولقد كان للشعراء الجاهليين ولع خاص بالغزل . وذلك لان العرب قد أعزوا نساءهم واحبوهن . وأولعوا بحديثهن ومحادثتهن والنظر اليهن والتمتع بالحياة بينهن ومعهن . ولذلك كانوا يجزعون لصد عن او فراقهن او هجرهن .

وقد بدأ الشعراء قصائد هم كما رأينا بالوقوف على اطلالهن ، يتحسرون على ظعنهن ورحيلهن ، ويندبون حظوهم لفراقهن وبعد عن ، ويتذكرون خوالى ايامهم معهن . ثم ينتقلون الى مفازلتهم ، فيشهدونهن على مفاخرهم ومآثرهم وفروسيتهن ومكارمهم ومروءتهم ونجدتهم . وغير ذلك مما يتشوفون به الى اثاره اعجابهن وكسب رضاهن ، ويتوسلون به الى امتلاك قلوبهن ونيل هواهن .

وقد أغرم الشعراء العرب بعامة ، والجاهليون منهم خاصة ، بجمال المرأة بنوعيه الحسى والمعنوى . فالمرأة الى جانب جمالها المحسوس المرئى ، الذى يتصف به جسمها من اشراق وجه ونحول خصر ، وطول قامة وغير ذلك مما يعجب

جاز لنا التعبير — كاللظرات الفاتكات ، واللففات المشجيات ، والصوت الرخيم
والاحاديث الجذابة ، والخطرات الخاصة والبسمات الخلافة • أضف الى
ذلك التمتع والعفة والحياء ، وغيرها مما فصل فيه الشعراء •

ولقد كان شاعرنا طرفة من اولئك الغزلين ، الذين أغرموا بجمال المرأة
بنوعيه ، وان كان جمالها الحسى هو الذى استأثر بمعظم شعره الغزلى •
وليس لطرفة زوج بين النساء اللواتى تغزل بهن ، بل كن كلهن من الصواحب
والخيلات • وهو شأن الشعراء الجاهليين أكثرهم ، فقد كانت اكثر معشوقاتهم

من الصواحب والخيلات • وشذ عنهم زهير بن ابى سلمى حين قال : (١)

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَثَلِّمِ (٢)

ومن قبله فعل امرؤ القيس حين قال : (٣)

خَلِيلِي مَرَّيْ عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ نَقَضَ لِبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

فقد كانت أم أوفى زوج زهير ، كما كانت أم جندب زوج امرئ القيس (٤) •

هذا وقد كثرت صوحيبات طرفة ، وتعددت تخيلاتة ، حتى بلغت ستا ،

شاع ذكرهن فيما قال أو نسب اليه من شعر • وهن خولة وهرا ، وسلمى وهند ،

وليلي والرباب • اما الاربع الاول منهن فقد ذُكرن فى القصائد الاساسية •

(١) انظر ديوانه ص ٩ •

(٢) الدمنة هي آثار الدار وما سود الحى بالرماد والبحر وغير ذلك • ولم تكلم :

يريد أنه سألها عن أهلها توجعا منه وتذكرا فلم تجبه • والحومانة

ماغلظ من الارض وانقاد • والدراج والمتثلّم موضعان (انظر شرح الاعلام

المصنف السابق ص ٩٠) •

من ديوانه ، وأما ليلى والرباع فلم يذكرن إلا فيما نسب إليه من شعر ، وهو
المثبت فى صلة ديوانه .

وليس فى شعر طرفة ما يستدل به على نسب صويحباته ، غير اشارات قليلة
كان الرواة يستنبطون منها شيئاً لا يثبت للتمحيص . فقد ذكر ابن الأنبارى فى
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات قال : " قال هشام الكلبى : خولة
امراة من كلب " (١) . ولكن طرفة يلقب خوله بالمالكية . وابن الأنبارى نفسه
يقول : " والمالكية من بنى مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة " (٢) فكيف
تكون خولة مرة من كلب ، ومرة من قيس بن ثعلبة ؟ ثم يلقبها طرفة مرة اخرى
بالحنظلية . ويقول العلم الشنتمرى حينئذ : " والحنظلية من بنى حنظلة
بن مالك " (٣) .

وبسبب هذا الاختلاف فأننا لا نستطيع أن نجزم بنسب واحدة منهم . . على
أن طرفة قد ذكر الأماكن التى كانت تقيم بها صويحباته . ولكننا حتى بذلك
لا نستطيع أن نجزم بانتسابهن إلى بطن بعينه ، وذلك لتشعب البطون التى
كانت تنزل فى تلك الأماكن . وكل ما يقال فى هذا الجانب هو أن بعض
صاحباته كن من اقربائه بلاشك وان بعضهن الاخر كن من جيرائه ، وفى
هذا الكفاية .

وليس نسب صويحبات طرفة من الأهمية بمكان ، ولكن الذى يهمنا هو مقاله
فيهن ، فقد استأثرت — كما ذكرنا — بأغلب اشعاره . وقد تنقل فى تلك

الاشعار كما ذكرنا ايضا ، بين الحديث عن جمال معشوقاته الجسمى ،
وجمالهن المعنوى ، تتقلا يدل على خبرة بالوان الجمال التى تعارف عليها
الناس فى ذلك الزمان .

فهذه واحدة من خيلاته وهى هر ، ذات سحر جذاب ، وجمال معنوى
ياخذ بالالباب . فهى فاترة الطرف لا تنظر الا على استحياء ، وهى مترفة ناعمة
تحيا فى حبوحة من العيش ورغد ورخاء . وهى ايضا ذات صوت جميل فيه رقعة
وفيه لين ، يقول : (١)

تَخْلِسُ الطَّرْفَ بَعِيْنِيْ بَرْغَزٍ وَخَدَّيْ رَشَاءِ اَدَمَ غِرٍّ (٢)
تَحْسِبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَا قَوْمِيْ لِلشَّبَابِ الْمُسْبِكِ (٣)
فَجَعُونِيْ يَوْمَ زَمَوْا غَيْرَهُمْ بِرَخِيْمِ الصَّوْتِ مَلْثُوْمِ عَطِرٍ (٤)

ولكن هذا الجمال المعنوى عند طرفة ، لم يكن مقصودا لذاته ، اذ أن
الهدف من ابرازه فى واحدة من صوحيحاته ، هو اتمام الصورة التى يرسمها
لجمالها الجسمى ، وابرار هذا الجمال وتأكيده ، ولذلك فقد تناثرت تلك الابيات
بين وصفه لجسم صاحبتة دون أن يخصصها بموضع مستقل .

اما الجمال الحسى فقد سار طرفة فيه شوطا بعيدا . حيث إنه لم يكن

(١) انظر من الديوان الصفحات ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ .

(٢) تخلص الطرف أى تسارق النظر ، والبرغز ولد البقرة . والرشاء الخزال . والغر
الغافل لحداثة سنه .

(٣) تحسب الطرف ، أى تعد رفعها طرفها للنظر " نجدة أى شدة . . . وذلك
لنعمتها ورقتها . والمسبك التام . . . وقوله يا قومى . . . لما وصفها بالنعمة
تعجب من جمالها وعجب غيره .

يترك من جسم صاحبه شيئا يستطيع وصفه الا وصفه ، طورا بايجاز واقتضاب
واطوارا اخرى بتفصيل واسهاب .

فوجه خولة مثلا جميل جمال الشمس ، وكأنه قد أخذ من بهجتها وحسنها
ثم انه نقى فتى ، لم يشب لونه مايشينه ، ولم يضطرب جلده او يتغضن
كما لم يسترخ لحمه او يترهل . يقول : (١)

ووجوهٌ كأنَّ الشمسَ حَلَّتْ رِداءَها عليه ، نقى اللونَ لم يتخَدَّرْ

غير أن طرفه لا يكتفى بهذا القدر من الحديث عن وجه صاحبه ، ولكنه يفصل
الحديث عن أعضائه لتكتمل الصورة ، وتبين أسباب الجمال . يقول : (٢)

وفي الحى أحوى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطِي لَوْلُوءٌ وَزَرَجِدٌ (٣)

وَتَبَسُّمٌ عَنِ أَلْمَى كَانَ مُنَوَّرًا تَخَلَّلَ حَرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدْرٌ (٤)

فعيناها كحيلتان كعيني الطي ، وشفتاها تخالطهما الحوة التي تخالط شفثيه ،
ولها ثغر جميل اسمر اللثات ، وذلك أظهر لبياضه وصفائه ، كأنه نَوَّرُ
الأقحوان .

وكان هذا القدر من وصف اجزاء وجه خولة يكفينا لتبين شدة جماله ، ولكنه

(١) الديوان ص ١١ .

(٢) انظر الديوان ص ٨ ، ٩ .

(٣) الأحوى من الطباء الذى فى شفثيه حمرة تضرب الى السواد ، والانثى حواء .
والشادن الذى تحرك وقوى وكاد يستغنى عن أمه . والمرد ثمر الاراك .

والمظاهر اللابس واحدا فوق الآخر ، والسقط الخيط من اللؤلؤ "أى العقد"
(٤) الألمى الثغر الاسمر اللثات . والمنور الاقحوان الذى ظهر ثوره . والدعص
الكثيب من الرمل . وحر الرمل اوسطه واكرمه . والندى الذى فى اسفله الماء .
يقول : ثغرها كالأقحوان المنور الذى ينبت فى كثيب فى اسفله ماء . . . واذا
كذلك كذا كذا الاقحوان وصفه امه . فثغرها كذا كذا .

قدر لم يكف طرفة ، فتطرق الى خدها واسنانها وريقها • يقول : (١)

تَخْلِسُ الطَّرْفَ بَعِيْنِي بَرَّغْزٍ وَخَدَيَّ رَشَاءَ آدَمَ غِرَّ (٢)

بَادِنَ تَجَلُّوْا إِذَا مَا ابْتَسَمْتُ عَنْ شَتِيْتِ كَأَقَاحِ الرَّمْلِ غُرَّ (٣)

بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ بَرْدًا أَبْيَضَ مَصْقُولَ الْأَشْرِّ (٤)

وَإِذَا تَضَحَكَ تَبْدَى حَبِيْبًا كَرَضَابِ الْمَسْكِ بِالْمَاءِ الْخَصْرِ (٥)

فعيناها حورا وان كعيني ولد البقرة ، شديدا سواد السواد ، وشديدا بياض البياض • وخداها اسيلان كخدي الغزال الفتى • وثغرها شتيت اى متفرقا لاسنان ابيض رقيق صاف كثور الاقحوان • واسنانها كالبرد لونا وجملا • وهن يضيفين على ابتسامتها بهجة يشيع معها السرور في قلب المتيم المعمود • اما ريقها فمثل الماء البارد وقد مزج به رضاب المسك ، فيالطعمه • وبالطيبه • فماذا بعد ؟

لقد سبى طرفة من معشوقاته جمال أعناقهن ، كما سبته شعورهن

ونحورهن ، يقول : (٦)

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدُ شَادِنَ مَظَاهِرِ سِمَطَى لَوْلَوْ وَزَجَرْدِ (٧)

خَذُولٌ تَرَاغِي رَرَبًا بِخَمِيلَةٍ تَنَاولُ اطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي (٨)

(١) الديوان ص ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ •

(٢) انظر شرحه ص ٩٣ من هذا البحث •

(٣) انظر شرحه ص ١٤ من هذا البحث

(٤) الاشر تحزيز في اطراف الاسنان • والبيت يشير الى ما يفعله الصبيان حين

تنخلع اسنانهم فيطلبون من الشمس ابد الهم اياها بأحسن منها واجمل •

(٥) الحب طرائق الريق ، وهو كناية عن كثرته • • ورضاب المسك قطعه • •

والخصر البارد •

فهي كالظبي في طول عنقه ، وهو يمدّه فينفخ بروقيه ثمر الاراك • وهي كالظبية في ذلك ايضا ، وهي تمد عنقها لتتناول أطراف الاغصان ، ولكن صاحبة طرفسة يزيد جمال عنقها عن اعناق الظباء بما لبسته من لثالي وعقود •

واما الشعرُ في اولئك الفتيات ، فهو كثيف ملتف كثير الاصول ، ينسدل على ظهورهن متماوجا في امتداد وطول ، يقول : (١)

وعلى المتنين منها واردة حسن النبت أثيث مسبك (٢)

فهل اكتفى طرفة بوصف وجوه معشوقاته ، بما فيها من أجزاء كالعيون والشفاه والثغور والاسنان والخدود ؟ وهل أشبع نهمه بالجمال الحسى ، وصفه لنحورهن وشعورهن واعناقهن ؟ ام تعدى تلك الحدود ؟ لقد ذهب طرفة الى أبعد من ذلك بكثير ، حين أتى بوصفه كذلك على الاردا ف والبطنون والخصور ، يقول : (٣)

ولها كشحا مهابة مفرقة تقترى بالرمل أفنان الزهر (٤)
واذا قامت تداعى قاصف مال من أعلى كثيب منقعر

فخاصرتها كخاصرتي البقرة الوحشية ، في طيها واستوائهما وضمورهما • وخص المطفل لانها لم تحمل بعد ، فيمتلى كشحاها • اذ الحمل هو سبب الامتلاء أو هو الامتلاء نفسه • وخصها كذلك لحنوها الشديد ، وكأنه يشبه حنوها صاحبته عليه ، بحنو المهابة على طفلها •

= الوحش • وتراعيه اي تراقبه وتشرئب بعنقها اليه لئلا يبعد عنها • والبربر ثمر الاراك • وترتدى اي تتهدل الاغصان عليها فتصبح لها كالرداء •

(١) الديوان ص ٥٤ •

(٢) المتن : ما اكتمت به الصلابة من اللحم • ما لم يلد الشعر المتساقط

وهى كذلك ذات أرداف ممتلئات لينات ، فإذا تحركت كانت مثل كتيب الرمل الذى يكاد ينهال من نعومته ولينه .

وطرفة معجب ببطون صواحيبه وخصورهن ، ومعجب كذلك بمن لم تحصل منهن . ولذلك فانه يكرر هذا المعنى كلما سنحت له الفرصة . يقول : (١)

لَهَا كَيْدٌ مَلَسَاءُ ذَاتُ أَسْرَةٍ وَكَشْحَانٍ لَمْ يَنْقُصْ طَوَاءُ مِمَّا الْحَيْلُ

فهى خميسة البطن ضامرة الخصر ، ناعمة الجسد رشيقة . وهى كذلك ناعمة العضدين ، يزينهما الحلى ، لينة الساقين ، تحليلهما الخلاخيل . وباختصار فان كل ما فى جسمها ساحر جذاب .

فإذا صور طرفة من وصف جمال معشوقاته ، أخذ يتحدث عن أشياء أخرى . ذكرنا بعضها فى أول حديثنا ، ونود أن نستوفيها هاهنا . فصاحباته كلهن جميلات معلمات ، لا يسهتمن بخدمة ولا بتربية ولد ، وذلك ادل على نعمتهن وجمالهن . يقول : (٢)

لَا تَلْمِئْنِي أَنَّهُنَّ مِنْ نِسْوَةٍ رَقْدَ الصَّيْفِ مَقَالَيْتٍ نَزْرُودُ

فهن مكفيات الخدمة ، نثومات الصيف ، وأكثر التصرف والعمل يكون فيه ، ونومهن فى الشتاء أولى . وهن كذلك مقاليت نزر ، أى قليلات الولد ، لا يهتمن بشئون تربية أو رضاة . وذلك أصلح لهن وأتم لنعمتهن .

وقد بالغ طرفة فى وصف نعمة صواحيبه ورقتهن ودلا لهن ، حتى جعل رفع الواحدة منهن لطرفها ، وتحريكها لعينيها للنظر — شدة وبأسا لا تكاد تطيقهما . يقول : (٣)

تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَالْقَوْمِ لِلشَّبابِ الْمُسْبِكِـرِ

ومن كذلك ذوات حياء وتمنع وخفر ، وان تمتع هو بوصالهن ، فان غيره لا أمل له فى ذلك ، فهن يحبينه وحسب ، ودونهن حراسات شديدة ، ومسافات بعيدة . يقول : (١)

واذ هى مثل الريم صيد غزالها لها نظر ساج اليك تَوَاغُلُهُ
وكم دون سلمى من عدو وبلدةٍ يَحَارِبُهَا الْهَادِى الْخَفِيفُ ذَلَالُهُ (٢)

فسلمى ولها ناقة به وحده ، تتشوف للقائه ، كالظبية التى صيد ولدها . على انها ذات حياء لا ترفع طرفها الساجى الساكن الفاتر بوضوح ، ولكنها تسارق النظر مسارقة . اما الحراسات التى دونها ، فهى أشد على زائرها من العدو وأخطر ، هذا اذا تمكن الزائر من تخطى العقبات ، واجتياز المسافات ، التى لا يكاد يجتازها الدليل الخفيف النشيط السريع .

أما تمنعها ودلالها بعد أن تمتعه بنوالها حقيقة أو خيالا ، فهو تمنع شديد الوقع عليه ، يجعل للنهار مظلمة فى عينيه يقول : (٣)

فَلَهُ مِنْهَا عَلَى أَحْيَانِهَا صَفْوَةُ الرَّاحِ بِمَلْذُودٍ خَصِيرٍ (٤)
إِنْ تَتَوَلَّاهُ فَقَدْ تَمَنَعَهُ وَتَرْبِهِ الدَّجَمُ يَجْرَى بِالظُّهْرِ

وطرفة فى هذا يوائم ما تعارف عليه العرب منذ القديم ، وهو التعلق بالمرأة المتمنعة ، والولع بها . وهجر التبذلة والبعد عنها . فكانوا كلما اشتد تمنعها

(١) الديوان ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٢) يحاربها الهادى أى لا يهتدى لطريقها والخلص منها . والخفيف ذلاله : يقال لمن رفع ذيله : خفت ذلاله . أى شمر وأسرع .

(٣) الديوان ص ٥٥ ، ٥٦ .

عليهم ، اشتد ولعهم بها ، ورغبتهم فيها • قال سليك بن السلكة : (١)

يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَذْلِ قَلْبِي وَاتَّبَعَ الْمَمْنَعَةَ النَّسْوَارَا (٢)

ولا يفوت طرفة أن يطلعنا على ما كان يصيبه من فراق معشوقاته من ألوان الوله
والجزع والفجيرة التي قد تصل الى حد الجنون • يقول : (٣)

أصحوت اليوم أم شأقتك هر ومن الحب جنونٌ مستعير (٤)

لا يكن حبك داءً قاتلاً ليس هذا منك ماوى بحر

هكذا وبغير موارد ، يعلن طرفة ان عقله قد غاب عنه • وقد غيبه الشوق لهر ،
فقد استخفته ذكراها ، وهيجه حبها ، فذهب بعقله كله • وهو أمر بديهي
في رأيه • فمن الحب جنون مستعر ، جنون غير عادي ، جنون شديد بالغ ،
يلتهب الشهاب النار •

وانظر الى طرفة المعتد بنفسه ، الذي لا يصرع الا الابطال ، ولا يعادي

الا مغاوير الرجال ، كيف يتمنى على فتاته ألا تقتله بهجرها ، وألا تصرعه

بفراقها • بل لقد اعترف بضياع عقله ، وفساده كله ، دون أن يخشى

معرة اويهم بلوم ، يقول : (٥)

وقد ذهبت سلمى بعقلك كلم فهل غير صيدٍ أحرزته حبالله (٦)

كما أحرزت أسماء قلب مرقش بحب كلمع البرق لاحت مخايلسه (٧)

(١) انظر الاغانى - دار الكتب - ٣٦٤/٤ •

(٢) نار ينور اى نفر ، وامرأة نوار اى عفيفة ، تنور من القبيح اى تنفر منه • والجمع
نُورٌ والمصدر نُورٌ ونُوار • والاسم النُّوار بالكسر • انظر معجم مقاييس اللغة

٣٦٨/٥ - نور •

(٣) الديوان ص ٥٠ •

فوجدى بسلمى مثل وجد مرقش باسماء اذ لا تستفيق عواذ له (١)

قضى نحيبه وجداً عليها مرقش وعُلقَت من سلمى خبالاً أما طِلُّه (٢)

ياسبحان الله . أمكذا يفعل الحب بالمحبين ؟ وإلى هذا الدرك ينزل العشق

بالعاشقين ؟ طرفه الذى تتغير قسما ت وجه المرء عجباً ، ويشدد وجيب (٣)

قلبه طرباً ، ويفور دمه حماسة وهو يقرأ قوله : (٤)

وَأَنَا امْرُؤٌ أَكْوَى مِنَ الْقَصْرِ الْبَادِي ، وَأَغْشَى الدَّمَّ بِالْدَّهَمِ (٥)

وَأُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيَّةِ إِذْ صَدَّتْ بِصَفْحَتِهَا عَنِ السَّهْمِ (٦)

وَأُجِرُّ ذَا الْكَفَلِ الْقَنَاةَ عَلَى أَنْسَائِهِ فَيُظَلُّ يَسْتَدْمِي (٧)

فهو الفتى الجرى على الرجال ، الخبير بمواطن الطعن القاتلة ، خبرته بأساليب

القتال ، الذى لا يحمل ضيماً ، ولا يقبل اساءة . طرفه الذى ذاك شأنه ، يتهاوى

مكذا امام معشوقاته ، فلا تكاد تحمله رجلاه ، وتفجعه المصيبة لفراقهن ،

فتهل بالدمعيناه . طرفه الذى يقول لنفسه اذا اشتد القتال ، وتعانق

الابطال : " فَاصْبِرْ يَا نَكِّ مِنْ قَوْمٍ صَبْرٌ " (٨) ، لا يملك لنفسه صبراً على فراق

معشوقته ، فتراه يلجأ للبكاء تارة ، ويلجأ للشكاة اخرى . يقول : (٩)

= تعشقها وتزوجت غيره . فمات وجداً عليها . ولاحت فخايله اى ظهرت دلائل

هذا البرق على المطر . فحبسها كالبرق الصادق .

(٢) الدحب الموت ، والوجد الحزن ، والخبال فساد العقل . وأما طله أطاوله .

(٣) الوجيب اضطراب القلب ، وكذلك الوجبان (اللسان - وجب)

(٤) الديوان ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٥) القصر (كالقصر) داء يصيب القصرة (كالشجرة) وهى اصل العنق وما غلظ منه

(معجم مقاييس اللغة ٩٨/٥ - قصر -) ، والكى دواؤه . واراد بالقصر

الشروالفساد وبالكى الرد على ذلك .

(٦) انظر شرحه في المعجم مقاييس اللغة ٩٨/٥

إذا قلت هل يسلو اللبانة عاشق
تمر شئون الحب من خولة الأولى (١)
فيا عجباً كل العجب ، لذلك الولهان الذى يتحاشاه الرجال لجراته عليهم ،
ويهابه الابطال لشدة وبأسه ، وَلَكِنْ نَفَى عَنِ الرِّجَالِ جَرَأَتِي " (٢) ، ولكنه
لا يقوى على سلو خولة او نسيانها . وأتى له السلو والنسيان ، ولحبها عليه
سلطان واى سلطان .

لقد كان حب احدا من اذا اصابه ، استكن فى قلبه ووتن (٣) ، وأصابه
بنصب شديد وعناء قوى . ولذلك لم يكن يرجو برءا أو يأمل شفاء يقول : (٤)
كيف أرجو حبها من بعد ما علق القلب بنصب مستسر (٥)
فاذا هجرته احدا من وغابت ، أُسِيَتْ (٦) نفسه لفراقها وذابت واستزار خيالها
فلعله يخفف به لوعته ، ويقضى منه لبانته . يقول : (٧)

أرق العين خيال لم يقره طاف والركب بصحراء يسره
جازت البید الى أرحلتنا آخر الليل بيعفور خدره (٨)
ثم زارتنى وصحبى هجج ثم زارتنى وصحبى هجج
فى خليط بين برد وتمر (٩)

- (١) السلوان تطيب النفس بترك الشئ . واللبانة الحاجة (معجم مقاييس اللغة ٢٣٢/٥ - لبن -) وتمر تشتد وتقوى . والشئون الامور . يقول اذا رمت السلو عما انا فيه تجدد ما قدم من حبها واشتد (انظر شرح الاغنى للديوان ص ٩٢) . (٢) الديوان ص ٤٧
(٣) وتن اى أقام فيه ولازمه . ومنه الوتين وهو عرق ملازم للقلب (اللسان وتن)
(٤) الديوان ص ٥١ .
(٥) قوله كيف أرجو حبها اى كيف أرجو اقلع حبها عنى . وقد علق القلب منه بنصب والنصب (كالبدن) العذاب والشدة . والمستسر المكتنم الداخل فى القلب .
(٦) أسى (كنسى) احزن (اللسان أسى) .
(٧) الديوان ص ٥١ ، ٥٢ .
(٨) جازت البید يعنى خيالها وانته لتأنيثها فهو يتحدث عن الخيال ويقصد صاحبة الخيال . والعنف الظه تعلمه حصاة . والخدر الفات العظام البضاء

على أن الطبع غالب — كما يقولون — ، فقد كان طرفة حتى فى تلك المواقف ،
يحن الى فطرته ، ويرجع الى طبيعته ، ويعود الى اعتزازه بشخصه واعتداده
بنفسه ، فتبدر منه فلتات لسان ، بين حين وآخر ، تذكرنا بذلك فيهم
يقول : (١)

وَإِذَا تَلَسَّنِي السَّنْهُاءُ أَنْتِ لَسْتُ بَعُوهُونَ فَقِيرٌ (٢)
لَا كَبِيرٌ دَالِفٌ مِنْ هَمٍّ أَرْهَبُ اللَّيْلِ ، وَلَا كُلُّ الظُّفْرِ (٣)

فها هو ذا يعود الى طبعه ، ويرجع الى حقيقته . . وينطلق كعادته ، فتسى
منتصرا لنفسه ، لا يقبل ضيما من أحد ، حتى من أحب الناس اليه . ولذلك
يرد الاساءة بالاساءة ، حتى وان جاءت من عز الناس عليه . فها هو ذا لا يسمح
لهيَّ صاحبتة ، بأن تلسنه وتفخر عليه ، حتى وان غيب حبها عقله ، وأصابه
بلمسات الجنون ، وفجعتة برحيلها ، وكادت تورده المنون .

ولقد أخذ الباحثون على طرفة — فيما أخذوا — هذا الموقف فى الخزل
فقد نقل المرزبانى فى الموشح عن الاصمعى قوله : " لم يكن طرفة يحسبن
أن يتعشق " . (٤) غير أن ذلك ليس كذلك . فهو بهذا الموقف أقرب الى
العشق الصحيح . فإن للمرأة لا تعشق فى الرجل شيئا عشقا لرجولته وفتوته

(١) الديوان ص ٦٠ .

(٢) الموهون الضعيف من الوهن (كالبدن) وهو الضعف . وهو من باب ضرب
تقول وهن يهن وهما أى ضعف . كضرب يضرب ضربا . (انظر معجم مقاييس
اللغة ١٤٩/٦ — وهن —) . والفقر الضعيف الفقار . كناية عن ضعف
النفس واحتمال الذل .

(٣) الدالف الذى يقارب الخطو فى مداركه وسرعة . وهو مشى الشيخ الضعيف .

وقوته • وعمل فعل طرفة في هذا الموقف غير أن استعرض امامها رجولته وقوته
وفتوته •

لقد ترفعت عليه ، ونالت منه بلسانها ، فبين لها اباؤه للضيم ورفضه
للاسائة ولماذا يقبل منها ذلك • وهو شاب فتي الجسم شديده ، كامل السلاح
حديده • لا يرهب الليل وأمله ، وهو بالنهار ومن فيه ابعد عن الرهبة •

وهكذا كانت تبدر من طرفة بوادركهذه ، تتم عما تأصل في نفسه من اعتداد
بها واعتزاز • فهو وان شفه وجد من ، وبرج به عشقهن — حتى اصابه بداء
لا يرتجى منه شفاء • الا انه لا يسمح لواحدة منهن بأن تهينه او تتعالى عليه
والا ردها بأسلحة لا تطيقها ، كأن يسكتها بلسانه — كما رأينا — او يثير غيرتها
لتنكب عليه ، وتلقى بأسلحتها بين يديه • يقول : (١)

تَعِيرُنِي طُوفًا بِالْبِلَادِ وَرَحَلَتِي أَلَا رَبِّ دَارٍ لِي سِوَى حَرِّ دَارِكِ

انه خبير بما يثير غيرتهن ، فيلوى اعناقهن • فالمرأة قد تصبر على كثير من اذى
رجلها ، فتكتم عنه غيظها وتتدلى عليه • الا أن يحشق غيرها ، فانها
لا تطيق على ذلك صبرا •

ومن ذلك الجانب كان طرفة يأتي صوحيباته ، كلما تدللت عليه احدا من
او فكرت في التعالى عليه واحدة منهن •

ثم يعلن طرفة انه رجل صريح على ، وأن رأيه في هذه الامور واضح
جلي • فهو لا يتشبث بالمنى ، ولا يتعلل بالامال • ولذا فلا يقبل من صاحبتيه
الا أن تبادله ودا بود ، ووصالا بوصال • يقول : (٢)

فَقُلْ لِّخِيَالِ الْحَنَظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَانِ وَأَصْلُ حَبْلٍ مِنْ وَصْلٍ (١)

أما أن يكون الحب من جانب واحد فلا يرضى طرفه ولا يوائم مذهبه . وأما أن يصلها ولا تصله ، فلا يلائمه ذلك ولا يعجبه ، بل يثيره — كما رأينا — ويغضبه . ولو أنه أدرك جميلا وهو يقول : (٢)

وَلَسْتُ وَأَنْ عَزْتُ عَلَى بَقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ يَابِثِينَ صَلِينِي (٣)
أو سمعه وهو يقول : (٤)

فَأَفْنَيْتُ عَيْشِي بِاِنْتِظَارِي نَوَالَهَا وَأَبْلَيْتُ بِذَاكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدٌ (٥)
أو سمع كثيرا وهو يقول : (٦)

فَوَاللَّهِ مَا قَارَيْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِصُرْمٍ وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقْلَيْتُ
أَسِيئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنْتُ لَا مَلُومَةً لَهِينًا وَلَا مَقْلِبَةً إِنْ تَقَلَّيْتُ (٧)

أقول لو أن طرفه أدركهما وهما يقولان ذلك ، لضحك عليهما ، وسخر منهما ، واعرض عنهما . إذ لا يعجبه ما ذهب إليه ، ولا يقبل ما يقبلانه ولا يصبر على ما صبرا عليه .

(١) أي قل لخيالها فليرجع إليها فاني أصل حبل من وصلني بنفسه وبدنه . فاما بخياله فلا .

(٢) أمالي القالي ٢٠٤/١

(٣) عزت أي اشتدت وبخلت وقل عطاؤه ما فهي عزوز (كجزر) والجمع عزز (كجزر) — انظر معجم مقاييس اللغة ٢٨/٤ — عز) والصرم (كالظلم) : القطع — والهجر .

(٤) أمالي القالي ٢٧٢/١

(٥) جديد أي متجدد لا يفنى ، ولا تأتى عليه الايام ولذلك سمي الليل والنهار الجديدين (انظر معجم مقاييس اللغة ٤٠٩/١ — جد) .

(٦) انظر ديوانه ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٧) اسئتي بنا أي قولي ما أسوأه وما أقبحه . واحسنى قولي ما أحسنه وما أملحه

ذلك هو طرفة بن العبد اذا تغزل • فهو مولع بالجمال بنوعيه المعنوى
والحسى • وهو بالجمال الحسى أشدُّ لعا • ثم هو مغرم بالترف والنعمة والثراء ،
ولذلك فلا تجد بين صويحاته غير الجميلة المترفة الناعمة بالرغم مما كان فيه
هو من الفقر اذا قيس باقرانه •

وهو مولع بتفصيل الحديث فى أوصافهن ، وذكر ما كان يحظى به من متعة
وسعادة معهن • ثم هو لا يجد حرجا فى نشر ما كان يعانى به لفراقهن من اللوعة
والفجيرة والجزع الشديد ، الذى قد يودى بعقله ، فيظل كالمجنون •

ثم هو بين هذا وذاك قد يفلت من لسانه ما ينم عن طبعه ومذهبه فى
الحياة ، من اعتداد بنفسه واعتزاز بشخصه ، اعتدادا لا يغييه ما كان يعتريه
بين الغوانى من وله وتعلق وهيام ، واعتزازا لا يشوبه ما كان يعانى به من العشق
والغرام •

فهل بعد هذا العشق الذى رأيناه ، يقول الاصمعى — رحمه الله —
" لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق " (١) ؟

على أن قول الاصمعى هذا ، قد يصدق على طرفة من جانبين ، أولهما أنه
كان يغلب الملموس من جمال المرأة ، على النواحي الأخرى من جمالها ، وثانيهما
أنه كان لا يهتم إلا بما يحظى به من نوالها •

والحقيقة أن غزل طرفة مما يعاب عليه كله ، وذلك لأنه تنقل بين أكثر
من فتاة ، بدافع من هابط الشهوات وساقط الأهواء ، ثم لأنه أسف وهو يصف
جسومهن لا يمتعه خلق ولا يردعه حياء •

وكأنه كان يتمثل قول القائل : (١)

خَلَعْتُ عِذَارِي جَامِحًا مَا يَرْدُنِي عَنِ الْبَيْضِ امْتَالِ الدَّمِ زَجْرًا جَرِ

فبئس هذا السبيل ، الذي كان يفتنه في ذلك الزمان ، ثلة من الفتيان
اللامين العابثين . ويون شاسع بينه وبين النهج ، الذي كان يسلكه من
فتيان العرب ، الكرام المتحفظون ، الذين يمثلهم عنتر بن عمرو بن شداد في

قوله : (٢)

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يَوَارِيَ جَارَتِي مَا وَاهَا
إِنِّي أَمْرُؤُ سَمَحٌ الْخَلِيقَةُ مَا جَدُّ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ مَا وَاهَا
أَلَا إِنَّ أَوْلَكَ هُمُ الرُّجَالُ .

الوصف

" الوصف من الفنون البازرة التى برع فيها الشعراء الجاهليون " (١) . فقد

سببتهم صحراؤهم التى عاشوا فيها ، فأكبوا على تضاريسها وأطلالها وحيوانها ومناخها " فرسموا من ذلك لوحات ناطقة بالفن الاصيل " (٢) . وأغنوا تراثنا بما قالوه فيها من الشعر الجميل .

وكان للحيوان — كما سبق أن ذكرنا — أثره فى نفوسهم ، لارتباطهم به وحاجتهم اليه ، ولذلك فقد أكثروا من الحديث عنه . يصفون جسمه وطباعه ، وحركاته وسكناته . وصلتهم به وحبهم له . وكانت أكثر صلاتهم بالابل والخيول ، فبرز ذلك واضحا — ايضا — عندهم .

وكان طرفة أحد أولئك لشعراء الذين اشتهروا بالوصف ، وبرزوا فيه . وهو وان كان قد تناول مختلف الحيوان وبعض الادوات والظواهر الطبيعية ، بيد أن وصف ناقته هو الذى غلب على وصفه فاشتهر به . فقد فصل الحديث فيه ، وتناول له من أغلب نواحيه . اما وصفه لغير ناقته من الحيوان او غير الحيوان ، فلم يكن مقصودا ، وانما كان يأتى عرضا فى بعض أبياته . فقد وصف الخيل ، وأسلحة القتال ، ودماء الابطال ، كما وصف الصحراء المترامية الموحشة ، وما فيها من أنواع الحيوان والنبات ، وما يهب عليها من رياح او يهطل عليها من أمطار ، كما تحدث عن وديانها وفلواتها وتلالها وما فيها من مواطن اقامة القوم ، أو ما خلفوه من أطلال أو رسوم أو آثار .

ولكن ذلك الوصف كان يأتي عرضاً ، أثناء حديثه عن موضوع من الموضوعات كما كان يأتي موجزاً في بيت أو عدة من الابيات . اما الناقة فقد تخصص في وصفها — ان جاز هذا القول . ولم يكد يترك من أمورنا شاردة ولا واردة الا فصل الحديث فيها . حتى قال الباحثون : " ولم يقف أحد عند وصف الناقة وقفة طويلة متأملة مثل طرفة في محلته " (١)

ولذلك فقد كان لزاماً علينا أن نبدأ في دراستنا لوصف طرفة بالحديث عن تلك الناقة يقول : (٢)

وإلى لا مضي الهَمَّ عند احتضاره	بعوجاً مَرَّقالِ تَرُوحُ وتَغْتَدِي (٣)
أَمونٍ كالوَّاحِ الإِرَانِ نَسَأَتْهَا	على لا حِبِّ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بَرْجُودِ (٤)
تَبَارَى عَتَاقاً نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعَتْ	وِظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرِ مَعْبُودِ (٥)
كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا	لَتَكْتَنِفَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمُودِ (٦)
جَنُوحٌ ، دُفَاقٌ عِنْدَ لُثْمٍ أَفْرَعَتْ	لَهَا كَتَفَاها فِي مُعَالِي مَصْعُودِ (٧)

فناقته بشكل عام ضامرة سريعة جريئة ، قد لحق ظهرها ببطنها فاعوج شخصها ، لا عتياذها السفر ، ومضائها فيه وصبرها عليه . وهي سريعة تنفض رأسها في سيرها بين الحين والحين ، فتزيد سرعتها وتشتد وهي قوية تصل

(١) نفس المصدر ص ٢٥٠ .

(٢) الديوان ص ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٠ .

(٣) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ٢٢ من هذا البحث .

(٤) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ٢٢ من هذا البحث ايضا .

(٥) انظر شرح هذا البيت في هامش ص ٢٢ من هذا البحث .

(٦) شبهها بالقنطرة في انتفاخ جوفها . وخص الرومي لا تقانه في صنع القناطر

وبنائها . وتشاد أي ترفع أو تجصص . والقرمداً الأجر واحدته قرمدة . وهو

آخر النهار بأوله في السير ، صامدة لا يكسرهما سير العشية أن تبدأ الغداة
بسير آخر نشيط . وهى كذلك موثقة الخلق شديدة ضخمة يوم من عثاها . وكأنها
فى شدة خلقها وقوة عظامها التابوت أو القنطرة . وهى تشبه فى سيرها الابل
العتاق الناجيات ، الكرام السراع . ولها من ضروب سير الابل أسرعها وهو
المناقلة أو النقل . وهو أن تضع وظيف رجلها موضع وظيف يدها .

وهى باختصار الى جانب ضخامتها وارتفاعها واشرافها ، تجنح فى سيرها
الى تميل فيه حيوية وسرعة ونشاطا ، وتتدفق فيه اندفاعا .

أرايت كيف أن طرفة لا يترك صفة من الصفات التى تدل على القوة والنشاط
والحيوية والسرعة والشدة والصبر والامان ، الا ورمى بها ناقته . ولكنه ايضا
لم يكتف بهذا . بل راح يفصل القول فى كل عضو من اعضائها ، ويتحدث لنا
عن كل جزء من اجزاء جسمها . فذكر جمجمتها ورأسها ، ومشافرها وأنفها ،
وعينيها وخذها ، وأذنيها وعنقها ، وصدرها وظهرها ، وكتفيها وذراعيها ،
ومرفقيها وفخذيها وخفيها ، وضرتها وذيلها . . وغير ذلك . حتى لقد دخل الى
جوفها ووصف لنا قلبها ، وذلك لارتباطه هو الاخر بنشاطها وقوتها .

وطرفة يذكر كل ذلك باستقصاء عجيب ، وتفصيل غريب . غير عابى بترتيب
الاعضاء كما ركبت فى جسمها ، ولكنه يغوص عليها حسبما اتفق ، وهمه الاجادة لا
الترتيب . اما نحن فلن نبدأ كما بدأ بذيلها وضرتها ، ولكننا سنبدأ برأسها
وجمجمتها .

أما رأسها فضخم قوى إذا أومأت به إلى الأرض ازدادت سرعة ونشاطا ،
يقول : (١) " متى ترجم به الأرض تزدد " ، وجمجمتها صلبة قوية ، كأنها
فى صلابتها سندان الحداد • وملتقى قبائل رأسها شاخصة نائثة ، كحرف
المبرد • وذلك أشد لرأسها ، وأصلب لجمجمتها ، يقول (٢) :

وَجُمُجْمَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمَلْتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ (٣)

وأما مشفرها فمشقوق من شفتها العليا فهو أعلم ، قال ابن الأنبارى " وكل الأبل
علم " (٤) • وهو مارن عتيق أى لين وجيد ، وهو كذلك طويل ، قال الأعلم
الشنتمرى " وذلك مما تمدح به " (٥) ، إذ أن كرائم الأبل مشافرهما طوال •
وأنفها هخرت هو الآخر أى مشقوق • وخدما أسيل جميل أبيض لا شعر فيه ،
وكأنه صفحة القرطاس ، يقول : (٦)

وَأَعْلَمُ هَخْرَتٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ ، مَتَى تَرْجَمُ بِهِ الْأَرْضُ تَزُودُ (٧)
وَحَدٌّ كَقُرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمَشْفَرٌ كَسَبْتِ الْيَمَانِي ، قَدَّهُ لَمْ يَجْرُدِ (٨)

-
- (١) الديوان ص ٢٦
(٢) الديوان ص ٢٢
(٣) العلاة السندان التى يضرب عليها الحداد حديد • ووعى أى انضم •
(٤) شرح القوائد السبع الطوال ص ١٨٠
(٥) الديوان ص ٢٣
(٦) الديوان ص ٢٣ ، ٢٦
(٧) الأعلم المشقوق ، والمخرت المثقوب ، إذ الخرت (كالضرب والحزن) هو
ثقب الابرة (انظر معجم مقاييس اللغة ١٧٥/٢ - خرت -) ، والمارن
اللين • والعتيق الجيد •
(٨) شبه بياض خدما وخلوه من الشعر بصفحة الكراسى البيضاء الملساء
الخالية من الكتابة • والمشفر للبعير مثل الشفة للإنسان ، والسببت
جلود البقر المدبوجة التى تصنع منها النعال • وخصى اليماني لانهم ملوك

وأما عينها فهما كالمرأة فى صفائهما ونقاائهما واتساعهما وهما غائرتان وبذلك
توصف النجائب من الابل • وتحيط بهما عظام صلبة كصخور الماء ، وصخور
الماء أشد من غيرها وأصلب • (١) وهما صحيحتان خاليتان من العوار والقذى ،
أى لارمد فيهما ولا أوساخ • وهما كحيلتان وحادتان تشبهان عيني البقرة
الوحشية المذعورة المطفل • وإذا كانت مطلقا كان أحد لنظرهما وأبين لحسن
عينيهما وأشد لتشوفها — اشفاقا على ولدها • يقول : (٢)

وعينا كالماويتين استكنتا بكهفى حجاجى صخرة قلت مودر (٣)
طحوران عوار القذى فتراهما كمحولتى مذعورة أم فرقد (٤)

وأما أذناها فهما عاريتان من الوبر ، محددتان كتحديد الحرة تعرف كرمهما
وعتقهما بمجرد رؤياك لهما ، وذلك من تحديدهما وقلة وبرهما • ثم انهما
صادقتان ، تشبهان فى ذلك أذنى ثور وحشى فنقلت فى الفلاة وحده •
وإذا كان وحده ، كان أشد لتوجسه وتسمعه وارتياحه • قال الاعلم
الشنتمرى : " وأذن الوحش أصدق من عينه " (٥) • فهما اذن لا تكذبانهما
الخبر ، وقد تخديانهما عن النظر ، اذ لا يخفى عليهما صوت خفى أو مرتفع
يقول : (٦)

(١) انظر الديوان ص ٢٣ •

(٢) انظر الديوان ص ٢٢ ، ٢٣ •

(٣) الماوية هى المرأة ، واستكنتا أى حلتا فى كن وستر ، والكهف الغار • وأراد
به غار العظم الذى فيه العين ، والحجاج (كالسراج) عظم العين
المشرف الذى يثبت عليه الحاجب ، والقلت النقرة فى الصخر تمسك
الماء • وقلت مودر أى قلت تتخذ مودرا •

(٤) الطحوران الدفوعان الطرودان ، وعوار القذى قطع الاوساخ التى تنتج
عن رمد فى العين • والمذعورة البقرة الوحشية ، والفرقد ولدها •

(٥) الديوان ص ٢٤ •

(٦) الديوان ص ٢٤ ايضا •

وَصَادَقْنَا سَمْعَ التَّوَجُّسِ لِلسَّرِيِّ لَجْرَسٍ خَفِيٍَّ أَوْ لَصَوْتٍ مُنْدَدٍ (١)
مَوْلَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مَفْرَدٍ (٢)

واما عنقها فمشرف مرتفع طويل ، يشبه في ارتفاعه — اذا مدته — عمود السفينة
الذى يُنصب عليه الشراع . يقول : (٣)

وَأَتْلَعُ نَهَاظُ إِذَا صَعَدَتْ بِهِ كَسَكَّانٍ بَوْمِيٍّ بِدَجَلَةٍ مُصْعِرِدٍ (٤)

وكذلك أفرعت كتفاها وعوليتا واشرفتا — كما سبق أن رأينا — وأمر قتل مرفقيها
الذين تجافيا عن زورها وبانها عنه ، فلا يصيبها ما يصيب الابل التي تصطك
مرفقها بصدورها . وقتلت يداها كذلك فتلا شديدا ، حتى نُحيتا عن جنبها ،
فازدادتا قوة وصلابة . واما عضداها فقد أميلتا هما الاخريان ، وشدد خلقهما
حتى أشبهتا صفائح الحجارة التي يسند بعضها في البناء بعضا ، يقول : (٥)

لَهَا مَرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا أَمْرًا بِسَلْمِيٍّ دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ (٦)
أَمْرَتِ يَدَاهَا فَتَلَّ شَزْرٌ وَاجْنَحَتْ لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسْنَدٍ (٧)

(١) التوجس الخوف والحذر والسرى السير في الليل . والجرس الصوت الخفى ،
والمندد الصوت المرتفع البين .

(٢) مولى اللتان أى محدداً تان كتحديد الالة . والآلة (كالمرّة) الحرية (والجمع
إِلَال) (كتال) (انظر معجم مقاييس اللغة ١٨ / ١ — أَلَّةٌ) .

(٣) الديوان ص ٢١ .

(٤) الاتلع المشرف والنهاض المرتفع يقصد عنقها ، وصعدت به أى اشخصته
في السماء ورقعته . والسكان عود المركب ، والبومى السفينة وهو فارس
مغرب (عن العلم — الديوان ص ٢١) .

(٥) الديوان ص ١٨ ، ١٩ .

(٦) الافتلان المتجافيان عن الصدر البائنان عنه . وأمر أى فتلا . والسلم الدلو .
والدالج الذى يمشى بالدلو الى الحوض حتى يصيبها فيه . وقال (متشدد)
لان حامل الدلوين يتشدد ويتقوى وهو يباعد عضويه عن صوره .

(٧) أمرت يداها فتل شزر : أى فتلتا فتلا قويا شديدا — والشزر من القتل ما يبدأ
من أسفل الكف الى فوق . واجنحت أى أميلت . والسقيف هنا هو صدرها =

وأما ظهرها فهو عال مرتفع — كما رأينا — ثم ان فقاره مطوية (١)، تتصل
بها مآخير ضلوع حنية ، تشبه في الحنايا الاقواس ، وذلك أوسع لجوف الناقصة .
ويتصل ذلك بحلقوم ملصق بفقار عنق مضمومة ملصقة ببعضها ، يقول : (٢)

وَطَى مَحَالٍ كَالْحَنَى خُلُوفُهُ وَأَجْرُهُ لَزَتْ بِدَائِي مُنْضِدٌ (٣)

وأما ذنبها فقد كثرت خصله وغزر شعره ، حتى كأن على جانبيه جناحي نسر .
وأما ضرعها فقد تقبض وجف لبنه ، وذلك أشد لها وأقوى . وأما فخذها فهما
كاملتا الخلق ، مكتنزتا اللحم ، كأنهما مصراعا باب القصر المنيف المشرف العالى
وذلك في قوتها واكتمال خلقها . . يقول : (٤)

تَرِيحُ إِلَى صَوْتِ الْمُهَيْبِ وَتَنْقَى بِذِي خَصَلٍ رُوعَاتٍ أَكْلَفَ مَلْبِدٍ (٥)
كَأَنَّ جَنَاحَهُ مُضْرِحِي تَكْدَفَا حِفَافِيهِ شَكَا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرِدٍ (٦)

= وما فوقه . واصل السقيف صفائح حجارة . والمسند شديد الخلق ، الذي
قد أسند بعضه الى بعض .

(١) الفقرة (كالفتنة والبلدة) والفقارة (كالبداوة) واحدة فقار الظهر . والجمع
فقر (كعنب) وفقار (كرماد) (اللسان فقر) .

(٢) الديوان ص ١٦ .

(٣) المحال كالفقار لفظا ومعنى واحدها محالة . وقوله : وطى محال اي وظهرها
مطوى المحال . والحنى جمع حنية وهي القوس سميت بذلك لانحنائها .
والخلوف مآخير الاضلاع واحدها خلف بكسر فسكون . والجبران باطن الحلقوم
وقد جمعه موائمة لما حوله . ولزت اي الصقت وضمت . والمنضد الملصق
بعضه ببعض . والدأى فقار الحنق واحدها دأية (كزمرة) .

(٤) الديوان ص ١٤ ، ١٥ .

(٥) تريح اي ترجع ، والمهيب الفحل المهيب بها اي الذي يدعوها . والخصل
شعر الذنب . والاكلف من الفحول الذي يشوب حمرة سواد . والملبد
الذي تلبد على ظهره بوله من أثر ضربه بذنبه من الهياج .

(٦) المضرجى من النسور هو الاحمر الذي يضرب الى البياض . وتكدفا حفافيه اي
صارا عن يمينه وشماله . والعسيب عظم الذنب . والمسرد المخرز الذي يخرز
به .

فطورا به خلف الزميل وتارة على حشيف كالشن ذاو مجدد (١)

لها فخذان أكمل النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد (٢)

وأما اخفافها فقد لثمتها الحجارة ، فأدمتها وسوتها ، وذعبت بالشعر من حولها . فصارت اخفافا قوية ، تقيها وعورة الارض وخطورتها ، وتحميها من حزومها وحزونها وشدتها (٣) ، يقول وهو يتحدث عن بلاد بعينها . (٤)

قد تبطنت وتحتى جسرة تتقى الأرض بملثوم معسر (٥)

على أن هذه الناقة التى تنقل الشاعر فى وصفها هذا التنقل ، من حديث مستفيض عن أعضاء جسمها ، الى حديث مستفيض أيضا عن سرعتها ومشيتها ، هذه الناقة فى حاجة الى قلب شديد حديد ، بالغ الذورة فى شدته ، فزرع مضطرب مرتاح لحدثه . وهو الى ذلك خفيف ذكى مجتمع مصمت . . . لأنه المرداة التى تدق بها الصخور .

ولذلك فقد اخترقت نظرات طرفة الثاقبة جسم ناقته ، فوجد قلبها بتلك

الاصاف . يقول : (٦)

(١) الزميل هو الرديف ، والحشف هو الضرع المتقبض الذى لالهن فيه . والشن القرية البالية الجافة . والذاوى الذابل . والمجدد الذى ذهب لبنه من جد الشئ اذا قطعه .

(٢) النحض اللحم ، وأكمل النحض فيهما أى فخذاها كاملتا الخلق مكتنزتا اللحم ، والمنيف القصر العالى المشرف ، والمرد المشر فريضا . والاملس .

(٣) حزوم الارض (جمع حزم) وحزونها (جمع حزن) هو ما غلظ منها وخشن (اللسان - حزن -) .

(٤) الديوان ص ٦٠

(٥) تبطنت أى دخلت بطونها يعنى البلاد التى ذكر . والجسرة الطويلة الجريئة على الشدائد لنشاطها . والملثوم الخف الذى لثمته الحجارة فأدمتها . والمعرا الذى ذهب ما حوله من الشعر .

(٦) الديوان ص ٢٥

وَأَرَوَعُ نَبَاضٍ أَحَدٌ مَلْمَلٌ كِرْدَاةٍ صَخْرٍ مِنْ صَفِيحٍ مَصْمَدٍ (١)

وباختصار يقول إن ناقته قوية سريعة واسعة الخطو تموج في سيرها موجا ، شديدة الجرم موثقة الخلق — كما رأينا — يزيد ما صهب لحبيها صباحة وملاحقة يقول : (٢)

صُهَابِيَّةُ الْعَثْنُونَ مُوجِدَةُ الْقَرَا بَعِيدَةُ وَخْدِ الرَّجُلِ مَوَارَةُ الْيَدِ (٤)

وهي كذلك مطوّاع حسنة القيادة ، تسبح في الهواء إذا انطلقت — سبح الظليم ، يقول : (٥)

وَأِنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الْكُورِ رَأْسُهَا وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الْخَفِيدِ (٦)

تلك هي ناقة طرفة بن العبد ، وقد أوجزنا الحديث عن أهم أوصافه لها ، وأقواله فيها حتى لا يطول بنا المقام . وقد أغضينا عن كثير مما قال ، حَدْسًا بأن الذي تعرضنا له فيه الكفاية . وخلاصة الأمر في ذلك أن طرفة قد فصل في ناقته الحديث ، بشكل لا نعلم أن أحدا بزه فيه . قال صاحب " الأنوار

(١) الاروع القلب الحديد المرتاع لحدته ، والنباض المضطرب من الفزع ، والأخذ الملمس أو الخفيف الذكي ، والململم المجتمع ، والمرداة صخرة تدق بها الحجارة ، والصفیح صخر عريض ، والمصمد المصمت .

(٢) الصهب (كالنعب) والصهبة (كالعروة) : لون حمرة تكون في شعر الرأس واللحية . ويعير أصهب (كأحمد) وصهابي (كخرافي) وناقة صهباء (كشهباء) وصهابية (مؤنث صهابي) (اللسان — صهب) . والصباحة والملاحقة (كاليسالة والشجاعة) : الجمال .

(٣) الديوان ص ١٩ .

(٤) العثنون ماتحت لحبيها من الوبر . والموجدة الموثقة الشديدة الخلق . والقرا الظهر . والوخد والوخدان هو سعة خطو الناقة تقول : وخدت الناقة تخد وتخدان (معجم مقاييس اللغة ٩٤/٦ — وخد) . وموارة اليد أي أن جلد كتفها ومنكبيها رهل يموج .

(٥) الديوان ص ٢٥ .

(٦) الواسط هو العود الذي بين مورك الرجل ومؤخرته . والكور هو الرجل =

ومحاسن الاشعار " : " ولم يصف أحد ممن تقدم وتأخر ، الناقة أحسن من وصف طرفة بن العبد . فانه جمع صفات خلقها ، وسرعتها ، فجاء بها بأحسن كلام وأوضح تشبيه " (١)

على أن طرفة قد وقع أثناء وصف ناقته والحديث عنها ، في أمور اخذها عليه الباحثون ، ومن ذلك وصفه ذنوب ناقته بكثافة الشعر . فقد بالغ في ذلك بقوله كأن على جانبيه جناح نسر . قال المزياني في الموشح : " وانما توصف النجائب برق الذنب وخفته . وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا " (٢) ويظهر ان طرفة لم يكن وحده موضع الانتقاد في هذا ، فقد قال ابن النباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : " كل الفحول من الشعراء وصف الاذنياب بكثرة الهلب " (٣) .

وهناك على طرفة مأخذ آخر ، وهو تكرار ضربه لناقته ، وكأنها لا تتطلق الا بالضرب . ولست أعلم أحدا أخذ على طرفة هذا الموقف ، مع أنهم اخذوه على امرئ القيس بن حجر . حدث الاصمعي ان امرأ القيس وعلقمة بن عبدة التميمي اجتمعا معا فتذاكرا الشعر ، فقال كل منهما لصاحبه ، انا اشعر منك . وتحاكما الى أم جندب زوج امرئ القيس يومئذ . (٤) فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها : (٥)

= نفسه . ومعنى عامت اى سبحت . فالسبح والسباحة هما العوم (اللسان- سبح) . وضبحاها عضداها والنجاء السرعة . والخفيد ذكر النعام .

(١) الانوار ومحاسن الاشعار ٢٧٦/١ .

(٢) انظر الموشح - بتحقيق البجاوي - ص ١٣٦ .

(٣) شرح القصائد لابن النباري ص ١٥٧ .

(٤) فقد طلقها كما رووا بعد ذلك ، وخلف عليها علقمة .

(٥) انظر ديوانه ص ٤١ .

خليلي مرابي على أم جندب
نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التي مطلعها : (١)

ذُهِبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ

فلما فرغ منها فضله أم جندب على امرئ القيس ، فقال لها : بم فضله على ؟
قالت : فرس ابن عذرة أجود من فرسك ، فقد سمعتك زجرت وضربت وحركت ،
وهو قولك : (٢)

فَلِلْسَاقِ الْهَوْبِ وَلِلسُوطِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ الْهَوَجِ مَنَعِبٌ (٣)

وأما فرس علقمة فقد أدرك طريده من غير زجر أو ضرب ، وهو قوله : (٤)

فَأَقْبَلَ يَهْوِي ثَانِيًا مِنْ عَنَابِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّاحِ الْمُتَحَلِّبِ (٥)

وهكذا أخذت أم جندب على امرئ القيس ضربه لحصانه ، وكانت تريد أن يدرك به ما أراد من غير أن يضربه أو يزجره . وكأن هذا النقد قد راق للرواة فتناقلوه .

(١) انظر ديوانه ص ٧٩ .

(٢) انظر ديوان امرئ ص ٤ .

(٣) الالهوب هو جرى الفرس - الشديد الذي يثير الغبار . تقول ألهب الفرس يلهب الهابا وله ألهوب (اللسان - لهب) ودر الفرس يدر دربرا ودرة - عدا عدا شديدا (اللسان درر) ، النعب (كالعتل) السير السريع ، والنعب صوت الفرس ، وفرس منعب (كمبرد) جواد يمد عنقه في عدوه ، والمنعب كذلك الا حمق الهوج المصوت (اللسان نعب) .

(٤) انظر ديوان امرئ القيس ص ٤٠ .

(٥) يقال (جاء ثانيا من عنابه) ، كناية عن سرعة الفرس من غير زجر ولا ضرب ، وتحلب المطر والندى والعرق سقط ، والمتحلب الذي يسقط عليه المطر ، والرائح الثور الوحشي وهو اذا مطراشتد عدوه (اللسان حلب ، روح) .

اما طريقة فقد ضرب ناقته أكثر من مرة ، إما بعصاه او بسوطه الموجه . وكأنها
كما قلنا لا تنطلق الا بالضرب وهو الذي وصفها بالاندفاق في السير والجنوح فيه
من الشدة والنشاط . ولكنها عثرة الجواد . يقول : (١)

أَمُونُ كَالْوَّاحِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا عَلَى لَحَبِ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بَرَجْدٌ

فها هو ذا قد زجرها وضربها بمنسأته وهي عصاه . ثم يقول : (٢)
وَأَن شِئْتُ لَمْ تَرْقُلْ ، وَأَن شِئْتُ أَرْقُلْتُ مَخَافَةَ مَلُوءٍ مِنَ الْقَدِّ مُحْصَرٌ (٣)
فها هي ذى لا تستجيب لرغبته في السرعة ، أو تلبى ندائه بالبطة ، الا خوفا
من سوطه الجلدى ، الشديد القتل القوي . لقد ترجرج طرفه في هذا الموقف
واضطرب رأيه فيه ، وناقض نفسه بنفسه وهو القائل : (٤)

وَأَن شِئْتُ سَامِي وَاسْطِ الْكُورِ رَأْسُهَا وَعَامَتْ بِضَبْعِهَا نَجَاءَ الْخَفِيدِ

أيليق بالتي تسبح في الفضاء سبح السفينة على صفحة الماء ، وتنطلق على الاديم ،
انطلاق الظليم ، أيليق بها أن توصف بالبلادة والعناد ، وانها لا تسرع او تبطئ
الا مخافة لسعات الشدايد !

على أن طريقة قد تجاوز الحد في ذلك ، فصب على ناقته الضرب صبا ، وجعلها
لا تربع لصوته ، الا اذا ألهب ظهرها بسوطه . يقول : (٥)

أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمُتَوَقِّدِ (٦)

(١) الديوان ص ١٢ وشرحه في هامش ص ٢٣ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ٢٦ .

(٣) الارقال نفض الرأس لشدة السير ، والملوى هو السوط المفتول ، والقَدُّ الجلد
والمحصد الشديد القتل .

(٤) الديوان ص ٢٥ وشرحه في هامش ص من هذا البحث .

(٥) الديوان ص ٢٧ .

(٦) أحلت عليها أى اقبلت ، والقطيع السوط ، وأجذمت أسرع ، وخب الال =

أفما كان الجدر بطرفة ، وقد وصف ناقته بأحسن الصفات ، أن يتركها تنساب
بالإشارة ، غير محتاجة إلى هذا الزجر والضرب الذي صبه عليها ، كما كانت
تنساب في قوله : (١) " وعامت بضبعيها نجاء الخفידد " من غير زجر
ولا ضرب .

على أنه برغم ذلك قد أعطاها من الوصف حقها ، وخلص بأشعاره ذكرها
وحق لها ذلك ، فقد كانت تؤنس وحدته ، وتفرج كربته ، وتزيل غمه ، وتسرى
عنه همه ، فاستحققت اهتمامه وعنايته .

أما الأشياء التي تعرض لها طرفة بالوصف غير الناقة ، فأهمها الخيل ،
وخيل قومه بالذات . وقد عرج على وصفها أثناء فخره بمكارم قومه ومفاخرهم ،
اذ أن من مآثرهم الاحتفاظ بالخيل على شدة الزمان وحاجة الناس وجوعهم .
يقول : (٢)

نُسِكُ الخَيْلِ عَلَى مَكْرِهِمْ ——— حين لا يَمْسِكُهَا إِلَّا الصَّبْرُ

ثم ينفذ من ذلك إلى وصف تلك الخيل ، والحديث عنها . فهي خيل أصيلة
كريمة ، أعوجيات نسبة إلى أعوج " وهو فحل من الخيل معروف الدجاجة " (٣)
وهي طويلة ضامرة قوية ، ضخمة سريعة شديدة . وتظهر شدتها وسرعتها
عندما يسيل عرقها وتبتل منه لُجْمُها . وذلك طبع كرام الخيل . اذ تشتد
سرعتها حين تشتد الحاجة إلى تلك السرعة . وهي خيل كذلك صلبة الحوافر ،
سمر القوائم معوجتها قويته . وسمة قوائم الخيل وأعوجاجها من صفات مدحها
عندهم . (٤) . يقول : (٥)

= جرى واضطرب وذلك عند اشتداد الحر ، والال السراب ، والامعز الغليظ
الكثير الحصى ، والمتوقد الذي يتوقد بالحر .

- (١) الديوان ص ٢٥ وشرحه في هامش ص ٣١٥ من هذا البحث .
(٢) الديوان ص ٦٨ . (٣) انظر شرح الاعلم لديوان طرفة ص ١١٢ .
(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٠ (٦) الديوان ص ٦٩ .

أيها الفتیان فی مجلسنا جردوا منها ورادا وشقرا
 أعوجیات طوالاً شزیبا دوخل الصنعة فیها والضمرة (١)
 من یعابیب ذکور وقح وهضبات اذا ابتل العذر (٢)
 جافلات فوق عوج عجیل رکت فیها ملاطیس سمر (٣)

وهی خیل کذلک أعناقها مشرقة طويلة ، ممتدة لأنها جذوع النخل التي ألقى
 عنها شذبهها فزاد ذلك فی طولها . واجوافها واسعة لا تنبهر ولا تكبر ،
 " واذا ضاق جوف الفرس وصوره ومخرج نفسه انبهر وكبا وسقط " (٤) ،

وخیولهم لیست کذلک . یقول : (٥)

وأنافت بهواد تلح كذوع شذبت علیها القشر (٦)
 علت الأیدی بأجواز لها رجة الأجواف ما إن تنبهر (٧)

ولخیلهم — کذلک عند اشتداد جربها ، صفات لا توجد فی غيرها . فهي تنطلق
 فيه رافعة اذ نابها عاضة علی لجمها ، مسرعة فی جربها . حتی لتکاد أزرها
 المشدودة علیها تطير من فرط سرعتها . یقول : (٨)

(١) أعوجیات نسبة إلى أعوج وهو فحل نجیب ، والشذب الضمر ، دوخل الصنعة
 فیها أى حسن القيام علیها فیدا أثر الصنعة علیها ، والضمرة أى تضميرها ،
 وهو أن تجرى لتدرب وتخف حتی تضمر .

(٢) الیعابیب جمع یعبوب وهو الطویل الجسم الكثير الجری من الخیل (معجم
 المقاییس ٢٤/٤ — عب) ، ووقح جمع وقاح وهو الصلب الحافر ، والهضبات
 السراع الشداد . والعذر جمع عذار کسراج .

(٣) جافلات مسرعات ، والعوج القوائم فیها انحناء ، والعجل جمع عجول وهو
 المسرع ، والملاطیس جمع ملطاس وهو معول یکسربه الصخر ، شبها لحوافر
 بها فی صلابتها ، ووصفها بالمسرة لان ذلك اشد لها وأصلب .

(٤) عن العلم ص ٧٠ من دیوان طرفة .

(٥) الديوان ص ٧٠ .

(٦) أنافت أى أشرفت ، والهواد جمع هاد وهو العلق ، وهادی کل شیء مقدمه ،

(٧) یقول : كأنه قد رکت علی أیدیها أجواز منتفخة رحیبة .

(٨) الديوان ص ٧٠ .

فهي تردى فإذا ما ألهبته طار من إحماها شد الأزر^(١)
كأثرات وتراها تنتحى مسلحات إذا جد الحضر^(٢)

ولقد تعرض طرفه لهذه الخيل فى موضع آخر ببضعة أبيات ، من قصيدته التى مطلعها : (٣)

" سائلوا عنا الذى يعرفنا " ، ولكنه لم يزد على تلك الصفات ، ولقد شدد على كون خيلهم من الفحول ، فقال هنا : (٤)

رمن يعابيب ذكور وقسح^(٥) ، وقال هناك : (٥)
وفحول هيكلات وقح^(٦) أعوجيات على الشأو أزم^(٦)

قال الأعمى الشنتمرى : " وانما خص الذكور لأنها أوقح وأصلب " (٧) . وقد شدد طرفه كذلك على اهتمامهم بتلك الخيل ، وقيامهم عليها . فهى ليست مهملة أو مغفلة . قال هنا : (٨)

- (١) الرديان نوع من السير السريع كعدو الحمار ، وألبيت أى شدد جريها ، ويردى ألبيت أى أسرعت كلهيب النار . والاحماء مثله .
- (٢) كأثرات أى رافعات أذنانها ، شائلات بها ، وتنتحى تنحرف فى عدوها . وتعضى على لجمها ، والمسلحات الممتدات المنبسطات فى العدو . وجد الحضر أى اشتد العدو .
- (٣) الديوان ص ١٠٩ .
- (٤) أى فيما سبق . الديوان ص ٦٩ .
- (٥) الديوان ص ١١٢ .
- (٦) الفحول الذكور طبعاً ، والهيكلات جمع هيكل وهو المنضم مع لخير . والوقح جمع وقاح (كرماد) الصلب الحافر ، والأعوجيات نسبة إلى الأعوج - فحل معروف النجاة - كما سبق ، والشأو السبق ، والأزم العراض على اللجم .
- (٧) انظر شرح الأعمى لديوان طرفه ص ٦٩ .
- (٨) الديوان ص ٦٩ .

" دُوخِلَ الصَّنْعَةُ فِيهَا وَالضَّمْرُ " • وقال هناك : (١)

أَدَّتِ الصَّنْعَةُ فِي أَمْتِنِهَا • فَمِنْ تَحْتِ مُشِيحَاتِ الْحَزْمِ (٢)

فقد أثر في متونها القيامُ عليها بالعلفِ والخدمة ، فاكتنزت باللحم وقويت واشتدت
وأصبحت الخيل بذلك جادات سريعة • وغير ذلك •

وقد سقط طرفه وإن أجاد — في وصفه لخيول قومه ، كما كان قد سقط
في وصفه لناقته ، سقطه أخذت عليه عنا ، كما أخذت عليه هناك • إذا استعمل
الضرب مع هذه الخيل ، كما استعمله مع ناقته ، والدجبية الكريمة لا تحتاج
إلى زجر أو ضرب • يقول : (٣)

خَلَجَ الشَّدَّ مَلِحَاتٍ إِذَا شَالَتِ الْإِيْدِي عَلَيْهَا بِالْجِذْمِ (٤)

وكان أحريه إلا يفعل ، حتى لا يقال له ما قيل لأمري القيس : " إن فرسا
يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء ، لغير جواد " (٥)

تلك هي أوصاف الخيل التي تطرق إليها طرفه ، ولم يكن يقصد ما لذاتها
كما فعل بناقته ، ولكنه استطردها في معرض حديثه عن قومه ، والفخر
بمكارمهم وشجاعتهم في الحروب •

(١) الديوان ص ١١٣ •

(٢) مشيحات جادات سريعة ، وأصل الأشاحة الجد ولا يكماش فكان بطونها
لحقت بظهورها فضمرت وارتفعت حزمها ، وتسمى حينئذ مشيحات •

(٣) الديوان ص ١١٤ •

(٤) الخَلَجُ جذب الفرس رجليه في عدوه من السرعة والنشاط • والملحات التي
تلح في جريها أي تديمه وتكثره • والجِذْمُ السياط •

(٥) انظر الموشح للمرزباني — بتحقيق البجاوي — ص ١١٣ •

وأما غير الناقة والخيول من الأمور التي تطرق إليها طرفعا لوصف ، فلم تكن بهذا التفصيل ، ولم يجيء بها إلا عرضا وبغير تطويل . بل بإشارات عابرة وهو يتحدث عن هذا الأمر أو ذاك . ومن ذلك قوله : (١)

حِينَ يَحْمِي النَّاسُ نَحْمَى سَرِينَا وَاضْحَى الْأُوجَهَ مَعْرُوفِي الْكَرَمِ (٢)
بِحَسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرَبَاتِ مُتَرَاتِ الْعَصَمِ (٣)

فسيو فهم حسامات تقطع اللحم والعظم معا ، رسب مترات ، أي ينغرزن في الضربة فيقطعن ما يصلن إليه ، وعلى الخصوص معاصم الرجال ، ليمنعنهم عن مواصلة القتال . وسيف طرفة منها بالذات - إلى هذه الأوصاف - رقيق الشفرتين ماض ، يقول : (٤)

وَأَلَيْتَ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَائِلَةٍ لِعَضْبٍ رَقِيقٍ الشَّفْرَتَيْنِ مَهْنِدِ
حَسَامٍ إِذَا مَاقَمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ كَفَى الْعُودَ مِنْهُ الْبَدُ لَيْسَ بِمَعْضِدِ

وكذلك يتطرق طرفة أثناء وصفه لناقته إلى أمور كثيرة ، بإشارات عابرة ، كالطريق مثلا ، فهو طريق واضح أثر فيه السير فعبدّه ، وبينه ، وظهرت على سطحه طرائق من أثر المشي فيه ، فكان كأنه الكساء المخطط يقول (٥) :

أُمُونٌ كَالْأَوَاحِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا عَلَى لَا حَبِّكَأَنَّهُ ظَهَرُ بَرْجَرِ

ويتطرق في موضع آخر - لوصف السحاب - وذلك أثناء وقوفه بأطلال خولقة ،

(١) الديوان ص ١١٢ .

(٢) السرب المال الراعى .

(٣) الحسام من السيوف هو الذي يقطع اللحم والعظم ، والرسب التي ترسب في الضربة وتدخل فيها ، والعصم هي المعاصم جمع معصم وهي موضع الاسورة من اليد .

(٤) الديوان ص ٤٢ ، ٤٣ وشرحهما في هامش ص ١٥٣ من هذا البحث .

(٥) الديوان ص ١٢ وشرحه في هامش ص ٢٣ من هذا البحث .

(١) يقول :

كَأَنَّ الْخَلَايَا فِيهِ ضَلَّتْ رِبَاعَهَا وَعُودًا إِذَا مَا هَزَهُ رَعْدُهُ احْتَفَلُ (٢)

فهو سحاب كثير المطر بسبب كثرة الغيوم فيه ، وسرعتها وتواليها ، وكثرة رعودها .
وكأنها في ذلك ابل حديثات النتاج ، وقد فقدت أولادها بموت أو سواها ،
فهي تحن إليها ، وتجأ بالشكوى من ولدها عليها .

ويتعرض طريقة في موضع آخر لوصف أواني الطعام عند هم ، التي يكرمون بها فيها

من طعام أضيافهم ، وذلك في معرض افتخاره بمآثر قومه ، يقول : (٣)

بِجِفَانٍ تَحْتَرِي نَادِيَنَا مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّبِيرُ (٤)
كَالْجَوَابِي لَا تَنْسَى مُتْرَعَةً لِقَرَى الْأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِ (٥)

فهم لا يقدمون طعاما في أوان صغيرة ، فذاك شأن المقلين أو البخلاء ،
ولكن أوانيهم كالأحواض العظيمة التي يجبي فيها الماء وذلك لسعتها وعظمتها .
ثم هي أوان لا تنفك تنضح بالطعام ، للضيغان والمحتاجين والجيران وغيرهم
وذلك حين يشتد البرد ، وتشتد معه حاجة الناس للطعام .

وقد تطرق طريقة أيضا الى وصف البلاد التي كان يجوب ، والطرق التي

كان يسلك ، وذلك في معرض غزله يقول : (٦)

وَبِلَادٍ زَعِيلٍ ظَلَمَانُ كَالْمَخَاضِ الْجَرِّ فِي الْيَوْمِ الْخَدِرِ (٧)

(١) الديوان ص ٩١ .

(٢) الخلايا جمع خلية وهي الناقة التي عطفت على ولد ، والرباع ما نتج في الربيع ،
والعود جمع عائد قوهي الحديثة النتاج . يقول كأن في هذا السحاب لكثرة
رعداه ابلا عودا قد ضلت أولادها فهي تحن إليها . وتصوت عليها .

(٣) الديوان ص ٦٦ .

(٤) السديف قطع السنام ، والصنبر أشد ما يكون البرد .

(٥) المترعة المملوءة ، والقرى القيام بواجب الضيف ، والمحتضر النازل مع القوم على
مائهم . (٦) الديوان ص ٦٠ .

(٧) الزعل النشيط ، والظلمان ذكور النعام واحد ها ظليم . والمخاض =

قد تبطن وتحتى جِسْرَه تتقى الارض بملثومٍ معِـرٍ (١)

فهى بلاد مقفرة واسعة ، يتراكم فى انحاءها النعام الكثير ، وهى بلاد مخيفة لا انس فيها ، ولذلك تجمع فيها النعام بتلك الكثرة ، كثرة الابل الحوامل وقد اجتمع بعضها الى بعض فى يوم شديد البرد كثير المطر .

وهى أيضا بلاد ذات تلال موحشة ، " يحاربها الهادى الخفيف ذلاله " وهى مسارح لحر الوحش التى تفرح هى الاخرى بين جنباتها آمنة مطمئنة ، فليس فى تلك الغلاة ما يروعها أو يخيفها . وهى تلالعوها ، مرتفعات ومنخفضات ولذلك ترى الوحش فيها يظهر مرة ويختفى اخرى . وكأنه الرقيب الذى يحاذر أن يراه الناس . يقول (٢) :

يَظَلُّ بِهَا عَيْرُ الْغَلَاةِ كَأَنَّهُ رَقِيبٌ يَخَافُ شَخْصَهُ وَيَضَائِلُهُ

ومن ذلك أيضا وصف طرفة لزمام ناقتة ، وكيف يتلوى وهى تلاعبه فى سيرها تلوى الأفعى ، ويتعمج تعمجها ، يقول (٣)

تَلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرِمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعْمَجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْعٍ قَفَرٍ (٤)

فهو زمام لين أملس ، ينساب نسياب الأفعى ، ويتلوى تلويها ، وهى بذلك المكان القربين أشجار الخروج ، تنطلق على سجيبتها ، فتتمدد تارة ، وتتلى

= الحوامل من لابل وخص الجرب منها لانها سود من القطران فهو أشبه لها بالنعام ، والخدر الذى يُخَدَّرُ فيه لشدة برده أو مطره .

(١) انظر شرحه فى هامش ص ٣١٤ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ١٢١ ، وشرحه فى هامش ص ٢٨٨ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ١٥٨ .

(٤) المثنى (كالمثنى) زمام الناقة (اللسان ثنى) ، والتعمج التلوى والاعوجاج

فى السير (معجم مقاييس اللغة ١٣٦/٤ - معج -) ، والشيطان الحية

(نفس المصدر ١٨٣/٣ - شطن -) .

أخرى ، وكذلك زمام ناقة طرفة . قال الازهرى فى تهذيب اللغة : " وقيل للحية عومج ، لتعجمه فى انسيابه ، أى لتلويه . ومنه قول الشاعر ، يشبه زمام البعير بالحية اذا تلوى فى انسيابه " (١) ثم ذكر بيت طرفة الذى ذكرنا .

على أن طرفة لم يفته كذلك وصف مجالس الشراب ، التى كان القوم يقضون فيها أوقات فراغهم — اذا جاز التعبير — فوصف الندماء الذين كانت تضمهم تلك المجالس بالبياض وسماحة الوجوه كأنهم النجوم ، ووصف الجارية التى كانت تدور عليهم بالشراب ، فتعرض نفسها وترسل ثوبها وتهز أعطافها وتتبختر فى مشيتها . ثم وصف الجارية التى تغنيهم بثيابها القشبية ، وصدرها المكشوف ، وجسمها البض ، ونظراتها الفاترة ، وانطلاقها على سجيتهما فى الغناء ، دون أن تجد منه أى عناء . يقول (٢) :

وَذَالَتْ كَمَا ذَاكَ وَلِيدَةٌ مَجْلِسٍ	تَرَى رِيشَهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مَمْدٍ (٣)
نَدَامَاىَ بَيْضٍ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٍ	تَرْجُحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بَرْدٍ وَمَجْسَدٍ (٤)
رَحِيبٌ قَطَابُ الْجَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ	يَجَسُّ النَّدَامَى بَضَّةَ الْمُتَجَرَّدِ (٥)
إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا ابْرَتْ لَنَا	عَلَى رِشْلِهَا مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشْدَدْ (٦)

(١) تهذيب اللغة ٢٨/١ .

(٢) الديوان ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) ذالت أى ماست فى مشيتها وتبخترت ، والسحل الثوب الابيض والجمع سحل ، والممد المرسل فى الارض .

(٤) انظر شرحه فى هامش ص ٢٥٧ من هذا البحث .

(٥) قطاب الجيب هو مخرج الرأس من الثوب ، ورحابته اتساعه ، والبضضة البياض الناعمة الرقيقة ، والمتجرد هو ما سترته الثياب من الجسد .

(٦) ابرت لنا أى اخذت فيما طلبنا ، وعلى رسلها أى على مهلبها ورفقها ، والمطروفة الفاترة الطرف .

تلك هي الامور التي عن لطفه أن يصفها ، فأجاد في وصفها كما رأينا ،
مفصلا الحد يشفى بعضها كناقته ، ومختصرا الحديث في بعضها الاخر .
كخيل قومه ، ومشيرا الى بقية الامور اشارات مقتضبة ولكنها من قبيل الوصف
على أي حال . الى غير ذلك مما كان طرفه به في مصاف الشعراء الذين اجادوا
الوصف ، بل وبرزوا فيه

ولنا مع طرفه في وصفه لمجالس الشراب وقفة . فهي مثلث واضح
من مثاليه ، وواحد من أهم معانيه . فلقد كان يفخر دائما — كما سنرى —
بانه من كرام القوم وشجعانهم ، ومن معدود بينهم وخيرة فتياهم وفرسانهم .
ولكن مجالس الشراب التي كان يعشق تدحض ما يقول ، فهي تنقص من
المفاخر ، وتحقق على المآثر .

وأين المفاخر هي العقول التي تذهب بصحوتها الكفوس ، أم أين
المآثر في الجسوم التي تنخر فيها الشهوات نخر السوس .
ان المفاخر اى ورى والمآثر غير ذلك . فان كرام القوم لا يسفون الى هذه
المنازل ولا يشاركون في تلك المهازل .

الفخر

الفخر هو ذكر ما في النفوس من شمائل ، ونشر ما لهن من فضائل . وقد
فرضت الصحراء بشظفها وعرائها وترامى أطرافها — على العرب صفات خاصة ،
تعاذحوا بها وتفاخروا ، وتباهوا وتناحروا .

ومن تلك الصفات الكرم ، الذي فرضه الشظف الذي اتصفت به حياتهم ،
والجذب الذي تميزت به صحراؤهم • فواجهوا ذلك الشظف والجذب بالكرم
الذي التزموه وتوارثوه ، حتى صار سمة من سماتهم البارزة على مر الايام ،
ومأثرة من مآثرهم التي يفاخرون بها الانام •

ومنها الشجاعة ، التي فرضتها حياتهم في العراء ، لاحامى لهمم الا
شجاعتهم وسلاحهم ، ولا مانع لهم الا سيوفهم ورماحهم • قال ابن خلدون فى
مقدمته :

" فهم دائما يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب فى الطـــــرق ،
ويتجافون عن الهجوع الا غارا فى المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب • ويتوجسون
للنبآت والهيئات ويتفردون فى القفر والبيداء ، مدلين ببأسهم ، واثقين
بأنفسهم • قد صار لهم البأس خلقا ، والشجاعة سجية ، يرجعون اليها متى
دعاهم داع او استنفرهم صارخ " (١)

وبين هاتين الخليتين الكرم والشجاعة ، تنوعت مفاخر القوم وتعددت
مآثرهم • ومردُّ كل ذلك لهما ، فمنبعه منهما ، ومصبه فيهما •

وقد اقتصر الفخر عند بعض الشعراء على نوع واحد ، وهو الفخر بالنفس ،
ولكنه تشعب عند اكثرهم الى نوعين ، فخر بالنفس وفخر بالقبيلة • اما الصفات
التي كانوا يتمادحون بها ، فهي — بالتقريب — ذات الصفات • سواء أكان
الشاعر يختصم بها نفسه ، أم كان يعم بها قبيلته •

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٥ •

فهناك من ضروب الشجاعة ، ودروب الكرم ، ما يستطيعها الفرد بنفسه ، فتكون من صفاته الخاصة ، ومكارمه الشخصية . بيد أن هناك من تلك الضروب والدروب ما لا يطيقه الانسان بمفرده ، ولا بد لأدائه من قوم جميع ، فيكون ذلك من مكارم القبيلة كلها ، ومن مآثرها ومفاخرها بمجموعها * ولطرفة في ميدان الفخر بنفسه وقبيلته جياذ سابقة . فقد افتخر بنفسه حتى بز المفتخرين ، وافتخر بقبيلته فخلد مفاخرها ونشر مآثرها بين الآخرين . فأما فخره بنفسه فكثير متعدد الجوانب ، فهو فتى شجاع ، فارس مقدم ، يهب للنجدة ، ويجيب الصرخ ، وهو شديد على الأعداء لا يتوعد هم ولا يتهدد هم بل يجبههم بالموت مباشرة ، وكأنه يرى في التوعد خورا لا يليق بالرجال ، وفي التهديد جبنا لا يقبله الأبطال . يقول (١) :

وَإِنْ أَدْعَ لِلْجَلَىٰ أُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ أَجْهِدِ (٢)

وَإِنْ يَقْذِفُوا بِالْقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِمْ بِشَرْبِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدِيدِ (٣)

وهو فتى جرىء على الرجال ، شديد على الأبطال ، ذو أقدام مشهودة وأصل كريم ، لا يعرف الخور ولا الضعف ، وليس من صفاته الجبن أو الخوف ، ولذلك فانه لا يحسب لاحد حسابا ، سواء أكان هذا الاحد يلقاه بمفرده ، أو كان معه فئة ينصرونه . يقول : (٤)

فَلَوْ كُنْتُ وَغَلًّا فِي الرِّجَالِ لَضَرَبْتِي عِدَاوَةً ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ

(١) الديوان ص ٣٩ .

(٢) الجلى الامر العظيم ، والجهد المشقة والشدة .

(٣) القذع والقذع (كالقذف والقلم) الفحش والخنا ، والحياض جمع حوض وهو مثل على إيراده . أيا هم حياض المهالك .

(٤) الديوان ص ٤٦ ، ٤٧ وانظر شرح البيتين في هامش ص ١٥٤ من هذا البحث .

ولكن نفى على الرجال جرأتى وصبرى واقدامى عليهم ومحتدى
وهو فتى لا يسكت لذى شر على شره ، ولا يستكين لذى ضر على ضره ، بل
انه يجازيه ويعاقبه ، ويرعه ويؤدبه . . ويلقاه بنفسه فردا ان كان فردا ،
وبجماعته ان كان فى جماعته . ثم هو خبير بمواطن الطعن القاتلة ، لا تنثنى
يمينه عن ضريبة الا وقد نفذت اليها طعنته النجلاء ، وهو كذلك مولع
بضرب الرجال الاشداء ، والمترفين منهم على وجه الخصوص . يقول : (١)

وانا امرؤ أَلَوَى من القَصْرِ البَادِى وَأَغْشَى الدَّهْمَ بالدَّهْمِ
وَأُصِيبُ شَاكِلَةَ الرَّمِيَةِ إِذْ صَدَّتْ بِصَفْحَتِهَا عَنِ السَّهْمِ
وَأُجْرُ ذَا الْكَفَلِ الْقَنَاةَ عَلَى أَنْسَائِهِ فَيُظِلُّ يَسْتَدْمِى

ثم إنه - ايضا - رجل خفيف الروح لطيف الجسم ، غير مترمل ولا ثقيل ، وهو
كذلك متوقد ذكى ، كثير الحركة ، يقول : (٢)

انا الرجل الضربُ الذى تعرفونه خُشَّاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَةِ الْمُتَوَقِّدِ (٣)

وهو ايضا يقظ شديد الانتباه ، لا يغفل عن سلاحه طرفه عين ، اذ لا
يفعل ذلك فى تلك البيئة الا الغافل الجبان . ثم انه مدرب على استعمال
سيفه القاطع البتار ، الذى لا يفارق جنبه آناء الليل ، ولا أطراف النهار
(٤)
يقول :

-
- (١) الديوان ص ٩٥ ، ٩٦ وانظر شرح البيت الاول فى هامش ص ٣٠٠ من هذا
البحث وشرح البيتين الاخرين فى هامش ص ١٥٤
(٢) الديوان ص ٤٢ .
(٣) الضرب من الرجال الخفيف اللطيف ، والخشاش الماضى فى الامور الذكى
فى تصريفها .
(٤) الديوان ص ٤٢ ، ٤٣ وانظر شرح هذه الابيات فى هامش ص ١٥٣ من
هذا البحث .

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحَى بَطَانَةً لِعَضْبٍ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدٍ
أَخَى ثَقَّةٍ لَا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيَّةٍ إِذَا قَبِيلٌ مَهْلًا قَالَ حَاجِزَةٌ قُدْرٍ
حَسَامٌ إِذَا مَاقَمْتُ مُنْتَصِرًا بِهِ كَفَى الْعُودَ مِنْهُ الْبَدُءُ لَيْسَ بِمُعْضَدٍ
إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيعًا إِذَا بَلَّتُ بِقَائِمِهِ يَدِي

وهو باختصار - فى هذا الامر ، فتى القوم الذى لا يدعو صريخهم الا اياه ،
ولا يحتاج ملهوفهم الى سواه . يقول : (١)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خَلَّتْ أُنْيُ عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ

الى غير ذلك مما قاله طرفه ، مفتخرا بشجاعته فى القتال ، وشدته وصبره
وجراته عند ملاقاته القراء والابطال . حتى لقد اعتد بجودة قصيده وقوة
شعره ، فقولته كحد السيف على الناس ، وقعها كوقعه أو أبعد أثرا ،
وجرحها كجرحه أو أشد ألما . يقول : (٢)

وَتَصَدُّ عَنْكَ مَخِيلَةَ الرَّجُلِ الْعَرِيضِ مُوَضِّحَةٌ عَنِ الْعَظْمِ (٣)
بِحَسَامٍ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالسَّكْلُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلَمِ (٤)

أرأيتهم يصد طرفه عن نفسه زهو المتكبرين ، وخيلاء المختالين ، واعتراض
المعترضين . لقد كان يصد ذلك بواحدة من اثنتين ، اما بشجة من سيفه ،
تغوص الى عظم قرنه ، فتوضحه وتكشف عنه لحمه وتبدي بياضه ، وذلك

(١) الديوان ص ٢٧ وشرح البيت فى هامش ص ١٥٤ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ٩٦ .

(٣) المخيلة الخيلاء والتكبر والزهو ، والرجل الحريض الذى يعترض فيمما
لا يعنيه . والموضحة : الشجة تبدي عن وضوح العظم أى بياضه .

(٤) الاصيل من الكلام ، البليغ النافذ الذى له اصل وقوة ، ويريد الهجاء .
وأرغب الكلم أى أعق الجراح .

لشدتها ، واما بكلمة مقذعة من كلمات الهجاء ، فانها تبلغ في نكاية العدو ما تبلغ الطعنة النجلاء .

أما الكرم فقد بلغ فيه طرفة شأوا بعيدا ، وتندر الناس على مر الزمان بشعره فيه ، فقد درج وقومه على اطعام الناس وقت الشدة ، واطعامهم وقت الرخاء أولى . . يقول : (١)

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْإِدْبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وهذا من درجات الكرم العالية ، ان لم يكن أعلاها ، حين لا يخص الداعي الاغنياء من الناس ولا الأقرباء منهم ، ولكنه يعم بدعواه كل من له في الطعام مأرب ، ولنفسه اليه حاجة . ومتى يكون ذاك ؟ يكون في الشتاء وفي أيام البرد الشديد حيث تشتد حاجة القوم الى الطعام .

وطرفة لهذا الامر لا يستتر عن أعين الناس في مسكنه ، مخافة الطاعمين والاضيف وابن السبيل ، ولكنه يتعرض لهم فيرفد من يسترفده ، ويعيين من يستعينه ، يقول (٢) :

وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدُ الْقَوْمُ أَرْفِدُ (٣)
وأصدق الادلة على ذلك ما كان يفعله للحاضرين والحاضرين والضيفان (٤) ، وما كان يقدمه للطاعمين والجيران . فقد كان ينقض بسيفه على النجائب

(١) الديوان ص ٦٥ ، وشرحه في هامش ص ٤٧

(٢) الديوان ص ٢٨ وروايته (لبيتق اي لمبيت) .

(٣) التلاع مجارى الماء التي تصب في الاودية وهي تستر من نزل بها ، والرفد (بالكسر) العطاء والصلة ، ورفد من باب ضرب ، ورفده وأرفده اعانه ،

والاسم منهما الرفد (بالكسر) والمصدر الرفد بالفتح (اللسان رفد) .

(٤) الحاضر المقيم على الماء مع القوم ، والحاضر الذي يتحين طعام القوم =

من ابل أهله ، عقرا وجزرا ، فلا يفلت من عقره وجزره ناد ولا قريب (١) .
ولقد تعودت تلك الابل من طرفة ذلك الامر ، فصارت اذا لمحتة أيقنت
بالوجوب (٢) ، فاستبد بها الخوف وأمعنت في الهروب .

ويحاول عقلاء القوم رجعه عما يقصد ، وصدّه عما يريد ، بالنصح تارة ،
وبتحريض أهله عليه تارة أخرى ، ولكنه لا يستجيب . فيخلون بينه وبينها ،
ويتركونه وشأنه ، والنتيجة استمناع الطاعمين بوجبات هنية ، وأطعمة
شبهة . يقول (٣) :

نَوَادِيهِ أَمْشَى بَعْضُ مَجَرَّدٍ (٤)	وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَبِيلِ يَلْنُدُ (٥)	فَمَرَّتْ كَهَاءُ ذَاتٍ خِيفٍ جُلَالَةٍ
أَلَسْتُ تَرَى أَن قَدْ أَتَيْتَ بِمَوْئِدٍ (٦)	يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظَيْفُ وَسَاقُهَا
شَدِيدٍ عَلَيْكُمْ بَغْيَةٍ مَتَعَمَّرٍ	وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ لَشَارِبٍ

= ليحضره (اللسان حضرا) .
(١) نَدَّ البعير يَنْدُ (بالكسر) نفر وشرذ . والمصدر: نَدَّ (كشد) .
وندود (كهروب) ونديد كهويل ، ونداد كعناق . وناقدة ندود أى شرود
(اللسان ند) .

(٢) الوجوب الموت (اللسان وجب) .
(٣) انظر الديوان ص ٤٤ ، ٤٥ .
(٤) البرك الابل ، والهجود النيام ، ونواديه أوائله وما سبق منه ، والعضب
من السيوف القاطع ، والمجرد المسلول من غمده .
(٥) الكهاة الضخمة من النوق ، وكذلك الجلالة (بالضم) ، والخيف جلد
الضرع ، وناقدة خيفاء واسعة جلد الضرع كناية عن ضخامتها . وعقيلة
المال أفضله ، والوبيل العصا ، واليلندد الشديد الخصومة .
(٦) تَرَأَى طَنْ لَمَّا ضربه بالسيف ، والوظيف فى الرجل مابين الرسغ والساق
وفى اليد مابين الرسغ والذراع . والمؤيد الداهية الشديدة ذات الايد
أى القوة .

فَقَالَ ذَرُّوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَلَا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزِيدُ
فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِئْنَ حُورَاهَا وَيَسْحَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهُدِ (١)

وأما طرفة الرجال الجوال ، الذى كان لا يشق عليه سير فى غدو أو آصال .
طرفة الذى كان لا يرهب الرواح ولا السرى (٢) ، ولا يستثقل ضحوة أو تهجراً (٣) ،
طرفة الخبير بالطرق والمسالك ، يتبطنها وقتما يشاء فلا يخشى المهالك ،
ويجتاز الى من يحب المغاوز والقفار ، وهو عليهم بها فلا يضل ولا يحار .

طرفة المحب الجرى ، الذى لا يخشى فى حبه لوما ، الذى ينتقل بين
أقوام معشوقاته ، فلا يرهب منهم قوما ، طرفة الذى يحفظ لمعشوقته ودها
ويدوم على هواها ، ولكنه فى الوقت ذاته كريم أبى لا يقبل الضيم ، فإذا لسنته
لسنها وإذا قلته قلاها .

طرفة الذى تلك شئونه ، وهذه صفاته ، مرت بنا الامثلة التى تدل
على ذلك من اشعاره ، وذلك أثناء حديثنا عن غزله ووقوفه بالاطلال ،
بحيث لا تحتاج تلك الامثلة الى التكرار فى هذا المجال .

ولا يريد أن ننسى فى ختام حديثنا عن فخر طرفة بنفسه ، أمرا كان دائما
ما يعتز به ويحتد . حتى ترك ذلك الامر على شخصيته بصمات واضحة ،
وأثارا بينة . وطبع نفسه بانطباعات كان لها فى اقواله واعماله سمات بارزة ،

(١) يمتلئ أى يشوين فى الملة وهى الرماد الحار ، والحوار (بالضم والكسر)
ولد الناقة ، والسديف قطع السنام ، والمسرهـد السمين الحسن .
(٢) الرواح السير بالعشى والسرى السير آخر الليل (اللسان روح ، سرى) .
(٣) الضحوة السير ضحى والتهجير والتهجير والاهجار السير فى الهاجرة
(اللسان ضحى ، هجر) .

وعلامات لا تخفى . ذلك الامر هو شعوره بأصالة محتده ، وطيب أصله ،
وعلو منزلة فرعه بين فروع قبيلته . يقول (١) :

وَأَنَّ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ تَلَاقِي ^٢ إِلَى ذُرَّةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ الْمَصْدِ
ثم يقول (٢) :

وَلِيَ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مَثَلِهِ ^٤ يَصْلُحُ الْأَبْرَزُ زَرْعَ الْمُؤْتَمِرِ

ذلكم هو طرفة الفرد ، وتلكم هي مفاخره الشخصية ، ومكارمه الخاصة ،
فما هي مكارم قبيلته ؟ وما هي مفاخرها ؟

في حقيقة الامر تكاد الصفات التي يتفاخر بها الافراد — تكون هي ذات
الصفات التي تتفاخر بها القبائل ، مع ائتلاف تام في بعض الجوانب ، واختلاف
يسير في بعضها الاخر . فالكرم هو الكرم ، ولكن الذي يتكرم به الفرد على
بعض المحتاجين ، غير ما تتكرم به القبيلة على الناس الاخرين . والشجاعة
كذلك هي الشجاعة . ولكن شجاعة الفرد التي تتمثل في قوته الشخصية ،
وجرأته الذاتية ، غير شجاعة القبيلة التي تتمثل في التفاهة بعضها على بعض
في السراء والضراء ، وتكاتفها واجتماعها حين البأس ضد الاعداء ، وتعاضد
وصبرها عند اللقاة .

وتلك أمور لا تمنع أن تتمتع القبيلة بشجاعة أفرادها الخاصة ، وجرأتهم

(١) الديوان ص ٢٩ .

(٢) ذروة كل شيء أعلاه ، والمصمد المقصود . فالصمد القصد (وهو من باب
ضرب) فهو من أعلى بيت يصمد اليه الناس لعزه ويلجئون في حوائجهم اليه
لشرفه .

(٣) الديوان ص ٦٣ .

(٤) الابر المصلح ، والمؤتمر الذي يطلب ذلك ، واكثر ما يكون الابار في النخل
وقد استعاره .

الشخصية وكرمهم وجودهم وبذلهم وتضحيتهم . . فذلك مما يزيد القبيلة شجاعة
الى شجاعتها ، وكرما على كرمها . ولكن ، كم من جبان بشخصه يصبح شجاعا
بقومه ! وكم من بخيل فى ذاته يصبح جوادا بتشجيع أهله !

اما قوم طرفة فقد كانوا يتصفون — كما ذكر — بكرم المحتر ، ودوام السوءدد
والمجد الموهل ، كما كانوا يتصفون بالنجدة والصبر والشجاعة ، والكـرم
والمروءة والريانة ، والحلم وسماحة الخلق وسداد الرأى ، وغير ذلك .
يقول (١)

وتفرعنا من ابني وائل هامة العز وخرطوم الكرم (٢)
ويقول (٣) :

ورثوا السوءدد عن آبائهم ثم سادوا سوءدا غير زمير (٤)
فهم فى أعلى مراتب الشرف ، وأرفع منازل ، بل لقد امتطوا أعز مراتبهم
وأرفع منازل . أعزاء أقوياء كرماء ، يتوارثون المجد والسوءدد خلفاء عن
سلف .

ثم هم كذلك قوم ذوو شجاعة فى القتال ، وصبر فى النزال . يقول (٥)
وتشكى النفس ما صاب بها فاضبرى إنك مرقوم صبر (٦)

-
- (١) الديوان ص ١١١ .
(٢) تفرعنا أى علونا وركبنا ، والهامة الرأس والخرطوم الانف .
(٣) الديوان ص ٦٥ .
(٤) السوءدد السيادة ، والزم القليل .
(٥) الديوان ص ٦٢ ، ٦٤ .
(٦) تشكى أى تشتكى ، وصاب بها أى أصابها .

أُسْدُ غَابَ فَإِذَا مَا فَزَعُوا غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا هَوَجٌ مُذُرٌ (١)
 وَهُمْ مَا عَمُّ إِذَا مَا لَبَسُوا نَشَجَ دَاوُدَ لِبَاسٍ مُحْتَضَرٌ (٢)
 وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَأَسَا مُرَّةً وَعَلَا الْخَيْلُ دِمَاسًا كَالشَّقِيرِ (٣)

فهم قوم صبر لا يعرفون الفرار وقت الشدة ، وذلك عندما يتساقى القوم كئوس
 المنايا ، وتسيل الدماء حمراء قانية من تبادل الطعن ، فتكسو أجسام
 الخيول . ومن كانت تلك صفاته ، فهو لا يتأخر عن فزع ، ولا يتكاسل عن
 صرخ ، بل يهب هب الاسود في غاباتها ، وينقض انقضاضها على فرائسها
 في أجماتها .

على أن لقوم طرفة صفات في غاراتهم ، تتناثر من هولها جثث الابطال
 في ساحات النزال . يقول (٤)

دُلِقُ فِي غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ وَلَدَى الْبَاسِ حُمَاةٌ مَا نَفِرُ (٥)
 نُمْسِكُ الْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهِهَا حِينَ لَا يُمْسِكُهَا إِلَّا الصُّبْرُ (٦)
 دُلِقُ الْغَارَةَ فِي إِفْزَاعِهِمْ كِرْعَالِ الطَّيْرِ أُسْرَابًا تَمُرُ (٧)
 تَذُرُ الْأَبْطَالَ صَرَغَى بَيْنَهُمَا مَا يَنْبَى مِنْهُمْ كَمَى مُنْعَفِرُ (٨)

(١) فزعوا أى أغاثوا ، والا نكاس جمع نكس (بكسر ثم سكن) وهو الضعيف الدنى
 والهوج جمع أهوج وهو الاحمق ، والهذر جمع هذور (كجزور) وهو
 الكثير الكلام .

(٢) نسج داود أى الدروع . والباس المحتضر أى الحاضر .

(٣) مر شرحه فى هامش ص ١٤ من هذا البحث .

(٤) الديوان ص ٦٨ ، ٧١ .

(٥) دلِق جمع دلوق (كرؤف) وهو المتقدم المسرع الى الغارة ، والمسفوحه
 النازلة المصبوبة .

(٦) نهمر هامش ص من هذا البحث .

(٧) الرعال القطع والجماعات .

(٨) ما ينبى أى ما يزال ، والمنعفر المتصق بالتراب .

فهم يهربون الى الخارة ويتقدمون فيها ويسرعون اليها اسرابا وجماعات ، تترك
الابطال من الاعداء صرعى تتعفر وجوههم بالتراب • ومن كانت تلك صفاته
فهو لا يعرف فرارا من شدة ، ولا يولى دبره لعدو •

ثم انهم كذلك شجعان جميعا ، الشباب منهم والكهول ، ليس فيهم
جبان أو خامل أو كسول • يقول (١) :

بِشَبَابٍ وَكُهُولٍ نُهَدِّ ^{كَلِیوْثِ بَیْنِ عَرِیْشِ الْأَجَمِ} (٢)

فهم جميعا شيوخهم وشبابهم نهَّد متعاونون ، ينفدون لعدوهم اى ينهضون
لقتاله ، نهود الاسد فى أجماتها • قال العلم الشنتمرى : " وخص
ليوث الاجم ، لانها أشد اقداما وجرأة ، لحمايتها أجمها " (٣)

ثم انهم — فوق ذلك — قوم كرام جياذ ، يبلغ كرمهم وقت الشدة أعلاه ،
ويبلغ جودهم عندما يجوع الناس منتهاه • ويظهر ذلك فى زمن الشتاء خاصة ،
وقد كان فى أيامهم أشد الزمان ، حيث يصيب الناس من الجهد والحاجة
للطعام الشيء الكثير ، وحتى يصبح ربح الشواء بين الجياع بمنزلة ربح العود •
وفى هذا الجوالذى ترى ، يعم قوم طرفة بدعوتهم الى الطعام ، ولا يخصون بها
أحدا دون آخر •

وهم يقدمون طعامهم فى جفان واسعة ، يصدر منها القوم ويشبعون
ولا يقدمونه فى آوانى صغيرة لاتسمن ولا تغنى من جوع • ثم هم يذبحون كل

(١) الديوان ص ١١٤ •

(٢) العريسة موضع الاسد من الجمعة •

(٣) انظر الديوان ص ١١٤ •

يوم للناس ، ولا يدخرون من ذبائحهم شيئاً لغد ، فيفسد وتتغير رائحته وطعمه ، فليس ذلك من عاداتهم بل انه من عادات البخلاء أو القليين .
يقول (١) :

نحنُ في المشتاة ندعو الجفلى	لا ترى الآدب فينا ينتقِرُ (٢)
حين قال الناسُ في مجلسهم	أقتارُ ذاك أم ربحُ قُطِرُ (٣)
بجفان تعترى نادينا	من سديفٍ حين هاج الصَّهْرُ (٤)
كالجوابى لا تنى مترعة	لقرى الاضياف أو للمحتَضِرِ (٥)
ثم لا يخزنُ فينا لحمها	إنما يخزنُ لحم المدَّخِرِ (٦)

ويكرر طريقة تلك المعانى ويشدد عليها ، وكأنه يريد أن ترسخ مكارم قومه فى الأذهان ، من كثرة ما يطرق بذكرها الأذان . على أنه اذا كررها لا يقتصر على ما ذكره منها بل يزيد فيها .

فهم الى جانب ذبحهم للضيافان والحيران ، أيام الشتاء حين يشتد الزمان ، متكاتفون ، متعاونون ، متكافلون . لا يلجأ اليهم محروب الا جبروه ، ولا يصمد اليهم مسلوب الا عوضوه . يقول (٧) :

-
- (١) الديوان ص ٦٥ ، ٦٦ .
 (٢) انظر شرحه فى هامش ص ٤٧ من هذا البحث .
 (٣) القنار : رائحة اللحم المشوى ، والقطر الحود الذى يتخرجه .
 (٤) انظر شرحه فى هامش ص ٣٤٤ من هذا البحث .
 (٥) انظر المصدر السابق .
 (٦) خزن اللحم يخزن اذا تغيرت رائحته ، ومثله خنز (وهما من بابى نصر ، وسمع) .
 (٧) الديوان ص ١١٠ .

يَجْبِرُ الْمَحْرُوبُ فِينَا مَا لَمْ يَكُنْ
بَيْنَاءٍ وَسَوَامٍ وَخَسَدَمٍ (١)
نُقِلَ لِلشَّحْمِ فِي مَشْتَاتِنَا
نُحْرٌ لِلنَّيِّبِ طَوَادُوا الْقَسْرَمِ (٢)

ومن شمائلهم العالية الكريمة ايضا انهم لا يتشددون في مطالبة المدين المعسر ،
ولكنهم ينظرونه الى ان يوسر . وهذا بلا شك ، خلق الكرام من الناس .
يقول : (٣)

لَا يُلْحُونَ عَلَى غَارِمِهِمْ
وَعَلَى الْإِسَارِ تَيْسِيرُ الْحَسِيرِ

ولهم خلاف ذلك من المزايا ما يستحقون عليه المدح ، أما أخلاقهم فسمحية ،
وأما رأيهم فسديد ، وأما أحلامهم فريضة ، وأما هم بشكل عام فأناس موزونون ،
لا تستخفهم النعمة ولا تبطرهم ، ولا تكبئهم الشدة ولا تقهرهم . يأمرهم دائما
بالخير ويفعلونه ، ويترفعون عن جهل جارهم ويسامحونه . كما أنهم متسامحون
فيما بينهم ، لا يتعالون أو يتفاخرون على بعضهم . يقول (٤) :

إِنْ هَذَا دِفٌّ مِنْفَسًا لَا تَلْقُنَا
فَرَحَ الْخَيْرِ وَلَا نَكْبُو لِضُرِّهِ (٥)
ثُمَّ زَادُوا أَنْهُمْ فِي قَوْمِهِمْ
غَفْرَ ذَنبِهِمْ غَيْرَ فُخْرٍ
وَلَقَدْ تَعَلَّمُ بَكْرُ أَنْتَا
آفَةُ الْجَزْرِ مَسَامِيحُ يُسْرُ
وَلَقَدْ تَعَلَّمُ بَكْرُ أَنْتَا
فَاضِلُوا الرَّأْيِ وَفِي الرَّوْعِ وَقُرُ
فَضْلُ أَحْلَامِهِمْ عَنْ جَارِمِهِمْ
رُحْبُ الْأَذْرُعِ بِالْخَيْرِ أُمْرُ

بل لقد بالغ طرفه في نقل كرم أخلاق قومه ، ووصف رزاة أحلامهم ، حتى جعلهم

-
- (١) المحروب من أخذ ماله بحرب أو سواها . والسوام الابل السائمة في المرعى .
(٢) اللبيب جمع ناب وهي المسنة من الابل ، والقرم شهوة اللحم .
(٣) الديوان ص ٧٢ .
(٤) الديوان ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ .
(٥) المنفس والنفيس الشئ المعجب المتنافس فيه ويريد به المال والغنى .

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ، فقد رأيناهم في الآيات السابقة
 وهم بالخير أمر ، ثم انظر اليهم وهم يكفون الجاهل من جلسائهم عن جهله ،
 وينهون السفیه عن سفیهه ، حتى ليشبه مجلسهم حرم البيت الحرام ، — من
 حيث كونه لا يتكلم فيه بفحش ، ولا يراد بأذى ، ولا يرفث فيه ولا يفسق . يقول :
 نَزَعَ الْجَاهِلُ فِي مَجْلِسِنَا فَتَرَى الْمَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ

===

أولئك هم قوم طرفة ، كما أحب طرفة أن يصفهم وكما أراد أن يفخر بهم .
 فهم قوم متكاملو الأوصاف ، طيبو الأصل ، كريمو الأخلاق . أما شجاعتهم
 وكرمهم فلا يحد هما حد ، وأما ماثرهم ومفاخرهم فلا يحصيها العد .

ولذلك فقد حق لهم أن يجروا أزرهم من الخيلاء ، وان يتنوع طيبهم في
 مختلف الأنحاء . يقول : (٢)

ثُمَّ رَاحُوا عِقَّ الْمِسْكِ بِهِمْ يَلْحِفُونَ الْأَرْضَ عِدَابَ الْأَزْرِ (٣)
 على أن طرفة قد كبا في فخره بقومه ، كبوة الجواد . حين سقط فيما أخذ
 عليه ، يقول : (٤)

فَإِذَا مَا شَرِبُوهُمَا وَانْتَشَرُوا وَهَبُوا كُلَّ أَمْرٍ وَطَمِرُوا (٥)

فجعلهم هنا لا يهبون نجائب الابل وكرام الخيل ، ويجودون بها على من

(١) الديوان ص ١١١ .

(٢) الديوان ص ٦٥ .

(٣) عيق المسك رائحة المسك ، .

(٤) الديوان ص ٦٥ .

(٥) الامون من الابل الموثقة الخلق — والطمر من لخير الطويل المشرف النشيط .

يحتاجها ، الا اذا ادارت الخمر رؤسهم ، ولعبت بعقولهم ، وذمبت بوعبيهم .
 قال المرزبانى فى الموشح : " قد عاب الناس قول طرفة هذا (١) ، فهم
 " انما يهبون عند الآفة التى تدخل على عقولهم " . (٢) ثم ذكر المرزبانى
 أن الناس قد فضلوا على قول طرفة هذا قول عنتره : (٣)

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنَّى مُسْتَهْلِكُكَ مَالِى وَعَرَضِى وَأَفْرِ لَمْ يَكْلَمْ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شَمَائِلِى وَتَكْرَمِى

ولكنها من طرفة كبوة الجواد وحسب ، فلقد ذكر لقومه من لمفاخر والمكارم
 والآثر ، وسرد لهم من الطبائع والشمائل والفضائل ، ما خلد ذكرهم على مر
 الايام ، وأعلى قدرهم بين الانام ، وجعل الناس ينظرون اليهم باعجاب واكبار
 واحترام .

(١) الموشح — بتحقيق البجاوى — ص ٧٨ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصحيفة .

(٣) انظر الموشح — بتحقيق البجاوى — ص ٧٨ والبيتان فى ديوان عنتره .

الهجاء

الهجاء من الفنون الشعرية العريقة في أدبنا العربي منذ القديم ، فكما كان الشعراء يتباهون بمآثر قومهم ومكارمهم ، وينشرون بالفخر — على الناس — محامد هم ومناقبهم ، كانوا كذلك يعيرون أعداءهم بنقائصهم ومخازيهم ، ويبينون بالهجاء للناس سقطاتهم ومثالبهم .

ولقد كان الامراء والزعماء وذوو السلطان ، يشترى أعراسهم بالإلحاح على الشعراء ، خشية الوقوع تحت ألسنتهم السليطة ، والتعرض لهجائهم المقذع .

ولقد كان لطرفة بن العبد في الهجاء — كما كان له في الغزل والوصف والفخر — باع طويل . بل ان هجاءه هو الذي قضى عليه كما رأينا . فقد كان سليط اللسان جريئاً على هجاء من يعاديه ، لا يحسب حساباً لاحد ، ولا يقف في هجائه عند حد . يتناول الصفات الخلقية فيحط منها ، ويتهمها ويشهر بها ، ويتناول السمات الخلقية ، فيسخر منها ويهزأ بها ويضحك الناس عليها ، وليته كان يقف عند حد الطعن في الاخلاق ونفى المكارم ، بل تعدى ذلك إلى شتم الاعراض والنيل من المحارم .

ولقد كان من سوء طالع عمرو بن هند وأخيه قابوس ، أن وقعا تحت لسان طرفة ، يقول : (١)

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوشًا حَوْلَ قَبْتِنَا تَخُورُ (٢)

(١) الديوان ص ١٠١ .

(٢) انظر شرحه في هامش ص ١٦٢ من هذا البحث .

من الزميرات أسبل قادمها
وضرتها مكنسة درور (١)
يشاركنا لنا رخلان فيها
وتعلوها الكباش فما تنور (٢)
لعمرك إن قابوس بن هند
ليخلط ملكه نوك كثير (٣)

أرأيت كيف يفضل طرفة على عمرو بن هند ، نعجة مرضعا غزيرة الالبان ؟ فهي
عنده أكثر فائدة . اذ تغذوهم باللبن من ضرثها المدرار ، وترفه عن كباشهم ،
وتمد هم بالغنم الصغار .

الى هذا الحد ينزل طرفة بقيمة عمرو بن هند ، وليس في الحيرة يومئذ
أشرس منه ولا أخبث ، حتى سمي " مضط الحجارة " لخبثه (٤) ، ولكن
طرفة قال فيه ذلك غير عابئ بالنتائج ، وذلك لما كان يذهب اليه في حكمه
من الجور والظلم والانحراف الشديد ، ولما كان يؤخذ عليه من لا يشغال عن
مصالح الناس ، وعدم الاهتمام بها ، لا من قريب ولا من بعيد . ولما كان يتصف
به اخوه قابوس بن هند — كذلك — من الحمق في تصريف الامور ، والسفاهة
في معالجتها ، فضلا عن سلوكه المعوج ، وأخلاقه المتدنية ، وقد رأينا
جانبا من هذا الهجاء ، عند حديثنا عن علاقة طرفة ببلاط الحيرة مما لا ضرورة
لاعادة القول فيه مرة أخرى هنا .

(١) انظر شرحه في هامش ص ١٦٣ من هذا البحث .

(٢) الرخل (كالكتف) ، الانثى من ولد الضأن والجمع رخال ، والذكر حمل
(انظر معجم مقاييس اللغة ٥٠٠/٢ - رخل) ، ونارت تنور نورا اي نفرت .
وامرأة نوار اي عفيفة تنفر من القبيح ، والجمع نور . ويقال في المصدر ايضا
نوار بالفتح ، والاسم بالكسر (انظر معجم مقاييس اللغة ٢٦٨/٥ - نور) .
(٣) النوك (كالبوب) ، والنوك (كالشوك) : الحمق والجهل والسفه ، ورجل
أنوك ومستنوك (كاحق ومستلقى) وقوم نوكي ونوك (كهلكي ونوك) . (انظر
معجم مقاييس اللغة ٣٧٢/٥ - نوك) .

(٤) انظر الديوان ص ١٠١ .

على أن الذي نود أن نذكره في هذا المجال ، هو أن طرفة قد أقذع
لعمر بن هند في الهجاء ، وأفحش له في القول ، ورماه بأقبح الصفات
واحط الخلال . حتى لقد شبهه كما سبق أن ذكرنا بالمرأة الفاجرة ، التي
لا هم لها الا الانحراف والاجرام ، والعكوف على الحرام ، وارتكاب الفواحش
ومقارفة الآثام ، يقول : (١) " مَلِكُ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلُ مُؤَمِّسَةٌ " .

هذا وقد رأينا كذلك فيما مضى — جانبا من هجاء طرفة لابن عمه عبد عمرو
ابن بشر بن مرشد ، أحد ندماء عمرو بن هند المشاريين ، واحد اصدقائه
الحميمين . ومن ذلك قوله : (٢)

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غِنًى وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا — إِذَا قَامَ — أَهْضَمًا

فهو رجل يتمتع بكثير من صفات النساء ، فهو مترف غنى ناعم كمثلهن ، أهضم
الخصر ، ضامر البطن كواحدة منهن . . .

ولقد كانت مثل هذه الكلمات تقع على المهجو وقع الصاعقة ، فهي شديدة
لاذعة ، رغم خلوها من الالفاظ المقدعة .

وكما غير طرفة ابن عمه بسماته الخلقية ، عبره ايضا بصفاته الخلقية ،
فقد وشى به الى عمرو بن هند ، وأذاع سره عنده ، فأحققه عليه وأثاره
ضده . وليس هذا بفعل كريم ، ولا بخلق قويم . يقول : (٣)

أَلَا أَبْلَغَا عَبْدَ الضَّلَالِ رِسَالَةً . وَقَدْ يُبْلَغُ الْأَنْبَاءَ عَنْكَ رَسُولٌ

(١) انظر في ذلك بحثنا هذا ص ١٦٧

(٢) الديوان ص ٩٩

(٣) الديوان ص ٨٢ .

دَبَّيْتُ بِسَرِّي بَعْدَ مَا قَدْ عَلِمْتُهُ وَأَنْتَ بِأَسْرَارِ الْكَرَامِ نَسْوِلُ (١)

ثم عبره بيخله بين الاقارب ، وشدته عليهم وسوء معاملته لهم ، وهو في ذات الوقت يكرم على الاباعد ، ويتسامح معهم ، ويحسن معاملتهم . يقول : (٢)
فَأَنْتَ عَلَى الْأُذُنَى شَمَالٌ عَرِيَّةٌ شَامِيَةٌ تَزُورِي الْوُجُوهُ بَلِيلٌ
وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَاً غَيْرُ قَرَّةٍ تَذَايَبُ مِنْهَا مُرْزَغٌ وَمُسِيْلٌ
وهذه الاخلاق ليست من اخلاق قوم طرفة التي مدحهم بها ، أن يحسنوا الى
الغريب ، ويسيثوا الى القريب ، ولكن اخلاقهم أن يحسنوا اليهما كليهما .
فهم مع الغريب :

وَرَحْبُ الْأُذُنِ بِالْخَيْرِ أَمْرٌ (٣)

فُضِّلَ أَحْلَامُهُمْ عَنْ جَارِهِمْ (٤)

نِعَمَ السَّاعُونَ فِي الْقَوْمِ الشُّطْرُ (٥)

الى غير ذلك مما خلعه عليهم من كريم الخلال . وهم مع القريب :

لَا يُلْحُونَ عَلَى غَارِمِهِمْ (٦)

غَفَرَ ذُنُوبَهُمْ غَيْرَ فَخْصٍ (٧)

يَكْشِفُونَ الضَّرَّ عَنْ ذِي ضَرَمٍ (٨)

(١) النسول السريع .

(٢) الديوان ص ٨٣ ، وانظر شرحهما في هامش ص ٩ من هذا البحث .

(٣) الديوان ص ٦٨ .

(٤) نفس المصدر ص ٦٨ .

(٥) الديوان ص ٧٢ والشطر البعداء من الناس والغرباء .

(٦) الديوان ص ٧٢ .

(٧) نفس المصدر ص ٦٤ .

(٨) نفس المصدر ص ٦٧ .

أما ما يفعله عبد عمرو بن بشر ، من الاحسان للاباعد ، والاساءة للاقارب ،
فليس من شيم القوم ، ولذلك فقد اسقطه طريقة من حساب القبيلة بشكل عام ،
وجعله ذليلا كالفقح في القيعان ، يوطأ بالحوافر والأقدام . يقول (١)

فَأَصْبَحَتْ فَقْعًا نَابِتًا بِقَرَارَةٍ تَصُوحُ عَنْهُ وَالذَّلِيلُ ذَلِيلٌ (٢)

هذا وقد استنفد عمرو بن مدد ، وعبد عمرو بن بشر بن مرثد ، مما قال طرفة
في الهجاء - أكثره ، وأشهره ، وأقذعه وأشدّه وأفحشه . وكان ذلك
لموقفهما منه ، وتصرفهما معه ، وإذا هما الذي ناله . ولذلك فقد جادت
قريحته فيهما بما رأينا .

أما خصوم قبيلة طرفة وأعداؤها ، فإن لطرفة معهم أيضا جولات من الهجاء .
يقول (٣) :

أَنْتُمْ نَخْلٌ نَطِيفٌ بِهِمْ فَإِذَا مَا جَزَ نَصْطَرْمُوهُ (٤)
وَعَذَارِكُمْ مَقْلَصَةٌ فِي دُعَاغٍ النَّخْلُ تَجْتَرِمُوهُ (٥)

فهم من للضعف والضعفة بحيث لا يملكون حماية أنفسهم ، ولا يستطيعون الذب
عن محارمهم . ثم خص عذاريتهم بذلك ، لأنهن أحق محارم القوم بالحماية

(١) الديوان ص ٨٣ .

(٢) الفقح (كالسهم) لا ضرب من الكمأة وبه يشبه الرجل الذليل فيقال : " هو
أذل من فقح بقاع " (معجم مقاييس اللغة ٤ / ٤٤٥ - فقح) ، والقرارة
ما اطمأن من الأرض ، وتصوح عنه أي تشقق الأرض عنه .

(٣) الديوان ص ٢٧ .

(٤) نطيف به أيهم به وتتعاذه ، وجزآن جزء أي صرامه .

(٥) العذارى البكار ، والمقلصة المشمرة ، والدعاع نبت سوء يأكلونه ، وتجرمه
تقطع .

والستر ، فاذا من من فغير من أهون .

ثم يعيرهم طرفة في موقف آخر بما جرى لهم ، ويتوعد هم بمثله ، ويتهدد هم بكلمات الهجاء اللاذعة الذائعة من ناحية ، وجافل الابطال المتتابععة الرادعة من ناحية أخرى ، وذلك ان هم أثاروا حربا أو أبدوا شحنا أو بغضا .
يقول : (١)

إِنْ تُعِيدُوا مَا نُعِيدُ لَكُمْ مِنْ هِجَاءٍ سَائِيٍّ كَلِمَةٍ
وَقِتَالٍ لَا يُغْنِيْكُمْ فِي جَمِيعِ جَحْفَلٍ لَهُمْ (٢)

وفي موقف آخر من مواقف طرفة في الهجاء ، يقع تحت لسانه بنو المنذر ابن عمرو . توقعهم حظوظهم العاثرات ، فيصفهم طرفة بأخس الصفات ويرميهم بأحط السمات . ومن ذلك بخلهم وشحهم الشديدان ، فهم لا يعطون شيئا يذكر في الملمات ، ولا يقرون الضيفان ولا يغيثون ذوي الحاجات . وليس ذلك لقلق فيهم ، فهم كثير ، وليس ذلك ايضا لفقر فيهم ، فان ذلك دأبهم وتلك صفاتهم ، حتى وان ملأت سوامهم المراعى . يقول (٣) :

مِنْ الشَّرِّ وَالتَّبْرِيحِ أَوْلَادُ مَعْشَرٍ كَثِيرٍ وَلَا يُعْطُونَ فِي حَادِثٍ بَكَرٍ (٤)
هُمْ حَرْمَلٌ أَعْيَا عَلَى كُلِّ آكِلٍ هُبِيرًا ، وَلَوْ أَمْسَى سَوَامُهُمْ دُرًّا (٥)

انهم في شدة بخلهم وعمق شحهم وانعدام الامل في معروفهم كالحرمل ، وهو

(١) الديوان ص ٧٩ .

(٢) يغيبكم من الغيب (بالكسر) وأصله أن ترد الابل يوما وتترك يوما ، وغيب وأعرب بمعنى . والجميع الجيش المجتمع ، والجحفل العظيم . ولهم أي التهامه . فهو جيش يلتهم كل شيء ويذهب به ويبتلعه ابتلاعا .

(٣) الديوان ص ١١٦ .

(٤) التبريح الجهد والمشقة ، والبكر الفتي من الابل - وليس الضخم العظيم .
(٥) البير المهلك ، والدثر الكثير الذي لا يحصى لكثرته .

ذلك النبات المر الذي لا يطيق آكل أكله والا هلك .

ثم يذم بطريقة بهم الى أسوأ من ذلك ، حين يجعلهم كالارض الوعرة
المجدبة ، التي تدمى بوعورتها أخفاف الابل الضخام ، وكأنه يقول ان هؤلاء
القوم لا ينزل بهم نازل الا ناله اذا هم وطاله اعتداؤهم ، ولا يرجوهم ذوو
الحاجات الا خاب فيهم رجاءهم . يقول : (١)

جماد بها البسباس ترعص معزما

بنات اللبون والسلاقمسة الحمرا (٢)

ثم يصفهم طريقة بصفات مضحكة ومخجلة (٣) ، ليس لذكرها ضرورة ، فان فيما
ذكرناه غناء .

ولعل ما قاله طريقة لأعمامه حين ظلموا أمه حقها ، ولم يقسموا لها من
تركة أبيه ، يدخل في هذا المجال ، فقد حقرهم وصغر من شأنهم ، وتوعدهم
وتهددهم وأنذرهم وعرض بهم . يقول (٤) :

ما تنظرون بحق وردة فيكم	صغر البنون ورعط وردة غيب
قد يبعث الامر العظيم صغيره	حتى تظل له الدماء تصيب
أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم	إن الكريم إذا يحرب يغضب

(١) الديوان ص ١١٦ .

(٢) البسباس نبت لا غناء فيه ينبت في وعر الارض وخشيتها . والرمص (بالفتح)
أن يصيب حجر حافرا أو منسما فيد فيه . والمعز جمع أمعز ومعزاء (كأفعل
وفعلاء) ، وهو الحزن الحليظ الصلب ذو الحصى من الارض .
والسلاقمسة العظام من الابل .

(٣) انظر الديوان ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٤) الديوان ص ١٠٧ ، ١٠٨ وانظر شرح الابيات في هامش ص ١٣٩ من
هذا البحث .

فهو يحط من قدرهم حين يذكر انهم استضعفوا امرأة رعتها غائبون ،
وابناؤها صغار ، ثم ينذرهم بما قد يلحق بهم اذا لم يوءدوا من الحقسوق
ماسلبوه ، وفي هذه القطعة يضرب طرفة لاعمامه من الحكم والا مثال ما يعضد
به تهديده ووعيده . وهو ما سنعرض له في حينه ان شاء الله تعالى .

هذا هو الهجاء عند طرفة ، سرد لمطالب المهجوين وتصغير لشأنهم ،
وحط من أقدارهم ، وتهجين لرائهم ، وكفر للحسن من فعالهم ، واذااعة
للسىء من أخلاقهم . وغير ذلك . وقد يذهب الى أبعد من ذلك فيثلب
الاعراض ويقدر في الطباع . بالفاظ فاحشة بذيقة ، وممان أشد فحشا
وبذاءة .

ولذلك فقد وضعه الرواة بين كبار الشعراء الهجائيين ، كما فعل
ابو عبيدة فيما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين . (١) بل لقد عده ابو عبيدة
من اولئك الشعراء " الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا
من قدر من مدحوا ، وهجاءهم قوم فردوا عليهم فأحموهم ، وسكت عنهم
بعض من (هجوه) (٢) ، مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاءهم ،
رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم " (٣)

واذا كان طرفة في الهجاء كما ذكر ابو عبيدة ، فانه في المدح لم يكن
كذلك ، وأشهر ما عرف له من المديح بضعة أبيات قالها في قتادة بن مسلمة
الحنفى ، وكان قوم طرفة قد اجدبوا فأتوا قتادة فبذل لهم (٤) . فبعثت

(١) انظر البيان والتبيين ٨٣/٤ .

(٢) الرواية (هجاءهم) ولا يلائم المقام .

(٣) انظر البيان والتبيين ٨٣/٤ .

(٤) انظر تقديم الاعلام الشنتمرى للقصيدة رقم (٧) بالديوان ص ٩٥ .

اليه طرفه يشكره على ذلك ، ويدعو لبلاده بدوام الرخاء . يقول (١) :

أبلغ قتادة غير سائله منه الثواب وعاجل الشكر
أبى حديدك للعشيرة إذ جاءت إليك مرقعة العظم
ألقوا اليك بكل أرملية شعناء تحمل منقع البرم (٢)
ففتحت بابك للمكارم حين تَوَاصَّتْ الأبوابُ بالأزم
فسقى بلادك غير مفسدٍ لها صوب الربيع وديممة تهمل

وهذه الابيات الى الفخر بالقبيلة أقرب منها الى المدح ، وذلك أن قتادة بن مسleme المذكور ، من بنى حديفة ، وبنو حديفة من ربيعة قوم طرفة . واذن فإن بين الرجلين آصرة من النسب ، ورابطة من القرى . فاذا مدح طرفة فعالمه ، فكأنما يفتخر بها افتخاره بمكارم القبيلة .

أضف الى ذلك أن الابيات لا يحملن خصائص المدح المعروفة بين الشعراء المداحين ، كالتزيد من الصفات الحقيقية ، والتماس الصفات الكاذبة ، لرفع اقدار الممدوحين . اما طرفة فانه يخاطب ابن عمه هذا بقوله : لقد شكرتك بين أهلنا على صنيعك بهم ، حين جاءوك مجهودين قد رقت من الجسد عظامهم ، وهزلت من الشظف نساؤهم . فرقت بهم وأحسنتم اليهم ، وفتحت أبوابك لاستقبالهم واستضافتهم واکرامهم . فى حين قد عجز غيرك عن مثل ما صنعت ، وقصر عن مثل ما قدمت . بل لقد اقل عليه أبوابه ، إما جديباً وإما بخلاً .

(١) الديوان ص ٩٧ وانظر شرح الابيات — عدا الثالث منها — فى هامش ص ٤٧ من هذا البحث .

(٢) الشعناء المتغيرة من الهزال ، وسوء الحال . والبرم جمع برمة وهى ما ينقع فيها أنكاث الأخبية ، من الأواني الحجرية .

ثم دعا طرفة لمدوحه بما يدعو به الصديق لصديقه • دعا له بأن تغاث
ببلاده ويدوم خيرا ولم نره يتذلل اليه ، أو يلقي من الصفات الكاذبة عليه •

ومثل هذا المدح أيضا يظهر من طرفة لبنى جده سعد بن مالك ، يقول (١) :

رَأَيْتُ سَعْدًا مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ
أَبْرَأَ وَأَوْفَى ذِمَّةً يَعْقِدُ وَبِهَا وَخَيْرًا إِذَا سَاوَى الذُّرَا بِالْحَوَارِكِ (٢)
وَأُنْعَى إِلَى مَجْدٍ تَلِيدٍ وَسُورَةٍ تَكُونُ تَرَاثًا عِنْدَ حَيٍّ لِهَالِكِ (٣)

أرأيت كيف أن طرفة في هذا الموقف أيضا — يجعل عالي الفضائل وكريم
الشمائل ، لا تخرج من قبيلته ولا تتعداهم ؟ ثم أرأيت كيف أنه لا يختص بمدحه
أحدا سواهم ؟ انه لم يربصره أو يبصيرته أحدا من الناس أصدق ولا آمن
ولا أشجع ولا أكرم ولا أسرع الى المجد من بنى سعد بن مالك ، وهم عشيرته
الأقربون • لقد كانوا اذا أقسموا على أمرٍ بربو بقسمهم وأنفذوه ، واذا أعطوا
عهدا وفوا به وحفظوه •

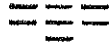
كما كانوا أكثر الناس خيرا وأوسعهم كرما ، وخاصة اذا اشتد الزمان وتوالى
الجدب ، واشتد الشظف وعم المحل ، حتى تذوب من تلك الشدائد أسنمة
الابل من الهزال • كما كانوا أسرع الناس الى اكتساب الحمد ، وتسلم ذرا
المجد ، ينعمون بهازما لهم ثم يورثونها لمن يمدحهم من الاجيال •
ان هذا ليس من المدح فى شىء ، ولكنه فخر بالقبيلة ، وسرد لمكارمها

(١) الديوان ص ٨٨ •

(٢) الذرا الأسنمة ، والحوارك جمع حارك وهو مقدمة السنام •

(٣) السورة المنزلة من الشرف •

ونشر لمآثرها • وان كان قد جاء في صورة المدح كما نرى •
 وخلاصة الامر أن طرفة كان شاعرا هجاء مقذع الهجاء ، يتبوا في هجائه
 أرفع المنازل بين بقية الشعراء • ولكنه لم يكن في المدح كذلك ، فقد كانت
 له نفس مجبولة على العزة والانفة والتعالى والطموح ، فأنت من المدح أنفة
 النجيب ، وندت عنه نداء الجموح •



الأمثال والحكم

المثل هو القول المختصر ، الذى يتندربه الناس ، لانه يحمل لفظاً موجزاً ، ومعنى عميقاً ، ويصلح لمواقف متعددة تكون كالموقف الذى قيل فيه أول الأمر ، وذلك لانه — كما ذكر ابن فارس فى مقاييس اللغة — " يذكر مورى به عن مثله فى المعنى " (١) .

والامثال وليدة حوادث الايام المليئة بالعجائب ، ونتاج مايجرى للناس عبر حياتهم من التجارب . ولقد أغرم الجاهليون بضربها ، سواء منهم الشعراء وغير الشعراء ، يعبرون بها عن أمر من الامور التى عنت لهم ، او حدثان من الحوادث التى جابهتهم ، ثم تشيع تلك الامثال فى الناس ، وتصبح ملكاً لهم .

وغرام العرب فى الجاهلية بالامثال ، ظاهر من انتشار ضربها فى أقوالهم ، وكثرة استخدامها فى أحاديثهم ، حتى خصص لها العلماء والباحثون الكتب والمؤلفات ، يجمعونها ويستقصونها ، ويحسونها ويدونونها ، ويصنفونها ويشرحونها ويعلقون عليها .

ومن ذلك ما فعله الضبى (٢) فى كتابه (أمثال العرب) ، وأبو فيس السدوسى (٣) فى كتابه (الأمثال) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام (٤) ، فى كتابه (الأمثال) كذلك ، وأبو عكرمة الهبى (٥) ايضا فى كتابه (الأمثال) ،

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٩٦/٥ — مثل) .

(٢) توفى المفضل الضبى سنة ١٢٨ هـ .

(٣) توفى أبو فيد مؤرخ بن عمر السدوسى سنة ١٩٨ هـ .

(٤) توفى أبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٤٤ هـ .

(٥) توفى أبو عكرمة الهبى سنة ٢٥٠ هـ .

(١) وحفزه بن الحسن الاصبهاني ، في كتابه (الدرر الفاخرة ، في الامثال السائرة) ،
 وأبو هلال العسكري (٢) في كتابه (جمهرة الامثال) ، وأبو عبيد البكري (٣)
 في كتابه (فصل المقال) ، وأبو الفضل الميداني (٤) في كتابه (مجمع الامثال) ،
 وجار الله الزمخشري (٥) في كتابه (المستقصى في أمثال العرب) ، وغير اولئك
 من العلماء .

ومن هذه الامثال قول طرفة الذي مر بنا - " استنوق الجمل " ، فقد
 قاله في حدثان بعينه ، وذلك حين كان يستمع لاحد الشعراء ينشد شعرا في
 وصف جمل ، ثم حوله الى نعت ناقة . فقال طرفة " استنوق الجمل " فذهبت
 مثلا . قال أبو عبيد البكري في كتابه فصل المقال : " ومن أمثالهم : قد
 استنوق الجمل . وهو الرجل يكون في حديث ثم يخلط ذلك بغيره . وينتقل
 اليه . وهو لطرفة " (٦) ، ثم قال : " وقد يقال ذلك للرجل يظن ان عنده
 غناء من شجاعة وجلد ثم يكون الامر على خلاف ذلك " (٧) . وقال ابو هلال
 في " استنوق الجمل " (٨) : " يضرب مثلا للرجل الواهن الرأي ، المخلط
 في كلامه . والمثل لطرفة " (٩)

-
- (١) توفي الاصبهاني سنة ٣٥١ هـ .
 (٢) توفي ابو هلال العسكري سنة ٣٩٥ هـ .
 (٣) توفي أبو عبيد البكري سنة ٤٨٧ هـ .
 (٤) توفي ابو الفضل الميداني سنة ٥١٨ هـ .
 (٥) توفي جار الله الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ .
 (٦) فصل المقال ص ١٩٠ .
 (٧) نفس المصدر ص ١٩٠ .
 (٨) وهذا المثل في مجمع الامثال للميداني تحت رقم ١٢ ، وهو كذلك في المستقصى
 للزمخشري ١/ ١٥٨ .
 (٩) جمهرة الامثال ١/ ٥٤٠ .

وقد وَلَعَ طرفة بضرب المثل وَلَعًا شديداً ، فلا يكاد يمر بموقف من المواقف التي عرض لها في شعره الا ضرب فيها عدداً من الامثال ، حتى طبقت أمثاله الافاق ، وعده الباحثون والنقاد أضرب الشعراء الجاهليين مثلاً على الاطلاق . روى السيوطي في المزمع قال : " وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم ، يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية ، وأشعر شعراء وقته فقال : أشعر الجاهلية امرؤ القيس ، وأضربهم مثلاً طرفة " (١)

والحقيقة أن الذي يتصفح ديوان طرفة ، ويمعن النظر في أشعاره ، يجد مصداق ما قال قتيبة بن مسلم للحجاج . فقد تناثرت الامثال عنده في كل مجال . في الغزل والوصف والفخر والهجاء وحتى في الوقوف بالاطلال . ولقد جمع العلماء الذين ذكرنا - كثيراً من أمثال طرفة في مؤلفاتهم ، ولكنهم ايضاً قد أغفلوا منها الكثير . واليك بعضاً من ذلك على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر فإن الحصر محال :

قال أبو عبيد البكري : " ومن اقوالهم (رأى فلان الكواكب مظهرًا) ، أى أظلم عليه يومه حتى رأى الكواكب عند الظهر " (٢) وقد ضرب طرفة هذا المثل لتمنع صاحبه عليه يقوله : (٣)

ان تُلَوِّله فقد تَمَعُّه وتريه النجم يجرى بالظهور
ومن أمثلة الميداني في مجمع الامثال قول العرب " صَابَتْ بِقُرُّهُ " (٤) . ومعناه

(١) المزمع ٤٨١/٢ .

(٢) فصل المقال ص ٤٦٥ والمثل في مجمع الامثال للميداني تحت رقم ١٦٠٣ ،

وفي المستقصى للزمخشري ٩٢/٢ .

(٣) الديوان ص ٥٦ .

(٤) مجمع الامثال رقم ٢١١٦ .

أن الأمر قد حل في محله ، ووقع في موقعه • وقد ضرب طرفة هذا المثل لنفسه بقوله : (١)

سَادَرًا أَحْسَبُ غَيِّ رَشَدًا فَتَنَاهَيْتُ وَقَدْ صَابَتْ بِقُرْ

قال الأعمى الشنتمري في شرحه لهذا البيت : " وهذا مثل • تقول العرب للشئ إذا وقع موقعه : صابت بقر • وكذلك يقولون لمن اصاب خيرا أو وقع في أمر " (٢) . وقال الزمخشري في تعليقه على هذا المثل : " يضرب لفعلة أو قولة أو خصلة تقع موقعها " (٣) .

وفي جمهرة الامثال لابي هلال قولهم : " أيسر من لقمان " (٤) . قال ابو هلال : " يعنى لقمان بن عاد ، وكان أضرب الناس بالقداح ، والأيسار القوم يجتمعون فيضربون بالقداح ، واحد هم يسر (٥) ، والعرب تقول : كأييسار لقمان ، للقوم يكون لهم شرف " (٦) • وقد ضرب طرفة هذا مثلا لقومه حين قال : (٧)

وَهُمْ أَيْسَارُ لَقْمَانَ إِذَا أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الْجَزْرِ

ومن أمثلتهم أيضا : " إِنْ فِي الشَّرِّ خَيْرًا " • قال ابو هلال العسكري : " معناه ان بعض الشرأهون من بعض " (٨) • وقد ضربه طرفة لعمر بن هند

(١) الديوان ص ٧٣ •

(٢) نفس المصدر ص ٧٣ •

(٣) المستقصى ١٣٧/٢ •

(٤) انظر كذلك المستقصى ١٤٤٩/١ •

(٥) يسر (كقر) واحد الايسار وهم الذين يجتمعون على الميسر وهو القمار •

(٦) جمهرة الامثال ٤٣٦/٢ •

(٧) الديوان ص ٧٢ •

(٨) جمهرة الامثال ٦٧/١ •

فيما نسب اليه من شعر ، وهو قوله (١) :

أَمَا مُنْذِرٌ أَنْتُمْ نَاسْتَبِقُ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ولذلك فقد قالوا : " ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، وإنما العاقل من يعرف خير الشرين " (٢) .

ومن أمثالهم كذلك " إنه لموهون الفقار " . وهو يضرب مثلاً للرجل الضعيف كما ذكر الميداني (٣) . وقد ضربه طرفة لنفسه قال (٤) :

وَإِذَا تَلَسَّنِي السُّنُّ أَنِّي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِيرٌ

ومن أمثالهم كذلك " ما أشبه الليلة بالبارحة " (٥) ، قال أبو حلال فيه : " يضرب مثلاً في تشابه الشيئين من غير نسب ، يقال هو أشبه به من الليلة بالليلة ، ومن الماء بالماء ، ومن التمرة بالتمر ، ومن الخراب بالخراب " (٦)

وقد ضربه طرفة مثلاً لأقاربه الذين خذلوه في محنته قال : (٧)

كَلِّمْ أَرْوَغَ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشَبَّ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

ومنها كذلك قول طرفة " ويأتيك بالاخبار من لم تزود " (٨) . ويضرب مثلاً للأمر يأتيك خبره ، من غير أن يجهدك طلبه . ومنها كذلك قول طرفة

(١) الديوان ص ١٧٢ .

(٢) جمهرة الامثال ٦٨/١ .

(٣) انظر المثل رقم ٣١٧ في مجمع الامثال .

(٤) الديوان ص ٦٠ .

(٥) انظر كذلك فصل المقال ص ٢٢٧ والمستقصى ١٤٥/١ .

(٦) جمهرة الامثال ٢٤٧/٢ .

(٧) الديوان ص ١١٨ .

(٨) الديوان ص ٤٨ والمثل في جمهرة الامثال ١٢٢/٢ ، وفي فصل المقال

ص ٣٠١ ، وفي المستقصى ٤٠٤/٢ .

فى قصته مع القنابر : " خلاك الجو فببضى واصفرى " (١) . ويضرب مثلاً للرجل يخلى بينه وبين حاجته . ومنها كذلك قولهم : " رب قول أشد من صول " (٢) . ويضرب مثلاً للكلمة النافذة نفاذ السهم ، المؤلمة إيلاّم الكَلَم . وقد عبر طرفة عن ذلك بقوله : (٣) " والكَلَمُ الأَصِيلُ كأرغيب الكَلَمِ " .

ومن أقوالهم كذلك " أنفذ من ابرة " ، وهو يضرب مثلاً للكلمة القوية النافذة . وقد ضربه طرفة مثلاً لأشعاره قال (٤) :

رَأَيْتُ الْقَوَافِيَّ يَتَلَجَّنُ مَوَالِجًا تضايقُ عنها أن تولجها الإبرُ

ومن أمثالهم كذلك " ان الجواد قد يعثر " . وهو يضرب مثلاً للكريم الاخلاق تزل خطاه أو يضل — مرة — مسعاه . وقد نسب لطرفة شعر فى هذا المعنى وهو قوله (٥) :

قَدْ يَعْتَرُ الْجَوَادُ	وَهُوَ وَتَمَحِيلُ الْبِلَادِ
وَتَهَبُ التَّلَادُ	وَيُضَعْفُ الْجِلَادُ

(١) الديوان ص ١٥٧ ، والمثل فى جمهرة الامثال ٤٢٢/١ ، وفى فصل المقال ص ٢٦٤ .

(٢) انظر جمهرة الامثال ٤٧٦/١ ، والمثل فى مختار الصحاح للرازى — صول — .

(٣) الديوان ص ٩٦ .

(٤) الديوان ص ١٦١ والولوج الدخول ، تقول ولج كدخل لفظاً ومعناً يلج بالكسر .

(٥) استدر كات الديوان ص ٣٧٨ ، والتلاد بالكسر والفتح ايضاً المال القديم ، والجلاد يجوز أن يكون من الجلد (كالسهر) والجلادة (كالبسالة) وهى القوة والتحمل ، ويجوز ان يكون بمعنى الابل القليلة اللبن وهى الجلالاد (كالبلاد) (انظر معجم مقاييس اللغة ٤٧٢/١ — جلد) .

ومن الامثال التى ذكرها الميدانى فى مجمع لامثال قولهم " وأمر دون عبيدة
الوذم " ، ويضرب مثلا لمن يستبد بالامر دونه . وهو من قول طرففة ،
وقد ضربه مثلا لما حدث لابله وابل أخيه (عبيدة) ، حين أغير عليها
فقال : (١)

ولقد هممتُ بذاك إذ حبستُ وأمر دون عبيدة الوذم

تلك هى بعض الامثال التى ذكرها العلماء فى كتبهم ، والتى كان طرففة
قد ضربها فى شعره ، سواء أكان هو اول من اشتقها واستعملها ، او كان
قد استشهد بها وحسب .

أما الامثال التى تناشرت فى قول طرففة دون أن تحظى — كلها — بجمع
واستقصاء ، او بتصنيف أو احصاء ، فهى كثيرة . ومنها قوله : " لا تهلك
أسى وتجلد " (٢) ، فقد قاله على ظلل لخولة ، ولكنه ذهب مثلا يقال
فى كل مجال يتطلب التجلد والتصبر والتجمل والتأسى والتعزية . ومنها قوله
فى ثغر معشوقته خولة ايضا : " سقته إياة الشمس " (٣) . قال الاعلم
الشلتى فى شرحه : " والمعنى حسنته وبيضته ، وهذا مثل . وانما
أراد أن ثغرها أبيض براق " (٤) . وعليه فانا نستطيع أن نضربه مثلا
لكل ما هو أبيض براق .

ومنها قوله : " فان تقتلصنى فى الحوانيت تصطد " (٥) . يقول فحيثما

(١) الديوان ص ١٠٦ وشرحه فى هامش ص ١٦٥ من هذا البحث .

(٢) الديوان ص ٦ .

(٣) الديوان ص ١١ وإياة الشمس ضوءها وشعاعها .

(٤) انظر الديوان ص ١١ .

(٥) الديوان ص ٢٩ .

طلبتني وجدتنى . قال الا علم فى شرحه أيضا : " وضرب الاقتناص مثلا للطلب ،
والاصطياد مثلا للوجود " (١) .

ومنها أيضا قوله : " رأيت بنى غرباء لا ينكروننى " (٢) ، فهو يضرب مثلا
لمن يريد أن يتمدح بصلته بالفقراء والمحتاجين ، وعطفه عليهم ، ووصله
إياهم . وقوله : " كأننا وضعناه على رَمْسٍ مُلَحَرٍّ " (٣) فقد ضربه مثلا
ليأسه من كل خير فى ابن عمه . وكأنه قد مات ووضعه فى قبره ، وساق
ذلك مثلا لا نقطاع خيره ويأسه من بره . وصور البيت قوله : " وأَيَّاسَنِي
من كلِّ خيرٍ طلبته " .

ومنها قوله كذلك : " متى يك عهد للنكثية أشهد " (٤) فقد ساقه
مثلا لكرمه وشجاعته وحبه للنجدة فى كل مجال ، إِنْ بالنفس وَإِنْ بالمال .
وكذلك قوله :

وإن يقدفوا بالقذع عِرْضَكَ اسْقِمِمْ بِشَرْبِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدِدِ (٥)
قال الا علم الشنتمرى فى شرحه : " وهذا مثل . أى أورد هم حياض المهالك " (٦)
ومن ذلك قوله (٧) :

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد
فقد ساقهما مثلا فى كثرة المال وكثرة الولد ، ولذلك يقول بعده : (٨)

-
- (١) المصدر نفسه ص ٢٩ .
 - (٢) الديوان ص ٣١ والخبراء الارض والفقير ينسب اليها .
 - (٣) الديوان ص ٣٧ .
 - (٤) الديوان ص ٢٨ والنكثية الامر الصعب .
 - (٥) الديوان ص ٣٩ .
 - (٦) نفس المصدر ص ٣٩ .
 - (٧) الديوان ص ٤١ .
 - (٨) الديوان ص ٤٢ .

فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَعَادَنِي بَنُونَ كَرَامٍ سَادَةٌ لِمَسْـُودٍ

ومن أمثال طرفة أيضا قوله في سيقه : " إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِرُهُ قَسْرٌ " (١) ، يضرب مثلا للسيف الصارم الذي لا ينبو ، وللرجل الحازم الذي لا يتردد . ومن ذلك قولهم : " سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ " .

ومنها كذلك قوله : " وَلَا لَيْلَىٰ عَلَىٰ بَسْرَمَدٍ " (٢) ، أي لا يطول ليله كما تطول ليالي المحزونين والمهمومين ، ويضرب ذلك مثلا لمن لا تغلبه الأشجان ، أو تقفر مضجعه الهموم والأحزان .

ومنها قوله : " مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ " (٣) ، فهو يضرب مثلا لكل أمر يكون مظنة البعد والاستحالة ، وقوله : " سَتَبْدَىٰ لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا " (٤) ، فهو يساق مثلا لكل من لا يعتبر بما مضى من خطوب ، ولا يأخذ إلا مورب الحزم المطلوب .

ومنها قوله : " وَمَنْ الْحَبُّ جَنُونَ مُسْتَعِرٌ " (٥) ، فقد ضربه طرفة مثالا لتعلقه بصاحبته ، تحلقا ذهب بعقله ، ولكنه يساق مثلا لكل من يتعلق بشيء لا يقوى على فراقه .

ومنها قوله : " وَلَا كُلَّ الظَّفَرِ سُرْمٌ " (٦) ، فقد ساقه مثلا لشدة وقوته ، وأنه في كامل سلاحه وعدته . ونحن نستطيع أن نضربه مثلا كذلك للضعف

(١) الديوان ص ٤٢ .

(٢) الديوان ص ٤٧ .

(٣) الديوان ص ٤٨ .

(٤) الديوان ص ٤٨ .

(٥) الديوان ص ٥ .

(٦) الديوان ص ٦٠ .

والقوة . فليس القوى الشجاع المرموب الجانب بكل الظفر ، وكل ضعيف مستباح
الحمى كل الظفر .

ومن ذلك قوله عن حوادث الايام " تبتري عود القوى المستمر " (١) . فقد
ضربه مثلا لفعلها بالناس ، فهي تضعف الاقويا وتنال من ذوى الصمود ، صنع
المبرة بالقلم ، وصنع النصل بالعود .

ومنها كذلك قوله : (٢)

ولى الاصل الذى فى مثله " يصلح الابرزع الموءتبر "

قال الاعلام الشنتمرى فى شرحه : " وأكثر ما يستعمل لبار فى الخيل ، ثم هو
عام فى كل شىء . وضربه هاهنا مثلا لاتمام الصنعة ، وربما المعروف " (٣) .

ومن ذلك قوله ايضا : (٤)

طيبو الباءة سهل ولهم سبل ان شئت فى وحش وع

قال الاعلام الشنتمرى فى شرحه " أى ساحتهم طيبة ، سهلة لمن اراد معروفهم
وهى وعرة خشنة لمن ارادهم بسوء ، وهذا مثل " (٥)

ومنها قوله : " وتساقى القوم كأسا مرة " (٦) ، فهو مثل ضربه لاشتداد

القتال ، وتبادل الطعن بين الرجال . وقوله فى قومه : " آفة الجزر " (٧)

(١) الديوان ص ٦٢

(٢) الديوان ص ٦٣

(٣) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٤) الديوان ص ٦٣

(٥) الديوان ص ٦٤ .

(٦) الديوان ص ٦٤ .

(٧) الديوان ص ٦٧ .

فقد لجوا في كرمهم حتى أصبحوا كالآفة تصيب جزرهم فتقضى عليها من كثرة ما يذبحون منها للقرى . ثم هم كذلك " رجب الأذرع " (١) ، وهذا مثل لحلمهم وسعة صدرهم .

أما قوله " أغلت الشتوة إبداء الجزر " (٢) ، فقد ضربه مثلا لشدة الزمان ، وفيه تغلو الجزر وترتفع أثمانها ، من شدة الحاجة اليها . وقوله : " فعقبتم بذي نوب غير مر " (٣) ، فهو مثل للحظ الذي ناله منهم ، فهو حظ غامر ، وغير مطول . وقد ضرب الذنوب وهو الدلو مثلا لكثرة حظه ، وضرب عدم مرارته لوفائهم به وعدم المطل فيه .

وقوله " جعلته حم كلاليب " (٤) ، ضربه مثلا للسحابة وقد أناخت على ذلك المكان بمطرها ، وبركت عليه ، بروك النوق .

وقوله : " أنتم نخل نطيف به " (٥) ، ساقه مثلا لضعفهم وضعفهم ، وعدم قدرتهم على حماية أنفسهم .

وقوله : " فالهبيت لا فؤاد له " (٦) ، ضربه مثلا لشدة الحسب وهولها ، حيث ينخلع لذلك قلب الجبان فيصبح وكأنه " لا فؤاد له " .

ومن ذلك قوله أيضا " فأنت على الأدنى شمال عربة " (٧) ، " وأنت على الأقصى صبا غير قرة " (٨) ، ضرب الأول مثلا لابن عمه عبد عمرو بن بشر

(١) الديوان ص ٦٨ .

(٢) الديوان ص ٧٢ .

(٣) الديوان ص ٧٢ .

(٤) الديوان ص ٧٥ .

(٥) الديوان ص ٧٧ .

(٦) الديوان ص ٨٠ .

(٧) الديوان ص ٨٣ .

(٨) الديوان ص ٨٣ .

ابن مرثد فى شدته على اقاربه وسوء معاملته لهم ، وضرب الثانى مثلا له ايضا فى سماحته مع الاباعد ، وحسن معاملته لهم . وضرب ربح الشمال مثلا لسوء المعاملة والشدّة ، وذلك لانها ربح باردة تذهب بالسحاب ولا مطر فيها . وضرب ربح الصبا مثلا للسماحة وحسن المعاملة ، وذلك لانها ربح ليئة ممطرة وغير باردة .

(١) ومن أمثله كذلك قوله لابن عمه ذاك : " فأصبحت فقعا نابتا بقرارة " وقد ضربته مثلا لذاته وموانه . قال الا علم الشنتمرى فى شرحه : " يضرب مثلا للذليل ، يقال أذل من فقع بقاع " (٢)

ومنها قوله : (٣)

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةً ، عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ

يقول : " لسان المرء دليل على عوراته ، اذا لم يكن له عقل يرشده ، ويرده عن القبيح . وانما ضرب هذا مثلا لعبد عمرو ابن عمه " (٤)

وقوله : " ساوى الذرا بالحوارك " (٥) ، وهو مثل لشدّة الزمان وتوالي الجذب . اذ هزلت الابل من ذلك فذهبت اسنمتها وتساوت أعاليها مع مقدماتها .

ومنها كذلك قوله : " اذا جاء ملابد منه — فمرحبا به " (٦) ، ضربه

مثلا لاستعدادده للخطوب وصبره على نزولها وتواليها .

(١) الديوان ص ٨٣ .

(٢) الديوان ص ٨٤ والمثل فى معجم مقاييس اللغة (٤ / ٤٤٥ — فقع) .

(٣) الديوان ص ٨٥ .

(٤) انظر شرح الا علم لذلك البيت — الديوان ص ٨٥ .

(٥) الديوان ص ٨٨ .

(٦) الديوان ص ٩٢ .

وقوله : " ^{أَكْرَى} إِنْ شَرِبْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا " (١) ، ضربه مثلا لفساد

مابينه وبين محبوبته ، فكأنه شرب كأس المنية .

وقوله : " وَأَنَا أَمْوٌءٌ أَكْرَى مِنْ لَقْصَرِ الْبَادِي " (٢) . أى من كان ذا شر

وفساد جازيته عليه وعاقبته به ، وضرب القَصْر وهو الداء فى العنق — مثلا

للشر والفساد . وضرب الكَى — مثلا للمجازاة والمعاقبة .

وقوله عن عشيرته ، وقد أصابها الجذب " جَاءَتْ إِلَيْكَ مِرْقَةُ الْعَظْمِ " (٣)

فقد ضربه مثلا لما أصاب العشيرة من شدة وجذب فجهدت وهزلت حتى رقت عظامها .

وقوله : " وَتَوَاصَتِ الْأَبْوَابُ بِالْإِزْمِ " (٤) ، فقد ضربه مثلا لبخل الناس ،

ومنعهم للمعروف ، وعدم نجدتهم للملهوف .

وقوله : " يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ " (٥) ، ضربه مثلا لأعمامه

على وخامة عواقب الظلم . فهو يبدأ صغيرا ثم يهيج ويكبر ، كما قال الآخر :

" وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ " وقد ضرب طرفة لأعمامه أمثلة أخرى فى الظلم ، دلت على شدة حرقة من ذلك . (٦)

ومن أمثله أيضا قوله : " يَوْمَ تَبْدَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَقِهَا " (٧) ، فقد ضربه

مثلا لشدة الحرب حتى كشفت الفتيات المصونات عن أسواقهن ، ورفعن ذيولهن

استعدادا للهرب ، ولا يفعلن ذلك الا من شدة الحرب وهولها .

(١) الديوان ص ٩٣ .

(٢) الديوان ص ٩٥ .

(٣) الديوان ص ٩٧ .

(٤) الديوان ص ٩٧ .

(٥) الديوان ص ١٠٧ .

(٦) انظر ديوانه ص ١٠٨ .

(٧) الديوان ص ١٠٩ .

وقوله : " تفرعنا — هامة العز ، وخرطوم الكرم " (١) ، ضربه مثلاً
لتسنيهم أرفع المنازل ، وأعلاها ، فمجد لا يجارى ، وكرم لا يبارى .
وقوله : " هُمُ حَرْمَلُ أَعْيَا عَلَى كُلِّ أَكْلٍ " (٢) ، فقد ضربه مثلاً لبخل
القوم الذين عجا ، وايدائهم لمن يستطعمهم ، واعتدائهم على من يستجير
بهم .

وقوله : " يَحَارِبُهَا الْهَادِي الْخَفِيفُ ذَلَالُهُ " (٣) ضرب ذلك مثلاً
للخفة والسرعة والنشاط . إذ " يقال لمن رفع ذيله خفت ذلاله . أى شمر
وأسرع " (٤) .

وقوله عن الليل : " جِيئَتْ سَرَابِلُهُ " (٥) أى لبست قمصه ، وهو مثل
للسير فيه . ومن ذلك كذلك قوله : (٦)

وَإِذَا الْمَغِيرَةُ لِلْهِيَاجِ غَدَتْ بِسُعَارٍ مَوْتٍ ظَاهِرٍ ذُعُورُهُ

فقد ضربه مثلاً لشدة الحرب ، وذلك من سعار النار وهو شدة اضطرامها
وهيجها . وقوله فى المخذول : " لَمْ يَصْبَحْ بِرَبْقٍ مَائِمٍ شَجَرُهُ " (٧) . أى لم
يوصل المسكين ولم ينعش ، كما الشجر الذى لم يصله الماء .

الى غير ذلك من الامثال التى أولع طرفة بضررها فى اشعاره . فكانت تقوى
مباينها ، وتعمق معانيها . وهى كما رأينا أمثال كثيرة متعددة متفرعة الشعاب ،

(١) الديوان ص ١١١ .

(٢) الديوان ص ١١٦ .

(٣) الديوان ص ١٢١ .

(٤) انظر شرح الاعلم لذلك البيت — الديوان ص ١٢١ .

(٥) الديوان ص ١٢١ .

(٦) الديوان ص ١٢٧ .

(٧) الديوان ص ١٢٨ .

لم يخل منها من شعر طرفه موقف من المواقف أو باب من الابواب .
 فكما ضرب أمثالا للشرف والكرم والصبر والجمال والحزم والشدة والمضاء ،
 فقد ضرب أمثالا كذلك ، للقوة والسرعة والنشاط وحسن الصنيع والمعروف والنجدة
 والوفاء . وكما ضرب أمثالا لشدة الحرب والشجاعة والصراقة والغنى والسماحة
 وحسن المعاملة وحلم الاقوياء ، فقد ضرب أمثالا كذلك ، للجبن والضعف
 والمراوغة والفقر والبخل وسوء المعاملة والايذاء . وكما ضرب أمثالا ، للظلم
 والاعتداء والشر والفساد ، فقد ضرب أمثالا كذلك ، للعقوبة والمجازاة وسقطة
 الكريم وعثرة الجواد .

ولما كان المجتمع العربي الجاهلي في حاجة الى صفات معينة في أبنائه ،
 فقد أكثر طرفه من أمثاله حول مدح القوة والشجاعة والصبر والكرم والمعروف ،
 وذم الضعف والجبن والبخل وعدم نجدة الملهوف .

الكمي
 ===

X

أما الحكمة فلها بالمثل اتصال وثيق ، وارتباط عميق . ذلك انهم
 يصدران كلاهما عن تجارب طويلة ، وبصائر نافذة ، وتأمل في حوادث الزمان ،
 ومصائر الانسان . واستخلاص ما في ذلك من عبر وعظات ، بينات وخافيات .

أما المثل فهو الكلمة السائرة التي تصلح لان يتتدربها الناس ، كلما عن
 لهم نفس الموقف ، وأما الحكمة فهي رصد التجربة ، وابرار العبرة والموعظة .
 بكلمات مقتضبة مدبجة محكمة . تشيع بمجرد التلفظ بها شيوخ النار في الهشيم
 وتسرى في الناس سريان النسيم .

وكثيرا ما يكون المثل هو الحكمة ، وتكون الحكمة هي المثل ، ومن ذلك

قول طرفة : (١)

سَتُبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
فقد ذكر صاحب العقد الفريد ، قال : " وَأُنْشِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ : أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ " (٢) . وقال أبو منصور الثعالبي فى
كتابه خاص الخاص : " وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ : أَنَّهُ كَلَامُ
نَبِيٍّ ، يَجْمَعُ الْحِكْمَةَ وَالْمَثَلَ " (٣) . غير أن الأمثال ليست كلها حكما ، والعكس
كذلك صحيح .

وقد كان طرفة مولعا باستنباط الحكمة ، كما كان مولعا بضرب المثل
وَلَكَّانَ تِلْكَ الْإِيَّامُ الْقِصَارَ الَّتِي عَاشَهَا كَانَتْ مَمْلُوءَةً بِالتَّجَارِبِ ، مَكْتَنَّةٌ بِالْعِبَرِ .
فهو يضرب لك المثل ضرب الناقد البصير ، ويصوغ لك الحكمة صوغ المجرّب
الخبير .

فإذا عدنا إلى ديوانه لنستقصى الحكم فيما قال ، كما استقصينا
ما استطعنا من أمثال ، فإننا نستنتج أن طرفة كان يرمى بحكمه إلى مقاصد
عدة . فهو يسجل ببعضها تجاربه الخاصة ، ويوضح ببعضها ما استفاد
من حوادث الأيام ، وما اتعظ به من مصائر الناس . ثم هو يبحث ببعضها على
فضائل بعينها ، كالكرم والصدق والشجاعة وغيرها ، ويحضر ببعضها الآخر على
التخلص من رذائل بعينها ، كالظلم والكذب والبخل وغيرها .

(٤)

فأما تلك الحكم التي كان طرفة يسجل بها تجاربه الخاصة ، فمنها قوله :

-
- (١) الديوان ص ٤٨ .
 - (٢) العقد الفريد ٢٧١/٥ .
 - (٣) خاص الخاص ص ٧٦ .
 - (٤) الديوان ص ٤٨ .

أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النَّفْسِ وَلَا أَرَى
 وقد ضمن بيته هذا ثلاثا من الحكم الصادقة ، أولا ما أن الموت كالماء تَرْدُهُ جميع
 النفوس ، وثانيتها أن الذي لا يدركه الموت اليوم فسيدركه غدا ، وثالثتها
 أن الموت قريب من الجميع قرب اليوم من غد . فهل في ذلك من ريب !

ثم يقول : (١)

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطُّولِ الْمَرْخِ وَثِيَاءُ فِي الْيَسْرِ
 فلا يظنن الذين يُطال في آجالهم أنهم بمفازة من الموت ، أو أنهم خالدون .
 فما مثلهم إلا كمثل لجام الفرس في يد الفارس ، يطول له إذا شاء ، ويثنيه
 إليه وقتما يشاء . أن الموت حينما يحين وقته لا يحتاج إلا لجذب المرء إليه
 فاذا هو رهين رُفْسِهِ تماما كما لا يحتاج الحيوان الذي انطلق في المرعى يسرح
 فيه ويمرح - إلى غير جذبة من سيده ليكون بين يديه .

ثم يقول : (٢) " وَالْكَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ " . فالكلمة المحكمة الشديدة
 لها على النفوس آثار قوية بعيدة . بل إنها تفعل بها ما تفعله الجوارح الغائرة
 بالأجسام .

(٣)

ولعل من ذلك قول الآخر :

جَرَّاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التَّنْثَامُ وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ

ومن تجارب طرفة في الحب قوله : " ومن الحب جنونٌ مستعير " (٤) . ولعل
 الذين فعل بهم العشق ما فعل بطرفة ، يوافقونه على ذلك ، ويؤيدونه فسى
 حكمته هذه ، ويكفى في صدقها أنها قد نبعت من تجربتها الخاصة .

(١) الديوان ص ٣٧ . (٢) الديوان ص ١٦

(٣) لم أقع لهذا البيت على قائل ، والذي نرى البيان والنبين ١ : ١٦٧ ، واللسان

(دمل) بدون نسبة هو :

وَجَرَّحَ السِّهْرُ نَدْمًا نَجِيمًا وَيَقْسِي الدَّهْرُ مَا جَرَّمَ اللِّسَانُ

على أن أعق تجارب طرفة آثارا ، وأبعد ما مسارا ، هي تلك التي سجلها
في قوله (١) :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعدا

فقد أعجب الناس بهذا القول اعجابا شديدا ، حتى قال ابن عباس رضي الله
عنهما كما رأينا : " انه من كلام نبي ، يجمع الحكمة والمثل " (٢) . وقال
جرير ، وكان قد سئل عن أشعر الناس ، فقال : الذي يقول : " ما أقرب
اليوم من غد " ، " ولم تضرب له وقت موعدا " (٣) . وذكر الثعالبي أن النبي
صلى الله عليه وسلم ، كان اذا استراب الخبر تمثل بقول طرفة : " ويأتيك
بالاخبار من لم تزود " (٤)

وفي حياة الحيوان الكبرى قال الدميري : " وذكر ابن خلكان وغيره ، ان
أحكم بيت قالته العرب : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار
من لم تزود " (٥) . وعلق أبو الفضل بن طيفور (٦) ، في اختيار المنظوم
والمنثور ، على معلقة طرفة بقوله : " وختمها بأحسن مثل وأبلغه ، وأكمل
معنى لفظا وجزالة وبلاغة ، وأسيره مثالا وهو قوله : ستبدي لك الايام ما كنت
جاهلا (البيت) " (٧) .

واما ما استخلصه طرفة من أحداث الزمان ومصائر الناس من الحكم

-
- (١) الديوان ص ٤٨ .
 - (٢) انظر ص ٦٩ من هذا البيت .
 - (٣) انظر ما ذكره الاعلام في شرحه ص ٤٩ من ديوان طرفة .
 - (٤) خاص الخاص ص ٧٦ .
 - (٥) حياة الحيوان الكبرى ٢٨٣/٢
 - (٦) توفي ابن طيفور سنة ٢٨٠ هـ .
 - (٧) انظر اختيار المنظوم والمنثور ج ١٢ ظهر ورقة ٧٩ .

فمنه قوله : (١)

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

وهذا وإن كنت ترى ما فيه من حكمة ، إلا أن الحقيقة تغايره ، فلكل أجل كتاب . ولكن موت الكريم أشهر ، إذ يترك في الناس أثرا لا يتركه موت غيره ، وضياع كرائم الأموال أبين ، إذ يأسى عليها أهلها أسى لا يكون منهم على غيرها .

ومن حكم طرفة أيضا قوله : " وليس على رب الزمان كفيلاً " (٢) . فإن حوادث الأيام تفجأ الناس ، فلا يركن لها أحد ، فليس لها وقت محدد ولا زمن معلوم . فالحذر الحذر ، لعله يخفف من وقعها ، ويثبت عند نزولها ليس إلا ، فإنه لا يمنعها حذر ولا غير حذر .

ثم يقول (٣) : " إذا ذل مولى المرء فهو ذليل " ، فهل يراد لهذا القول من دليل ؟ انه أمر مشهور ، إذ لا يعتدى إلا على الضعفاء ومن يلوذ بهم . أما الأقوياء فهم أعزة ومواليهم أعزة ، وجيرانهم أعزة .

وكان طرفة قبل أن يستخلص لنا هذه التجربة ، قد طوف بالبلاد ، وتنقل بين العباد . وقد فعل ، بل كأنه نظربعينه الثاقبة ، فاخترق الزمان ، وأبصر ما الناس فيه الآن ، فالعزیز عزيز جاره ، والقوى محمي ذماره ، والويل كل الويل للضعفاء ، يُصفعون ويسكتون ، وبركلون ولا ينتصرون ، وتنقص أطرافهم وهم ينظرون .

ثم ينقلنا طرفة إلى تجربة أخرى من تجاربه يقول : " وما كل ما يهوى امرؤ

(١) الديوان ص ٣٦ .

(٢) الديوان ص ٨٢ .

(٣) الديوان ص ٨٤ .

هو نائله " (١) .

أرأيت من أين أخذ المتنبي قوله : " ما كل ما يتمنى المرء يدركه " (٢) ؟
وقد سار قول المتنبي هذا على كل لسان ، ولو أنصف الناس لعرفوا لطرفه
فيه حقه .

ومن تجارب طرفه التي استقاها من معرفته بالناس ، قوله فيما نسب اليه
من شعر (٣) :

تَعَارَفُ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقَوَّا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يَتَّقِي وَخَلِيلٌ

وهي قوله صادقة حكيمة ، بين صدقها وحكمتها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قال فيما رواه البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
قالت : " ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الأرواح جنود مجندة ،
فَمَا تَعَارَفْتُمْهَا اتَّخَفَ ، وَمَا تَنَافَرَتْ مِنْهَا اخْتَلَفَ " (٤)

بمثل تلك الحكم ، عبر طرفه عن معرفته بصروف الزمان ، ووعيه لما يحدث
من تقلب الأيام ، واستفادته من مصائر الغابرين ، والمأمة بأخلاق الحاضرين .
ثم ان له حكما غير هذه ، يُشتم منها الترغيب في أمور والتنفير من أمور
غيرها .

فقد حث على الكرم والشجاعة وأبأ الضيم ، والصدق والبر والتزام الحق
والتسامح ، وغير ذلك من الفضائل . ثم نفر من الكذب ، ومن جليس السوء ،
ومن الظلم . وغيرها من الرذائل . فمن حكمه في الحث على الكرم قوله : (٥)

(١) الديوان ص ١٢٣ .

(٢) ديوان المتنبي ٣٦٦/٤ وتام البيت فيه : " تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي
السُّفُنُ .

(٣) الديوان ص ١٨٦ .

(٤) انظر صحيح البخاري — طبعة كتاب الشعب — ١٦٢/٤ — كتاب الانبياء .

(٥) الديوان ص ٣٦ .

أَرَى الْمَالَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْإِيَّامُ وَالِدَهُ يُنْفَدُ

وكأنى به يقول اذا كان الامر كذلك ، فبئس البخل وبئس أهله . ان المال الذى سينفد ان عاجلا أو آجلا ، لماذا يدخر ؟ ولماذا يُضَوُّ به ؟

ويقول فى حكمة أخرى : " انما يَخْزَنُ لَحْمُ الْمَذْخَرِ " (١) . فهو يحث على اطعام الطعام ، وبذله للناس ، ويمتدح ذلك فى قومه ، الذين لا يدخرون مما يذبحون لحما لغد ، وانما يطعمونه للناس كله ، ويذبحون فى غد غيره . فلا يخزن اللحم عند هم ، ولا تتغير رائحته او طعمه " انما يخزن لحم المذخر " .

ويقول كذلك : " وعلى الأيسار تيسير العسر " (٢) ، وهو مبدأ للتكافل كانت العشيرة أحوج ما تكون اليه ، بل ان الناس اليوم أيضا فى حاجة ماسة اليه . وهو من المبادئ الكريمة التى وجه الاسلام اليها الامة الاسلاميية ، بعد أن هذبها وشذبها ونقاها من غيش الجاهلية . قال الله سبحانه وتعالى : " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (٣) ، وقال سبحانه وتعالى : " كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ " (٤) ، فمن للمعسرين والمحتاجين والبائيسين والغارمين والفقراء ، غير الموسرين والمتصدقين والكرماء وأهل البذل والعطاء ؟!

أما الحث على الشجاعة ، فقد قلت حكم طرفة فيه قولا ، وكأنه اكتفى بما كان يقوم به . واعتبره حكما عملية . أو كأنه اكتفى بما كان يمتدح به قومه

(١) الديوان ص ٦٦ .

(٢) الديوان ص ٧٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

(٤) سورة الحشر آية ٧ .

من أمور الشجاعة ، فاعنت عما يجب أن يقال فيها . ولكننا لا نعدم أن نجد لذلك حكما قولية في أشعاره . ومن ذلك قوله : " ان الكريم اذا يحرب يغضب " (١) فَرَفَضَ الضَّيْمُ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، أَمَا السَّكُوتُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِنْ طِبَائِعِ الْكِرَامِ .

ومن ذلك ايضا قوله : (٢)

فَالِهَيْبَةُ لَا فَوَادَ لَكُمْ
وَالثَّبِيتُ ثَبِتَهُ فِهْمُهُ

ان الجبان منخلع فؤاده ، يطير في أول جولات القتال ، " فلا نامت أعين
الجبنة " . أما الشجاع من الرجال ، فتأبث ثقل كالجمال ، يسنده عقله
الواعي بوقلبه القوى . وفي هذا من الحث على الشجاعة والقوة ، ما فيه .

ومن حث طرفه بحكمه على الصدق قوله : " وَالصَّدَقُ يَأْلُفُهُ " اللَّيِّبُ
الْمُرْتَجَى " (٢) فهو طبع الكريم العاقل ، الذي يجرى الله الخير على يديه ،
اما الكذاب فليس بلبيب ولا عاقل ، ولا يعول في أمر عليه .

ومنها حثه على البر ، وذلك قوله : " وَالْبِرُّ بَرْءٌ لِّسِرِّفِيهِ مَعْطَبٌ " (٤)

فهو يدعو اليه ويحضض عليه ، كما فعل في حثه على التزام الحق بقوله : (٥)

وَكَيْفَ تَضِلُّ الْقَصْدَ وَالْحَقُّ وَاضِحٌ
وَالْحَقُّ بَيْنَ الصَّالِحِينَ سَبِيلٌ

ولقد صدق طرفة، إذ كيف يحيد المرء عن طريق الحق، وتضل عنه خطاه

وهو واضح بين لا حبل آوجه للمقارنة بيه وبين ماسواه .

وكذلك حدث طرفه على التسامح بقوله: (٦)

- (١) الديوان ص ١٠٨
- (٢) الديوان ص ٨٠
- (٣) الديوان ص ١٠٨
- (٤) نفس المصدر
- (٥) الديوان ٨٢
- (٦) الديوان ص ٨٥

وَإِنَّ امْرَأًا لَمْ يَعْفُ يَوْمًا فُكَاهِمَةً لِمَنْ لَمْ يَرِدْ سُوءًا بِهَا لَجُحُولُ

على أنه قد حذر من فلتات اللسان ، حتى لا يكشف بفلتاته عن عورات صاحبه يقول (١) :

وَإِنَّ لِسَانَ امْرَأَةٍ مَالِمٌ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَيْلٌ

وحق لطرفة أن يحث على صون اللسان ، واحكام لجامه ، فهو أدرى الناس بخطرته ، وأعلمهم بضرره ، فان لسانه هو الذى قتله .

ثم نفر طرفة بحكمه من الكذب قال : " وَالْكَذِبُ يَأْلَفُهُ الدَّائِسِيُّ الْأَخِيبُ " (٢)

وقد صدق فيما زعم ، فان الكذب ترفضه النفوس الكريمة الأبية ، ولا تقبله

الا النفوس التى ترضى الدنية .

ثم نفر طرفة من الاثم بقوله : (٣) " وَالْإِثْمُ دَائٌ لَيْسَ يَرْجَى بُرْؤُهُ "

والاثم هو البطء عن الخير ، والتثاقل عن المعروف (٤) ، وهذا ما ذهب

طرفة بقوله اليه ، وليس هو الاثم الذى نعرفه اليوم ، فقد كان طرفة غارقا فى هذا إلى أذنيه .

ومن العجب أن ينفر طرفة بحكمة بليغة من الجليس السوء ، يقول : (٥)

وَقَرِافٌ مِّنْ لَا يَسْتَفِيقُ دَعَاةً يُعَدِّى كَمَا يُعَدِّى الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ

(١) الديوان ص ٨٥ .

(٢) الديوان ص ١٠٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (١/ ٦٠ - أثم) .

(٥) الديوان ص ١٠٨ .

فان الانسان ذا الشر والفساد والاذى ، لا يُقَارَفُ أو يُقَارَبُ أو يُصَاحَبُ ،
والا انتقلت اليك عدواه ، كما تنتقل بين الابل عدوى الجرب •

ويزول عجبنا حين نعرف قصد طرفة بالجليس السوء ، وهو ذلك الشرير
المفسد المؤذى وحسب ، وليس الذى نعرفه نحن ، وهو الذى يجمع الى
تلك الصفات - فسادا فى الخلق ، ورقة فى الدين • وعلى أى حال ، فان آيا
منهما جليس سوء ، والعياذ بالله •

على أن أوقع حكم طرفة فى النفوس ، وأعقبا أثرا ، هى تنفيره من الظلم
وذلك لانه جرب ظلم أعمامه وهو صغير ، وعاصر مظالم المجتمع وهو كبير •
ولذلك فقد صورت حكمه فيه عن معاناة ذاتية ، وعن تجربة شخصية • يقول (١):
قد يبعثُ الأمرُ العظيمَ صغيرهٗ حتى تَظُلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
وفى هذا البيتمن الحكمة والمثل والعبرة والعظة ، والتجربة • • ماترى • حتى
قال عنه بعض النقاد ، بأنه أمير شعر طرفة • (٢)

ويظهر أن طرفة لم يكن ينتظر من أهلها بعض ما فعلوه معه ، ومع
أُمه من قبل ، وهو الذى بالغ فى مدحهم ، وجاوز الحد فى الافتخار بهم •
فلما لم يكونوا له كما أراد ، عز عليه ذلك ، وآلمه وأمضه وأسخطه ،
فعبر عن ألمه وحرقة وسخطه بحكم بليغة لعل منها : (٣)

وُظِمَ ذَوِ الْقَرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمُهَنْدِ

(١) الديوان ص ١٠٧ •

(٢) انظر خاص الخاص للشعالبى ص ٧٦ •

(٣) الديوان ص ٤٠ •

فالظلم قووقعه ، بعيد أثره ، عميق جرحه ، شديد خطره . ولذلك
فقد شدد الاسلام في تحريمه . أخرج مسلم في صحيحه عن أبى ذر رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه عن رب العزة تعالى قال :
" يَا عِبَادِى ، إِنِّى حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى ، وَجَعَلْتَهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَكَلَّا
تَظَالَمُوا " (١) . وأخرج البخارى في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " الظُّلْمُ
ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢) .

هذا بين الناس أجمعين ، فكيف به بين الاقربين . آليس الاقربون
أولى بالمعروف ؟

===

تلك هى الحكمة عند طرفة بن العبد ، وليدة التجربة ، ونتاج الخبرة
والموهبة . فما كل مجرب بحكيم ، اذ لا بد له من موهبة خاصة ، حتى تفرز
تجربته مثل ما رأينا من حكم^(٣) . والحكمة عند طرفة — كما ترى — ناضجة
راقية ، تدل فعلا على عقل حكيم ، وذوق سليم . كما تدل على موهبة
فذة ، وبصيرة نافذة ، ومملكة نافذة . كل ذلك فى ذهن ثاقب واع ، يستفيد
مما يجرب أو يسمع أو يرى . وكذلك كان طرفة .

ومما يسر النفس ويثلج الصدر ، أن نجد عنده فيما قال ، مثل تلك الحكم

والامثال . والا كان أكثر قوله غثاء من الغثاء ، ليس فيه فائدة ، وليس فيه غثاء .

ولم يكن شعر طرفة كذلك ، وانما كان كسائر شعر العرب — فيه الغث وفيه السمين ، وفيه الباطل وفيه الحق المبين . وفيه كذلك المغالاة والتفاخر والغرور ، ولكن فيه حُكْمًا صادقًا على كثير من الامور ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال — فيما أخرجه الترمذى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما : " إِنْ مِنْ الشَّعْرِ حُكْمٌ " (١) .

على أن أفضل ما أغنى به ذلك الشعر تاريخ أدبنا ، وأقيم ما أمد به تراثنا هو الحكمة . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ايضا . فيما أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى كعب رضى الله عنه : " إِنْ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ " (٢) .

فما أوجنا الى تلك الحكمة ، وما أحرانا بالتقاطها وتفحصها وتدارسها ثم نُجَنَّبُ الغث منها بل تلقينه وراء ظهورنا ، ونعكف على السمين ، نجنى ثماره ونستفيد منه فى تصرف أمورنا . وذلك استجابة لقول النبى صلى الله عليه وسلم ، فيما أخرجه الترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : " الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا " (٣) .

الآراء الخاصة فى الحياة

لم يكن طرفة قد شغل الناس بأشعاره وأخباره ، وعمره القصير - كما رأينا - وحسب ، ولكنه قد شغلهم أيضا بآرائه الخاصة فى الحياة ، وأعماله التى اتسمت بالجرأة وعدم المسئولية واللامبالاة ..

والحقيقة أن الناس فى عشقهم للآراء السديدة ، وحبهم للفعال الحميدة - أولاد علات وهم كذلك أيضا فى النفور من الآراء الشاردة الغريبة ، والصدود عن الأفعال الصاخبة المريبة . ولذلك فقد نفروا من كثير من قول طرفة وسفهوه ولاموه على كثير من فعله وعذلوه .

وهم حريون بذلك ، فلقد كانت لطرفة آراء خاصة نذبتها عن الناس الذين عاصروه ، ونهبت بها منها لم يألفوه . كما كانت له تصرفات عجيبة وأفعال غريبة ، خشى القوم أن يعدى شبابهم بها فيقلدوه ، ولذلك فقد اضطروا الى أن يتحامسوا طرفة ويقاطعوه .

ولعل لحياة طرفة الاجتماعية الخاصة ، الأثر المباشر فى تفرد بتلك الآراء ، واقدامه على تلك الفعال . فقد نشأ يتيما كما رأينا ، فى مجتمع ينشغل فيه الناس بأنفسهم أكثر مما ينشغلون بغيرهم .

وافتقد طرفة بموت والده وهو صغير ، القدوة الصالحة والمربي الناصح ، والأسوة الحسنة ، والموجه الحريص . ولعل

التي عند الآباء ..

ولذلك فقد انفلت طرفة في حياته كما تنفلت الابل من عقلها
وغاص على اللذات يقتنص منها ما اشتهى ، ويعب منها ما أراد ،
بلا حاجر ولا حاجر ، ولا مانع ولا راد ..

ورأت قبيلته منه ذلك ، فأَمْضَى شأنه ، وحيرها أمره .. فقد
رأت فتى سادرا لاهيا يخوض ويلعب ، لا يردعه الوعيد ، ولا يثنيه
العدل الشديد . كما رأت فتى مسرفا مبذرا لا يبقى على طعارف
من ماله أو تليد .

ولذلك فقد نحتت كما رأينا عن شباب القبيلة جانباً ، كما
ينحى المريض عن الأصحاء خشية العدوى ، وأفردته من بينهم افراداً
كما يفرد عن بقية الابل البعير الجرب . وحق لها ذلك ، حتى لا
تتفشى بينهم آراؤه ، فتفسد عليهم حياتهم ، كما أفسدت
عليه حياته . يقول : (١)

وما زال تشربى الخمر ولذتى وبيعى وانفاقى طريقى ومقلدى
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأغرنت فرادى البعير المعبدى
والجيب أن طرفة فى قوله مولع بالصراحة ، حتى وان كان مزورائها
رميه بالوقاحة . فها هوذا يعلن عن الجرب الذى فيه ، والذى
تحامته القبيلة بسببه ، فهو شَرِيبٌ مدمن للشراب ، وهو فى لذاته
خطير على أمثاله من الشباب

ثم انه سفيه فى التصرف فى ماله ، يورده المهالك ، وينفقه
فيما التوى من المسالك ، ثم لا يجد حرجاً فى اعترافه بذلك

والحقيقة أن كثيرين من شباب العرب في الجاهلية ، كانوا يفعلون كثيرا مما كان يفعله طرفة ، فيعاقرون الدنان ، ويطربون للقيان ، وينفقون كيف يشاءون ، ويلهون مع النساء ويعبثون .

ولكنهم كانوا يرون كما يرى بقية الناس ، أن هذه الأمور مثالب يأبى الخلق الكريم ، ويرفضها المسلك المستقيم . ولذلك فكثيرا ما كانوا ينفرون الناس منها ، ويتواصون بهجرها والبعد عنها .

قال عدى بن زيد : (١)

فَنَفْسِكَ فَاحْفَظْهَا عَنِ الْغَىِّ وَالرَّدَى مَتَى تَفُوهَا يَفُوهَا الَّذِي هَكَ يَقْتَدَى
وقال المخلبل السعدي : (٢)

إِذَا أَنْتَ لَا قِيَّتَ لِرَجَالٍ فَلَا قِيَّتَ لَهُمْ وَعَرُضُكَ مِنْ غَثِّ الْأُمُورِ سَلِيمٌ
وَلَا يَعْدُ الْغَاوِي عَلَى الْغَىِّ لَأَثْمًا وَأَنْ هَوْلَمُ يُشْفِقُ عَلَيْهِ يَلُومُ

فهم وإن كانوا كثيرا ما ينحرفون عن الجادة ، ويقارفون غث الأمور ، إلا أنهم كانوا يستهجنون ذلك ، ويرمون بالغى مقارفيه ويتهمون بدنس العرض مقترفيه . ولذلك فهم ينفرون منه ويتواصون بتركه والبعد عنه .

أما طرفة ، فكما كان غريبا عنهم ببعض أعماله ، كان كذلك فريدا بينهم ببعض آرائه وأقواله . فهو يرى الغى هو الطريق الرشيد ، ويعد رأيه فيه هو الرأي السديد ، ولذلك يرد على الناصحين والزاجرين واللائمين والعاذلين ، بقوله : (٣)

(١) جمهرة أشعار العرب - بتحقيق البجاوي - ص ٤٩٠
(٢) البيت الأول له في البيان والتبيين ٧٦/٤ ، والثاني له في حماسة
(٣) البحث في ص ٣٧٤

أَلَا أَيْهَذَا الزَّاجِرِ أَحْضَرُ الْوَعَى وَأَنَا شَهِدٌ لِلذَّاتِهَا نَتَخَلِّدِي
فهو ليس مُخَلَّدًا في الدنيا ، ولذلك فلا بأس عليه أن يشهد مع أقرانه
ما يشهدون من المواقف والحروب ، والغارة على الأعداء . ولا بأس
عليه بعد ذلك أن يخلص إلى الذات فينهل من مناهلها كيف شاء .

وهو يجهر بهذا الرأي جهرا ، ويقول به شعرا ونثرا . ذكر
الجاحظ في البيان والتبيين أن طرفة قد سئل عن أطيب عيش الدنيا
فقال : " مَطْعَمُ شَيْءٍ ، وَمَلْبَسٌ نَفِيسٌ ، وَمَرْكَبٌ وَطِيٌّ " (١)

ولذلك فهو لا يقيم للحياة وزنا ، ولا يرغب في الاستمرار فيها
الامن أجل هذه الأمور ، ولمولاهها ، ما تعلق بالحياة ، ولا حرص عليها .
يقول : (٢)

فلولا ثلاث هنَّ من حاجة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كُملتَ متى ما تعلَّبا لِمَاءِ تَزْبِدِ
وكرَّيْنا ذاننا دى المضاف مُحَنَّبًا كسيد الغضائِبِ تَه المتوَرِّدِ
وتقصير يوم الدَّجْنِ والِدَجْنِ معجب بِبَهْ كَنَّةٍ تحت لُطَافِ الْمُعَدِّدِ
تلك هي حاج طرفة في الحياة . . . انهن ثلاث فقط . يحرص عليهن
ويحيا من أجلهن . ولولاهن لاستوى الامر عنده ، أكان على ظهر الأرض
أم كان في بطنها . .

فبُعْدًا لهن من حاجات ، ما أحسن وما أهونهن . . حتى وان -
كانت النجدة والمروءة مزيينهن . فبئست النجدة من السكارى
المخمورين . وبئست المروءة من اللاهين والعابثين .

والحقيقة أن هذا الذى كان ينهب اليه طرفه ، منهب خطير
فى الحياة ، لاخل الاثلة قليلة من فتيان العرب فى
الجاهلية هى التى كانت ترغب فيه وتهواه . أما الأكثرية منهم
فقد رغبت عنه ونفرت منه ولفظته لفظ النواة .

أما فتيان العرب فى الاسلام فقد انصرفوا الى حاجات سامية
حثم الدين الجديد عليها ، لم يكن أمثال طرفه يعرفونها
أو يتسامون اليها . روى الجاحظ أيضا فى البيان والتبيين قال
بأن رجلا ذكر أبيات طرفه هذه أمام سيدنا عمر بن الخطاب
فقال : « لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبتهى لله ، وأجالس
أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر ، لم أبال
أن أكون قذمت^(١) »

تلك هى الأهداف التى لا يحتمل سموها أى جدل أو نقاش ،
والتي لمثلها وحسب تحلو الحياة ويعشق المعاش ..

واليك رأيا آخر من آراء طرفه الخاصة ، لا يقل غرابة عن
الرأى الأول . وذلك هو الحاجة على انفاق المال كله قبل الممات
يقول :^(٢)

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي فَذَرْنِي بِأَدْرَاهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
فهو يدرك أن الموت لابد ملاقيه ، وأن الجُل حتما سيوافيه ، وأن أحدا
لا يستطيع دفع المنية عنه بحال ، فلماذا إذن يشغل نفسه بكنز
المال ..

ولكنه - يا أسفاه - تنكب الطريق الذى ينفق فيه المال

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِهَا إِلَيْهِ كَقَبْرِ غَوَّيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مَفْسِدٍ (١)
تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ (٢)

وتلك كلمة حق أريد بها باطل - كما يقولون ، فقبح البخل الذى
ضن بماله ، وقبح الغوى الذى أفسد ماله صنوان بين القبور ،
فانك لاترى لاجثوتين متشابھتين من التراب . كما قال . . .

ولكن السؤال الذى يخطر بالبال هو : ألا يوجد إلاهذان السبيلان
للتعامل بالمال . . فاما بخل شديد ، وشح بغيض تنفر منهما
النفوس الكريمة ، واما افساد الاموال واضاعتها على اللذائذ
والشهوات . .

وقد عجبت وأنا أعيد النظر فى آراء طرفة من هذا الرأى أشد
العجب ، اذ كيف يخلص اليه ، وهو الذى دعا فيما دعى الى اعطاء
المحتاجين ونجدة الملهوفين والصبر على الفارمين ، وتيسير
العسرين ونظرة المعسرين . . بل لقد كان يفعل ذلك بنفسه
ويباشره بذاته كلما قدر عليه ، حتى كان الفقراء والمحتاجون
يعرفونه كواحد منهم ، وذلك من كثرة صلته اياهم وعطفه عليهم
يقول : (٣)

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يَنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلَ هَذَا الطَّرَافِ الْمُدَدِ

ثم ان لطرفة - أيضا - آراءه الخاصة فى مجالس اللهو والشراب
التي كان مولعا بها . ومفرما بالحديث عنها وعن فيها من اللذائذ
والشاربين ، الذين كانوا يتبادلون كثوس الشراب وطرفة بينهم .

والولائد اللاتي كُفِّ يدرن عليهم بالكثوس فينعشهم ويسعدهم
وكذلك القيان اللواتي كن يغنينهم وينشدنهم ، ويسامرهن —
ويطربنهم . ولطرفة في كل أمر من تلك الأمور رأى خاص ، قد
يوافق فيه آراء الناس وقد يخالفها .

فالكأس التي كانوا يتماورونها ليست كغيرها من الكثوس
المادية ، وانما هي كأس مليئة مزبدة روية . يَصْبَحُ بها النديم
غداةً وَيَغْبِقُهُ عشيًا ، فاذا كان عطشان فهي ترويه ، واذا كان
ريان فهي تزيد رياه . يقول :

(١) مَتَى تَأْتِينِي أَصْبَحَكَ كَأْسًا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَاغِيًّا فَاغْزَاوْزِدْ
ثم ان الخمر عندهم ليست شحيحة ولا قليلة ، بل تتناثر في جموانب
ناديهم دنانها وزقائن^(٣)ها ، ولا يعجزهم طلبها أو تغليب أثمانها
فيالخطها عندهم . وبالحطواتها لديم ، انهم يشترونها بأكرم ابلهم
وأغلاها عليهم . يقول : (٤)

(٥) لَا تَعِزُّ الْخَمْرُ أَنْ طَافُوا بِهَا رِبِيَاءُ الشُّوْلِ وَالْكُومِ الْبَكْرِ

وأما الندامي الشاربون أنفسهم فهم بيض الوجوه كرام سحباء
لهم بين الناس من المكانة والمنزلة ما للنجوم في السماء . يقول : (٦)

لَا تَأْتِي الْخَمْرُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَفِيَّةً رَوْحًا يَأْتِي بِرُودٍ وَجَهْدٍ

وأما الولائد والاماء اللواتي يدرن بالخمير على أولئك الندماء
فيجب على أي طرفة أن يمين في مشيتهن ، ويتبخترن في تنقلهن —

(٧) الصُّبُوحُ شَرِبَ الْغَدَاةَ وَبَابَهُ قَطَعَ ، وَالْفُبُوقُ شَرِبَ الْمَشَى
وبابه نصر

(٢) الديوان ص ٢٩
(٣) البندان - كالتلال - أوعية الخمر واحدا دين - كيتل -

وأن تتأود قاماتهن ، وتتثنى أعطافهن ، وأن يلين من الثياب
منسوجة وغير منسوجة - ما يزيد ذلك الميسان والتبخر والتأود
والتثنى جمالا الى جمالهن ودلالا على دلالهن . يقول: (١)

وذا لثكما ذالت وليدة مجلسي تُرى وبها أذيا لَحْلٍ مُدَدٍ
وأما القيان في مجالس الشراب فلطرفة فيهن أيضا رأى خاص ، يقول: (٢)

رَحِيبٌ قَطَابُ الْعَيْبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ رَجَسَ النَّدَامَى بَضَّةَ الْمُتَجَرِّدِ
إِذَا نَحْنُ قُلْنَا أَسْمِعِينَا أَنْبَرْتُنَا عَلَى سُلْمِهَا مَطْرُوفَةً لَمْ تَشْدُدْ

فوجب أن تكون الواحدة منهن بضة ناعمة بيضاء رفيقة ، ويجب أن
توسع من صدر ثوبها ليبدو صدرها البض الجميل ، فيُنظر اليه
ويتلذذ به . ويجب كذلك أن تكون رفيقة بالندامى ، وهم -
يتحسسون من جسمها ماشاءوا ، فلا تصد ولا تنور ، ولا تعترض ولا تثور
وباختصار لا ترد يدلامى" (٣).

ويجب أن تكون الى ما فى طرفها من انكسار بيّن وفطور شديد ،
على دراية بالغناء وعلم بالنشيد . فاذا انتدبت لشيء من ذلك
خفت اليه وأخذت عفوها فيه .

فبئست الفتاة تلك الفتاة ، وبئست الأخلاق أخلاقها -
وبئس القول قول طرفه فيها . أفما كان الاجدر به أن يصفها
بالعفة التى وصف عمرو بن كلثوم فتاته بها حين قال (٤)

(١) الديوان ص ٣٠ (٢) نفس المصدر ص ٣٠

(٣) يضرب مثلا للضعيف من الرجال ، والمتبذلة من النساء

(٤) انظر جمهرة القرشى بتحقيق البجاوى ص ٣٤١ وشرح القصائد السبع

وَتَدِيًّا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخَصًا حَصَانًا مِنْ الْفَلَمِ لِلْأَسِينَا (١)
 وَأَوَّازٍ يَقُولُ مِثْلَمَا قَالَ فِي نِسَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ :

عَلَى آثَارِنَا بَيْضُ حِسَانٍ نَحَاذِرُ أَنْ تُفَارِقَ أَوْتَهُوْنَا
 طَمَائِنُ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ خَلَطَنَ بَعْضَهُمْ حَسَبًا وَدِينَنَا (٢)

أولئك هن الفتيات الكريّمات ، اللاتي تشرف بسيرهن المجتمعات
 فيرتقى بناؤها ، ويرفرف لواؤها .

ولقد حرص الاسلام الحنيف - فيما حرص على تحصين فتيات
 المسلمين ، وستر مفاتحنهن عن أعين الناظرين . وذلك حتى يظل
 مجتمعه قوية لبناته ، كراما وأعزة فتيائه ، حصانا وعفيفة
 فتياته . فان المجتمعات لاتضعف بمدقوة ، ولا تنهد بعد بناء ،
 الا اذا تسرب التبذل فيها الى أخلاق النساء .

أما شاعرنا طرفة ، فلم يكن ذلك من اهتماماته ، ولا من
 أهدافه وتطلعاته . ولقد أخذني من أمر ذلك الفتى العجيب
 كل العجب . اذ كيف يبلغ به العبث هذا الغور العميق ، وكيف
 ينزل به اللهو الى هذا الدرك السحيق . ثم يعلن في صراحة عن
 إعجابه بتلك الترهات الفاسدة ، ويصرح في وقاحة عن ولعه بتلك
 التجارة الكاسدة . فأين منه ما غربه للناس في شعره من أمثال
 وأين استفادته واتعاطه بالحكم التي قال .

(١) الرخص اللين ، والحصان العفيفة .

(٢) انظر جمهرة القرشي - بتحقيق البجاوي ص ٣٦٥ ، وشرح القصائد
 السبع لابن الانباري ص ٤٢١ ، وشرح القصائد القسيع لأبي جعفر
 النحاس ص ٦٧٤ - ٦٧٥ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، وشرح القصائد العشر

وبودى أن أسأل التاريخ عن طرفة سؤالا لايفتا يخامر نسي
الاهو: من أين كان يجد طرفة المتسع من الوقت لهذا العبث
كله ٠٠ وهو الذى شغل نفسه مع القوم فى مجالسهم ومنندياتهم
فى إقامتهم وطنسهم وفى حلهم وترحالهم ٠٠ وفى حروبهم وغاراتهم ٠

أفكان طرفة يبالغ فيما زعم ويفالى فيما يقول ٠٠ لابد أن
يكون الأمر كذلك ، ومبالغاتة فى كثرة الشراب واللهو أقرب إلى
المعقول ، وذلك لأن القوم فى ذلك المجتمع كانوا فى حاجة
دائمة إلى الجد فى أمورهم ، حتى يتأقلموا مع الشطط
الذى كان يعترى حياتهم ، ويتواءموا مع الجذب الذى كان
يلف صحراواتهم ٠٠

ولا يمنع ذلك من أن يميلوا أحيانا إلى ما كان يميل إليه
العابثون من الناس ، ولكن الجد فى الحياة والترفع عن
العبث والانشغال بعظائم الأمور تظل هى الأساس

وان فلانزال سؤالنا قائما ٠٠ من أين كان يجد طرفة
المتسع من الوقت لهذا العبث كله ٠٠

(١) ويحاول طرفة أن يجيب عن هذا السؤال بقوله :

وَإِنْ تَبَيَّنْ بِنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي
وَإِنْ تَقْتَنِي فِي الْحَوَائِثِ تَصْطَدِ

فهو مع القوم فى جدهم ، يشركهم فيما يبحثون ، ويخطئون ويرسمون

(١) الديوان ص ٢٩ وشرحه فى هامش من هذا البحث ٠

وهو مع العابثين فى عبثهم ، يلهو كما يلهون ، ويشرب كما يشربون

ولكنها اجابة لاتبل الصدى ، ولاتشفى الغليل ، ولاتقدم لرد
اتهامه بالمغالاة والتزيد والمبالغة - أى دليل .

فاما أن يكون جادا كلهذا الجد الذى كان يدعيه ، واما أن يكون
سادرا فى غيه ، سابحا فى لهوه ، غارقا الى أذنيه فيه .

أما أن يجمع بين النقيضين بهذا الغلو فغير صحيح .

وكثيرا ما كان يعذل طرفه على أعماله العاذلون ، ويلومه على
أقواله اللائمون ، أن يثوب لرشده فلا يثوب ، وينثنى عن غيه
فلا يجيب ، ويقلع عن لهوه فلا يستجيب .

وليته اقتصر على ذلك ، اذن لهان الأمر . ولكنه كان ينتصر
لرأيه وكأنه الحق المبين ، ويلتمس له ما يعضده به من الأدلة
والبراهين .

يقول : (١)

فَذَرْنِي أُرَوِّىهَا مَتًى فِي حَيَاتِهَا مَخَافَةَ شُرْبٍ فِي الْحَيَاةِ مُصَرَّدٌ (٢)
كَرِيمٍ يُرَوِّى نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ سَتَعْلَمُ إِنَّمَا صَدَىُّنَا الصَّدَى (٣)

(١) الديوان ص ٣٥

(٢) ان اشرحه فى هامش من هذا البحث

(٣) الصدى: جسم الانسان بعد موته ، والصدى العطش ، فالصدى العطش ، يقال رجل صَدٍ وصَادٍ وامرأة صادية (معجم المقاييس

تلك هي الموضوعات البارزة في شعر طرفة . وقوف بالآطلال
والرسوم الدارسات ، تحسرا على ما كان له فيها من ذكريات .
وغزل ونسيب وتشبيب بالنساء الجميلات المترفات الناعمات .
ووصف مفصل تارة ، وموجز أخرى

فقد فصل في وصف ناقته وأسهب ، وأوجز في وصفه لما دونها
من الخيل والأسلحة وبعض البلاد التي جاب ، وبعض طواهر الطبيعة
في الصحراء ، وغير ذلك .

وفخر بنفسه ، شجاعة وفروسية وجراءة وشدة ، وكرما
ومروءة وساحة وتضحية ونجدة . وفخر بقبيلته - وذكر طكارمها
ومآثرها ومفاخرها . من محتد كريم ونسب شريف ، وشدة فسى
القتال ، وضراوة على المفاويز من الرجال ، وساحة فيما بينها
وتجاوز عن أخطاء أبنائها ، وإطعام المحتاجين والضيوف
والجيران - وخاصة أيام الجذب والقحط والمحل وشدة الزمان ،
واحترام مجالسها وتكريم منتدياتها ، فلا يقال فيها بفحش ولا يوتى
بخنا .

وهجاء مقذع شديد لمن تعرض لهجائه من الناس ، وقد نال
عمر بن هند ونديمه عبدة عمرو بن بشر بن مرثد من ذلك الهجاء
النصيب الأوفر ، والحظ الأكبر .

وحكم وأمثال ، فاق بها طرفة كل أقرانه ، وبز بها أهل
زمانه ..

وأخيرا مجموعة من الآراء الخاصة ، اندفع اليها طرفة
بحكم حياته الخاصة ، وقد بينا - والفضل لله - فساد
تلك الآراء ، وانحراف ما بنيت عليه من أهواء ..

التي غير ذلك مما قال طرفة من أشعار ..

فما هي خصائص شعره .. وما هي مميزاته ..

هذا ما أحببنا أن نجعله - باذن الله - خاتمة لبحثنا
هذا . ولذلك ، فقد أفردنا له الفصل القادم ..

✱

✱

الفصل الثالث

خصائص شعر طرفة

- المبحث الأول : أسلوب طرفة
- المبحث الثاني : تطور شعره
- المبحث الثالث : ملعته وأثره فيمن جاء بعده

الفصل الثالث

خصائص شعر طرفة

تمهيد :

كانت أصداء تعبيرات طرفة التي رأينا عند الحديث عن موضوعات شعره —
ترن في أذني ، وكانت خيالات معانيه وصوره وتشبيهاته ، تتراقص أمام عيني ،
وأنا أشعر عن ساعدي لا بدأ الحديث عن خصائص شعره ومميزاته .
وبرغم ذلك فقد ظللتُ طرف بما كتب الباحثون عن خصائص الشعر الجاهلي
بعمامة ، لا استهدي بما يقولون ، وانتقل بين أبيات طرفة جيئة وذهاباً ،
استنطقها خصائص شعره وصفاته ، واستمليتها سمات أسلوبه ومميزاته . حتى
هدانى الله — عز ثناؤه — الى مادة هذا الفصل .

المبحث الأول : أسلوب طرفة :

لا نذهب بعيداً اذا قلنا ، إن أسلوب طرفة
قد اتسم بأمر ، هي التي أبانت عن خصائص شعره ، وعبرت عن مميزاته .
ولولا ما لا يختلط بخيره من الشعر ، ولم تتبين معالمه الخاصة .
ومن تلك الامور عشق طرفة العارم للصحراء ، فقد ارتمت بين احضانها ،
يفترش أرضها ، ويلتحف بسماؤها . ولذلك فانه لم يترك أمراً من أمور —
أو شأناً من شئون الحياة فيها ، الا عاج عليه بوصف أو حديث ، عشاقها
وتأقلموا معها .

ورسومها وأطلالها ، وسوافيها ورمالها • كما تحدث عن نسائها ورياحها ،
وغبومها وأمطارها ، وبروقها ورعودها ، وحرها وقرها ، وعشبها وشجرها ،
وحيوانها وطيرها ، وغير ذلك من أمورها •

ويكفى لتوضيح هذا الطابع الصحراوي في أسلوب طرفة ، أن نعرف
أن أطلال معشوقاته ومنازلهن ، قد تناثرت في تلك الصحراء الرحبية •
فخولة أطلالها ببرقة شَمَد (١) ، ولها طلل كذلك في إضم (٢) • وهـر
تقيظ بنجد ، وتشتوبذات الحاذ من ثنيي وقر (٣) • وعند طولها
بحزان الشريف (٤) •

وديار سلمى بتثليث أو نجران أو قيعان جاشن (٥)
أما هو نفسه فلا يفتأ يطوف بتلك الصحراء ، من دد إلى قف فجرثم (٦) ،
ومن حومل إلى خفاف فمقَّب فاللوى (٧) ، ومن صحراء يسر إلى ذي النير
فالأعلام (٨) ، إلى غير ذلك •

ومما يوئد طابع أسلوب طرفة الصحراوي أيضا ، استعماله لأسماء وألفاظ
لا تكون غالبا إلا في البيئة الصحراوية • فالظباء وبقر الوحش وحمرة ، والحجل
والنعام ، وغيرها من الطير والحيوان ، ومن النبات والشجر الأراك والضال
والسمر والعُشَر والخُروع والأقحوان •

(١) انظر الديوان ص ٦ •

(٢) انظر الديوان ص ٩٠ •

(٣) انظر الديوان ص ٥٥ •

(٤) انظر الديوان ص ٥٥ •

أما انتزاعه صورته من الصحراء ، واستقاؤه تشبيهاته من نواحيها المترامية ، وشئونها المختلفة ، فهو أشهر من أن يوصف ، وأكثر من أن يحصى . ويكفى أن نتذكر أن وجه معشوقته كان كشمس تلك الصحراء فى البهجة والنقاء (١) ، وأن ندأماه كانوا كنجومها فى البياض والرفعة والصفاء (٢) . وأن أعناق خيل قومه كانت كجدوع نخلها عالية مشرفة طويلة (٣) ، وأن معشوقته كانت ككتيب من كتبانها فى التخرج والتراكم واللين والسهولة (٤) . وغير ذلك مما لا يتسع لاستقصائه المقام . (٥)

ثم إننا نلاحظ على أسلوب طرفه — غير الطابع الصحراوى — واقعيته التى تتسم بالصدق والوضوح ، وعدم ميله للتعقيد فى تعبيره عما تعرض له من فنون ، ومعالجته لما عن له من شئون .

فقد استمد مادة شعره من الحياة حوله ، وعالج به البيئة المحيطة به . وهى بيئة كما عرفنا صحراوية بدوية واضحة بسيطة ، لا يلفها ما يلىف البيئات الحضرية من غباش أو غموض ، ولا تجنح كما تجنح تلك البيئات الى المراوغة والتعقيد .

ولذلك فقد انصرف طرفه — ككثير غيره من شعراء تلك البيئة — يعالج مشكلاتها بصدق عميق ، ويتفاعل مع حوادثها باحساس مرهف ، وينقل واقعها بوضوح وعدم تكلف .

(١) انظر الديوان ص ١١ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٩ .

(٣) انظر الديوان ص ٧٠ .

(٤) انظر الديوان ص ٧٠ .

ولم يكن من شأن طرفه ، — بله الشعر الجاهلى كله — أن يطيل
الوقوف بالاحداث ، أو يحلل المواقف — فعل المتحضرين من الشعراء —
أو يلتمس للقضايا الحلول الفلسفية والافتراضية ، وغير ذلك مما أفرزته البيئات
التي انتشر فيها الشعراء العرب فيما بعد ، وانما كان همه وهم الجاهليين
— التعبير المباشر عن حياتهم ، واستمداد صورهم ومعانيهم من بيئتهم —
" بأساليب رائعة ، فيها جمال الفطرة وبساطة الصحراء ، بعيدة عن المبالغة
والخلو التعقيد " (١)

نعم . كذلك كان طرفه ، يعالج — كما قلنا — مشاكل بيئته بصدق ،
وينقل أحداثها بوضوح . فالحرب عنده مثلا ، أسراب من الفرسان
ينقضون على أعدائهم فى غارة سريعة ، وبأسلحة بسيطة ، بسيوفهم البواتر ،
ورماحهم العواتر ، وخيولهم الضمر .

والنصر كذلك عنده بسيط غير معقد ، فهو صبر أولئك الابطال ، حتى
يفرأعداؤهم ، أو تتناثر جثثهم فوق الرمال . يقول : (٢)

نمـسـك الخيل على مكرومها	حين لا يُمسكها إلا الصُّبْرُ
دُلُقُ الغارة فى إفزاعهم	كِرْعَالِ الطير أسرابا تَمُرُّ
تَذَرُ الأبطال صرعى بينها	ما يلى منهم كَمَى مُنْعَفِرُ

فأين هذه المقاتلة فى بساطتها ووضوح أمرها ، من الجيوش فى زمن أبى الطيب
المتنبى مثلا وهو يقول : (٣)

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادٍ مَالَهُن قَوَائِمُ
 إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ
 خَمِيسٌ يَشْرِقُ الْأَرْضَ وَالْغَرْبَ زَحْفُهُ وَفِي أُذُنِ الْجِوَزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمُ

وأما الكرم عند طرفه ، فقد كان واضحا — هو الآخر — لاتعقيد فيه ، أنه
 أطعام الطعام للامل والجياح والمحتاجين ، وقرى الجيران والضييف — ان
 الغادين الرائحين . هكذا في بساطة لا يشوبها التعقيد ، وفي وضوح لا يشوبه
 الغموض . يقول (١) :

بِجَفَانٍ تَعْتَرِي نَادِيَنَا مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّبْرُ
 كَالْجَوَابِي لَا تَنِي مُتْرَعَةً لِقَرَى الْأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِّ

بل ان البساطة والوضوح قد بلغا بطرفة حدا جملة يقول في معشوقته : (٢)

تَطْرُدُ الْقَرِيبَ حَرًّا صَادِقٍ وَعَلَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرِّ

أرأيت غاية ما كان يتمناه طرفه فيها ؟ ان تطرد بنسائمهما الحليلة ، وأجنحتها
 الظليلة — الحر عنه اذا اعتراه ، وأن تمنعه بدفئها من البرد ، وتحفظه
 من أذاه .

أرأيت في الامر وضوحا وبساطة ، كمثل هذا الوضوح ، وتلك البساطة .
 انها الوضوح والواقعية ، والبساطة في الحياة الاجتماعية .

واتسم أسلوب طرفه كذلك بولعه بالتصوير ، واعتماد التشبيه بخاصة ،
 وغيره من ضروب الصور البلاغية كالكنائيات والاستعارات وغيرها . ولقد عم ذلك
 التصوير شعر طرفه حتى كاد يغطيه ، ويشمله من جميع نواحيه .

ذلك ان التصوير ملازم للوصف ، به يستطيع الشاعر أن ينقل احساساته ،
وباجادته يبلغ الهدف من تشبيهاته ، ولذلك فقد تفنن طرفة في رسم
لوحاته • فاذا تذكرنا أن الوصف هو عماد فنون الشعر كلها أو يكاد يكون
كذلك — أدركنا السبب الذي حدا بطرفة الى رسم هذا الحشد الهائل من
اللوحات والصور والرسوم •

فالقوف بالاطلال وصف فيها من آثار ، ووصف لما كان للشاعر فيها
من ذكريات وأخبار • ووصف كذلك لتحسره على ضياع تلك الذكريات ، ووصف
لأساه وحزنه على مفات •

والغزل وصف لجمال النساء ، أجسامهن واحاديثهن وحركاتهن —
وسكناتهن ، ووصف كذلك لما يعتلج في صدور الشعراء نحوهن ، وما يحسونه
من متعة بينهن ، ولوعة وأسى لفراقهن •

والكرم والشجاعة والفخر وما إليها وصف أيضا ، فهي وصف للجود والسخاء
والشدة والمضاء ، والصبر عند اللقاء ، ونجدة الملهوفين ، ورد عـوز
المحتاجين •

وكذلك المدح والهجاء • إن مما الا وصف لخلق الممدوح الكريم العلى ،
أو خلق المهجو الوضيع الدنى • وهكذا يكاد الوصف — كما قلنا — يكون
أساس كل فن من فنون الشعر ، وعماد كل ضرب من ضروبه • ولذلك فقد
طوّف طرفة برسوماته وصوره ولوحاته بين مختلف الفنون الشعرية التي
قال فيها •

على أن طرفة قد عرف بوصف الناقة واشتهر به ، حتى بز فيه المتقدمين والمتأخرين • ولذلك فإن أكثر لوحاته وأوضحها وأدقها كان في وصف ناقته مع عدم المساس بانتشار صورته وجمالها في غيره •

هذا وقد تأخذ اللوحة عند طرفة بضعة أبيات حتى تكتمل ، وقد لا تحتاج إلا إلى بيت واحد فقط • على أن يراعه البارع قد يدبج اللوحة ويتقن رسمها في نصف بيت ليس إلا •

فمن أمثلة الصور التي تحتاج إلى أكثر من بيت قوله : (١)

ظَلَلْتُ بَذَى الْأَرْضَى فَوَيْقَ مُثَقَّبٍ بَبِيئَةٍ سُوءِ هَالِكَا أَوْ كِهَالِكِ
تَرَدُّ عَلَى الرِّيحِ ثَوْبِي قَاعِدًا إِلَى صَدْفٍ كَالْحَنِئَةِ بَارِكِ (٢)

فها هو ذا طرفة يجلس فوق ربوة من ربا ذلك المكان ، المحاط بشجر الأَرْضَى ، كثيلا منها لكا من سوء المكان وسوء الجو ، فالريح شديدة تتلاعب بثيابه فتردها على رأسه ووجهه ، وهو يستند إلى بعيه البارك ، علمه يحتفى من شدة الريح ، بدون جدوى • فيالسوء الحال التي هو فيها ••

تُرى ! كم من الزمن يستغرق الرسام الماهر ، وكم من المواد الخام يستهلك ، حتى يخرج لنا صورة كهذه ؟

ومن الصور التي كان البيت الواحد يكفي طرفة لرسمها قوله : (٣)

(١) انظر الدويان ص ٨٧ ، ٨٨ ، وانظر شرح البيت الاول في هامش ص ١٤ من هذا البحث •

(٢) الصدفى البغير المنسوب الى صدف حى من حضرموت ، والحنية القوس

كَأَنَّ جَنَاحَهُ مُضْرَجٌ تَكْنُفًا حِفَا فِيهِ شُكَا فِي الْعَصِيْبِ بِمُسْرَدٍ

ولابد للرسام حتى يستوفى جوانب هذه الصورة — بالطبع — من مهارة خاصة فى رسم الطيور ، حتى يتقن رسم جناحى هذا النسر الملون ، الاحمر الذى يضرب الى البياض . ثم لابد له كذلك من مهارة خاصة فى استعمال المخرز ، وذلك ليتمكن — كما تمكن طرفة — من شك هذين الجناحين بهذا المخرز فى ذنب عظم الناقة .

ألسنت ترى معنى دقة هذه الصورة ، وصدق تعبيرها عما أراد الشاعر ، وهو عِظْمٌ مُلَبِّ ذَنْبِ نَاقَتِهِ ؟

وأما الصور التى كان الشطر من البيت يكفى لرسمها عند طرفة فهى كثيرة كذلك ومن أمثلتها قوله : (١)

وَعَامَتٌ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الْخَفِيِّ دَرٍ

فلا بد لاتقان هذه الصورة من رسم الناقة على شكل سباح ماهر ، تمد عضديها فى الهواء كما يمد السباح يديه فوق الماء . وليس ذلك بكاف . اذ لابد من رسم ظليم مطرود فى جانب من جوانب الصورة ، وكأن الناقة تباريه فى السرعة ، وبذلك تكتمل الصورة وتستقر .

أرايت كيف كان طرفة مولعا بالتصوير ، والى أى حد أبدع فى رسم لوحاته الفنية ؟ وكذلك اتسم اسلوب طرفة ، بولعه بصياغة الحكم ، ومغالاته فى ضرب الامثال ، وغرامه بالقاعدة القائلة " لكل مقام مقال " .

فأما الحكم والامثال فقد رأينا فى الفصل السابق من أمثلتها ما يغنى عن

عن تكراره هنا . وأما استعماله لكل مقام مقالا ، ولكل حادث حديثا ،
فما أيسر التدليل عليه لكثرتة . لقد كان ذا افتخر بنفسه أو بقومه ، وجه
الحديث الى ما يجب أن يكون في الرجال ، من عقل وشجاعة وعدل وعفة ،
وما يتفرع منها . قال قدامة بن جعفر في نقد الشعر :

" انه لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم
مشترون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الالباب من الاتفاق في ذلك ،
انما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال
بهذه الأربع الخصال مصيبا " (١)

وهل كان طرفة يفعل غير ذلك ؟

وكان كذلك اذا هجا قوما ، سلبهم ما يجب أن يكون للرجال ، من كريم
الخصال وحמיד الفعال ، فكان في الهجاء من المقذعين ، كما كان في الفخر
من المجيدين .

ولقائل أن يقول : ولكنه قد بالغ في كثير من الامور وغالى ، والجواب
على ذلك هو أن المبالغة من ضروب الاستعمالات الجيدة التي ألفها فحول
الشعراء ، وحمدها لهم جهابذة العلماء .

ومع التزام طرفة بأن لكل مقام مقالا ، ضخامة الفاظه في الفخر وقوتها ،
وصعوبتها في الوصف وغرابتها . ثم رقتها في الغزل والنسيب ونداوتها وعذوبتها .
واستمع — كمثال على ذلك — الى قوله : (٢)

أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَّتْكَ هِرْ
وَمِنَ الْحَبِّ جَنُونَ مُسْتَعِرْ

لَا يَكُنْ حُبُّكَ دَافِقَاتِيلاً
فَلَسَهُ مِنْهَا عَلَى أَحْيَا نِيهَا

لَيْسَ هَذَا مِنْكَ مَاوِيَّ بِحُرِّ
صَفْوَةِ الرَّاحِ بَعْلُذٍ وَذِي خَصِرِّ

أفتوئدى هذه المعانى التى ذكرها قدامة ، الا بالفاظ تناسبها وتعبيراتها
تلائمها . بحيث يكون فيها من الرقة والعذوبة والبعد عن الخشن والجلادة
ما فى الغزل نفسه من ذلك .

اما الوصف والفخر وما اليهما ، فهما فى حاجة الى الالفاظ الجزلة القوية
الضخمة المعبرة . حتى تنهض بما تحمل من أعجاء تأدية المعانى العميقة
المتشعبة المسالك ، وتقوم بما ترصد له من التعبير عن الصور البدوية
الصحراوية فتوئدى ذلك .

وهكذا كان طرفه يعرف لكل مقام مقال الملائم ، ولكل حادث حديثه
الموائم . كيف لا ! وهو الذى عرف النقد منذ صغره ، ولعله لذلك
تحاشى ما استطاع أن ينقده أحد فى كبره .

ذكر الرواة — كما رأينا سابقا — أن المسيب بن علس كان ينشد شعرا
يصف به بعبيره فقال :

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيغريَّةُ مَكْدَمٌ

وسمعه طرفه وهو صغير ، يلعب مع صبيان الحى ، فقال : " استنوق الجمل "
فضحك القوم ، وذهبت مثلا . (١)

لقد أدرك طرفه أن الصيغرية من سمات النوق ، وليست من صفات
الفحول ، فأراد أن يذكر المسيب بقولهم : " لكل مقام مقال " . والاختلفت
الموازين ، واختلفت الامور ، و " استنوقت الجمال " .

هذا ، ولقد ظهر أسلوب طرفة كواحد من أرقى أساليب الشعراء
الجاهليين وأقواها ، وأجزلها وأعلاها . فقد هجم على الألفاظ القويصة
ينتقيها انتقاء ولا يسف إلى سواها . كما عززها بالمحسنات اللفظية التي
زادت في مزاياها . وغاص على المعاني العميقة يلتقطها بالشمال وباليمين ،
وتصرف في اللغة تصرفاً أذهل الباحثين .

ثم تناثرت بين أقواله ضروب من الثقافة والمعلومات العامة زادت أسلوبه
قوة إلى قوته وجمالاً إلى جماله . خاصة وإنها كانت تأتيه عفواً خاطراً ،
لا يقصد إليها قصداً أو يتكلفها تكلفاً .

ومن أمثلة هذه المعلومات وتلك الثقافات معرفته للكثير عن الأولين ،
والمامه بالكثير عن المعاصرين . فهو يعرف أن أجود الدروع هو ما كان يصنعه
سيدنا داود عليه الصلاة والسلام ، ولذلك نسب دروع قومه إليه .
يقول : (١)

وَهُمْ مَا هُمْ إِذَا مَا لَيْسُوا نَسَجَ دَاوُدَ لِبَاسٍ مُحْتَضَرٌ

وهو يعرف أن عاداً وقروناً غيرهما قد بادوا فيمرهات في الأيام الخالية ، فهل
ترى لهم من باقية ؟ يقول : (٢)

وَلَقَدْ بَدَأَ لِي أَنَّهُ سَيَغُولُنِي مَا غَالَ عَادًا وَالْقُرُونُ فَأُشْعَبُوا (٣)

وهو يعرف ما كان عليه العرب جميعاً — منذ كان أبوهم إبراهيم واسماعيل

(١) الديوان ص ٦٤ .

(٢) الديوان ص ١٠٨ .

(٣) بدا لي ظهر لي ، ويغولني يهلكني ، ويذهب بي . وأشعبوا ماتوا وفارقوا

عليهما الصلاة والسلام — من تقديس للبيت العتيق ، وعدم الالحاد فيه .
يقول : (١)

نَزَعَ الْجَاهِلُ فِي مَجْلِسِنَا فَتَرَى الْمَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ

وغير ذلك من أخبار الغابرين .

ثم إنه يعرف كثيرا كذلك عن الامم المعاصرة ، والشعوب المجاورة .
فأهل الشام نصارى أهل كتاب . ولذلك فهم أهل كتابة وقراءة وقراطيس
فشبه خد ناقتة بصفحة بيضاء من صفحات قراطيسهم .

وأهل اليمن مشهورون بدبغ الجلود ، ودباغهم أجود الدباغ وأفضلها ،
ولذلك فقد شبه مشفر ناقتة بنعال مصنوعة من جلود البقر المدبوغة فـسـى
اليمن . يقول : (٢)

وَخَذَ كَقِرَاطِ الشَّامِ وَمِشْفَرٌ كَسَبَتِ الْيَمَانِي قِدُّهُ لَمْ يُجَسِّرْ

والروم أهل أنهار وقنوات وزراعة ، كما أنهم أهل صناعة وبناء وعمارة .
ولذلك فقد سبقوا في صناعة أدوات البناء كالأجر ، كما سبقوا في إقامة
القناطر والجسور ، واتقان صنعها . ولهذا فقد شبه ناقتة في عظم جرمها ،
وإحكام خلقها ، بقنطرة الروم المشيدة بأقوى مواد البناء وأصلبها في ذلك
الزمان وهو القرمذ . يقول : (٣)

كَقَنْطَرَةِ الرُّومِ أَقْسَمُ رَبِّهَا لَتَكْتَنِفَنَّ حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَذٍ

وأهل عدولى مشهورون بصناعة السفن ، وعدولى هذه جزيرة من جزر

(١) الديوان ص ١١١ .

(٢) الديوان ص ٢٢ وشرحه ص ٣١٠ من هذا البحث .

الخليج (١)، أو هي قرية من قراه (٢) . ولذلك فقد شبه هودج معشوقته وهودج صاحباتها بالسفن العَدُولية . يقول (٣) :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَصِيفِ مِنْ دَدٍ
عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

وهذا يجربنا عن الحديث عن البحر عند طرفه . فقد تناثر في شعره ذكره أو ذكر ما يعود عليه وينسب إليه .

فالخلايا التي ذكر آنفاً ، هي السفن العظام ، وواحدتها خليقة .
والخلية كما ذكر ابن الأنباري عن أبي عبيدة ، هي " السفينة العظيمة معها قارب . أي زورق صغير " (٤) . وابن يامن الذي نسب إليه طرفة السفن الجيدة ، هو ملاح من أهل هجر (٥) . فهل يدرك هذه الأمور ، إلا من له بالبحر صلة ؟

على أن طرفة لم يقف علمه بالبحر عند هذا الحد ، ولكنه يصف سير السفن على صفحة الماء - مثلاً - وصف المعادين الخبير . فهي تتجه مرة للشمال ومرة لليمين ، وتضل القصد تارة ، وتمضي للقصد أخرى . وربانها ممسك بزمام دفتها ، يديرها إلى حيث تهديه خبرته بالطرق في البحار . يقول (٦) :

" يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي " .

ثم قف على البحر يوماً ، وانظر إلى السفن وهي تمخر عباب الماء ، أتراك تتخيل تعبيراً أقرب إلى ما تشاهد ، وتصويراً أدق في نقله من قول طرفة : (٧)

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمَغَايِلُ بِالْيَدِ

ان طرفة يضيف الى خبرته بلعبة الصبيان في الرمال ، وهى المعروفة
بالفيال (١) ، خبرة بالبحر وأحوال السفين فيه .

ولا يفتأ طرفة يستمد بحس تشبيهاته ، وصوره وألفاظه من قاموس
البحر ، حتى يؤكد لنا صلته به ، وقربته منه ، تأكيداً لاجال لنفيه .
فناقته تعوم بضبعيها فى الهواء كما يعوم السباحون فى الماء (٢) ، وعنقها
تالعهشرف عال ، كانه عود المركب الذى ينصب عليه الشراع ، يقول : (٣)
وَأَتْلَعُ نَهَاؤُهَا إِذَا صَعِدَتْ بِهِ كَسُكَّانُ بُوصَىٍّ بِدَحَلَةٍ مُصْعِرِ

وهل فى ذلك من عجب . لقد عرفنا أن منازل قوم طرفة كانت فى تلك
المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية وأطراف العراق ، وهى منطقته البحرية ،
معروفة بخلجانها وأنهارها وشواطئها . ثم ان طرفة لم يكن يهدأ فى منطقة
دون أخرى . بل كان يتجول بين تلك المناطق ، من الحيرة فى العراق ،
الى حجر فى الجزيرة . فيلتقط ببصره الحاد ، وبصيرته النافذة ما يعلم أو يرى
أو يسمع ، ثم يضمه مايقول . ولذلك فليس ما يمنع من أن نطلق عليه التسمية
التي أطلقها عليه استاذنا الدكتور حسن باجودة (٤) ، وهى قوله : " إِنَّ
طرفة كان شاعراً برمائياً " (٥) .

(١) هى لعبة لصبيان الاغراب حيث يجمعون رملاً ويخبثون فيه خبيثاً ثم يأتى
المغايل فيقسمه قسمين بيده ، ويقول أين الخبيث ، فان أصاب ظفر
وان أخطأ قمر . وقيل له قال رأيك أى خاب .

(٢) الديوان ص ٢٥ .

(٣) الديوان ص ٢١ .

(٤) رئيس قسم الدراسات العليا العربية — بكلية الشريعة — بجامعة الملك

أما استعمال طرفة للمحسنات ، وولعه بالتشبيهات والكنائيات ،
والاستعارات ، وغيرها مما يقوى المعانى ويزين الالفاظ ، فهو لكثرتهم
وشهرته يندفع الاستقصاء ، ويستعصى على الإحصاء .

فأنت لا تكاد تربييت أو بضعة أبيات ، الا وتجد فيها ما يقوى
المعانى من تشبيه أو استعارة أو كناية ، او غير ذلك مما اخترع النقاد
من تسميات كالتكافؤ والاحتراس والالتفات . وانت لا تكاد تقرأ ايضاً
ببيت أو بضعة أبيات ، الا وتجد فيها ما يزين الالفاظ من المحسنات .
كالازدواج أو الجناس أو الطباق أو المقابلات ، او غير ذلك مما فصل علماء
النقد الحديث فيه ، ووضعوا له المؤلفات والمصنفات . فمن أمثلة
التشبيهات عند طرفة قوله : (١)

وَجَاءَتْ بِصَرَادٍ كَأَنَّ صَقِيعَهُ خَالَالَ الْبُيُوتِ وَالْبَارِكِ كُرْسُفُ (٢)

فقد ساقط الريح الباردة ، سحاباً مليئاً بالجليد الابيض ، الناصع
البياض ، كأنه القطن .

ومن أمثلة استعاراته قوله : (٣) " لَعِبَتْ بَعْدِي السُّيُولُ بِرِي " .

فقد جعل السُّيُولُ صبياناً من صبيان الحى ، يلعبون بذلك الريح لعباً
متواصلاً حتى درسوه وعمدوه .

ومن كناياته قوله فى شدة الفزع (٤) : " يَوْمَ تَبْدَى الْبَيْضُ عَنْ " .

أَسْوَقَهَا " . وقوله فى حُمَّى الوطيس وتبادل الطعان : (٥) " وَتَسَاقَى " .

(١) الديوان ص ١٣٠ .

(٢) الصرّاد سحاب لأماء فيه ، والصقيع الجليد ، والكرسف القطن .

الْقَوْمُ كَأْسًا مَرَّةً " .

ومن التكافؤ قوله : (١) " بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَاءِ " .
قال قدامة بن جعفر : " فقلوه سريع وبطيء تكافؤ " (٢) . والتكافؤ هو
أن يأتي الشاعر بمعنيين متكافئين ، إذا أراد أن يمدح أو يذم ، أو أراد
أن يتكلم في معنى أى معنى . (٣)

ومن الاحتراس عند طرفة قوله : (٤)

فَسَقَى بِإِلَادِكَ — غَيْرَ مُفْسِدٍ هَا — صَوَّبَ الرِّبْعَ وَدِيمَةً تَهْمِي

فقد احترس بقوله : " غير مفسد هـ " . والا كان قوله دعاءً عليه لا دعاءً
له . قال الجاحظ في البيان والتبيين : " طَلَبَ الْغَيْثَ عَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ
لَأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارٌّ " (٥) .

وقد سمي قدامة هذا النوع من البيان بالانتميم ، وقال في معناه :
" وهو أن يذكر الشاعر المعنى ، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ،
وتكمل معها جودته — شيئاً إلا أتى به " (٦) . ثم قال : " فقلوه : غير
مفسد هـ ، اتمام لجودة ما قاله ، لأنه لو لم يقل غير مفسد هـ لَعُيِبَ ، كما
عُيِبَ ذوالرمة في قوله : (٧)

أَلَا يَا سَلَمَى يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَائِكِ الْقَطَرُ " (٨)

(١) الديوان ص ٤٦ .

(٢) نقد الشعر — مكتبة الخانجي — ص ١٦٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٤) الديوان ص ٩٧ .

(٥) البيان والتبيين ١/ ٢٢٨ .

قال أبو هلال في الصناعتين : " فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها لان القطر اذا انهل فيها دائما فسدت " (١)

ومن أمثلة الالتفات عند طرفة قوله : (٢)
وَتَصُدُّ عَنْكَ مَخِيلَةَ الرَّجُلِ الْعَرِيْضِ ، مُوضِحَةً عَنِ الْعَظْمِ
بحسام سيفك أو لسانك ، والكلم الأصيل كأرغب الكلام
قال قدامة : " فكأنه لما بلغ بعد " حسامك " الى لسانك " ، قدّر
أن معترضاً يعترضه فيقول : كيف يكون مجرى السيف واللسان واحدا ؟ فقال
والكلم الاصيل كأشد الجراح ، وأكثرها اتساعا " (٣) . ويمثل ذلك قال
ابو هلال في الصناعتين . (٤)

ومن أمثلة الازدواج عند طرفة قوله : (٥)
صَهَابِيَّةُ الْعُثُونِ ، مُوجِدَةُ الْقَرَا ، بَعِيدَةُ وَخْدِ الرَّجُلِ ، مُوَارَةُ الْيَدِ
وهذه المزوجة في التركيب ، كثيرة في النثر ، جميلة في الشعر ، كما يقول
العلماء . قال أبو هلال : " لا يحسن منثور الكلام ، ولا يحلو ، حتى
يكون مزدوجا " (٦)

أما الجناس عند طرفة فهو قليل ، وذلك أن الجناس وليد الصنعة
والتروى ، ولم يكن الا مر كذلك عند طرفة . ولذلك فانه لم يستعمل جناسا

(١) انظر الصناعتين — تحقيق البجاوى — ص ٣٩٠ .

(٢) الديوان ص ٩٦ وشرحهما في مامش ص ٣٣١ من هذا البحث .

(٣) نقد الشعر — مكتبة الخابجي — ص ١٦٩ .

(٤) انظر الصناعتين — تحقيق البجاوى — ص ٣٩٣ .

تماما الا فى موضع واحد — فيما أعلم — ، وذلك قوله : (١) " سَتَعْلَمُ
 اِنْ مُنَا صَدَى اَيْنَا الصَّدَى " . وقد استعمل جناسا غير تام فى مواضع
 أخرى ، ولكنها قليلة ايضا . ومن أمثلة ذلك قوله : (٢) " وَقَرِيبُ الْقُرْبَى "
 وقوله (٣) : " بِالْجَهْدِ أَجْهَدِ " ، وغير ذلك .

أما الطباق والمقابلات ، فقد أكثر طرفة من استعمالاته لها الى حد
 بعيد ، وذلك أنها كانت تساعد على إبراز معانيه بالشكل الذى يريد .
 ومن أمثلة ذلك قوله : " بَعُوجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي " (٤) ، " تَلَاقَى
 وَأَحْيَانًا تَبِينُ " (٥) ، " لَجَرَسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِصَوْتٍ مُنْدَدِرٍ " (٦) ، " وَيَبْحَى وَإِنْفَاقَى
 طَرِيفَى وَمُتَلَدَى " (٧) ، " وَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ ، وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلْتُ " (٨) ،
 " بَطْنِي عَنْ الْجُلَى ، سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا " (٩) ، وأخيرا :
 تَطَرَّدَ الْقُرْبَحَرِّ صَادِقٍ وَعَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ بِقُرٍّ (١٠) .
 وغير ذلك .

وكذلك أولع طرفة فى أسلوبه ، باستعمال الكثير من صيغ المبالغة ،
 كَفَعِيلٍ وَفِعَالٍ ، وَمَقْعُولٍ وَمُفْعَالٍ ، وَفَعِيلٍ وَفَعِلٍ . فأما صيغة فَعِيلٍ ،

(١) الديوان ص ٣٥

(٢) الديوان ص ٣٨

(٣) الديوان ص ٣٩

(٤) الديوان ص ١٢

(٥) الديوان ص ٢١

(٦) الديوان ص ٢٤

(٧) الديوان ص ٣١

(٨) الديوان ص ٢٦

(٩) الديوان ص ٢٦

فهي أكثرها شيوعا عنده .

فأفناقته عتيق ، ووخذ رجلها بعيد ، ووجه معشوقته نقى ،
والاقحوان الذى شبه بنوره فيها ، نابت فى كتيب ندى ، وصدر ثوب
قينته رحيب ، وهى رفيقة بجس الندامى ، وصوت معشوقته رخيم ، وقد
مرت به وبها أيام وكلاهما ناعم العيش غريز ، وطرفة انسان كريم ، وبغيه
شديد ، وسيفه رقيق الشفرتين ، وهو به مبيع ، ليس بالذليل ،
ولا البطىء عن الجلى ، السريع الى الخدا .

وقبر البخيل عنده كقبر الخوى ، وناقته تسمع الصوت العالى
كما تسمع الصوت الخفى ، والجيان مبيت ، والشجاع كمي ثبيت ،
وليس على رب الزمان كفيل . (١)

أما صيغة فَعَالٍ فهي شائعة ايضا فى أسلوب طرفة ، ولكنها أقل
من فَعِيلٍ . فناقته مَوارة اليد ، وعنقها أُتلع نِهاض ، وقلبها أروع نِباض .
وقائد السفينة ملاح ، والبخيل نحام ، والطعن نشاج أى ينزف بالدم ،
والسحاب بوكاف أى كثير المطر ، وقوم طرفة ضرابو البهم وطراذو القرم . (٢)

وكمثل صيغة فَعَالٍ تقريبا ، شاعت عنده صيغة فَعُولٍ . فمعشوقته
كالظبية الخذول ، وناقته أَمون ، جنوح ، وعيناها طحوران عوار القذى ،
والسحاب هطول ، وابن عمه بأسرار الكرام نَسول أى سريع المشى لا فشائها

(١) انظر فى صيغة فَعِيلٍ عند طرفة هذه الصفحات من ديوانه :

٩ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٤٦ ، ٥٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٣٢ ، وغير ذلك .

وغير ذلك . (١)

واقول صيغ المبالغة شيوعا في أسلوب طرفة ، مِفْعَالٌ وَفَعِيلٌ • فالأولى في قوله " مِرْقَال " عن ناقلته (٢) ، والثانية في قوله " الرجل العريض " (٣)

وأما صيغة فَعِلٍ فهي من الشيع في أسلوبه بحيث تكاد تكون في المرتبة الثانية بعد فَعِيلٍ • فعده سِرَفُ الْفَوَادِ ، وضرع ناقلته حَشَفَ اى متقبض ، ومعشوقته كالغزال الخدر ، وهو الفاتر العظام • وريقها كالماء الخصر ، اى البارد ، وصوتها عطر • وخف ناقلته مَرَّ ، اى ذهب ما حوله من الشعر • وسوءد قومه غير زمر ، اى غير قليل • وخلقهم مع من يعاديهم وعَرَّ (٤) •

وهكذا كان طرفة مولعا باستخدام صيغ المبالغة ، حتى ظهرت فى أسلوبه كخصيصة من خصائصه ، وواحدة من مميزاته •

على أن أسلوب طرفة هذا الذى رأينا كثيرا من خصائصه ومميزاته ، لم يَصِفْ من المثالب ، كما لم يَخُلْ من المعاييب • ولكنها مثالب محدودة ، ومعايب معدودة • وصدق الذى قال : " كَفَى الْمَرْءُ بُيَلَاءً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ " (٥) •

وكان طرفة يسقط فى تلك المعاييب سقطة الجواد ، كما ذكرنا ، مرة فى اللفظ ، ومرة فى المعنى • ولكن لعلماء أخذوها عليه ، ولم يغفروها له •

(١) وانظر فى صيغة فَعُولٍ هذه الصفحات :

٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٨٢ ، ٨٥ •

(٢) الديوان ص ١٢ •

(٣) الديوان ص ٩٦ •

(٤) وانظر فى صيغة فَعِلٍ هذه الصفحات : ١٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ،

٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٢ •

قال أبو هلال العسكري في الصناعتين : " ومن الخطأ قول طرفة

يصف ذنب البعير :

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَجِي تَكْفُفَا حِفَافِيهِ شُكَا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدٍ

وانما توصف النجائب بخفة الذنب ، وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا " (١)

وكان المرزباني قد سبق أبا هلال الى اكتشاف هذا الخطأ عند طرفة ، بل

ان عبارة ابي هلال هذه ، تكاد تكون هي عبارة المرزباني في الموشح (٢) .

على أن ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر ، كان قد سبقهما كليهما الى

ذلك . وتكاد عبارتهما تكون هي نفس عبارته (٣) . هذا وقد كنا قد أحصينا

على طرفة هذه لكبوة ، في أثناء حديثنا عن الوصف عنده .

وقال أبو هلال ايضا : " وما عيب على طرفة قوله :

وَإِذَا تَلَسَّيْتُ أَلْسِنَهُمَا إِنِّي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِيرٌ

والعاشق يلاطف من يحبه ولا يُحَاجُّهُ ، ويلالينه ولا يُلَاجُّهُ " (٤) . وكان

المرزباني أيضا قد سبق أبا هلال الى توضيح ذلك عند طرفة (٥) . على

أن الأصمعي هو أول من وقعت عينه على ذلك الخطأ فقال : " لم يكن

طرفة يحسن أن يتعشق " (٦) . وكنا قد رأينا رأيا في هذا المأخذ ، عند

حديثنا عن غزل طرفة .

(١) انظر الصناعتين — بتحقيق البجاوي — ص ٩٣ .

(٢) انظر الموشح — بتحقيق البجاوي — ص ١٢٦ .

(٣) انظر عيار الشعر لابن طباطبا ص ٩٩ .

(٤) انظر الصناعتين — بتحقيق البجاوي — ص ٨٣ .

(٥) انظر الموشح — بتحقيق البجاوي — ص ٧٧ .

(٦) انظر الموشح — بتحقيق البجاوي — ص ٧٧ .

وقال أبو هلال أيضا : " ومما لم يوضع فيه الشيء مع لِفَقِهِ من أشعار

المتقدمين قول طرفة :

ولستُ بحلال التَّلَاعِ مخافةً ولكن متى يَسْتَرَفِدِ القومُ أَرْفِدُ

فالمصراع الثاني غير مشاكل الصورة للمصراع الاول . وان كانا للمعنى صحيحا ،

لانه أراد : ولست بحلال التلاع مخافة السوءال ، ولكنى أنزل الامكنة المرتفعة

لينتابونى فأرقد هم . . وهذا وجه الكلام ، فلم يعبر عنه تعبيرا صحيحا ،

ولكنه خلطه وحذف منه حذفًا كثيرا ، فصار كالمتنافر . وأدواء الكلام كثيرة " (١)

وكان المرزبانى أيضا قد سبق أبا هلال الى كشف هذا عند طرفة . (٢)

على أن ابن طباطبا قد سبقهما كليهما حين قال فى كتابه عيار الشعر : " واذا

تأملت أشعار القدماء لم تعدم فيها أبيانا مختلفة المصاريح ، كقول طرفة : ولست

بحلال التلاع (البيت) ، فالمصراع الثانى ، غير مشاكل للاول " (٣) .

وهناك خطأ آخر من أخطاء طرفة ، أخذه عليه بعض العلماء ، واستحسنه

منه بعضهم الآخر ، وهو قوله : وَقَوْفًا بِهَا صَحْبِي . . (البيت) . فقد أخذه

من قول امرئ القيس . وسنعرض لذلك بالتفصيل عند حديثنا عن معلقاته بعد

قليل . ان شاء الله تعالى .

ويودى أن أختتم الحديث عن أخطاء طرفة بهذين الخطأين الصغيرين

اللذين أوقع طرفة فيهما الوزن والقافية . أما الاول فهو قوله : (٤)

حَابِسِي رَسْمٌ وَقَقْتُ بِهِ لَوْ أُطِيعَ النَّفْسُ لَمْ أَرْمُوهُ

(١) انظر الصناعتين — بتحقيق الجاوى — ص ١٤٣ .

(٢) انظر البحث فى حقيقة المصراعين — ص ٧٣ .

قال الاعلم الشنتمرى فى شرحه لهذا البيت : " وكان ينبغى أن يقول " لم
أرّمه " . فلما وقف ، ألقى حركة الهاء على الميم . ولا يجوز ذلك فى الوصل .
ومثله يجىء فى الكلام ، وأكثر ما يجىء فى الشعر " (١)

وأما الثانى فهو قوله : (٢)

بِحِفَانٍ تَعْتَرِي نَادِيَنَا
مِنْ سَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصَّنِيرُ

وكان ينبغى أن يقول الصَّنِيرُ (٣) ، ولكن الوزن والقافية لم يمكناه مما ينبغى .

ذلك هو أسلوب طرفة ، بخصائصه ومميزاته ، وأخطائه . وهو واحد

— كما ذكرنا — من أرقى أساليب الشعراء القدماء ، ولا ينتقص من رقيه ما ورد
فى ثنائه من عنات وأخطاء .

(١) الديوان ص ٧٦ .

(٢) الديوان ص ٦٦ . المأسورة

(٣) الصنبر بالصاد المهملة والنون المشددة المفتوحة والباء الساكنة

المبحث الثاني : تطور أشعاره :

ان التجارب الاولية — عادة — فى كل صناعة ،
تضيع وتندثر ، وتعفو آثارها • ولا يبقى بين الايدى غير تلك النتائج الناضجة
المستقرة ، التى أتت أكلها ونضجت ثمارها • والناس معذورون فى ذلك ،
فان مايعنيهم هو هذه النتائج • أما التجارب التى كانت أساسا لها ،
فلا تعنى الا العلماء والمتخصصين •

والشعر صناعة — كما نعرف — من تلك الصناعات ، ولم يصل الى ماوصل
اليه الا بعد أن تخطى العقبات الشديدة ، واجتاز التجارب العديدة ،
وليس من العقل فى شيء أن يكون الشعر قد وجد هكذا ، منظوما قويا
ناضجا نضيدا ، كما أنه ليس من العقل أن ينزل الشاعر من بطن أمه
فطحلا مجيدا •

لابد اذن من مراحل متعددة ، وتجارب متنوعة ، ومحاولات شتى ، وذلك
حتى يجود الشعر أو يجيد الشاعر • ولكن الناس — كما قلنا — معنون بالنتائج
وليس لهم عناية بالتجارب • ولذلك فقد حفظوا الاشعار الجاهلية ، وتناقلوها ،
ونسوا التجارب الاولية التى قامت عليها ، وأهملوها •

واذا كان هذا هو شأن الشعر الجاهلى كله ، فانه يصلح أن يكون
شأن كل شاعر من شعراء ذلك العصر على حدة • اذ تضيع التجارب الاولية التى
كان يهذى بها فى أول حياته ، قبل أن يجود شعره ، وينتشر بين الناس
أمره •

وتذيع فيما بينهم • فان فيها من لا خطاء والسقطات والعثرات ، ماقد يجعله
اضحوة لهم •

وهكذا كان طرفة بن العبد ، فقد وصلنا شعره ناضجا كله كما رأينا •
بحيث لا يستطيع الناقد أن يفرق (١) من مجموع بواكيره (٢) • ولذلك يصعب
عليه أن يحدد للناس — جازما — مراحل تطوره وارتقائه ، أو أن يدلهم —
يقينا — على أوائل شعره وأواخره •

حتى قصيدته " ماتنظرون بحق وردة فيكم " (٣) ، التي قالها لأعمامه ،
عند ما أبوا أن يقسموا مال أبيه ، وظلموا أمه حقها فيه • لانستطيع أن نجزم
بأنها أول شعره ، كما جزم ابن السكيت بذلك • فقد قال في شرحه لديوان
طرفة : " كان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فأبى أعمامه أن يقسموا له ماله ،
فقال طرفة ، وهو أول ما قال من الشعر ، فعرف به ونما شعره وكثر ، حتى
عرف به " (٤) •

غير أن الذي يتصفح هذه القصيدة ، ويمعن النظر في أبياتها ، لا يوافق
ابن السكيت على ما قال • واستمع الى طرفة وهو يقول فيها : (٥)

ماتنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورعط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب

(١) فرق يفرق — كنصر ينصر — أي بين • قال تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه "

على الناس على مكث وتزلنا تنزيلا " (الاسراء ١٠٦) •

(٢) الباكورة أول الفاكهة •

(٣) انظر ديوانه ص ١٠٧ •

فهل يبدو لك صاحب هذا الشعر ، فتى ناشئا يتشبث بتلابيب أعمامه ،
 أن يستمعوا إلى شكاته ، ويتضرع اليهم أن يتفضلوا برد الحقوق الـ
 أهلها ، وأن يتكرموا باعطاء أمه ما سلب من أموالها . . فان لم ينصفوه
 أو يسمعوه أو يجيبوه ، انصرف إلى أمه شاكيا باكيا ، تماما كما يفعل
 الصبيان ، ليجد عندها ما افتقده في أعمامه من حنان ؟ • أترك تجد
 طرفة في هذه الأبيات كذلك ؟ •

أم أنك تجد فيها شابا قويا ، يَجِبُهُ أعمامه بما يريد ، في صراحة
 الرجال ، وقوة الأبطال • بل يهدد هم ويتوعد هم ويصغر من شأنهم ، ويحقر
 من أمرهم • إذ كيف تهبط مروءتهم إلى حد الاعتداء على امرأة ضعيفة ، أَيْسَرُ
 وكيف تخف أحلامهم إلى درجة أكل أموال أبنائها الأيتام •

ثم يضرب طرفة لأعمامه — في هذه القصيدة — من الحكم ، ما ينم عن خبرة
 بالأمور ، وبشف عن علم بما كان في غابر الدهور • يقول (١) :

وَلَقَدْ بَدَأَ لِي أَنَّهُ سَيُغْلِبُنِي مَا غَالَ عَادًا وَالْقُرُونُ فَاشْعَبُوا
 أَذُوا الْحَقِّ تَقَرُّ لَكُمْ أَعْرَاضُكُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا يُحَرَّبُ يَغْضَبُ

إن طرفة قد خبر الحياة ، وعرف من صروف الزمان ، ما جعله لا يخشى
 غائلة ، ولا يهتم من حدّثان • ولذلك فهو لا يخاف أعمامه ، ولا يرهبهم ، بل
 يهدد هم ويتوعد هم • فليردوا لأمه حقها الذي ظلموها إياه ، والّا تعرضوا
 لهجوم طرفة ، ونالهم أذاه •

فاذا أضفت إلى ما في هذه الأبيات ، من تجارب وحكم ، ونضج في معالجة

الامور - نضجا في الأسلوب ، الفاظاً ومعاني وصياغةً ، تأكد لك أنَّ هذا الشعر ،
ليس هو أول شعر طرفة كما قال ابن السكيت ، اذ لابد أن تكون قد سبقته
محاولات ، ومحاولات .

والأرجح مما ذهب اليه ابن السكيت ، هو ما ذهب اليه الأعم الشنتمري ،
وذلك قوله في تقدمته لتلك القصيدة : " ويقال إنها من أول ما قال " (١) .

أما المحاولات الشعرية التي سبقت تلك القصيدة ، فيجوز أن يكون
هذا الرجز الذي قاله طرفة في القنابر وهو صغير - واحدا منها . فان المعاني
التي حواها ذلك الرجز ، والمباني التي حبكه بها طرفة ، ونَتَفَ الأخبار التي
وردت عنه ، تؤيد ما نقول . يقول : (٢)

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ
خَالَكَ الْجَوْ فَبَيْضٍ وَاصْفَرٍ
وَنَقَرٍ مَا شِئْتُ أَنْ تَنْقَرٍ
قَدْ رَحَلَ الصَّيَّادُ عَنْكَ فَأَبْشِرِ .
وَرَفَعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِ ؟
لَا بُدَّ مِنْ صَيْدِكَ يَوْمًا فَاصْبِرِ

فهو يتحدث الى قبرة صغيرة حذرت فخه ، فيغبطها على ما هي فيه من
حرية لا حدود لها . فالجو الفسيح ، والربيع الخلاء ، تبيض فيهما وتصفّر كيف
تشاء . وعندنا كذلك من الحب الذي نشره لها ، ما يكفيها مئونة الطعام ،
ولكنه يتهدد بها بأنه سيصيدها في يوم من الأيام .

أما من ناحية المعنى ، فتلك هي المعاني التي يشغل بها الصبيان أنفسهم . وأما من ناحية اللفظ والصياغة ، فأنت ترى فيها الألفاظ السهلة الدارجة ، التي لا نظائر لها في أشعار طرفة الأخرى ، كما ترى فيها من الأخطاء ما لم يكن طرفة ليقره لنفسه وهو كبير . رأيت ما في قوله : " ورفع الفخ فماذا تحذرى " ؟ .

وأما من ناحية نتف الأخبار التي وردت عن هذا الرجز ، فقد رأينا في موضع سابق أن طرفة قاله وهو صغير . وذلك عندما كان في رحلة مع بعض أعمامه ، فلما حطوا في ذلك المكان يستريحون ، نصب طرفة فخه للعصافير ونثر عليه الحب ، وأخذ يراقبه من بعيد . . . ولكن القنابر حذرتة اليوم كله .

فلما أذن القوم بالرحيل ، ورفع طرفة فخه وانصرف ، أخذت القنابر تتساقط على الحب المنثور ، وتلتقطه من غير حذر . فقال فيها طرفة ذلك (١) .

وقد ذكر أبو عبيد البكري في كتابه (فصل المقال) أن أوردته أم طرفة ، قد سرما منه ذلك ، فقالت له : " إني لأرجو أن تكون شاعرا ، وأن تشبه خالك " (٢) .

لقد لمحت الأم بإحساساتها الخاصة — في ابنها — هَخَايِلَ النبوغ ، وهو بعد على عتبة الشباب . فتمنت له — من قلبها — تلك الأمانى العذاب .

(١) انظر هذه القصة في الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١٤٧ ، وفي شرح

وصدقت احساساتها ، وتحققت أممياتها . فجود طرفة في مقاله ، وبـز
خاله وغير خاله .

والعجيب أن شعر طرفة بعد ذلك استوى فجأة ، فليس بين هذا الرجز ،
وبين الشعر الناضج القوى - فترة انتقال ، كما يقال . ولا بد إذن من أن تكون
هناك في شعر طرفة - حلقات مفقودة . ومحاولات أخرى ، ولكنها ضاعت
فيما ضاع . ولم يعلق بأذهان الناس إلا هذا الرجز ، الذي ارتبط بأقصوة
من الأقاويص ، يسهل على الناس أن يتناقلوها .

أما شعر طرفة الباقي ، فليس فيه من معالم الطفولة غير نتف من الأخبار
من مثل قوله : (١)

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حِزْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبُ الْمُغَايِلُ بِالْيَدِ

فها هو ذا طرفة ، لا يجد صورة للسفينة ، وهي تشق بصدرها عباب الماء ،
أقرب من صورة ذلك الصبي وهو يقسم التراب بيديه ، في لعبة الأطفال ،
المعروفة بالفيال . (٢) وحق لطرفة أن يستخدم ذلك التشبيه ، وإن يستعين
بتلك الصورة ، فكم مرة لعبها مع أترابه أيام الصبا ! وما أيام الصبا منه
ببعيد .

ومن ذلك أيضا قوله : (٣)

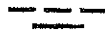
بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ بَرْدًا أبيضَ مَصْقُولَ الْأَشْرِ

فها هي ذي معشوقة طرفة ، قد استبدلت - من الشمس - بأسنانها العظمية
الأصلية ، أسنانا أشد بياضا ونقاء وجمالا . فكيف حشرت الشمس في موضوع

كهذا ؟ • وهل لها به من صلة ؟ •

نعم • بل إن لها به — عند صبيان الحرب في أيام طرفة — صلةً مباشرة • وذلك أن الصبي منهم كان "إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنٌ ، قَذَفَهَا نَحْوَ عَيْنِ الشَّمْسِ ، وَقَالَ : يَا شَمْسُ أُعْطِيكَ سِنًا مِنْ عَظْمٍ ، فَأَعْطِينِي سِنًا مِنْ فِضَّةٍ" (١) وبقيت هذه الترممة — كذلك — عالقة في ذهن طرفة ، من أيام صباه •

أما بقية أشعار طرفة ، فإنها تكاد تستوى أسلوباً وصياغةً ، وإن كانت معلقةً ، إلى جانب ما حظيت به من الشمول والطول ، قد نالها منه أيضاً حظ كبير من التجويد والإتقان ، حتى عده النقاد بها أفضل شعراء ذلك الزمان •



المبحث الثالث : معلقة طرفه وأثره فيمن جاء بعده :

معلقته :

كنت سأكتفى بهذا القدر ، من دراستي

لشعر طرفه - فنونه وموضوعاته ، وخصائصه ومميزاته • ولكن معلقته استرعت انتباهي ، كما استرعت انتباه الكثيرين غيري - بما اتسمت به من شمول عـز أن يوجد في غيرها من قصائد طرفه الاخريات ، وبما اتصفت به من طول قصرت عنه بقية المعلقات ، وبما حظيت به من العلماء في مختلف العصور ، من شـروح ودراسات وتعليقات • ولذلك فقد أحببت أن اختصها بوقفة خاصة ، مهما تكن قصيرة ، استعرض فيها بعضا من تلك المميزات •

فأما طولها ، فلا خلاف بين العلماء ، في أنها أطول المعلقات جميعا ، سواء منها السبع أو التسع أو العشر • واليك الدليل على ذلك ، مستقـسى من مصنفات العلماء الذين عنوا بذلك •

لقد بلغت أطول معلقة بعد معلقة طرفه ، وهي قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا هَبِّي بِصَخْنِكَ فَاصْبَحِينََا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا

مائة وثمانية عشر بيتا ، في أطول روايتها ، وذلك عند القرشي في جمهرة الاشعار • وهي عند ابن الانباري في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات أربعة وتسعون بيتا فقط ، وهي عند ابي جعفر النحاس في شرح القصائد التسع المشهورات ثلاثة وتسعون بيتا في نسخة ومائة وبيتان في نسخة أخرى ، وهي عند الزوزني في شرح المعلقات السبع بيتان ومائة • وهي عند التبريزي في شرح القصائد العشر ستة وتسعون بيتا فقط •

غَتِ الدِّيارُ محلَّها فَمَقامُها بِمَنى تَأبَدَ غولُها فِرْجاءُها

فهي عند كل من القرشى والتبريزى تسعة وثمانون بيتا ، وهي عند كل من
ابن البارى والزوزنى ثمانية وثمانون .

وتليها معلقة الحارث بن حلزة :
أَذِنْتَنَّا بِبَيْعِها أَسْماءُ رَبِّ تَأْوِيْلُ مِنْهُ الثَّوْءُ

فهي عند ابن البارى أربعة وثمانون بيتا ، وعند الزوزنى اثنان وثمانون ،
وعند التبريزى خمسة وثمانون وهي كذلك عند ابى جعفر النحاس . ومن عجب
الا يعرض لها القرشى فى جمهرة الاشعار بأى ذكر ، رغم شهرتها التى
نعرف .

وتليها معلقة امرئ القيس :
رَقَّاقًا بَبْكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ

فهي تسعون بيتا عند القرشى ، واثنان وثمانون عند كل من البارى
والتبريزى ، وثمانون فقط عند الزوزنى .

ثم تليها معلقة عنتر بن عمرو بن شداد :
هَلْ غَادَرَ الشَّعْراءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

فهي عند القرشى اثنا عشر بيتا ومائة ، وعند ابن البارى تسعة وسبعون ،
وعند ابى جعفر النحاس ثلاثة وثمانون وعند الزوزنى خمسة وسبعون ، وعند
التبريزى ثمانون بيتا .

ثم قصيدة الأعشى ميمون بن قيس :
وَدَّعَ هَرَبْرَةً إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أَيُّها الرِّجْلُ

عند ابن الأبارى أو الزوزنى ذكر .

أما القرشى فقد عد من ضمن معلقاته ، قصيدة أخرى للأعشى —

لاميته ذات المائة بيتة ،

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُوءٌ إِلَى وَسُوءٍ وَمَا تَرَدُّ سُوءِ إِلَى

ثم معلقة زمير بن أبى سلمى :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَالْمَثَلُ مَرَّ

فهى عند القرشى خمسة وستون بيتا ، وعند كل من ابن الأبارى والتبريزى

تسعون وخمسون ، وعند الزوزنى اثنان وستون .

ثم قصيدة النابغة الذبياني :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّيِّدِ أَهْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

فهى خمسون بيتا عند كل من أبى جعفر النحاس والتبريزى ، وليس لها عند

ابن الأبارى أو الزوزنى ذكر . أما القرشى ، فقد عد من معلقاته قصيدة

النابغة الرائية ، ذات الثلاثة والستين بيتا ، وهى قوله :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنَعْمِ دِمْنَةِ الدَّارِ مَاذَا تُحْيُونَ مِنْ نَوْمِي وَأَحْجَارِ

وأخيرا قصيدة عبيد بن الأبرص :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطَبِيَّاتِ فَالذَّنُوبِ

فهى عند القرشى — فى مجمراته — ثلاثة وأربعون بيتا ، وهى عند التبريزى

ثمانية وأربعون ، وليس لها عند ابن الأبارى أو الزوزنى ذكر .

أما معلقة طرفة ، فقد تذبذب عدد أبياتها عند أولئك العلماء وغيرهم

من عنوا بها ، بالزيادة والنقصان والحذف والاثبات ، ولكن أحدا منهم

النحاس والتبريزى مائت وخمسة أبيات . وهى عند القرشى مائة وواحد وعشرون بيتا . (١)

وهى عند كل من ابن الأبارى والأعلم الشنتمرى والبطليرسى مائة وثلاثة أبيات . وهى أخيرا عند الزوزنى مائة وأربعة أبيات . فهى اذن أطول المعلقات بإجماع العلماء .

أما ما اختصها به الرواة والنقاد والباحثون والعلماء ، فى مختلف العصور ، من شروح ودراسات وتعليقات ، فقد ذكرنا منه فى مواضع سابقة ما يغنى عن تكراره هنا . ويكفى ان نضرب لذلك أمثلة وحسب .

قال ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء : " فأما طرفة فأشعر الناس واحدة " (٢) وقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء فى معرض حديثه عن طرفة " هو أجودهم طويلة " (٣) وقال أبو عبيدة — فيما ذكر ابن قتيبة : " طرفة أجودهم واحدة " (٤)

وقال أبو عمرو بن العلاء — فيما ذكر ابن عبد ربه فى العقد الفريد : " طرفة أشعرهم واحدة " (٥) وقال ابن رشيق فى العمدة : " وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء ، وهى المعلقة " (٦) . وروى السيوطى فى شرح شواهد المغنى قال : " وسئل حسان . . من أشعر الناس ؟ فقال :

(١) هذا فى النسخة التى بتحقيق البجاوى . أما فى جمهرة الاشعار — طبعة

بولاق — فهى مائة وتسعة أبيات فقط .

(٢) طبقات الفحول — دار المعارف — ص ١١٥ .

(٣) الشعر والشعراء — ط القاهرة — ١/ ١٣٧ .

قبيلة ؟ أم قصيدة ؟ قيل : كلاهما . قال : أما أشعرهم قبيلة ، فهذيل ،
وأما أشعرهم قصيدة فطرفة " (١) . وقال كثير من العلماء — غير أولئك —
بمثل ذلك . (٢)

فبم شغلت معلقة طرفة أذ مان أولئك العلماء . وبم نالت اعجابهم حتى
جعلوا طرفة بها أشعر الشعراء .

لقد بلغت تلك المعلقة كما رأينا طولا لم تبلغه معلقة غيرها . ولعل هذا
الطول كأن من أسباب اعجاب العلماء بها . لان الجودة متوفرة لها — كما هي
متوفرة لغيرها ، وكما شهد بذلك أولئك العلماء أيضا . فاذا تساوت المعلقات
في الجودة أو تقاربت في ذلك على الأقل ، لم يبق الا الكم يتفاضل بين
أصحابها .

على أن معلقة طرفة قد جمعت الى طولها — شمولا جعلها تصلح لان تكون
نموذجا صادقا لشعر طرفة . بل لعله النموذج الرائع . ففيها فنون شعره
وموضوعاته ، وفيها خصائص أسلوبه ومميزاته .

فيها الوقوف بالاطلال ، والغزل والتشبيب . وفيها الوصف والفخر والهجاء
وفيها الحكم والامثال . وفيها آراء طرفة الخاصة في الحياة . وفيها كل ما طرقت
طرفة في شعره من الفنون .

وفيها كذلك من خصائص أسلوبه عشقه للصحراء وولعه بها واستقائه
صوره وتشبيهاته منها . وفيها كذلك ولعه بالتصوير وكثرة التشبيه . وفيها
غير ذلك من محسنات الالفاظ والمعاني كليهما . فيها الكنايات والاستعارات

وصيغ المبالغة ، والطباق ، والمقاربات وغيرها .

وفيهما كذلك ثقافات طرفة ومعلوماته ، وتجوالة وتنقلاته ، وفيها حتى أخطاءه وهناته . وفيها صلته بأهل البحر ، ومعرفته بكثير من أحوالهم وأحوال غيرهم من الناس في تلك الأيام ، في اليمن وغيره من أنحاء الجزيرة ، وفيما جاورها من العراق والشام .

واليك صورة موجزة عن تلك المعلقة ، لنذكر بها على ما ذكرناه :
بدأ طرفة معلقته ببيتين وقف فيهما على أطلال خولة ، إحدى أحسب معشوقاته اليه . فذكر مكان أطلالها في البيت الأول ، وتحسر عند ما لا حست له تحسرا شديدا ، وبكى في رواية بكاء مرا ، حتى حارب عليه أصحابه وأشفقوا . فأوقفوا في البيت الثاني ركائبهم عليه . يواسونه ويسرون عنه . يقول :
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّسَ

وقد نال هذا البيت من اهتمام العلماء الشيء الكثير ، وذلك لأنه يشبه تماما — إلا القافية — بيتا لا مريء القيس في معلقته ، وهو قوله : (١)
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلَ
وممن خاض في هذا الموضوع من العلماء ، ابن سلام في طبقات الفحول (٢) ،
والخالديان في الأشباه والنظائر (٣) ، وأبو هلال العسكري في الصناعاتين ،
وبديع الزمان الهمداني في المقامات ، (٥) وأبو العباس الشريشي في شرح
المقامات الحبرية (٦) ، وضياء الدين الموصلي في المثل السائر (٧) ، ويحيى

(١) ديوان امرئ القيس ص ٩ .

(٢) انظر طبقات الفحول — دار المعارف ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣) انظر الأشباه والنظائر ١ / ١٩٠ .

ابن حمزة في الطراز (١) ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق (٢) ، وغيرهم (٣) .
وتشعبت في الأمراء وأروءهم ، فعده بعضهم من توارد الخواطر والأفكار ،
قال ابن سلام : " وقد تفعل ذلك السوء لا يريدون به السرقة " (٤)
وقال الأصمعي فيما ذكره الشريشي في شرحا لمقامات الحريري : " قلت
لأبي عمرو بن العلاء : رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في
اللفظ ، لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع بشعره . فقال لي : تلك غول
رجال توافقت على ألسنتها " (٥)

وقد ضرب الموصلي في المثل السائر ، مثلاً لذلك ببيتين للفرزدق وجربير .
قال الفرزدق : (٦)

أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا لِنَامًا حُمَاتُهَا بِأَحْسَابِنَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ

فرد عليه جربير : (٧)

أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كِرَامًا حُمَاتُهَا بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ

وعد بعض العلماء الآخرين ذلك من قبح الأخذ ، قال أبو حلال : " وقُبْحُ
الْأَخْذِ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى الْمَعْنَى ، فَتَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظَةٍ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرَهُ " (٨) ، ثم
قال : " فما أخذ بلفظه ومعناه وادَّعى أخذه — أو ادَّعى له — أنه لم
يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن

(١) انظر الطراز ١٩٠/٣ .

(٢) انظر ثمرات الأوراق ص ٣١٩ .

(٣) انظر عقود الدرر ص ١٩٤ .

(٤) طبقات الفحول — دار المعارف — ص ٤٨ .

(٥) شرح المقامات الحبرية للشريشي ٣١٠/١ .

الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى ، فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها
 وذلك قول طرفة : وقولاً بها صَحِيحٌ على مطيهم يقولون لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّ بِـ
 وهو قول امرئ القيس : وقولاً بها صَحِيحٌ على مطيهم يقولون لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ
 فغير طرفة القافية " (١) .

ولكن بعض العلماء قد عد ذلك سرقة من السرقة ، فقد ذكر الخالديان
 في الأشباه والنظائر ، بعد أن روي بيت امرئ القيس قالاً : " ولطرفة
 ابن العبد مثله حرفاً بحرف ، إلا أنه جعل مكان " تجمل " ، " تجلد "
 ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب • وهم يسمونه التوارد ، وهو
 عندنا سرقة لا محالة " (٢) .

وذكر ابن حجة الحموي نوع تلك السرقة ، وهو كما قال : " وقوع الحافر
 على الحافر " (٣) • أما صاحب عقود الدرر ، فبعد أن روى البيتين قال :
 " الشاهد فيهما السرقة • فان طرفة أخذ بيت امرئ القيس كله ، إلا أنه
 بَدَّلَ قوله " تجمل " بقوله " تجلد " (٤) .

وبعد أن بكى طرفة على أطلال خولة ببيتين كما رأينا ، مضى يسترجع
 بذاكرته يوم ظعنهما ويشبه حُدُجَهَا وحدُج صوحيباتها بالسفن العظام
 كما ذكرنا ، وقد استغرق منه ذلك ثلاثة أبيات ، ثم استغرقت مغازلتُهُ
 خولة والتشبيبُ بها خمسة أبيات أخرى • شبهها فيها بالأحوى من الظباء
 ترعى في الخمائل • ثم وصف ثغرها الجميل بثلاثه السمر وأسنانها البيض ،

(١) انظر الصناعتين — بتحقيق البجاوى — ص ٢٢٩ .

(٢) انظر الأشباه والنظائر ١٩/١ — ٢٠ .

وشبهه بنور الأقحوان . ثم استعار لوجهها رداء الشمس ليظهر لونه الأبيض
النقى البهيج .

ثم انتقل طرفه الى وصف ناقته انتقالا طبيعيا ، ليس فيه تكلف او تعسف
فقد أهمه ظعن خولة ، وأمضه فراقها ، وبرح به الشوق اليها . فامتطى
ناقته وسار بها في رحلة يمضى بها ما اعتراه من هم ، ويزيل ما نزل به من غم .
يقول : (١)

وَإِنِّي لَأُمِضُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوَجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

ولقد قضى طرفه مع ناقته ليلا وثلاثين بيتا ، مطوفا بين شئونها المختلفة
وأعضائها المتعددة . فلا يكاد يترك شأنا من شئونها أو عضوا من أعضائها
ألا عرج عليه ووصفه . فجمعتها صلبة قوية كالسندان التي يضرب عليها
الحداد حديد ، ومشفرها لين عتيق أعلم طويل كسبت اليماني ، ومخبرها
مخسروت .

وخداها أملس أبيض لا شعر فيه كقرطاس الشامى ، وأذا نأها حادثان
لا تكذباها خسرا ، وعيناها صافيتان نقيتان واسعتان كالمرآة ، سليمتان
من الأذى طحوران عوار القذى ، حادثا النظر كعيني بقرة وحشية مذعورة ،
مشفقة على ولد لها .

وعنقها مشرف عال اذا صعدت به ورفعته ، وهو قوى الفقار ملتصقها .
وجوفها واسع كأن كناسي ضالة يكنفانها " . أى كأن على جانبيها كهفين
مما تحتفر الثيران الوحشية فى جذوع الضال ، لتسكن فيه .

وبداها مفتولتان قويتان ، متجافيتان عن صدرها ، فلا تحتكان به
ولا تؤذيانها . وفخذاها ضخمتان مشرفتان كأنهما بابا قصر منيف . وظهرها
عال مُتراش الفغار شديد ، مَحْنِي الأضلاع قويها .

وذيها كثيرا الشعر ، كأن على جانبيه جناحي نسر ، وضرتها متقبضة
لا لبن فيها . وقلبها شديد حديد ، كأنه الصخرة التي تدق بها الحجارة .
وهي بمجموعها ناقة قوية ضخمة كأنها القنطرة ، نشيطة سريعة كأنها الظليم .
وهي الى كل ذلك — مأمون عثارها ، سهل قيادها ، مطواع لقائدها ، اذا شاء
لم ترقل ، وان شاء أرقلت .

أرايت وصفا متكاملا ، دقيقا شاملا ، صادقا معبرا ، كوصف طرفقة
هذا الذي رأيت لناقته . لكأنى به يريد أن يبحت لها تمثالا ، يستمتع
بالنظر الى قسماته المتقنة كل راء ، أو يرسم لها لوحة فنية رائعة وشاملة ،
يعجز عن مثلها غيره من الشعراء . وقد فعل .

ثم يخرج طرفقمن وصف ناقته خروجاً طبيعياً ، كما كان قد دخل فيه
وينتقل الى الحديث عن مجالس اللهو والشراب التي كانت تشده وتستهويه .
وذلك أن ناقته كانت تختال في سيرها ، وتميس في مشيتها ، وتتبختر في
حركاتها ، فعل الوليدة من الإماء ، وهي تدور بالشراب على الندماء .

واذن فلا بد لمجالس الشراب من وقفة خاصة ، يتحدث فيها طرفقة عن نفسه —
فخورا بما كان يقدم لأصحابه من شراب ، ومعتزاً بسكناء التلاع ، ليراه
الراءون ويسترفده المسترفدون . ثم يصف مجالس الشراب نفسه بما فيه من

ومن ذلك ينتقل طرفة الى بحث آرائه الخاصة فى الحياة ، وكأنه يقدمها بين يدي وصفه لتلك المذات ، حتى يَتَقَرَّ بها لوم اللائمين وعذل العاذلات . ويظهر أن طرفة كان يأمل فى ابن عمه عبد عرو بن بشر بن مرثد ، أن يساعده فى استرداد إبله التى أغار عليها عمرو بن هند ، فقد كان عبد عمرو نديماً له ، ولما لم يفعل عتب عليه طرفة ، وعرض به تعريضاً هو الى الهجاء أقرب منه الى العتاب

واحتماج هذا الموقف من طرفة الى استعلاء وفخر ، فأوغل فيهما . حيث افتخر بشجاعته فى القتال ، وشدته على الرجال ، غير متباطيء ولا متكاسل ولا متبلد عن نجدة قومه حين يطلبون ، بل إنه فتى القوم ، كما يقولون .

ولم ينس طرفة فى هذا الموقف أن يتحدث عن سيفه البتار ، فهو حسام قاطع لا ينثنى عن ضريبة ، وهو رفيقه الذى لا يفارقه بليل أو نهار . ثم يختم طرفة معلقته بعدد من الحكم الصائبة الصادقة ، التى ظل الناس منذ ذلك الزمان ، يتندرون بها فى كل مكان .

تلك هى معلقة طرفة بشكل موجز ، وهى تصلح كما ذكرنا أن تكون نموذجاً لشعره ، لاحتوائها على كل موضوعاته ، ولاحتوائها كذلك على كل خصائصه ومميزاته . ولقد سبق عند دراستنا لاسلوب طرفة ، أن ضربنا لكل خصيصة من خصائصه أمثلة من هذه المعلقة ، بحيث أغنى ذلك عن اعادته هنا ، خشية التكرار .

على أننا نود أن ننوه هنا الى أمرين لم يسبق لنا التعرض لهما ، أحدهما

الموضوعات فهو نعى طرفة لنفسه اذ يقول: (١)

فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعَيْتَنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقَى عَلَى الْجَيْبِ يَابْنَةَ مَعْبِدٍ
وَلَا تَجْعَلْنِي كَأَمْرِئٍ لَيْسَ هَمُّهُ كَهَمِّي وَلَا يَغْنَى غَنَائِي وَمَشْهَدِي
وَأَنْفَذَتْ أُخَوَاتُهُ تِلْكَ الْوَصِيَّةَ كَمَا مَرَّبَنَا ، فَبِكَيْنِهِ بَكَاءُ حَارًا ، وَقَالَتْ الْخَرْنَقُ فِيهِ
شعرا مؤثرا .

وأما الامر الذي من ناحية الاسلوب فهو لجوء طرفة الى التضعيف في قوافيه

خاصة . وغنى عن البيان أثر التضعيف فى قوة الاسلوب . فطريق طرفة لاجب
مَعْبِدٍ ، وضرع ناقتة ذَاوِ مُجَدِّدٍ (٢) ، والقصر الذى شبه فخذيه ببابه
مُنِيفٍ مُرَدٍّ . وَفَقَارَ عُنْقَهَا مُنْضِدَةً (٣) ، وضلوعها مُوَيْدَةً (٤) .

وعضداها كالصفيح الْمُسَدَّدِ (٥) ، وظهرها عال مُصْعَدٍ ، وقلبها فى شدة
الصفيح الْمَصْمَدِ (٦) . وَسَحَلُ جَارِيَتِهِ مُمَدِّدٍ (٧) ، وبيتة كَرِيمٍ مُصْمَدٍ (٨) ،
وسيفه مُهْنَدٍ ، واذا استلته فهو مُجَرَّدٍ . وبعض الشرب فى الحياة مُصَرَّدٍ (٩)
والكريم مُسَوَّدٍ ، والذليل مُلْهَدٍ (١٠) . الى غير ذلك من هذه الكلمات
المضعفة ، التى كان يستعين بها طرفة لتعطى أسلوبه قوة الى قوته .

(١) الديوان ص ٤٦ .

(٢) أى متقبض لابلن فيه .

(٣) منضدة أى ملصقة ببعضها .

(٤) مؤيدة أى فيها قوة من الأيد والاد وهو القوة .

(٥) أى الحجارة القوية التى أسند بعضها الى بعض .

(٦) المصمد هنا بمعنى المصمت .

(٧) السحل الثوب الابيض .

(٨) المصمد هنا المقصود .

متأثرا به ، ومقلدا له ؟ .

واذن فان معنى أثر طرفه فيمن جاء بعده مختلف عن هذا . معناه
أنه ان فرد بتراكيب معينة ، وسبق إلى معان محددة ، فاشتهر بها دون غيرها
من المعانى والتراكيب . فكل من استعمل معنى من تلك المعانى ، أو واحدا
من تلك التراكيب ، فقد تأثر بطريقة تأثرا خاصا ، وقلده تقليدا مباشرا .
وهو غير ذلك التأثير العام ، الذى ينسحب من السابقين ، على جميع اللاحقين ،
فى كل ميدان من الميادين .

ونحن فى هذا المبحث - معدون فقط بهذا الاثر الخاص ، الذى تركه
طرفة على من جاء بعده . فقد اختص الرجل بتشبيهات خاصة به ، من مثل
قوله : (١)

وَجُمُومَةٌ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمُنْتَقَى هُنَّ إِلَى حَرْفٍ مُبَرَّدٍ

فقد قال الا علم الشنتمرى فى شرحه لهذا البيت : " وكان الا صمعى يقول :
لم يأت أحد بهذا التشبيه غير طرفة " (٢)

وكمثل قوله أيضا : (٣)

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِأَيْدِيهِ

فقد قال ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار ، بأن هذا التشبيه ، " من
التشبيهات العُقم ، الشافيات للبداية المعتلة من السقم " (٤) .

فاذا اتفق أن استعمل أحد الشعراء فيما بعد ، واحدا من هذه
التشبيهات ، فهو متأثر بطريقة ، ومقلد له . وما ينطبق على التشبيهات والصور

والمعاني ، ينطبق كما قلنا على التراكيب • واليك على ذلك هذه الأمثلة :

قال طرفة : (١)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنِّي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّسْ

أخذه النهشلي فقال : (٢)

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا مِنْ فَارِسٍ خَالَهْمُ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

غير أن طرفة افتخر بنفسه ، والنهشلي افتخر بقومه • والمعنى واحد •

هذا وقد أخذ متمم بن نويرة ، معنى قول طرفة حين رثى أخاه مالكا

بقوله : (٣)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى لِمُلَمَّةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُوَعَى ، وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

وقال طرفة : (٤)

يَشُقُّ حَبَابُ الْمَاءِ حِيْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التَّرَبُّ الْمَقَائِلُ الْيَسْرَ

أخذه لبيد فقال : (٥)

تَشُقُّ خُمَائِلَ الدَّمَا يَدَاهُ كَمَا لَعِبَ الْمَقَامِرُ بِالْفِيَالِ

وأخذه الطِّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ فقال : (٦)

وَعَدَا تَشُقُّ يَدَاهُ أَوْسَاطَ الرُّبَى قَسَمَ الْفِيَالِ تَشُقُّ أَوْسَطَهُ الْيَدُ

وقال طرفة : (٧)

وَبَلَدٍ زَعِيلٍ ظَلَمَانَهُمَا
قَدْ تَبَطَّنَتْ وَتَحْتَى جَسْرَةً

(٢) الكامل للمبرد ١/١١٤، ٤/٨٠

(١) الديوان ص ٢٧ •

(٤) الديوان ص ٨ •

(٣) المصدر السابق ٤/٧٩

(٥) ديوان لبيد ص ٨٠ وانظر الشعر والشعراء — ط القاهرة — ١/١٤٣ •

فأخذ لبيد الصدر الأول قال : (١) قَدْ تَجَاوَزْتَ وَتَحْتَى جَسْرَةَ

وأخذ عدى بن زيد كلا الصدرين قال : (٢)

وَمَكَانُ زُعْلٍ ظَلَمَانُ

قد تبطنت وتحتى جسرة

وقال عبد الله بن نهيك الأنصاري : (٣)

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ رَامِسٌ (٤)

فَمِنْهُمْ سَبْقَى الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةٍ كَأَنَّ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعِسٌ (٥)

وَمِنْهُمْ تَجْرِيدُ الْكَوَاعِبِ كَالْدُمَى إِذَا ابْتَزَعْنَ أَكْفَالَهُنَّ الْمَلَابِيسُ (٦)

وَمِنْهُمْ تَقْرِيطُ الْجَوَادِ عِنَانَهُ إِذَا اسْتَبَقَ الشَّخْصَ الْخَفِيَّ الْفَوَارِسُ (٧)

فهل عرفت من أين سرق ابن نهيك ، تلك الصور والالفاظ والتراكيب ، هذه

السُرقة الممقوتة المموجة . أليست من قول طرفة : (٨)

(١) ديوان لبيد ص ١٧٤ وانظر الشعر والشعراء — ط القاهرة — ١٤/١ .

(٢) الشعر والشعراء — ط القاهرة — ١٤٤/١ .

(٣) انظر الشعر والشعراء — ١٩٢/١ ، ونهاية الأرب للنويري ١٥/٢ ،

ومعاهد التنصيص للحباسبى ٣٦٦/١ .

(٤) رمس الميت (من باب نصر) دفنه ، والرمس (كالنصر) تراب القبر

والرامس الذى يقوم بالدفن .

(٥) مطلع الشمس : بالفتح وقت طلوعها قال تعالى " حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " .

وبالكسر مكان طلوعها . قال تعالى : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ " .

(٦) الكاعب والكعاب ، الفتاة فى أول سن الشباب . والجمع كواعب . والكفل

(بالفتح) العجز .

(٧) تقريظ الجواد عنانه : الباسه اياه ، قال ابن فارس : " وقرط فلان

فرسه العنان ، اذا طرح اللجام فى رأسه " (انظر معجم مقاييس

فلولا ثلاثٌ منَّ من حاجةٍ الفَتَى وجدَّكَ لم أحفلُ متى قام عُوْدِي
فلمهن سبقى العاذلاتِ بشرِبةٍ كميتُ متى ما تَعَلَّ بالماءِ تَزِيدِ
وكرى إذا نادى المضافُ مُحَبِّبًا كسيدر الغضا نيهته المتسورِدِ
وتقصيرُ يوم الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ يَهْكَئُ تحت الطَّرَافِ المُمَدَّدِ

على أن ابن نهيك لم يصدُرْ من وقوعه على قول طرفة " وقوع الحافر على الحافر " ،
فيكتفى بسرقة الالفاظ والتراكيب والصور ، بل لقد ذهب الى أبعد من ذلك
حين غاص في الوحل الذي غاص فيه طرفة ، وغرق في العبت الذي غرق فيه ،
وانحط الى الدرك الذي انحط له ، وتلوث بالدنس الذي تلوث به . بل لقد
زاد عنه بذلك التبذل وتلك الوقاحة التي عبر عن فجوره بهما .

وقال طرفة : (١)

أَبِينِي أَفَى يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ أَمْ صِيرْتَنِي فِي شِمَالِكَ

قال أبو هلال في الصناعتين : " وأخذه الرماحُ بين يَدَيْهِ ، فقال :

أَلَمْ تَكُ فِي يُمْنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ " (٢)

وقال طرفة : (٣)

فَأَنْصُرْتُ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقَى عَلَى الْجَيْبِ يَابْنَةُ مَعْبُدِ

أخذه القطامي فقال : (٤)

إِذَا مِتُّ فَأَنْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ لَتَغْلِبَنَّ لِمَوْتِ لَا بَدَّ غَالِبِي

وقال طرفة : (١)

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَاجِجًا تَضَاقِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرُ

أخذه الأخطل فقال : (٢)

حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مَنَى عَلَى مَضْضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ

وكان طرفة هو أول من طرد الخيال من الشعراء ، كما ذكر أكثر من واحد من العلماء (٣) ، يقول : (٤)

فَقُلْ لِّخِيَالِ الْحُظْلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَأَتَى وَاصِلُ حَبَلٍ مِنْ وَصَلِ

فجاء جبر فقال : (٥)

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ فَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزِّيَارَةِ فَارْجِعْ بِسَلَامِ

وقال طرفة : (٦)

فَأَنْتَ عَلَى الْأَذْنَى شَمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَةٌ تَزْوِي الْوُجُوهَ بِلَيْسَلِ
وَأَنْتَ عَلَى الْأَقْصَى صَبَا غَيْرُ قَرَّةٍ تَذَائِبُ ، مِنْهَا مُوزَعٌ وَمُسِيَلِ

أخذه الحارث بن كلدة فقال : (٧)

مَنْ النَّاسِ مَنْ يَغْشَى الْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى الْمَمَاتِ أَقَارِبُهُ
فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ فَالْبَعِيدُ يَنَالُهُ وَإِنْ يَكُ شَرٌّ فَابْنُ عَمِّكَ صَاحِبُهُ

(١) الديوان ص ١٦١ .

(٢) ديوان الأخطل ٢٠٢/١ .

(٣) كابن قتيبة في الشعر والشعراء — ١٩٦/١ ، والأمل في الموازنة — دار المعارف — ١٨٨/٢ ، والشريف الرضي في طيف الخيال ص ٤٧ ، والحصري في زهر الآداب ص ٧٠٢ ، وابن حجلة في ديوان الصبا ص ١٢٣ .

(٤) الديوان ص ٩٢ .

وقال طرفة : (١)

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضُنَا
حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وقال أبو خراش الهذلي يرثى أخاه : (٢)

حِمْدُكِ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا
خِرَاشٌ ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ألا ترى أنه قد أخذ مصراعاً بأسره لطرفة ، وضمه قوله ؟ (٣)

وقد أخذه غير أبي خراش فقال : (٤)

وَرَفَعَتْ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا
وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَرْفَعُ مِنْ بَعْضِ

قال الخالديان في الأشباه والنظائر : " هذا الكلام خذو كلام طرفة ،

بل هو منه ، وإن كان غير المعنى الذي أتى به أبو خراش وطرفة " (٥) .

وقال طرفة : (٦)

فَسَقَى بِلَادَكَ غَيْرَ مُفْسِدٍ هَا
صَوَّبُ الرِّبَيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

أخذه ذو الرمة — كما رأينا في موضع سابق ولكنه قصر عن مجاراته ، لأنه

لم يحترس مما احترس منه طرفة .

ثم أخذته ولادة بنت المستكفي ، فسقطت كذلك فيما سقط فيه ذو الرمة ،

فقد كتبت إلى ابن زيدون تقول : (٧)

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا قَدْ غَدَّتْ لَكَ مِنْزِلًا

بِكُلِّ سَكُوبٍ هَاطِلِ الْوَدْقِ مُغْدِقِ

(١) الديوان ص ١٧٢ .

(٢) شرح اشعار الهذليين ١٢٣٠ / ٣ .

(٣) انظر الاشباه والنظائر للخالديين ١٧٦ / ١ .

(٤) انظر المصباح السالك ١٧٧ / ١ .

فكتب اليها ابن زيدون يقول : " وكنت ربما حثثتني على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقدا • واني انتقدت عليك قولك : " سقى لله أرضا قد غدت لك منزلا " ، فان ذا الرمة قد انتقد عليه قوله ، مع تقديم الدعاء بالسلامة :
 أَلَا يَا سَلَمَى يَادَارَمَى عَلَى الْيَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَائِكِ الْقَطَرُ
 إذ هذا أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له ، وأما المستحسن فقول
 الآخر :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدٍ هَا صَوَّبَ الرِّبِيعَ وَدِيمَةً تَهْمِي (١)

===

الى غير ذلك من الامثلة ، التي طبق فيها شعر طرفة الافاق ، وجواب
 المفاوز ، وعبر البحار ، حتى وصل هناك الى ولادة وابن زيدون في الاندلس •
 ولو ذهبنا نستقصى بقية الامثلة ، لطال بنا المقام • ولكن في هذا القدر
 الكفاية ، فان ما أردناه به قد حصل ان شاء الله تعالى •

وهو أن شاعرنا طرفة بن العبد ، كان قد انفرد من بين الشعراء القدماء ،
 بكثير من الصور والتراكيب والتعبيرات ، التي تأثر بها وقلده فيها كثير ممن
 جاء بعده من الشعراء •

خاتمة المطاف

وأخيرا .. فانى أحمد الله ، أهل الحمد ، الذى شملنى بالتوفيق والساداد ، وتولانى بالهداية والرشاد ، فى كل خطوة من خطوات بحثى هذا ، حتى انتهى الى ما انتهى اليه . فما حالف الصواب فيه فان مرده الى الله ، وما جانب الصواب فيه فمن ضعفى وقلة حيلتى . وهل أنا إلا أحد الذين شملهم القول الصادق " وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " .

وبودى فى نهاية هذا البحث أن أجزه فى هذه النقاط ، باختصار شديد ، فان فى ثناياه الفناء لمن يريد أن يستزيد .

(١) لقد عاش طرفة بن العبد ، فى ذلك العصر المعروف بالعصر الجاهلى ، الذى درست أغلب آثاره ، وغُمت علينا أكثر أخباره . وكانت حياة طرفة تقريبا بين سنتى (٥٢٨ - ٥٦٩ م) .

(٢) وكان شرق الجزيرة العربية هو مسقط رأسه ومرتع صباه اذ على أرضه أبصرت عيناه النور ، وبين ربوعه قضى عمره القصير . كما أنه ثوى فى احدى نواحيه مثواه الأخير .

(٣) وذلك أن ربيعة قبيلة طرفة ببطنونها الكثيرة ، كانت منازلها هناك فى شرق الجزيرة . والحديث عن ربيعة يُذكرنا بنسبها الذى يعود الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام . فهى اذن من كبريات القبائل العدنانية .

(٤) ولقد كانت ربيعة من القبائل ذات الأثر الملموس فى احداث

ذلك الزمان . بأيامها الكثيرة ، وحروبها المشهورة . سوا
مع الفرس كيوم ذي قار ، أو مع القبائل العربية الأخرى
كأيامها الكثيرة مع تميم . أو بين بطونها المختلفة كأيام
حرب البسوس ، التي كانت بين بكر وتغلب أكبر حيين فيها .

(٥) ولقد حظيت ربيعة فيما حظيت بكثرة الشعراء ، وكثرة
الفحول بينهم . ولا عجب أن ينبغ طرفة فيها ، فقد كان جده
سعد بن مالك شاعرا ، وكان عمه المرقش شاعرا ، وكان خاله
المتملمس شاعرا . وغير أولئك

(٦) وكان للقبائل في شرق الجزيرة مجتمعها الخاص ، الذي لا
يفترق في عاداته ، وطباعه وأهدافه ، وغاياته ووسائل
عيشه ، عن المجتمع العربي الجاهلي في الجزيرة كلها
وان افترق عنه . بالصلة المباشرة بينه وبين مملكة الحيرة
وبما كان لتلك الصلة من آثار على الناس في سلمهم
وحربهم ، وإقامتهم وطمعهم .

(٧) وقد كان بلاط الحيرة في ذلك الزمان ملتقى الفحول من
الشعراء ، ومحط أنظارهم ، يقصدون أمراءه بمدائحهم
وأشعارهم ، ويتلقون منحهم وهداياهم ، وخلصهم وعطاياهم .

(٨) واتصل طرفة وخاله المتملمس - فيمن اتصل - ببلاط الحيرة
ونعما بصحبة عمرو بن هند وأخيه قابوس مدة من الزمن ،
وان كانت قصيرة .

(٩) وذلك أن طرفه ، كان يدلُّ بمكانته في قومه ، ومكانة قومه في الناس ، فنشأ معجبا بنفسه ، معترابها . فلم يعجبه ما اتسم به عمرو بن هند وأخوه قابوس من الأبهة والعظمة والخيلاء ، فهجاها بدل أن يمدحهما ، وأقذع لهما في الهجاء .

(١٠) واحتال عمرو بن هند لقتله ، فانتظر حتى أمكنته من ذلك غرة ألتبه . فكتب إلى عامله على البحرين ، فقتله في القصة التي عرفت بصحيفة المتلمس . ولم يكن طرفه قد تجاوز من العمر ، منتصف العقد الثالث في أرجح الأقوال .

(١١) ومضى طرفه إلى حيث تمضي الخلائق ، وصار إلى حيث تصير ولكنه خلف لنا مادة لغوية قيمة ، وثروة شعرية ثمينة شغلت الرواة والنقاد والعلماء والباحثين وذلك لمضاهاته بها المجيدين من الفحول ، على قصر في حياته ، وبكور في وفاته .

(١٢) وقد ضمَّ تلك الثروة بين دفتيه ، ديوانه الذي هو بين أيدينا الآن . والذي وصل إلينا عن عدة طرق . منها شرح ابن السكيت وأهمها شرح الأعمى الشنمري ، وكان آخر الأعمال فيه هو تحقيقه بشرح الأعمى الذي قام بطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(١٣) وقد تيسرت لي بضعة أبيات نسبت لطرفة في بعض مصادر بحثي مما لم يتنس لمحقق الدمامي . وقد أثبتت فيه مضعاما بالبحث

(١٤) وقد حوى ديوان طرفة فيما حوى أشواعا ثلاثة من الشعر . فنوع صحيح النسبة لطرفة ، كما قرر الثقة من العلماء القدماء وفى هذا النوع تتمثل موضوعات شعر طرفة ، كما تتمثل فيه خصائص أسلوبه ومميزاته ، ومنهجه الذى انتهجه فى حياته .

(١٥) ونوع آخر على النقيض من سابقه . فليس لطرفة به أدنى صلة لعدم ورود خبر صحيح بذلك من جهة ، ولبعده عن منهج طرفة وخصائص شعره وموضوعاته من جهة أخرى

(١٦) ونوع ثالث تأرجحت نسبته لطرفة بين القوة والوهن . وذلك لاختلاف العلماء حوله من ناحية ، فمن مؤثّق ومن مُضعّف ولما فيه من مشابهة لخصائص شعر طرفة وموضوعاته فى جوانب ، ومجاافاة لتلك الخصائص والموضوعات فى جوانب أخرى .

(١٧) وقد استأثر النوع الأول من هذه الأنواع بالقصائد والمقطوعات الأساسية فى الديوان وعددها ثمانى عشرة قصيدة ومقطوعة وتوزع النوعان الآخران الشعر المنسوب لطرفة فى صلة الديوان .

(١٨) ولقد تنقل طرفة فى أشعاره بين مختلف الموضوعات ، وعالج فيها عالج ، كثيرا من فنون الشعر الجاهلى المعروفة . كالوقوف بالأطلال ، والغزل والوصف والفخر والهجاء والحكم والأمثال .

(١٩) وكان طرفة يجيد فى بعض الموضوعات ، كما يجيد الآخرون . وذلك كما فعل فى الوقوف بالأطلال والغزل والفخر والهجاء . ولكنه برع فى بعضها الآخر ، براعة قصّرعنها الكثيرون ، كما فعل

(٢٠) ثم كانت لطرفة آراؤه الخاصة ، التي استقاها من حياته العابثة الالهية . كتلك الأهداف التي حَيَّ من أجلها ، وأكثرها هابط مرئول . كاللهو والشراب ، واللذائذ والشهوات ، وقرافِ اللاهين وم صاحبة العابثين من أهل الترف وانفاق المال في مختلف الوجوه خيرها وشرها ، انفاقا يصل إلى حد السرف

(٢١) هذا ، وقد تميز أسلوب طرفه بميزات عدة . أهمها عشقه للصحراء ، وانتقاؤه منها الصور والتشبيهات ، وولعه بالتصوير وكثرة التشبيه ، وميله إلى الواقعية والوضوح وعدم التعقيد - شأن أكثر الشعراء الجاهليين - ، وتضمنه لأشعاره من الثقافات والمعلومات ، والحكم والأمثال ما يدل على نبوغ خاص ، ونباهة فريضة .

(٢٢) ومما تميز به أسلوب طرفه كذلك . ذكر البحر ، فقد برز في شعره اتصاله به ، ومعرفته لبعض أسرار وأخباره ، وأحوال أهله وملاحيه ، واقتناص بعض تشبيهاته من السفن وهي تمخر فيه .

(٢٣) وقد ظهر أسلوب طرفه كما ذكرنا ، كواحد من أرقى أساليب الشعراء في زمانه ، وذلك بما تيسر له فيه من عميق المعاني وجيدا للألفاظ ، وبما زينه به من المحسنات وأسباب البيان ، وحشده له من الصور والكنايات والاستعارات والتشبيهات الحسان .

الى تشبيهات بعينها وتراكيب بذاتها ، عرفت به وعرف بها .
ثم جاء كثيرون من بعده ، فاستعملوها فى أشعارهم
متأثرين فيها به ، ومقلدين له .

(٢٥) وكان لطرفة أيضا - شأنه شأن بنى البشر - أخطاءه وسقطاته
فقد كانت له فى معالجة بعض الموضوعات أخطاء ، كما كانت له
سقطات فيما خلفه من أفكار وآراء .

(٢٦) وفى الموضوعات أخذ العلماء على طرفة عدة مآخذ ، كوصفه
لنذب ناقتة بكثرة الشعر وغزارته ، والجودة عكس ذلك
إذ توصف النجائب بخفة الذنب . كما أخذوا عليه تحديده
لمعشوقته فى الغزل ، والموقف يتطلب اللين والركة وعدم
الملاحة .

وأخذوا عليه - كذلك - افتخاره بالعطايا التى كان يتكرم
بها قومه ، اذا لعبت برءوسهم الكتوس ، والأجود ألا يكون
لكرمهم من دافع ، غير اكتساب الحمد وبلوغ المجد .

(٢٧) وأما سقطاته فى الآراء ، فقد انتدبت نفسى - ما استطعت
كلما وقعت على شئ منها ، لتوضيحه وتبيينه ، وتفنيده
وتهجينه . وذلك حتى يكون القارىء لتلك الآراء ، على
بينة من خطئها ، وفى منجاة من خطرها .

(٢٨) فليست صحيحة كل تلك الأمور التى رصد حياتها لها ، اذ لابس
فقط بالنجدة التى عشق ، أما اللهو مع النساء ، والشرب مع
النساء ، فانها أمور يترفع الكرام عنها ، ويتسامون الى
ما هو أجل منها . وحرى بالفتى الا يرصد حياته الا لنشر
عقيدته ، وما علا شأن أمته .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة .	(١ — و)
الباب الأول — حياة طرفنة .	(١ — ١٧٥)
الفصل الأول — بيئة طرفنة وعصره .	(٢ — ٦٧)
تمهيد .	(٣)
المبحث الأول — شرق الجزيرة العربية .	(٤ — ٥٧)
(جغرافية شرق الجزيرة ٤ ، حضارة شرق الجزيرة في القديم ٦ ، رباح شرق الجزيرة ٨ ، حيوانات شرق الجزيرة ١٥ ، مجتمع شرق الجزيرة ٢٩ ، المرأة في مجتمع شرق الجزيرة ٣٥ ، سهل العيش في شرق الجزيرة ٣٩ ، عادات العرب وطبايعهم ٤٣ ، أيام العرب في شرق الجزيرة ٥٢)	
المبحث الثاني — مملكة الحيرة ، وصلتها بالقبائل العربية في شرق الجزيرة	(٥٨ — ٦٧)
الفصل الثاني — قبيلة طرفنة .	(٦٨ — ١٣٢)
المبحث الأول — العرب في الجاهلية	(٦٩ — ٧٣)
(تمهيد ٦٩ ، مساكن العرب في الجاهلية ٦٩ ، نسب العرب ٧١)	
المبحث الثاني — قبيلة ربيعة .	(٧٤ — ١٣٢)
(نسبها ومساكنها ٧٤ ، بطون ربيعة ٧٧ ، ديانة ربيعة ٨٠ ، شعراء ربيعة ٨٥ ، أيام ربيعة ١٢١) .	
الفصل الثالث — حياة طرفنة .	(١٣٣ — ١٧٥)
المبحث الأول — اسمه وكنيته ، ونسبه وأسرته	(١٣٤ — ١٤٢)
المبحث الثاني — مولده ونشأته ومذهبه في الحياة (١٤٣ — ١٥٦)	
(مولده ونشأته ١٤٣ ، نهوغه وثقافته ١٤٧ ، سلوكه ومذهبه في الحياة ١٥١) .	
المبحث الثالث — علاقته بسلطان الحيرة .	(١٥٧ — ١٧٥)

- البشائر الثاني - شعر طرفية (١٧٦ - ٤٤٥)
 الفصل الاول - دراسة تاريخية (١٧٢ - ٢٧٨)
 المبحث الاول - مصادر شعر طرفية ورواة ديوانه . (١٧٨ - ٢٣٨)
 (مصادر شعره ١٧٨ ، ديوانه ١٨٦ ، اشعار نسبت له ولم ترد في
 ديوانه ١٩٨ ، رواة ديوانه ٢٠١ ، الاضغى ٢٠٦ ، الفضل ٢١٣ ،
 ابو عبيدة ٢١٢ ، ابو حاتم المجستاني ٢٢٢ ، ابن السكيت ٢٢٥ ،
 ابو عمرو الشيباني ٢٢٨ ، ابن الاعرابي ٢٣١ ، محمد بن حبيب ٢٣٥ ،
 الاعلام الشنغري ٢٣٧) .
 المبحث الثاني - الانتحال في شعر طرفية (٢٣٩ - ٢٦٦)
 المبحث الثالث - طرفية في رأى القدماء . (٢٦٧ - ٢٧٨)

-
- الفصل الثاني - موضوعات شعره (٢٧٩ - ٣٩٣)
 (تمهيد ٢٨٠ ، الوقوف بالاطلال ٢٨٢ ، الغزل ٢٨٨ ،
 الوصف ٣٠٧ ، الفخر ٣٢٧ ، الهجاء ٣٤٣ ، الامثال والحكم ٣٥٤ ،
 الاراء الخاصة في الحياة ٣٨٠) .

-
- الفصل الثالث - خصائص شعر طرفية (٣٩٤ - ٤٤٥)
 تمهيد (٣٩٥)
 المبحث الاول - اسلوب طرفية (٣٩٥ - ٤١٨)
 المبحث الثاني - تطور اشعاره (٤١٩ - ٤٢٥)
 المبحث الثالث - معلقة طرفية ، واثره فيمن جاء بعده (٤٢٦ - ٤٤٥)
 (معلقته ٤٢٦ ، اثره فيمن جاء بعده ٤٣٨)

-
- خاتمة المطاف (٤٤٦)
 فهرس الموضوعات (٤٥٣)

المصادر والمراجع

- (١) أخبار النحويين البصريين - للسيرافي - (٣٦٨هـ) - طبع الحلبي بالقاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٥٥م.
- (٢) اختيار المنظوم والمنصور - لأبي الفضل بن طيفور (٢٨٠هـ) - مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٥٨١ أدب) .
- (٣) الاختياران - مما روى عن المفضل الضبي (١٧٨هـ) والأصمعي (٢١٦هـ) - مصورة دار الكتب المصرية رقم (٢٥٨٧٢ ن) .
- (٤) أساس البلاغة - للزمخشري (٥٣٨هـ) - دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م.
- (٥) الأشباه والنظائر - للخالدين - أبي بكر محمد (٣٨٠هـ) ، وأبى عثمان سعيد (٣٩٠ - ٣٩١هـ) - لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٨م.
- (٦) الاشتقاق لابن دريد (٣٢١هـ) - مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- (٧) الأثرية - لابن قتيبة (٢٧٦هـ) - مطبعة الترقى بدمشق ١٣٦٦ / ١٩٤٧م.
- (٨) الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - تصوير دار صادر وبيروت - عن طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .
- (٩) الأصمعيات - للأصمعي (٢١٦هـ) - دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ .
- (١٠) الأصنام - لابن الكلبي (٢٠٤هـ) - ليبزج ١٩٤١م .
- (١١) الأضداد - لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) - المطبعة الكاثولوكية بيروت ١٩١٢م .
- (١٢) الأضداد - لابن الأنباري (٣٢٧هـ) - الكويت ١٩٦٠م .

- (١٥) الأغاني - لابی الفرج الأصفهانی (٣٥٦ هـ) - دار الكتب المصرية
ومطبعة التقدم بمصر - ودار الثقافة بيروت ١٩٦٠ م
- (١٦) الأكليل - للهمدانی (٣٣٤ هـ) - بغداد ١٩٣١ م .
- (١٧) ألقاب الشعراء - لمحمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) - لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م
- (١٨) الأمالي - لابی علی القالی (٣٥٦ هـ) - تصوير دار الفكر - عن
طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م .
- (١٩) أمالي المرتضى (٤٣٦ هـ) .
- (٢٠) الأمالي الشجرية - لابن الشجرى (٥٤٢ هـ) - دار المعرفة
- (٢١) الأمثال - لابی عبید القاسم بن سلام (٢٤٤ هـ) - مطبعة الجوانب -
بالقسطنطينية ١٣٠٢ هـ
- (٢٢) الأمثال - لابی عكرمة الضبی (٢٥٠ هـ) - مجمع اللغة العربية بدمشق
- (٢٣) الأمثال لابی فید مؤرج بن عمر السدوسی (١٩٨ هـ) - الريساض
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م -
- (٢٤) أمثال العرب للفضل الضبی (١٧٨ هـ) - مطبعة التقدم بمصر
١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .
- (٢٥) أنباء الرواة علی أنباء النحاة - للقطی (٦٤٦ هـ)
- دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٩٣ هـ / ١٩٥٠ - ١٩٧٣ م .
- (٢٦) الأنساب - للسمعانی (٥٦٢ هـ)
- حیدر آباد بالهند ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- (٢٧) أنساب الأشراف للبلاذری (٢٧٧ هـ) -
- دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م .
- (٢٨) الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطی (بعد سنة ٣٧٧ هـ) - الكويت
١٣٧٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (٢٩) البداية والنهاية - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - مطبعة السعادة بمصر

- (٣١) كتاب بكر وتغلب - أو - حرب البسوس - لابن اسحق (١٥١ هـ)
وابن الكلبي (٢٠٤ هـ) - ١٣٠٥ هـ .
- (٣٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة - للفيروزبادي (٨١٧ هـ) - دمشق
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م
- (٣٣) بلوغ الأرب - للأوسى (٢٧٠ هـ) - المطبعة الرحمانية بمصر
١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .
- (٣٤) البيان والتبيين - للجاحظ (٢٥٥ هـ) - مكتبة الخانجي بمصر
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٣٥) تاج العروس - للزبيدي (٢٠٥ هـ) .
- (٣٦) تاريخ الأدب الجاهلي - للدكتور علي الجندی - مكتبة الانجلو
المصرية ١٩٦٩ م .
- (٣٧) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان - دار المعارف بمصر .
- (٣٨) تاريخ الأمم والملوك - للطبري (٣١٠ هـ) - مطبعة الاستقامة
بالقاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م - ودار المعارف بمصر ١٩٦٨ م
- (٣٩) تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) - دار الكتاب العربي
بيروت .
- (٤٠) تاريخ الشعوب الاسلاميه بروكلمان - دار العلم للملايين - بيروت
١٩٦٨ م .
- (٤١) تاريخ العرب - لفيليب حتى وآخرين - دار الكشف بيروت ١٩٥٢ م
- (٤٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - للدكتور جواد علي - المجمع العلمي
العراقي ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- (٤٣) تاريخ اليعقوبي (٦٩٢ هـ) - أوربا ١٨٨٣ م ودار صادر وبيروت
١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- (٤٤) تذكرة الحفاظ - للذهبي (٧٤٨ هـ) - دار احياء التراث العربي .
- (٤٥) التشبيهات - لابن أبي عون (٣٢٢ هـ) - كمبرج ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م
- (٤٦) تفسير البحر المحيط - لأبي حيان الاندلسي (٧٤٥ هـ) - مطبعة
السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .
- (٤٧) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - دار الفكر - بيروت .

- (٥١) التتبيه على أوهام أبو علي فوأطاليه - لأبي عبيد البكري (٥٤٨٧هـ)
تصوير دار الفكر عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م
- (٥٢) تهذيب الاسماء واللغات - للنووي (٦٧٦هـ) - إدارة الطباعة
الميزية بمصر .
- (٥٣) تهذيب اللغة للأزهري - المؤسسة المصرية للتأليف ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- (٥٤) تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)
- حيدر أباد بالهند ١٣٢٧هـ .
- (٥٥) ثمرات الأوراق - لابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)
- مصر ١٣٠٠هـ .
- (٥٦) جامع البيان عن تأويل القرآن - أوتفسير الطبري - لأبي جعفر محمد
بن جرير الطبري (٣١٠هـ) - طبع بولاق بمصر ١٣٢٨هـ .
- (٥٧) الجامع لأحكام القرآن - أوتفسير القرطبي -
للقرطبي (٦٧١هـ) - دار الكتب المصرية ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م
- (٥٨) جغرافية شبه جزيرة العرب - لعمر رضا كحالة - مطبعة الترقى بدمشق
١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م
- (٥٩) جبهة أشعار العرب - للقرشي (أوائل القرن الرابع) - مطبعة بولاق
بمصر ١٣٠٨هـ - ودار نهضة مصر - الطبعة الأولى - بتحقيق علي محمد
البحاوي .
- (٦٠) جبهة الأمثال - لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) - المؤسسة العربية
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- (٦١) جبهة اللغة - لابن دريد (٣٢١هـ) - حيدر أباد بالهند ١٣٤٤هـ
- (٦٢) جبهة أنساب العرب - لابن حزم (٤٥٦هـ) - دار المعارف بمصر
١٣٩١هـ / ١٩٧١م
- (٦٣) حضارة العرب - غوستاف لوبون - دار احياء الكتب العربية ١٣٦٧هـ /
١٩٤٨م
- (٦٤) حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة - للدكتور مصطفى الرافعي
دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠م
- (٦٥) حماسة ابن الشحرى (٥٤٢هـ) - دار الثقافة بدمشق ١٩٦٠م

- (٦٩) حياة الحيوان للدويرى (٨٠٨هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م
- (٧٠) الحيوان للجاحظ (٢٥٥هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م
- (٨١) خاص الخاص - لأبوفصوور الثعالبي (٤٣٠هـ) - مطبعة السعادة بمصر
١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
- (٧٢) خزانة الأثب للبغدادي (١٠٩٣هـ) - مطبعة بولاق بمصر ١٢٩٩هـ
- (٧٣) دائرة المعارف الاسلامية - كتاب الشعب - الطبعة الثانية ١٩٦٩م
- (٧٤) دائرة معارف القرن العشرين - مصر ١٩٢٤م
- (٧٥) دراسات في فقه اللغة - للدكتور صبحى الصالح - دار العلم للملايين
بيروت ١٩٧٣م
- (٧٦) الدرة الفاخرة في الامثال السائرة - للأصبهاني (٣٥١هـ) - دار المعارف
بمصر
- (٧٧) دليل المتحف الكويتى - الكويت ١٩٧٠م
- (٧٨) الديارات - للشابشتى (٣٨٨هـ) - بغداد ١٩٥١م
- (٧٩) ديوان ابن زيدون ورسائله لابن زيدون (٤٦٣هـ) - مصر ١٩٥٧م
- (٨٠) ديوان أبى تمام - دار المعارف بمصر
- (٨١) ديوان أبى نواس - دار الكتاب العربى - بيروت
- (٨٢) ديوان الاعشى - شرح الدكتور محمد محمد حسين - مكتبة الأثب بالقاهرة
- (٨٣) ديوان امرى القيس - دار المعارف بمصر ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م
- (٨٤) ديوان البحتري - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية
- (٨٥) ديوان جرير - دار صادر - بيروت
- (٨٦) ديوان الحطيئة - طبع الحلبي بمصر - ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م
- (٨٧) ديوان حميد بن ثور الهلالى - الدار القومية عن طبعة دار الكتب المصرية
١٣٧١هـ/١٩٥١م
- (٨٨) ديوان ندى الرمة - دمشق ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م
- (٨٩) ديوان زهير - أو شعمر زهير بن أبى سلمى - دار القلم العربى بحلب ١٣٩٣هـ
١٩٧٣م
- (٩٠) ديوان شعمر الخرنق - تحقيق الدكتور حسين نصار - دار الكتاب ١٩٦٩م

- (١١٢) الرسالة التدمرية - لابن تيمية (٧٢٨ هـ) .
- (١١٣) رسالة في الصداقة والصديق - لابی حیان التوحیدی (٤١٤ هـ) مطبعة
الجوائب بالقسطنطينية (١٣٠١ هـ) .
- (١١٤) زهر الاثاب للحصری (٥٣ هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م
- (١١٥) سمط اللثالی لأبو عبید البکری (٤٨٧ هـ)
- ✳ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م
- (١١٦) سنن ابن ماجه (٢٧٥ هـ) - دار احیاء الکتب العربیة ١٣٧٢ هـ /
١٩٥٢ م
- (١١٧) سنن الترمذی (٢٧٩ هـ) - دار الفكر ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- (١١٨) السيرة النبوية - لابن هشام (٢١٣ هـ) - طبع الحلبي بمصر ١٣٧٥ هـ /
١٩٥٥ م
- (١١٩) شرح أدب الكاتب - للجواليفی (٥٣٩ هـ) - القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- (١٢٠) شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين - للأعلم الشنتمری (٤٧٦ هـ)
مخطوطة دار الکتب المصریة رقم (٤٥٠ شعر تيمور) .
- (١٢١) شرح دواوين الشعراء الستة الجاهلية - للأعلم الشنتمری (٤٧٦ هـ)
مخطوطة دار الکتب المصریة رقم (٨١ أدب ش) .
- (١٢٢) شرح شواهد المفنی - للسيوطی (٩١١ هـ) - المطبعة البهية بمصر
١٣٢٢ هـ .
- (١٢٣) شرح القوائد التسع المشهورات - لأبی جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) جنداد
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م القسم الثاني فقط .
- (١٢٤) شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات - لابن الانباری (٣٢٨ هـ) -
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية .
- (١٢٥) شرح القوائد العشر - للهطیب التبریزی (٥٠٢ هـ)
- مطبعة السعادة بمصر ٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- (١٢٦) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للحسن المسکری (٣٨٢ هـ) - طبع
الحلبي بمصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م
- (١٢٧) شرح المعلقة التسع - لأبی جعفر النحاس (٣٣٨ هـ) - مخطوطة دار
الکتب المصریة رقم (٩٧٧٦ أدب) .

- ١٣٠ (شرح المفضليات لابن الأنباري (٣٢٧هـ) - بيروت ١٩٢٠م .
- ١٣١ (شرح المقامات الحريرية للشريشي (٦١٩هـ) - المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .
- ١٣٢ (شعر الاخطل - دار الاصمعي بحلب .
- ١٣٣ (الشعر الجاهلي - للدكتور يحيى الجبوري - دار التربية بغداد .
- ١٣٤ (الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦هـ) - دار المعارف بمصر ١٩٦٦م ودار صادر - بيروت .
- ١٣٥ (صحيح البخاري (٢٥٦هـ) - كتاب الشعب - مطابع الشعب بمصر .
- ١٣٦ (صحيح مسلم (٢٦١هـ) - دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٣٧ (صفة جزيرة العرب - للهمداني (٣٣٤هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣م .
- ١٣٨ (كتاب الصلة لابن بشكوال (٥٧٨هـ) - الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦م .
- ١٣٩ (كتاب الصناعتين - لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) - طبع الاستانة ١٣٢٠هـ ودار احياء الكتب العربية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .
- ١٤٠ (ضرائر الشعر للقرظاني (٤١٢هـ) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٥١٥٧ (أدب) .
- ١٤١ (طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٢٣١هـ) - دار المعارف بمصر ١٩٥٢م - ومطبعة المدني .
- ١٤٢ (طبقات المفسرين للدواودي (٩٤٥هـ) - مطبعة الاستقلال بمصر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٤٣ (طبقات النحاة واللغويين - لتقي الدين الأسدي (٨٥١هـ) - النجف ١٩٧٤م .
- ١٤٤ (طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (٣٧٩هـ) - دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .
- ١٤٥ (الطراز - ليحيى بن حمزة (٧٤٥هـ) - مصر ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .

- (١٤٨) العرب - تاريخ موجز - لفيليب حتى - دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٤ م.
- (١٤٩) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف - دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م.
- (١٥٠) العقد الفريد لابن عبد ربه (٢٢٨ هـ) لجنة التأليف ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
ومطبعة الاستقامة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- (١٥١) عقود الدرر - بلا نسبة - طبع حجاز ١٩٣٧ م .
- (١٥٢) العمدة - لابن رشيق (٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
- (١٥٣) عنوان المرقصات والمطربات - لنور الدين علي (١٠٤٤ هـ) جمعية
المعارف بمصر ١٢٨٦ هـ .
- (١٥٤) عيار الشعر لابن طباطبا (٢٢٢ هـ) - مصر ١٩٥٦ م .
- (١٥٥) عيون الاخبار لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م .
- (١٥٦) الفاخر للفضل بن سلمة (٢٩٠ هـ) - بريل بليدن ١٩١٥ م .
- (١٥٧) فتح القدير - أو تفسير الشوكاني - (١٢٥٠ هـ) - بيروت -
- (١٥٨) فحولة الشعراء للأصمعي (٢١٦ هـ) القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- (١٥٩) فصل المقال لابن عبيد البكري (٤٨٧ هـ) بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- (١٦٠) الفهرست لابن النديم (٤٣٨ هـ) طهران ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- (١٦١) فهرسة ابن خير الاشبيلي (٥٧٥ هـ) - الهانجي بالقاهرة
١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- (١٦٢) قواعد الشعر لابن العباس ثعلب (٢٩١ هـ) طبع الحلبي بمصر
١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- (١٦٣) الكامل في الادب للمبرد (٢٨٦ هـ) - طبع الحلبي بمصر
١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .
- (١٦٤) الكامل في التاريخ - أو تاريخ ابن الاثير (٦٣٠ هـ) - دار
صادر وبيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- (١٦٥) الكتاب - لسيويه (١٨٠ هـ) - طبع بولاق بمصر ١٣١٦ هـ .
- (١٦٦) كنى الشعراء لمحمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) لجنة التأليف والترجمة
والنشر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- (١٦٧) لباب الاداب لأسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ) - المطبعة الرحمانية
بمصر ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

(١٧٠) المؤلف والمختلف للآمدى (٣٧٠ هـ) - دار احياء الكتب

العربية ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م

(١٧١) المثل السائر لضيء الدين الموصلى (٦٢٢ هـ) طبع بولاق بمصر ١٢٨٢ هـ

(١٧٢) مجاز القرآن لابن عبيدة (٢٠٩ هـ) - مطبعة الخانجي بمصر

١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م

(١٧٣) مجمع الامثال للميداني (٥١٨ هـ) - القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م

(١٧٤) المحاسن واللساوى للبيهقى (٥٤٤ هـ) - المانيا ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م

(١٧٥) المحكم لابن سيده (٤٥٨ هـ) - طبع الحلبي بمصر - الطبعة الاولى -

(١٧٦) مختارات ابن الشجرى (٥٤٢ هـ) القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م

(١٧٧) مختار الصحاح للرازي (٦٦٦ هـ) -

(١٧٨) المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ) - طبع بولاق بمصر ١٣١٨ هـ

(١٧٩) مرآة الجنان - لليافعى (٧٦٨ هـ) بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م

(١٨٠) مرصد الاطلاع - للبغدادى (٧٣٩ هـ) دار احياء الكتب العربية

١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م

(١٨١) مراتب النحويين لآبى الطيب اللغوى (٣٥١ هـ) - دار نهضة مصر

١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

(١٨٢) المزهرفى علوم اللغة للسيوطى (٩١١ هـ) دار احياء الكتب العربية

١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م

(١٨٣) مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (٧٤٩ هـ) مصورة دار الكتب

المصرية رقم (٥٥٩ معارف عامة)

(١٨٤) المستقصى فى امثال العرب للزمخشري (٥٣٨ هـ) حيدر اباد بالهند

١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م

(١٨٥) مسند الامام احمد بن حنبل (٢٤١ هـ) المكتب الاسلامى ودار صادر

بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

(١٨٦) مصادر الشعر الجاهلى - للدكتور ناصر الدين الاسد - دار المعارف

بمصر ١٩٦٩ م

(١٨٧) المصون فى الادب - للعسكري (٣٨٢ هـ) - الكويت ١٩٦٠ م

- (١٩١) معاهد التنصيص للعباسي (٩٦٣ هـ) - مطبعة السعادة بمصر
١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م .
- (١٩٢) معجم الأرباء لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) - دار المأمون بالقاهرة
١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- (١٩٣) معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) .
- (١٩٤) معجم الشعراء للمرزباني (٣٨٤ هـ) دار احياء الكتب العربية
١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- (١٩٥) معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة - بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (١٩٦) معجم ما استعجم لابي عبيد البكري (٤٨٧ هـ) - لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٩٤٥ م .
- (١٩٧) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥ هـ) - طبع الحلبي بمصر
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- (١٩٨) معجم ويستتر الجغرافى مادة (ARABIA) .
- (١٩٩) كتاب المفتالين من الشعراء لمحمد بن حبيب (٢٤٥ هـ) لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- (٢٠٠) مفتاح السعادة لاحمد مصطفى (٩٦٨ هـ) - مطبعة الاستقلال .
- (٢٠١) المفضليات للمفضل الضبي (١٧٨ هـ) دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة .
- (٢٠٢) مقامات بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ هـ) بيروت ١٩٢٤ م .
- (٢٠٣) مقدمة ابن خلدون (٨٠٨ هـ) المطبعة التجارية الكبرى بمصر .
- (٢٠٤) المنتحل للشعالبي (٤٣٠ هـ) الاسكندرية ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م .
- (٢٠٥) المنتخب من كفايات الارباء للجرجاني (٤٨٢ هـ) مطبعة السعادة بمصر
١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م .
- (٢٠٦) الموازنة بين آبي تمام والبحرني لآمدى (٣٧٠ هـ) - مطبعة السعادة
بمصر ١٩٥٤ م .
- (٢٠٧) ميزان الاعتدال للذهبي (٧٤٨ هـ) دار احياء الكتب العربية
١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- (٢٠٨) النجوم الزاهية لابن تغري بردى (٨٧٤ هـ) - مصورة عن طبعة دار